



مُظْفَرُهُ نَامِيَةٌ
السُّلْطَانُ فَظْفَرُ الدِّينِ كَبُورُ
أَمِيرِ أَرْبِكُ

خسرو پیربال القصاب



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السلطان مظفرالدين كوكبورو- امير اربل
دراسة تاريخية- سياسية حول المسيرة شخصية تاريخية

مَظْفَرُنا مِثْرًا

كتاب حول تاريخ امارة اربل و الملك المعظم السلطان
مظفرالدين كوكبوري

الكتاب تاريخ شعب اربيل و قلعتة الشامخة ..
الحكاية الكاملة عن الدولة العالية المولوية السلطانية الملكية
المعظمية المظفرية



مظفرالدين كوكبورى - امير اربل
الدكتور عبدالقادر احمد طليمات
جمهورية مصر العربية - القاهرة
وزاره الثقافة و الارشاد القومى
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف و الترجمة و الطباعة و النشر
القاهرة - ١٩٦٣، مطبعة مصر
سلسله اعلام العرب - ٣٢

اسم الكتاب	: مظفرنامه - السلطان مظفرالدين كوكبورى - امير اربل
الكاتب	: خسرو پيربال القصاب
تصميم الكتاب والغلاف	: شاخوان جعفر خوشناو
الطبع	: الطبعة الاولى ٢٠٢٠
النسخ	: ١٠٠٠ نسخة
المطبعة	:

انتشارات و حفظ اثار السلطان مظفرالدين گوگورو
المركز السلطان مظفرالدين گوگورو للفكر والتاريخ

حكومة إقليم كوردستان
وزارة الثقافة والشباب

رقم الايداع في المديرية العامة للمكتبات العامة
(٨٢٩) لسنة (٢٠١٩)

ژماره‌ى سپاردنى كتيبى نيوده‌وله‌تى:
ISBN:978-952-94-1436-9

رَجُلٌ لِلَّهِ



السَّيِّدِ الْفُضَيْلِ بْنِ كُبَيْرٍ



Eğer Babamın Yurdu
Erbil Bana Nasip Olursa
Gelirlerimi üçe ayıracağım
Bir bölümünü Erbil'i Korumaya
Bir bölümünü Fakirlere
Bir bölümünü Hayır Eserlerine
Harcayacağım

Sultan
Mazaffereddin Gâlbörâ



(مستور أول) الذي أصدره صلاح الدين يوسف بشأن مصر إدارة إربيل
 إثر وفاة زين الدين يوسف بالمكن سنة ٥٨٦هـ / ١١٩٠م.
 لا شك أن احاطة العلم بالنظام زين الدين (يوسف) إلى جوار الله تعالى
 ومقر رحمة مجاهداً في سبيله ، شاكراً لعمته ، وهو من السعداء الذين أنزل الله
 عليهم ، ومن خرج من بينه نهائراً إلى الله ورسوله لم يتركه الموت فقد وقع
 أجره على الله^{١١} . فما أوجع القلوب بمصابه وما أنكى في النفوس قول شيبه ،
 ولقد كانت الفضة متوفرة على تربيته واعلاء عرجته ، لكن الله يستأثر به قبل
 ظهور حسن الأتراك في إيجاره ، وبلى بخره المم سراره في حشر البلى من
 أسراره ، وهذه أول العام البت الأتراك على البيت الزين^{١٢} . عند سبعين
 عاماً^{١٣} . لم يخلوا لقد تعامهم بها نظاماً ، ولم يرحموا أحكامهم إلا إحكاماً وإبراماً ،
 وما رأى أن يخرج هذا الموضع منهم ، وأن يصدق به عنهم ، والأمر الأجل
 مظهر الدين كبر البيت وحاميه ، والقدم في الولاية ، يفتضح وصاية إيه ، وقد
 أنهض ليسد مسد أحمده^{١٤} .

❖ الفرمان و دستوروی سلاطینین شایری له مام دوست به کاربوری
 سرانگن مورطفر اله قه لای عمارت



(بیدیاننامہ کی عنوانیں)

سیداحمددینی شعیبوی، پاشا مرعشی ، (زین الدین یوسف یثالثین لہ سابقی
(۱۳۶۰-۱۳۶۱ھ) دربار کی چار سوویں شہزادگی عنوانیں بلاوی کردہ

بیگومان مرعش (زین الدین یوسف کی ماشووی رنگارنگ شہزادگی سوباسگوزاری
انہجشی خودا گواہی ہوئی گود ، و بہر رعیشنی خوا کہوت، شو کہیتکہ شو
بہخطوات شعی حوکشی شو تاپتہ، دیانگریتکوہ، (ومن باخرج من بیتہ ماخرا الی اللہ
ورسولہ، شو یرنگہ شو، قلہ وقلع اجرد علی اللہ) ^۱، وناہ (کشی مانی خواہ
جنوتک، و روق لہ رنگارنگ خواہ بیفہمیر نکت و، بمریت، شوہ، شوہجری دہکویشہ
سفر طوڈا)، شای، جہند، داکھنہ شو لوقوماندہ و، وی لہ شوای مالوایی شو
خواتمیرگدا شو رعیشنی خواہ بیگہیشت و بندگی بحرزی و مرگرت، بعلام بحر
لہوڈ، جیہندی، جنگی دہرگرت و مانگی جویردشمود لاقوتگانی دہرووی رؤین
بگتوہ، خوا بریدیوہ یو بارنگارنگ خواہ شوہ شوایرشی صفقا ساک ^۲ شعلانی
بنعمانی نعتیہگمانہ و، یو (زین الدین) ^۳ شوشوہ، لہ شہوت و حیلانی شوہ
انہجشہ لہان لہوہ و، شوگمانان لہا لہا و پتوہ کر شوہ، شوہ بیگہیشہ کہ
بوایان شیشوہ شوہ، لہیشوہ شوہ بہ فریو بخت، میرا گوہرش شوہ شوہ ہندین
گوگوری گوہر، بندمانگمانہ و، لہ شوہوہان لہہر شوہ لہسر و شیعی بلوگیشہ

یہ سفر جاری عنوانیں نامتدا، کہ برانگیسی بخرو رنگارنگ راستا رؤندیسی نکات و ^۴ کہ
جیانی شوہی شوکم بگرتہ دست.

لعمانیہ، نامگمانگیکن (نشد التامیر ، سیداحمددینی شعیبوی اراووی یو
موزظفرہندین گوگبوری سفر جاری عنوانیں و، خواہ دیکمان، بگتہ لای و یو
گولماناری خواجہرولمان نامہہ یثالث، نامگان (عماد الدین الکاتب الاسفہانی)
دایر شلوہ، کہ شوہہری انہجشی خودا سیداحمددینی شعیبوی شوہ،





من سلطان مظفر اربيلين سلطانيم اللهين قولويوم ميلتمين خزمتكارييم

عز لمولانا السلطان ابا سعيد مظفرالدين التركماني / الملك العادل و المعظم /النزيه و الرحيم/ العالم/ المجاهد/ المرابط/ المؤيد/ المظفر/ المنصور/ بدر الدين والدنيا/ سيد الملوك والسلاطين/ محي العدل في العالمين/ سلطان الإسلام والمسلمين/ منصف المظلومين من الظالمين/ ناصر الحق بالبراهين/ قاتل الكفرة والمشركين/باني الدور لللايتام و الفقراء و عامر المساجد و بيوت الله / قاهر الخوارج والمتمردين/ حامي ثغور بلاد المسلمين/ معين الغزاة والمجاهدين/ أبو اليتامى والمساكين، فخر العباد/ ماحي البغي والعناد/ فلك المعالي/ صاحب الدولة/ ناصر الملة/ جلال الأمة// بهلوان الحروب الصليبية /ملك العطوف و الرحمة و أبو الفضائل/ الملك الموثمن،الملك الامراء/السلطان مظفرالدين زين الدين علي كوجوك الكوكبورو

الاهداء الى.....

- السلطان مظفرالدين الكوكبورو امير قلعة اربيل وسهل شهرزور.
- رابعة خاتون الايوبي التي كانت كزوجها السلطان مظفرالدين تعشق قلعة اربيل.
- يا ايها المظفرالدين المتعلق قلبه بقلعة اربيل، ان هذا الكتاب عن تاريخك. انا اعرف انك تستحق كتابا اكبر واشمل من هذا لكني اعتذر لعدم تمكني لاكثر من هذا الجهد المتواضع.
- ان السلطان العظيم هو اول سلطان لاربيل، هذا الرجل الكبير الذي خانته التاريخ لذلك كان هذا الكتاب لكي لاتمحي سيرته.
- هذا الكتاب عبارة عن استكشاف وتعقيب عن اثار وافكار هذا الرجل المؤمن، رجل الدولة.
- الى كل من (خالص) و (برنقش) الذان كانا وزيرين ومستشارين لمظفرالدين ولم يتخلوا عن قلعة اربيل الى اخر قطرة من دمهم.
- كذلك مهداة الى كل الذين يعشقون قلعة اربيل كعشق مظفرالدين لهذه المدينة.
- هذا الكتاب مهداة الى روح وذكرى السلطان مظفرالدين الكوكبورو، هذا القائد الذي امتزج اسمه وتاريخه باسم وتاريخ مدينة اربيل وكوردستان.
- نحن في هذا المشروع المتواضع لانستطيع ان نذكر كل

شيء عن هذا الرجل. نأمل من الكتاب والمؤرخين الكورد والكوردستانيين واربيليين خصوصا ان يقوموا بدراسات اوسع واشمل حول هذه الشخصية التاريخية الفذة.

من كتابة على جدران قلعة اربل:

انا السلطان مظفرالدين

اول سلطان اربيل

اسمي واسمائكم انتم

من اليوم ستصبح ظلا خارج الوقت والزمن

سوف يبقى معكم دائما عندما اموت واتوارى لا املك شيئا

اتركه للاربيليين غير اسمي

سابقى معكم دائما و ابدا

فاذا اردتم رؤيتي

اذا اردتم شم عبيري

تعالوا الى القلعة وادخلوها من الباب الكبير

باب القلعة الكبرى

تعالوا وشموا رائحة جدران القلعة

وتمعنوا عبر طريقكم في اروقتها

انا، وفي كل يوم، كنت انزل من هذا الطريق

كنت التقى بالناس كل يوم

كنت ازور المرضى واليتامى والمعوقين والغرباء

كنت انزل من البوابة الكبيرة لكي اشم عبق الشمس المشرقة

والارز المطبوع مع البهارات و العطور الخاصة بنا في اربيل

كانت الرائحة تمتزج مع صدى المناقب ونداءات الله اكبر

في مسجد الكبرى في القلعه
اذا اردتم معرفتي تعالوا الى القلعة
الى السراي... الي دار الحكم الاربيليين
هنا ، ومن هذا الجامع انظروا الى غروب الشمس
هل ترونني؟
هل تشمون رائحتي؟
انا السلطان مظفرالدين زين الدين علي كوجك
اول سلطان لمدينة اربيل
سابقى معكم والى الابد
اذا رغبتم شم رائحتي
ادخلوا مسجدي ، جامع المظفرية القريب من منارة اربيل
هناك سوف تلتقوني
انا ومنذ اربعين عاما
في باحة هذا المسجد
مع اهل الدين والتقوى
كنت في خدمة اربيل واهلها..

«كفوا عن الكلام ولا تنطقوا بشيء
ما هي اربيل من دون السلطان مظفرالدين.؟؟؟»
هذا ما قاله «رشاد افندي» ردا على من تشكك في اثار و
قبر السلطان في اربيل..
عندما كان السلطان في الشام كان قلبه مع اربيل وعيناه على
المدينة وقلعتها.. وفكر و خياله عندنا ، نحن الاربيليين
وقال في حينه لاحد: اذا اصبحت اربيل وقلعتها من نصيبي

اتعهد بان اقسم كل ما امتلكه من كنوز الدنيا الى ثلاثة اقسام:

قسم اعمر بها مدينة اربيل وقسم اوزعها على الفقراء والمحتاجين والقسم الباقي اصرفه على الاعمال الخيرية..

رابعة خاتون زوجة مظفرالدين في احد الايام تغضب منه وتلومه وتقول له:

لقد كبرت واصبح جسدك هزيلا وجلدك ناعما لا يقاوم، لذلك عليك بارتداء الملابس الناعمة الفاخرة بدل ملابسك الحالية الخشنة والبالية.

وفي رده عليها يقول السلطان:

انا لا البس الملابس الغالية، يكفيني قميصا بخمسة دنانير لكي اصرف الخمسة الباقية على الفقراء وفي سبيل الله، اكسب به اجرا من عند الله..

اننى لا اخاف من الموت ، و لكننى عندما اموت ، همى و قلبي على الاطفال و اليتامي الموجودين بعدي ... الذين كنت كل يوم ، صباحا كنت ازورهم و اشاركهم فطورهم..

كلمة من كتابدار

انتشارات و حفظ اثار السلطان مظفرالدين الكوكبورو

الحمد لله على اتمام جزءا بسيطا من تاريخ هذه الشخصية العظيمة في تاريخ مملكتنا- امارة اربل- و سلطانها المعظم. كتاب-مظفرنامه- مهديا اولا الى روح السلطان المعظم مظفرالدين زين الدين على كجوك- امير امارة اربل , ملك الدولة العالية المولوية السلطانية الملكية المعظمية المظفرية , والى شعب و مملكة اربيل العزيزة الشريفة و قلعتها الشامخة .

اثناء اعداد النسخة العربية لمظفرنامه- و بمساعدة الدكتور عبدالله التوراني الشخصية المغربية و مؤرخ المغربي المعروف , حصلنا على كتاب: التنوير في مولد السراج المنير لابن الدحية الكلبى الاندلسي- تلك التحفة المقدسة التى كتبت بامر و مباركة السلطان مظفرالدين الكوكبورو في قلعة اربل سنة ٦٠٤ الهجرية (١٢٠٨ الميلادية) , ونحن بصدد اعدادها و طبعا لاول مرة في اقليم كوردستان العراق.

الحمد لله و الله من وراء القصد

العبد الفقير الى رحمة الله تعالى

خسرو بيربال القصاب

مركز السلطان مظفرالدين الكوكبورو للفكر و التاريخ

اربيل في ٢٠-٢-٢٠٢٠

المصادف ل-٢٥ الجمادي الثانية ١٤٤١ الهجرية

المقدمة

فيصل نورالدين الدباغ

تدوين التاريخ وكتابه ليس بموضوع سهل يستطيع كل شخص ان يقترب منه ، لان المادة تتطلب معلومات دقيقة وحاسمة حول أي حدث يريد المؤرخ ان يكتب عنه. ودراسة تاريخ مدينة اربيل يحتاج اما الى جهة اكااديمية متخصصة او عمل جماعي يشترك فيه مجموعة من الكتاب والمؤرخين المتمكنين ليحملوا على عاتقهم عبء هذا الجهد كفريق واحد. في الحقيقة ان القيام بعمل كهذا ليس باستطاعة شخص واحد ، لانه مهما حاول وبذل فبدون شك لاتخلو جهده من نواقص ، ولكن لعدم وجود هذا النوع من العمل المشترك في الوقت الحاضر فان أي جهد شخصي يجب ان يقدر ويثنى عليه..

لذلك عندما كلفني اخي المحترم خسرو بيربال بكتابة مقدمة لكتابه المترجم (السلطان مظفرالدين الكوكبورو - امير اربيل) ، رحبت به لسببين ، اولهما: ان المترجم صديق عزيز علي والثاني: كنت على علم بأنه ومنذ فترة طويلة لدية شغف بتاريخ مدينة اربيل وهو في بحث وتقصي دائم للحصول على معلومات حول اربيل.

عدا ترجمته للكتاب الى اللغة الكوردية فان الاخ خسرو قد كتب موضوعا عن السلطان مظفرالدين وذلك بالاستناد الى بعض المذكرات والمعلومات الاخرى مستسقاة من مصادر تاريخية. مؤلف الكتاب باللغة العربية هو (دكتور عبدالقادر احمد طلايمات) وهو مصري الجنسية والكتاب نشر ضمن سلسلة (أعلام العرب).

يقول الكاتب في مقدمة كتابه:

(هل مظفرالدين الكوكبورى عربي الجنس والدم حتى نعهه من العرب فننشر سيرته في سلسلة اعلام العرب؟ او هو تركماني الجنس والدم...؟) ويبدو ان الكاتب لتحديد نسب السلطان مظفرالدين قد استشهد برأي النبي (ص) زاعماً انه قال: «يا ايها الناس، ان الرب واحد، والدين واحد، والاب واحد، ومن اسرع به عمله لم يبطيء به نسبه، ومن ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه، ومن دخل في هذا الدين فهو من العرب»!!.. اذا فان مؤلف الكتاب (عبدالقادر احمد طليمات) وحسب قول النبي (ص) يعتبر السلطان مظفرالدين عربياً، وهذا عكس ما ورد في القرآن الكريم حيث يقول الله تعالى في كتابه العزيز: «يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير».

فلا اعرف من اين جاء الكاتب بهذا الحديث للنبي (ص). كذلك يقول الكاتب: «فليس العربي اذن من هو من ارومة عربية وحسب، وانما العربي ايضاً كل من اعتنق الاسلام وهو دين العرب»!!..

ولا يكتفي الكاتب بهذا فقط وانما يعتبر كل من عمل على الحفاظ على الاسلام وعلى امجاده وعلى ارضة فهو من العرب!!..

وهذا منتهى العنصرية. وحسب قول الكاتب فان السلطان مظفرالدين كان يملك كل هذه الحثيات، فهو اسلامي العقيدة، ولد و مات مسلماً واتخذ العربية لغة له وشارك في

الدفاع عن دين وامجاد الاسلام وذلك بمشاركاته في الحروب الصليبية.

وهنا يبرز السؤال: هل كل من يولد مسلما يكون عربيا؟ وهل كل من دافع عن دين الاسلام يصبح عربيا؟ في الحقيقة ان هذا التوجه تطرف لا يليق بشخص كتب عشرات المؤلفات التاريخية..! لم اسمع في حياتي ان السلطان مظفرالدين قد اتخذ العربية لغة له. لو كان كذلك لكانت اللغة العربية لغة كافة اهل اربيل الان ويعتبرون انفسهم عربا قاطبة..!

الرد على هذا الادعاء من قبل (عبدالقادر طلايمات) فان السلطان مظفرالدين كان صهرا لصلاح الدين الايوبي وكان ينشر اوامره السلطانية باللغة التركمانية وليست التركية، اذ انه هناك اختلاف كبير بينهما، مثال على ذلك الامر السلطاني الذي نشر سنة ١١٨٧م حول التعايش بين المسلمين والمسيحيين والذي نشر من قبل اخي المحترم الدكتور فرهاد بيربال..

على كل حال، فان السلطان مظفرالدين أن ايا كان، تركمانيا او كورديا، فانه لا يغير من الموضوع شيء. المهم انه كان حاكما لامارة اربيل وكل سكان اربيل، بكورده وتركمانه، يفخرون بتاريخه المشرف الذي هو جزء من تاريخ كوردستان.

للعلم فقط فان قسما من عشيرة (خوشناو) يقولون بانهم من سلالة السلطان مظفرالدين. وعندما تسألهم كيف؟ يقولون بانهم معروفون بالذئب الازرق وان لقب السلطان هو (كوكبورو) ومعناه الذئب الازرق.

اهنيء اخي المحترم خسرو بيربال واشد على يده لقيامه بترجمة هذا الكتاب واشهد له بانه ترجم الكتاب بامانة ويقول

هو نفسه: «لست مسؤولاً عن اية كتابة او رأي وايّة كلمة
جاءت في الكتاب بل الكاتب نفسه هو من يتحمل المسؤولية»
وهذا اشارة جيدة.

مع تمنياتي له بالموفقية

فيصل الدباغ

اربيل ٧-٢-٢٠١٩

الموافق ١٨ جمادي الثاني ١٤٤٠ هجرية

#فيصل نورالدين ساعاتجي الدباغ، كاتب و شخصية اربيلية و من
عائلة عريقة، اقتصادي و سياسي معروف.

مظفرنامه .. حكاية السلطان لم ينصفه التاريخ

الدكتور فيصل عارب بلباس

عندما يذكر اسم (اربييل) تعود بي الذاكرة الى منتصف الستينيات من القرن المنصرم، عندما انتقلنا من قرية نائية في سهل (كنديناوة) الى مركز مدينة اربيل وذلك بحثا عن مورد نسد به احتياجات الحياة البسيطة في ذلك الوقت، فقد كانت المنطقة عامة وقريتنا خاصة تعاني من قحط شديد، فلم تكن هناك غير زراعة الحنطة والشعير وكان الوارد منهما قليلا بسبب الجفاف من ناحية واستعمال الطرق البدائية في الزراعة من ناحية اخرى. هذا ما انعكس على الثروة الحيوانية ايضا والتي باتت هي الاخرى مهددة بالزوال نتيجة لقلّة المراعي ومصادر المياه، فاتجهت العوائل عموما والشباب خصوصا صوب المدن القريبة بحثا عن عمل يجنون من وراءه ما يمكنهم من العيش الكريم.. كانت مدينة اربيل انذاك عبارة عن القلعة والاسواق المعروفة بالقيصرية تتوسط عددا قليلا من الاحياء السكنية المبعثرة والمبنية دورها بالطوب، فلم يكن هناك الماء الجاري ولا الكهرباء في معظم هذه الاحياء الجديدة التي كانت تزداد ازدهاما يوما بعد اخر بسبب هجرة القرويين اليها..

كانت الحياة بسيطة جدا، فالسكان الاصليون للقلعة كانوا

يمتهنون معظم المهن المعروفة انذاك ، منها النجارة والخيطة وبيع الاقمشة..الخ فكان سوق القيصرية عبارة عن مقاطعات صغيرة يحتل كل مقاطعة اصحاب المهن المتشابهة، فكان هناك سوق للصفارين وسوق للصاغة ومحلات لبيع الاقمشة ومحال للقصابين... وهكذا. كان الاربيليون الاصلاء الساكنين في القلعة والممتهنين لهذه المهن في ذلك الوقت معظمهم يتكلمون التركمانية ويعتبرون انفسهم اعلى مرتبة واكثر مدنية من القرويين المهاجرين الذين لم يكن يشتغلون بالتجارة بشكل عام لعدم اجادتهم بفنون هذه المهن.

كان المواطن الاربيلي الاصيل يبدأ يومه بافتتاح محله مع طلوع الشمس ولم يكن يعود الى بيته لغاية غروب الشمس، فكان الغداء ياتي من البيت في اواني كانت تسمى (سفرطاس). كانت السيارات قليلة جدا بل ونادرة، فلم تكن ترى عجلة تمر امامك خلال ساعات ومعظمها كانت تعود لدوائر حكومية او عسكرية مع عدد محدود من باصات نقل الركاب التابعة لامانة نقل الركاب فكانت تعرف ب(الامانة).. رغم وجود عدد من المدارس الخاصة بالبنات فلم تكن ترى فتاة متبرجة تذهب وتعود من المدرسة وكانت المراة لاتخرج من البيت دون العباءة والنقاب التي كانت تغطي وجوههن بشكل كامل .

عند انتقالنا لاربيل كنت قد اكلت السادس الابتدائي في مدرسة القرية المجاورة لقريتنا، لعدم توفر المدرسة في قريتنا، الا انني لم استطع مواصلة الدراسة بعد تحولنا

الى المدينة وذلك بسبب الظروف المادية الصعبة واتجهت ،
وانا طفل يافع ، الى السوق لاجرب عددا من المهن لدى
الحلاق والخباز والاسكافي... الى ان تم الاعلان عن اتفاقية
اذار ١٩٧٠ بين السلطة الحاكمة في بغداد والحركة الكوردية
بقيادة القائد المرحوم ملا مصطفى البارزاني.

بعد اعلان هذه الاتفاقية تحولت المدينة بين ليلة وضحاها
الى ساحة كبيرة للاحتفالات ، فكانت الدبكات تدور في كافة
ارجاء المدينة وضواحيها على انغام (الدهول والزرنا) ، تبدأ
مع بزوغ الشمس وتستمر الى غروبها ، تتخللها اطلاقات
نارية من بندقية (البرنو) التي كان المقاتلون (البيشمركة)
يحملونها عندما يقومون بحراسة مواقع هذه الاحتفالات.
واستمرت هذه الدبكات الكوردية (رشبلك) لمدة تزيد على
ثلاثة اشهر. ودبت بعدها حركة تجارية وعمرانية كثيفة في
المدينة اثر اعلان بناء البيوت لآسر الشهداء وصرف رواتب
لعوائلهم وتشكيل افواج من المقاتلين وانشاء المدارس
الجديدة.. فاصبح للكورد و (الكرمانج) القرويين شأننا لدى
الاربيليين خاصة بعد تسنم المناصب الادراية في المدينة من
قبل اشخاص ينتمون الى الحزب الديموقراطي الكوردستاني
(البارتي) وتم افتتاح قناة تلفزيونية تبث الاغاني والبرامج
باللغة الكوردية وافتتحت في محلتنا والاحياء الاخرى كذلك
مقاهي كنا نجلس فيها مساء الى ساعات متأخرة من الليل.
في احدي هذه الامسيات تعرفت على شخص كان يعمل
في مطبعة (كوردستان) لصاحبه الكاتب والصحفي المعروف

المرحوم (طيوى موكرىانى) ودعاني الى العمل في هذه المطبعة لاحتهم للعمال من طباعين ومرتبي الحروف. ففي اليوم التالي لهذا اللقاء ذهبت الى المطبعة التي كانت اسفل القلعة وبعد قليل من الاسئلة والاستفسار والمشاورات مع صاحب المطبعة، قررت قبول كل شروطه وبدأت باستلام مهام العمل في اليوم التالي. منذ الايام اولى لمحاولاتي تعلم ترتيب الحروف والاعمال الاخرى، أعجب صاحب العمل بذكائي وانتبه لسرعة تعلمي لمهامي وتفاني في العمل كعامل مرتب حروف فكافئني بزيادة مرتبي اليومي التي لم تكن تزيد على دراهم معدودات..

كانت المطبعة هذه بمثابة ملتقى ومركز استقطاب ومقر للكتاب والمتقنين والشعراء الكورد الذين كانوا يوفدون اليها من داخل اربيل ومن كل مدن العراق، وتتم مناقشة المسائل الثقافية والادبية والتاريخية مع صاحب المطبعة وفيما بينهم، فكنت استرق السمع دائماً وعندما يتسنى لي المجال كنت اقرأ الكتب الموجودة في مكتبة المطبعة، اذ كان هناك جناح خاص لعرض وبيع الكتب المطبوعة من قبل صاحب المطبعة واخرى لمؤلفين اخرين.

لا ازال اتذكر اسماء عدد من الكتاب المعروفين ممن كانوا يكتبون في المجالات ويؤلفون الكتب عن تاريخ مدينة اربيل، منهم المرحوم (يونس حداد) صاحب كتاب (لعنة الالهة الاربعة) والمرحوم (زبير بلال اسماعيل) والمرحوم (محمد مولود -م-م-) الذي كان يترأس تحرير مجلة بلدية اربيل

(هولير) ويكتب فيها ، فكنت اسمع منهم بان اربيل مدينة عريقة ولم تنقطع عنها الحياة منذ سبعة الاف سنة وكانوا يطلقون عليها تسمية (القاھر) ل(هولاكو) وكيف حدثت معركة (اربيلا) بين الاسكندر المقدوني والقائد الفارسي (دارا) وهزم فيها اليونانيون قرب مدينة اربيل وكان مزار ومرقد السلطان مظفرالدين قريبا من المطبعة فكنت ارى احيانا نساء ورجالا يزورون هذا المكان ويعتبرونه مكانا مقدسا يجلب لهم الخير والبركة للزائر ، كما كنت قد سمعت عما قام به هذا السلطان العظيم ابان حكمه في اربيل من احتفالات ضخمة في ذكرى مولد النبي محمد (ص) وكيف رأى النبي(ص) في منامه يستنجد به من اجانب كفرة يحاولون نبش قبره ، وزار بنفسه قبر النبي ليكتشف شخصان يحاولان سرقة محتوياته... كل ذلك نسمعه من القارئ(الملا) الذي كان ينشد ابيات موزونة ومقفى للمنقبة النبوية المؤلفة باللغة الكوردية على الحضور عندما كنا نحضر المناقب النبوية التي كانت تقام في الجوامع والبيوت..

عندما عرض علي الاخ والصديق العزيز الاستاذ (خسرو بيربال) مسودة كتابه هذا وقرأت محتواه واطلعت على ما جاء فيه من معلومات جديدة وقيمة حول تاريخ اربيل وحياة سلطانها العظيم ، تذكرت ذلك التاريخ وبدأت من جديد بمراجعة ما تيسر لي من تاريخ هذه المدينة القديمة وما مر عليها من عصور مختلفة واصالة اهلها الكرماء والمضياف والاخييار ، وبالاخص ركزت على فترة

حكم السلطان مظفرالدين الكوكبورو ، فتيقنت بانني ما زال لا اعرف الا القليل عن عظمة هذه المدينة وما لعبتها من دور بارز في التاريخ بشكل عام وتاريخ الاسلام والمسلمين بشكل خاص..

يعترف الاخ الكاتب بانه ليس مؤرخا ولكن هذا لا يمنعه من الاهتمام بتاريخ مدينته وبالاخص عندما لا يجد من يقوم بهذه المهمة الكبيرة التي تقع على عاتق كل المتقنين دون استثناء. وانا اؤيد دعوة الاخ المؤلف الكتاب والمتقنين والمؤرخين بشكل خاص لاحياء تاريخ هذه المدينة والبحث عما خفي علينا من حوادث وحروب دارت رحاها قرب هذه المدينة ومدى مشاركة ومساهمة اهله في تقدم الثقافة ومشاركة علماءها خاصة في ظل حكم هذا السلطان المحب للعلم والثقافة للأرتقاء بالعلوم العقلية والنقلية واحياء المولد النبوي الشريف ومساهمة رجالات وقادة جيش امارة اربيل في دحر الصليبيين عن ديار الاسلام وكشف المؤامرة الدنيئة من قبل السلطان مظفرالدين وصرف اموال طائفة على الديار المقدسة خدمة لزوار بيت الله الحرام وبناء مساجد وجوامع ليس في امارته هذه وانما في اماكن اخرى من بلاد المسلمين..

كل ذلك جدير بان يكتب من جديد وبسطور من ذهب ويبحث في ثنايا الكتب المطبوعة والمخططات المحفوظة لدى المكتبات العالمية لكشف الغبار عن هذا التاريخ العريق والمشرف لمدينة اصبحت اليوم تزهو وتزدهر في

ظل حكومة كوردستان وباتت محط انظار العرب والعالم اجمع..

من خلال اطلاعي على ما كتبه الاخ المؤلف عن اربيل توصلت الى ان الكاتب قد بذل جهدا لا يستهان به في سبيل اماطة اللثام عن تاريخ اربيل خاصة في فترة حكم السلطان مظفرالدين الكوكبورو التي تطورت فيها المدينة واصبحت محط انظار المنورين من الكتاب والمؤرخين ورجال الدين وكان منصفاً فيما كتبه عن اصل السلطان ولغة الدولة والتسامح والوئام التي كانت سائدة بين مختلف اطياف الساكنين دون تفرقة على اساس القومية او الدين او المذهب، فكانت مثالا للتعددية والديمقراطية اسلامية قبل ان يتم تبنيها من قبل الغرب المسيحي..

وفي النهاية اشد على يد الاخ الكاتب وفي نفس الوقت لا ازعم بان الاخ المؤلف قام بما عجز عنه سواه عن القيام به ولكنه بالتأكيد وضع لبنة لها اهميتها البالغة يمكن الاستعانة بها من قبل من يتصدى لمشروع كهذا ليشيد عليها صرحا شامخ البنيان..

وادعوا الله العزيز القدير ان يوفقه لاحياء تاريخ وتراث الاجداد العظام

والله ولي التوفيق

د. فيصل عارب بلباس

٢٠١٩/٨ اربيل

#

الدكتور فيصل بلباس- كاتب و شخصية كردية-اربيلية
معروفة،تعرفت عليه في اربيل و انه فعلا انسانا بمعنى
الكلمة، عندما عرف باننى بصدد جمع المصادر و الكتابات و
البحث حول(السلطان مظفرالدين، الملك المعظم لامارة اربيل،
وعدنى بلتعاون الكامل لاكمال الكتاب)، و هنا احببت بان
اطلب منه الكتابة حول ما يعرفه و ما سمعه عن السلطان
مظفرالدين، لاغناء الكتاب و تنوع المصادر البحث.



الفصل الاول

تأريخ سلطنة و امارة اربل و سلطان الاريليين الكبير

السلطان مظفرالدين الكوكبورو – امير اربل

الملك المعظم و امير الامراء ..

رواية تاريخية عن سلطان مهمش لم ينصفه التاريخ ولا المؤرخين

السلطان مظفرالدين زين الدين علي كوجك

دراسة تاريخية- سياسية عن دور و مكانة امارة اربل في التاريخ

(١١٥٤ – ١٢٣٣)

المقدمة التاريخية :

بدءاً يجب ان نبين بان دراسة التاريخ وتدوينه ليست واجب المؤرخين وحدهم ولا يشترط على الذين يكتبون التاريخ ويدرسون الاحداث والاشخاص ان يكونوا مؤرخين. انني ومن خلال متابعتي للاحداث التاريخية واحساسي بالمسؤولية الاخلاقية والتاريخية ونظرا لعدم وجود من يساهم معي في دراسة وكتابة تاريخ مدينة عريقة وشامخة كمدينة اربيل، ارغمت على تحمل وزر الكتابة والترجمة والاعداد لهذا الكتاب عن السلطان الكبير السلطان مظفرالدين كوكبورو..

ان مظفرنامه- كتاب و جمع للتاريخ الشفهي لامارة اربل و الملك المعظم السلطان مظفرالدين الكوك بورو، و منذ الطفولة كنت اسمع قصصا و مواقف و مسائل شفهيًا ، و لم اجد مصدرا ، ولا كتابا حول هذا الانسان العظيم في مملكتنا ، امارة اربل و القلعه الشامخة .

سلفا يجب ان اذكر بان قصة السلطان مظفرالدين بالنسبة لي كانت في البدء عبارة عن مجرد ذكريات بسيطة داخل اروقة وشعاب مدينة اربيل. فهي عبارة عن مزار (مرقد) وشارع ومنارة باسم مظفرالدين الكوكبورو.

اتذكر جيدا كنت مع الوالدة (همينة سليمان حسن-كان حملاً في القيصرية اربيل القديمة- ، هي كانت من عائلة فقيرة من منطقة برادوست ولادتها في قرية قريبة من جومان اسمها وقرتي) كنا معا نزور قبر السلطان في ايام الصيف الطويلة

ونقضي بعض الوقت داخل مرقد هذه الشخصية الكبيرة. كنت اجلس بجانب قبر السلطان مظفر ولم اكن اعرف اين كنا و من هو هذا الرجل العظيم...وسالت والدتي : من هو صاحب هذا المزار ؟ فاجابني والدتي : أنه قبر ملك و سلطان المملكة ..وكان رجل مؤمناً و صوفياً كبيراً ، و انساناً نبيلاً و رحيماً بالناس .

انه قبر الملك المعظم السلطان مظفرالدين زين الدين علي كجك، امير اربل و القلعه التاريخية .

كانت الوالدة تناولني القران او جزء (عم) وتطلب مني ان اقرأ بعض الايات والادعية للسلطان الكبير. فانا ومن دون ان اعني من هو هذا السلطان وما هي القضية، كنت استمر في قراءة آليات الكريمة من القرءان. لم اكن اعلم بانه وبعد اربعون عاما ساعود لزيارة مرقد هذا الرجل العظيم، ليس للزيارة فقط هذه المرة وانما لاكتب عنه كتابا.

والغريب كنا نرى الناس جميعاً ، الكورد و التركمان يتواجدون على القبر السلطان مظفر ، كل يوم الاربعاء ، كانت عادة لان وفاة السلطان كانت يوم اربعاء ..

ان قصة السلطان مظفرالدين بالنسبة لي هي رواية حلم كنت اسمعه مرارا وتكرارا عند حضوري لمناقب نبوية كانت تقام في الجوامع والمجالس. حلم السلطان مظفرالدين. حلم راءه السلطان مظفرالدين عن النبي الكريم (ص) حيث جاءه في المنام يشكو شخصين في المدينة المنورة يحاولان نبش قبره وسرقة رفات النبي الكريم (ص). اتذكر ما كنت اسمعه انا مع

والدي (الحاج بيربال عمر السعيد القصاب) في جامع القلعة الكبير هذه الرواية. في هذه الليلة سمعت ولاول مرة اسم سلطان يدعى السلطان مظفرالدين الكوكبورو، امير و سلطان اربل.

من يكتب التاريخ..؟

هنا يبرز السؤال الاتي: من الذي يكتب التاريخ؟ وكيف يكتب التاريخ وخاصة تاريخ مدينة اربيل و وشخصها التاريخيين؟ هناك محاولات لكتابة تاريخ واحداث واشخاص لكن حسب رأي الى الان ومن خلال هذه المحاولات المنقوصة والكتابات الغير كاملة لم تعطى التاريخ الحقيقي والحوادث التاريخية والاشخاص دورهم التاريخي الكامل بالنسبة لهذه المدينة المقدسة مما تستحق.

لقد وجدت مصادر و كتابات و بعض الكتب القيمة حول تاريخ اربيل و السلطان مظفرالدين كوكبورو ، مثلا : كتابات و بحوث الدكتور محسن محمد حسين و الدكتور اوميد الجوزلي و زبير بلال و شيرزاد شيخ محمد و بعض المقالات القديمة المنشورة حول تاريخ اربيل .

عدا بعض المحاولات والكتب التي الفت لتدوين وكتابة بعض المعلومات لم تجرى بحث علمي رصين يرتقي الى شموخ قلعتنا والتاريخ العريق لاربيل وشخصها خاصة حول شخصية السلطان والملك ودور الخانات (خانقاه) والمدارس القديمة وقلعة اربيل.

يجب علينا نحن الكتاب والمؤرخين والباحثين الكورد في اربيل ان نكتب تاريخنا. علينا نحن ان نعمل كفريق خبراء في مجال السياسة والتاريخ والانثروبولوجيا السياسية التاريخية ونكتب بانفسنا نحن تاريخنا وتاريخ اربيل.

قصة مظفرنامه... للتاريخ

مشروع كتابة تأريخ السلطان مظفرالدين برزت عندي صدفة عندما وجدت في اربيل كتابا قديما عند الاخ (كاوة فارس القلاتي) في ديوان- ديووةخانة- (صنعان احمد اغا القصاب) في شتاء سنة ٢٠١٨ فلم اكن قد رأيت من قبل. الكتاب كان من تاليف كاتب مصري باسم (الدكتور عبدالقادر احمد طليمات) وصدر ضمن سلسلة اعلام العرب في القاهرة سنة ١٩٦٣ باسم السلطان مظفرالدين الكوكبري - امير اربيل.

وللتاريخ يجب ان اذكر شيئا حول ديووةخانة- صنعان احمد الاغا القصاب- في اربيل هناك وكانت دائما و مجموعة من البيوت و دواوين عشائرية ، اجتماعية ، لشخصيات متنوعة ، من اهل المملكة اربيل

ديوان احمد الاغا القصاب ، من البيوت القديمة و يزورها شخصيات متنوعة ، من الكورد و التركمان و العرب ... وهناك يتكلمون و يبحثون في امور الدين و الدنيا و العباد و السياسة و الكتب ، و الصلاة احد الامور الاساسية في هذا الديوان ، ومبدا الاساسي للديوان ، هو مصلحة الوطن و خدمة الشعب و عبادة الله .

والحديث تكون حول الكتب و الادب و السياسة و الامور الصوفية و العبادة .وهذه العادة قديمة منذ سنوات المرحوم احمد الاغا القصاب ..

ولكن الان الديوان تدار من قبل الشخصية السياسية الاجتماعية لاربييل السيد صنعان احمد الاغا القصاب .

فبعد ايجادى للكتاب، خلال اسبوع من الاطلاع بدأت بقراءة كتاب (الدكتور عبدالقادر احمد طليمات) الذي كتب بلغة عربية سهلة. في اعتقادي ان هذا الكتاب هو افضل واجمل ما كتب عن السلطان مظفرالدين.

فاخذت الكتاب وذهبت به الى اكااديمية الكوردية ، في اربيل في شارع منارة المظفري ، فهناك، الدكتور محسن محمد حسين البقال ، احد الاعضاء المجمع العلمي الكوردستاني و مورخ كبير في التاريخ مملكتنا اربيل .و بلغني بان هذا الكتاب من الكتب الفريدة حول السلطان مظفرالدين ، وقال بانه اعتمد عليه في كتابة اطروحته(اربيل في العهد الاتابكي)، و نصحني بترجمته و العمل فيه.

واذكر للتاريخ بان الدكتور محسن محمد حسين البقال ، المعروف بلدكتور محسن حمزه ، كتب حول تاريخ مملكتنا و اميرها و اهلها اكثر منا جميعا ... يستحق الشكر و التقدير ، ليس فقط منا ، بل من الاجيال القادمة لما قدمه من كتابات قيمة حول تاريخ اربيل .

في المدة نفسها قررت ترجمة الكتاب الى اللغة الكردية والتقصي اكثر عن الدور التاريخي للسلطان الكوكبورو. الكتاب

كان قد نشر ضمن مشروع التوجيه القومي العربي في وزارة الثقافة التابعة لجمهورية مصر العربية.

بعد ترجمة الكتاب و جمع الصور و الخرائط و اثار الكاملة للسلطان مظفرالدين و عائلته ..و الصور التاريخية للسلطان و زوجته رابعه خاتون ، و ايجاد صور و اثار لقبر رابعة خاتون في دمشق الشام و المسجد المظفري و القطعه الحجرية الموقودة فوق جبل عرفة- لمشروع بناء جامع و ايصال الماء الى الحجاج البيت الحرام و ايضا ايجاد قصر السلطان مظفرالدين في حران - اتش قلعي- الذي كانت دارا للحكم السلطان مظفرالدين و الكثير من الاثار و الصور حول امارة اربل ، جمعهم في كتاب- مظفرنامه- حيث قمت بطبعه سنة ٢٠١٩ في الجمهورية ايران الاسلامية في طهران ، و طبع في الدار النشر هه زارى موكريانى -في مدينة حلبجة أن كتاب الدكتور عبدالقادر احمد طليمات ، من الكتب النادرة حول تاريخ اربل و الملك المعظم مظفرالدين زين الدين على كجك التوركمانى ..

في سنوات الستينيات كانت سلسلة (اعلام العرب) جزءا من منشورات مختلفة وصل عدد الكتب الصادرة منه ١١٠ كتابا. بحث الكتاب المصريون عن الاشخاص الذين اثروا بنتائجهم الفكرية على التوجه الفكري والثقافي للشعب العربي المصري او الاشخاص الذين اسدوا خدمات فكرية في مجالات السياسة والطب والتاريخ واللغة والمجالات الاخرى في كل من مصر والعالم العربي اجمعة.

حينها تعجبت كيف ان عربيا قوميا يؤلف كتابا عن سلطان اربيل ونحن غافلون عنه. هذا اذا لم يكن اهمالاً وكسلاً من قبلنا نحن الكتاب في اربيل فما هو ذا.؟

أن الاهمال و التقصير يقع علينا جميعا ، الكتاب و المؤرخون و المثقفون و الاصحاب الرووس الاموال و الشخصيات السياسية و الاجتماعية لاربيل

ان السلطان مظفرالدين كان اميرا لاربيل و الاقليم لمدة يتجاوز ١٠٨ سنوات و كان حاكما عادلا و نبيلاً ، ولم يكتب عن حكمه و امارته كتابا يليق بتاريخه ؟؟

ويجب علي ان اشير الى شيء مهم وهو ان الكتاب ورد اسمه في بعض المصادر الاكاديمية الكوردستانية وضمن تاريخ اربيل اشير الى الكتاب ونقل عنه معلومات. كذلك يجب ان اعترف أن افضل مصدر للمعلومات عن السلطان الكبير هو البروفيسور الدكتور (محسن محمد حسين الملقب بمحسن حمرا) حيث ان له عدد من الرسائل والكتب والبحوث المطولة حول تاريخ وشخصية السلطان وخصوصاً في كتاب له باسم (اربيل في عهد الاتابكية) والذي طبع في بغداد سنة ١٩٧٦ ثم اعيد طبعه في كوردستان وترجم الى اللغة الكوردية. يعتبر هذا المصدر اغنى كتاب عن مدينة اربيل وقلعتها.

لحسن حظي طوال المدة التي عملت فيها على ترجمة هذا الكتاب كان الدكتور (محسن محمد حسين البقال) والمعروف بالدكتور (محسن حمرا)، (وهو شخصية اربيلية كان قد كتب عدد من البحوث القيمة والمهمة عن اربيل وقلعتها وتاريخها)

قد ساعدني وفتح امامي مكتبه الخاص في الاكاديمية الكوردية ومكتبته الخاصة. لقد ازرنى بحق عند الكتابة والبحث والتحقق من بعض المواد التاريخية اثناء اعدادي لهذا الكتاب. ارتأيت انه من الضروري ان اقوم باعادة اعداد هذا التاريخ الثري لمدينة اربيل وهي عاصمة لاقليم كوردستان وان اجمع كل ما كتب وطبع عن هذه الشخصية الكبيرة ضمن متن كتاب يليق بمقامه.

كتابة و تدوين التاريخ الشفهي لاسطورة السلطان مظفرالدين الكوك بورو:

مع الاسف الكتب و الابحاث قليلة حول حكاية و حكم الامارة اربل و السلطان مظفرالدين ، لاسباب خاصة ، عامة ، ربما التقصير والاهمال ، او لاسباب سياسية- قومية..

مقابل ذلك، وجدنا كما هائلا من المعلومات و القصص عن هذه التجربة و دوره التاريخي و الانساني للسلطان مظفرالدين ، وجدنا انفسنا امام سرد الشفهي ، و قمنا بجمع و تدوين هذه القصص و الروايات من الافواه و من دواوين اربيل و من عند شخصيات اربيلية قديمة .والحمد لله تعالى ، نجحنا في جمع الكثير و سجلنا هذا التاريخ الشفهي لامارة اربل و السلطان مظفرالدين الكوك- بورو.

عند اعداد هذا الكتاب توصلت الى القناعة بان عملية التدوين والكتابة التاريخية وبالاخص الكتابة عن تاريخ السلطان مظفرالدين الكوكبورو هي عبارة عن اعادة كتابة تاريخ مملكة اربيل والاربيليين. لهذا السبب وحسب اعتقادي لم يكن من واجبي

انا وحدي فقط ان اجلس في البيت دون مشاركة الشخصيات والمؤرخين والكتاب الاخرين في اربيل لكي اقوم بهذا العمل. لهذا رايت من الافضل ان اتحدث عن فكرة اعداد كتاب من هذا النوع مع الشخصيات والخبراء والكتاب والسياسيين واخرين من اهل اربيل وان نقوم جميعا بالمشاركة في هذا العمل.. وبعد بحث مضمّن عن المصادر التاريخية وجدت، ولحسن حظي، مجموعة من الكتب التاريخية اعدت من قبل الكاتب والمؤرخ الكوردستاني والاربيلي الدكتور (محسن حمرا) وبالاخص كتابه الثمين (اربيل في عهد الاتابكية) والذي استطيع ان اجزم بانه افضل مصدر للمعلومات عن دور وتاريخ اربيل والسلطان مظفرالدين..

عدا هذا هناك معلومات مقتضبة كتب عن هذه الشخصية على صفحات الانترنت ونشر معلومات عن تاريخ السلطان مظفرالدين وكيفية احياء مولد النبي محمد (ص) في مدينة اربيل. بعد قراءتي لهذا الكتاب والاطلاع على بعض الوثائق التاريخية عن هذه الشخصية الكبيرة تبين لي بان نحن امام شخصية عظيمة ومؤثرة ومهمشة مع الاسف. وجدت انه وباهمالنا له قد ظلمنا تاريخ اربيل والسلطان مظفرالدين اذ لم نكتب عن هذا القائد الفذ الا قليلا ولم نعلم عنه غير النذر اليسير.

ان هذا الكتاب وهذه الرواية هي قصة عشقي لقلعة اربيل وتاريخ السلطان مظفرالدين وكل وزير ومستشار له في اربيل وباقي المسلحين من المسلحين و الالالذيقاتلين دافعوا في

حينه عن اربيل واستمروا في الذود عنها وخاضوا معاركها بانفسهم الى اخر قطرة من دمهم. مثال على ذلك:
التاريخ يروي لنا شخصان. في بحث للدكتور (محسن حمرا) الكاتب والمؤرخ الاربيلي وهو في نفس الوقت عضو في اكاديمية كردستان، في كتاب له باسم (مجموعة بحوث حول التاريخ الكوردي) يذكر بانه وبعد وفات السلطان مظفرالدين في ١٨ من شهر رمضان سنة ٦٣٠ هـ الموافق لسنة ١٢٣٣م بان اثنان من وزير ومستشار للسلطان وهما (خالص و برنقش) وحسب الروايات انهما كانوا قائدين قريبين من السلطان وكانوا يعملون كمخبرين عسكريين - خبراء امن - لمملكة اربيل. بعد وفات السلطان حدثت فوضى وزدادت المخاطر على المملكة لذلك قرروا الدفاع عن مملكة وقلعة اربيل الى اخر قطرة من دمهم.

كان السلطان مظفرالدين الكوكبورو مثله كمثلنا نحن الكورد الاربيليين عاشقا لقلعة ومدينة اربيل. انا اشهد بان الرئيس القائد (مسعود الملا مصطفى البارزاني) في كثير من المواقف اعتبر نفسه اربيليا واقرب بانه من مدينة اربيل ولا يوجد شخص مثل السيد القائد البارزاني يعشق اربيل وقلعتها. كذلك السلطان مظفرالدين كان واحدا مثلنا عاشقا بقلبه وحواسه للقلعة التي تر وعرع و تربي فيها وعاش لمدة ٤٥ عاما كرئيس وقائد لها.

ثم ان اربيل اليوم هي عاصمة لاقليم كردستان العراق وانها في اي حقبة تاريخية والى اليوم لم تشهد تقدما مثلما يوجد

اليوم لذلك علينا ان نوحّد ونخلق اواصر الربط والوصل بين الحقبين التاريخيتين.

من المعروف بان السلطان صلاح الدين الايوبي الذي كان قائداً كورديا واسلاميا كبيرا قد شارك في بناء الخصال القيادية في السلطان مظفر الدين. في بعض الكتب الجديدة للدكتور (محسن حمرا)، خاصة في كتابه (قلائد الجمال - مصدرا لدراسة جوانب من تاريخ اربيل والكورد) والذي نشر سنة ٢٠١٢ من قبل الاكاديمية الكوردية يتحدث بشكل دقيق عن مقومات الدولة والسلطنة والامارة في اربيل. يتحدث عن واجبات ودور وزراء ذلك الزمن بدقة.

كان سلطان اربيل قائدا شجاعا في المعارك ورجلا جريئاً لايهاب الموت وذو كاريزما قوية. مع ذلك كان مؤمناً، متواضعا، سخيا، رحيماً، كثير الهبة والمنح والخيرات. كان انسانا بكل معنى الكلمة. رشيدا عادلا شفافا في حكمه لم يظلم احد ولم يستبد بحكمه وهذا ما تؤكدّه كافة المصادر التاريخية وتشير الى مروئته ونزاهته.

كان يسكن اربيل ومقر سلطنته داخل القلعة - و كان السراي - دارا للحكم المملكة ، الا ان بيته هو وزوجته كان اسفل القلعة في الموقع الذي كان في وقته يعرف ب(الربض) ويقع جنوب غرب القلعة في مكان مرقدّه الحالي مقابل بناية المحافظة. كان بيته الخاص في اسفل القلعه و له ايضا بيتا لاستراحه في محلة السراي- داخل القلعه، ينظر الى اسفل القلعه ، مقابل الجامع الخانقاه- الحالية ، و حسب المصادر التاريخية

القديمة وحديث البعض من الشخصيات الاربيلية القديمة ، ان بيت السلطان مظفرالدين هو الدار الذي سكن فيها - بيربال الاغا العوزيري- لاحقا و الدار من البيوت الكبيرة الذي يطل على محلة خانقاه الحالية .

قبل ان ياتي السلطان الى اربيل ويتسلم زمام السلطة فيها كانت اربيل مدينة بسيطة خاوية وتسمى (اربيل). مع مجيء السلطان مظفرالدين برزت اقتراح الاحتفال واحياء المولد النبوي الشريف، مولد رسول الاسلام (ص). وبهذا حدثت تغييرات كبيرة واصبحت المدينة مركزا مهما للحركة الفكرية والثقافية والفقهية واحياء علوم الدين الاسلامي.

فتحول مدينة اربيل ، الى مدينة مزدهرة و مشوقة للمورخين و الزوار و الكتاب و الشعراء ، كما يدون الاحداث المورخ الاربيلي المعروف ، ابن المستوفي في كتابه القيم : تاريخ اربل ، مملكة اربل تحول الى قبلة للمسلميين و محبي الرسول و الموسيقى و العشق اللاهبي.

زار اربيل الشاعر و الكاتب الكبير ابن الدحية الكلبي الاندلسي ، و حل ضيفا على السلطان مظفرالدين الكوك بورو ، في السراي- القلعه و بقى هنا سنة كاملة و و الف كتابا معروفا باسم:(كتاب التنوير في مولد السراج المنير) بخطه وهذا الكتاب كتاب شعر و المدح للرسول العظيم و ايضا كتاب حب و اعجاب لاربيل و السلطان مظفرالدين التوركمانى ، امير و الملك المملكة اربل.

ومن الجدير بالذكر، ان الدحية الكلبي الاندلسي، كان من

مورخي و كتاب الرسائل الرسول (ص) و كان شخصاً قريباً من الرسول الاعظم. كان هو من يكتب الرسائل الرسولية الى ملوك العالم و الدول لدعوته الى الدين الاسلامي. الكتاب كتبت قبل اكثر من ٨١٢ سنة وبعد عناء الطويل حصلنا على المخطوطة القديمة لكتاب (التنوير في مولد سراج المونير) وانشاءالله جاهزة للطبع في اربيل.

والهاما من هذا الكتاب القيم ، كتبت كتاب - مولودنامة- التركمانية عن قصة المولد النبي الشريف محمد(ص) و من ثم كتبت مولودنامة بلغة العربية .ومن ثم كتبت و ترجمت الكتاب مولد النبوي الشريف الى اللغة الكردية من قبل بعض الكتاب و ائمه المساجد في العراق و ايران و اخيرا عند الاستاذ (رشاد محمد المفتي) الى الكردية سنة ١٩٥٣ فكتاب مولودنامة كتبت اولا بلغة التوركمانية و ثما العربية و اخيرا الكردية.

منطقيا و تاريخياً ان اول كتاب مولودنامه- كتبت و نشرت بلغة التركمانية القديمة السائدة في كردستان العراق- و وجدنا مجموعة متنوعة من كتاب مولودنامة التركمانية (كتاب مولودنامه الحجرية- كتاب رأفت).

اسس السلطان مظفرالدين اول جامع ومدرسة ومركزا للارشاد الاسلامي داخل قلعة اربيل باسم -مسجد القلعة- و (المدرسة المظفرية) وجامع ومنارة المظفرية التي كانت عبارة عن مسجد ومدرسة درس فيها الطلاب ورجال الدين دروسا دينية. عرف هذا المسجد من قبل المؤرخين بالمسجد الكبير - المسجد العتيق-

وهو ثان مسجد بعد جامع القلعة.

في سنة ٦١٥ هـ الموافق ١٢٠٠ م شارك السلطان مظفرالدين في دفن صاحب التكية القادرية في اربيل وكان اسمه (ابو محمد عبداللطيف بكري) ووري الثرى في المقبرة الكبرى جنوب مدينة اربيل. في زمن الاتابكيين كانت المقبرة تسمى (المقبرة الصوفية الكبرى) واكدت البحوث بان والد زين الدين علي كوجك قد دفن فيها.

وعليه و اثناء الكتابة و بحثنا وجدنا بان القبر والد السلطان مظفر موجود في المقبرة الصوفية الكبرى و المزار و القبر الموجود في شارع السلطان المظفري) هو القبر الملك المعظم مظفرالدين الكوك بورو لا خلاف عليه...

التكية القادرية معمرة و مفتوحة للجميع الى اليوم في اربيل ، كانت التكية موجودة في قلعة اربل و في محلة السراى- ولكن مع الاسف لاسباب تاريخية- سياسية خاصة بالادارة امور داخل القلعة، نقلت التكية الى اسفل القلعة ، والان هذا البيت العتيق والتكية المشهورة موجودة في اربيل في محلة ازادى و يدير من قبل رجل وامام صالح اسمه(شيخ فواد شيخ عبدالقادر القادري ابن محمد شريف القادر الصديقي) و صاحب ديوان و من الشخصيات المحبوبة في اربيل .

كان للسلطان مظفرالدين ديوان (مجلس) وسراى (قصر) ومكان كبير داخل القلعة في حي السراى ويبدو ان الحي هذا سمي باسم هذا القصر. بعد توليه سلطنة اربيل قام السلطان بالتقرب الى العلماء والكتاب وقربهم اليه ودعاهم الى السلطنة وساندهم

في سبيل خدمة الدين والثقافة والتاريخ والتاثير في الحياة السياسية-الثقافية-الدينية في اربيل كافة والقلعة خاصة. وكان للسلطان مظفرالدين ديوان رئاسة السلطنة في حي السراي يتوسط القلعة وكان يقضي ايامه مع وزراءه ومستشاريه في هذا الديوان. ومنذ ذلك الحين ومدينة اربيل اصبحت حاضرة الثقافة والتسامح والتعايش السلمي بين مختلف الاديان حيث كانت اليهودية والمسيحية والاسلام تمارس طقوسها في جو من الفرح والبهجة وبكل حرية و من دون حصول مشاكل تذكر. كانت هناك عدة اماكن لايواء المسافرين والغرباء والضيوف الاتين من مناطق اخرى من العالم. كان السلطان ذو شخصية قوية ومؤثرة وكان سياسيا كبيرا وفي نفس الوقت كان عادلا ورؤفا. عاش السلطان قريبا من الناس وكان يزور الاسواق المعروفة ب(القيصرية) وكان يشارك الامة في السراء والضراء وعند وفاة شخص ما، رجلا كان او امرأة، كان يشارك اهل المتوفي و يشارك في مراسيم دفنه الاهل التي كانت في القلعة والتي دفن هو نفسه فيها مؤقتا. هناك مقبرتان اسفل القلعة. كان السلطان من عائلة شجاعة وجريئة وذو اخلاق رفيعة. طوال فترة حياته في الشام او في اربيل لم يذكر له تصرفا غير لائق ولم يبدر منه عملا مشيناً او مسيئاً ولم يكن يحب الظهور ولم يصب يوما بالغرور كباقي السلاطين ولم يكن له في البيت لا خادم ولا جارية. كان رجلا مؤمنا نظيفاً ذو خلق رفيق وشخصية مؤمنة ايمانا قوياً بالله. عاش بسيطا ومات

بسيطاً. كان قريبا من الفقراء والمحتاجين يلبي نداء المصابين والمبتلين بالكوارث. لم يكن يشغل باله بجمع النقود والذهب والاشياء النفيسة. كان كثير الخيرات دائم البر وكانت سفرة طعامه مفتوحة دائما ولم يجلس وحيدا عليها وكان يدعو الاخرين لمشاركته في الطعام. لم يمد يوما يده لبيت المال ولم ياخذ من المال العام وكل ما كان يصرفه على الاعمال الخيرية من كان ماله الخاص.

أن معظم الكتاب والمؤرخين والشخصيات التي كان لهم دور في احياء وتقدم المدينة وخدمة مملكته كانوا من مستشاريه وقسم منهم كانوا قد زاروا اربيل ونظروا السلطان ومملكته عن قرب. كان السلطان يختار الوزراء والمستشارين من علماء وعقلاء القوم وكان يوصيهم بان يحكموا مثله بشفافية وعدل ونزاهة وكان يستشير مستشاريه ووزراءه في شؤون الرعية وحل مشاكل الناس.

كانت سنوات حكم السلطان مظفرالدين والذي كان يلقب بالملك المعظم، عبارة عن نقلة نوعية في تاريخ المدينة حيث تحولت اربيل من خلالها الى عصر مختلف من ناحية التقدم والرقي في مجالات الاعمار وبناء المساجد وانشاء سوق القيصرية وهو سوق مغلق لازال موجودا في قلب اربيل ويعرف بسوق القيصرية.

بعد قرائتي لهذا الكتاب وسماع الكثير عن هذه الشخصية التاريخية تمحورت لدي فكرة كتابة الرواية من قبل كتاب اربيل على غرار ما كان كتاب وروائي العالم يقومون بالكتابة

عن شخصية السلطان مظفرالدين. على سبيل المثال (جابريل جارسيا ماركيز) الذي كتب روايات تاريخية عن شخصيات قيادية لبلده و الدول امريكا الاتينية ، فمثلا ماركيز كتب رواية تاريخية خالدا حول سيمون بوليفار، اسمه (الجنرال في متاهته) فصور ماركيز اسطورة هذه الشخصية الكبيرة في عمل روايا باهرا .

يبدو اننا وللأسف في هذه الناحية عاجزون، فرغم اننا لم نكتب تاريخنا كاملاً فخلال تعقبي للمصادر التاريخية تبين لي بانه كان هناك محاولات جديّة لكتابة تاريخ بعض الاماكن وشخصية السلطان مظفرالدين بشكل مشوه الى الحد الذي يبث الشك والريبة في دور ومكان مرقد واثار هذا الرجل الجليل ومكانة مملكته في نفوسنا.

بعد ترجمة كتاب (الدكتور عبدالقادر احمد طليمات) والبحث عن المصادر وجمع المعلومات والحصول على كتب تاريخية اخرى حول السلطنة الشامخة والسلطة الكاريزمائية والسياسة الحكيمة للسلطان مظفرالدين، تبين لي ان المؤرخين والطبقة المثقفة والكتاب الاربيليين كانوا مقصرين في اجراء البحوث المطولة حول هذا الرجل الكبير الذي كان له دور كبير في احياء الكتابة ونشر الثقافة والاعمار داخل مدينة اربيل.

برأي الشخصي المتواضع هناك تقصير من قبل الاكاديميين والجامعات ايضاً حيث لم يقوموا بازاحة الستار عن حقبة طويلة من تاريخ اربيل وقلعتها تمتد لحوالي نصف قرن من الزمان والتي قضاها السلطان في حكم ما اصبحت اليوم تعرف

بعاصمة لكوردستان. كذلك فان زين الدين علي الكوجك، والد السلطان قد حكم قبله وكان اميرا لاربيل.

هما معا حكموا المملكة ١٠٨ سنة اربل و قلعته الشامخة و الاقليم، حكما عادلا و ومزدهرا ..ولكن مع الاسف الكتاب و المورخون لم يصنفوا امارة اربل و ملكها و لا نجد الكثير من الكتب و الابحاث حول هذه الحقبة التاريخية العظيمة .

لعل محاولتي البسيطة، لكتابة مظفرنامه- الا خدمة بسيطة اقدمها الى امير و سلطان اربل و المملكة ، و لشخصية العظيمة مظفرالدين زين الدين على كجك التركماني.

ان هذا البحث التاريخي الذي استغرق امر انجازه سنتين، ماكان له ان يتكامل و يظهر في صورته التي هو عليه، لولا الجهود الكريمة و التعاون المخلص الذي لقيته من اساتذة الاعزاء و بعض المورخين في اربيل فلهم مني جزيل الشكر و عظيم التقدير، ويبقى البحث جملة من صنعى و تقديري الشخصي لكتابة التاريخ الشفوي لامارة اربل و تاريخ السلطان مظفرالدين كوكبورو- فانجاء محققاً لبعض الذي وددت تحقيقه و كتابة اثار وتاريخ السلطان و امارة اربل، فذلك مبلغ املي و رجائي و دعائي، وان بدا فيه نقص او تقصير فهو مني وانا اتحمل مسؤوليته، وختاما ارحب بكل نقد او توجيه اتلقاه من القراء و المؤرخين و كتاب، مادام هدفنا ، هدف الجميع من يكتب التاريخ ، كتابة التاريخ الصحيح و الكامل لامارة اربل و السلطان مظفرالدين الكوكبورو- و خدمة المدينة المقدسة اربيل و قلعتها الشامخة ...

نبذة عن تاريخ مدينة اربيل اربيل عبر التاريخ

وردت تسميات عديدة منها (اوربيلم، اربيلم، اربائيلو، اربيللا، اربل، اروبل، هوربل، هولير) والاخيرة هي الاسم الحالي لاربيل عاصمة اقليم كردستان - العراق وهو (هولير) في اللغة الكوردية. في عام ١٩٩١ وبعد انتفاضة الشعب الذي كان يرضخ تحت حكم ظالم ومستبد في العراق والقيام بالثورة على وضعه البائس في ظل حكم جائر، قامت القيادة السياسية وبمؤازرة الشعب بتأسيس حكومة اقليم كردستان.

لغاية كتابة هذا الكتاب التاريخي فان الكورد في كردستان العراق قد شكلوا تسعة كابينة وزارية لحكومة اقليم كردستان. بعد تحرير العراق من هيمنة الحكومة الدكتاتورية في عام ٢٠٠٣ ومن خلال انتخابات عامة وشاملة تم انتخاب رئيس لاقليم كردستان وادلى الشعب بصوته الى القائد (مسعود ملا مصطفى البارزاني) وانتخب رئيسا لاقليم كردستان.

وللتاريخ ايضا ، وعند كتابة مظفرنامه- بلغه العربية ، القيادات الاقليم كردستان ، اتفقوا بينهم بان يوكل رئاسة اقليم كردستان الى السيد نيجيرفان ادريس مصطفى البارزاني) اعتبارا من سنة ٢٠١٩ ، المصادف ل ١٤٤١ الهجرية . اهتمت حكومة اقليم كردستان اهتماما كبيرا باحياء وتقديم مدينة اربيل في كافة المجالات وحدث تطور واعمار منقطع النظير في اربيل. يعود تاريخ تسمية مدينة اربيل الى

بعض المخطوطات القديمة في سجلات سلالة اور- اوار في عام ٢١١٢ - ٢٠٠٤ قبل الميلاد حيث جاء اسم (اوربيلم) ثم (اربيلم) التي كانت تقع ضمن حدود سلالة اور الحاكمة. ثم ان النصوص الاشورية تتحدث عن (اربا - ايلو) ومعناه مدينة (الالهة الاربعة) ونفس الاسم استعمل من قبل السومريين والاشوريين. يبدو انه كانت هناك اربعة الهة في هذه المدينة في زمنهم. بعد هؤلاء فان بعض الكتابات الفارسية المكتوبة بالخط المسماري يورد اسم (اربيرا) التي قاومت في معارك احتلال الاسكندر الكبير للعراق سنة ٣٣١ قبل الميلاد وذكر ايضا اسم (اربيل - اربلا). في عهد الدولة الاسلامية ورد اسم (اربيل) ولهذا السبب اننا نطلق اسم (اربيل) في كتابنا هذا، ولكن في عهد الحكومة الكوردية فان الاسم هو (هولير) عاصمة اقليم كردستان. وقد ورد اسم اربيل بهذه الاشكال المختلفة:
(اوربيلم - اربيل - اربا ايلو - اربائيلو - اربيل - اربل - اوربل - اروبل - هوربل - هولير).
في بداية انشاء المدينة وبداية ظهور المدنية فيها تطورت القلعة وبرز اسم اربيل.

مملكة و امارة سلطنة اربل:

كان السلطان مظفرالدين القائد والسلطان فيها وفي معارك ضد الصليبيين تحت راية صلاح الدين الايوبي منح السلطان لقب (الذئب الازرق). كانت المملكة و السلطنة والسلطان

توركمانية. كانت اربيل في عهده عبارة عن القلعة وسوق صغير يتكلم الساكنون فيه باللغتين الكوردية والتركمانية وكتب اول منقبة نبوية باللغة التركمانية. كما هو الحال الان فان الناس يتعاملون فيما بينهم باستعمال اللغتين وكانت اللغة الرسمية لإدارة السلطنة هي الكوردية والتركمانية والعربية وذلك لان الانتماء الديني كان هو الاقوى ولكن شعور واحساس السلطان كانت تركمانية ولاشك ان السلطان مظفرالدين نفسه كان تركمانيا.

مظفرالدين زين الدين على كوجك التركمانى- الكوك بورو؛
كان شخصية حرة -وطنية مستقلة و لا علاقة له و سلطنته
بلامراء و السلاطين و المماليك..

هناك حقيقة تاريخية اخرى يجب ان تذكر وهي ملاحظتنا عن تحويل التاريخ وتدوينه بشكل مغلوط وتحويله عن مساره الصحيح في كثير من الكتابات والمنشورات. واكثر من هذا فان هناك عرفا شائعا داخل المجتمع الكوردي يزعم بان اسم ومكانة السلطان مظفرالدين ووجود التركمان والأتراك مرتبط بالسلاطين العثمانيين! وهذا مخالف للتاريخ ونتائج البحوث التي قمنا بكشفها. ان تركمان اربيل ليست لهم اية علاقة بالسلاطين العثمانيين وتركيا. ان للتركمان كوردستانهم ومثل اية امة اخرى لهم ثقافتهم وكانوا متواجدون قبل مجي السلاطين العثمانيين وكانوا يعيشون مع الكورد جنباً الى جنب.

أن سلطان مظفر كان انسانا وطنيا و مستقلا و قائدا شجاعا ،

لم يكن يوما عبدا الا لله ، لا علاقة له بسلطان العثماني ،
فهو كان سلطانا قبل العثمانية ب-١٣٥ سنة كان اميرا و
ملكا في حران و قلعه اربيل قبل السلطنة العثمانيين ، فهذه
دعايات و افتراء بحق هذا الشخصية العظيمة .

هناك خرائط تعود لزمن السلطان مظفرالدين نشرت في
بعض المصادر التاريخية وورد اسم كوردستان فيها وحددت
حدودها بوضوح ودون لبس.

يبدأ تاريخ سلطنة العثمانيين سنة ١٢٩٩م لكن سلطنة اربيل
بدأت سنة ١١٦٤م وعلى يد مجاهدالدين قايماز ثم حكمها
السلطان مظفرالدين سنة ١١٩٠م وكان للاربيليين سلطنتهم. أي
قبل انشاء سلطنة العثمانيين ب ١٣٥ عاما.

حكم في قلعة اربيل سلطانا تركمانا اربيليا وهذا اقوى
دليل على ان سلطنة اربيل لم تكن لها اية علاقة تاريخية
او سياسية بسلاطين العثمانيين. كما جاء في ملحق هذا
الكتاب ومن خلال الصور التاريخية القديمة ورسالة للسلطان
صلاح الدين الايوبي المحفوظة في متحف فرنسي نبين هذه
الحقيقة التي تقول انه كانت هناك مظاهر للحضارة وحكم
في مدينة اربيل قبل انشاء السلطنة العثمانية.

تشير المصادر التاريخية وبعض الشخصيات والمؤرخين في
اربيل بان تجربة السلطة وادارة حكم السلاطين في كوردستان
كانت قد نقلت الى تركيا وان تركمان اربيل القدامى قد
ساهموا في انشاء السلطنة العثمانية.

ولد السلطان مظفرالدين سنة ١١٥٤م في الموصل وتوفي

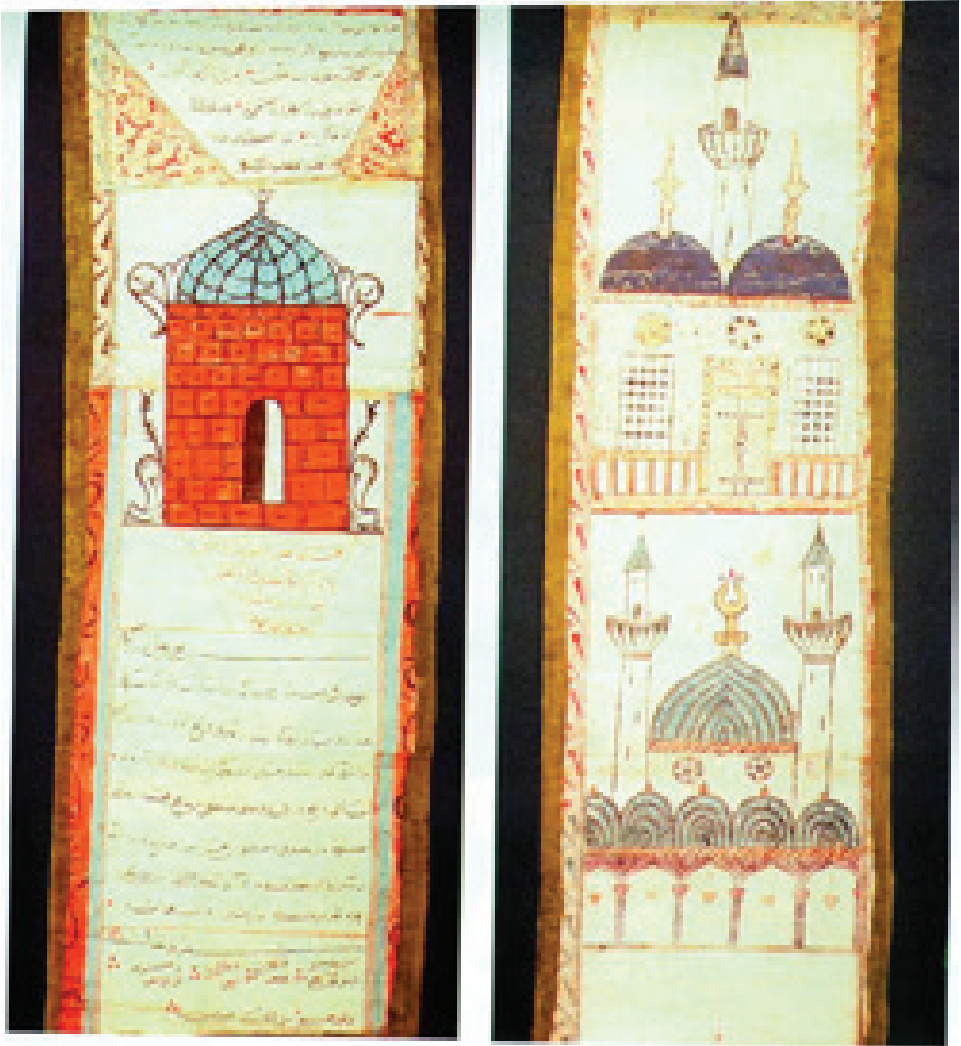
سنة ١٢٣٣م في اربيل. طوال فترة حكمه في اربيل كان مغرما بالقلعة ومتعلقا باهل اربيل. بعد وفاته تم دفن جثمانه اولا في مقبرة القلعة ثم نقل رفاته الى مرقدده الحالي اسفل القلعة. المكان الذي يزوره سكان اربيل ويحترموننه. يقع قبره قرب بناية محافظة اربيل الحالية وهناك شارع باسم السلطان مظفرالدين (شارع المظفرية) وليس هناك ادنى شك بان مزاره الحالي هو قبره ومكان دفنه لا شكوك في ذلك. حسب بعض الابحاث فان السلطان كان يرى النبي الكريم محمد (ص) في منامه وبهذا يزداد حبه وشغفه بالنبي العظيم ويوصي بان يتم دفنه قرب قبر النبي ولكن وبسبب حر الالاهب في ذلك الوقت في الجنوب والجزيرة العربية، فشلت محاولة نقل جثمانه الى الديار المقدسة، لذلك عادو بالجثمان الى اربيل مرة اخرى ودفن في اربيل عاصمة اقليم كوردستان وفي مكان مزاره الحالي.

حسب بعض المصادر التاريخية القديمة ، كتب بان القبر السلطان مظفر موجود في المقبرة الكبرى في واد السلام في النجف، ومنذ سنتين في بداية كتابتي لمظفرنامه- حاولت البحث و الاتصال لبيان الحقيقة .

اثناء بحثنا هذا ، ومنذ سنتين ، اتصلت بمكتبة الحوزة العلمية في مدينة - النجف الاشرف المقدسة - طلبت من الحوزة العلمية في النجف حول صحة المعلومات عن وجود قبر السلطان مظفر في المقبرة الكبرى في النجف . لقد جاء الرد متاخرا ولكن جيدا ، لقدتم الرد من الحوزة

العلمية من النجف عن طريق شخصية اكااديمية معروفة اسمه .الدكتور جعفر عبدالمهدي دكتور في العلوم السياسية و وارسل رسالة شخصية و اكد لنا بان لا وجود لقبر السلطان مظفرالدين امير اربل في النجف .

لقد كان حكم السلطان حكما عادلا ورحيما. كان هناك في ذلك الوقت خريطة خاصة بالكوردستان وان الكورد قد اختلطوا بالامم الاخرى وكان في اربيل مختلف الاديان والثقافات مثل: اليزيدية واليهودية والمسيحية وكانوا في تعايش ووثام. كان زمن حكم السلطان مرحلة ذهبية بالنسبة لاربيل من الناحية العلمية والفكرية وفي مجال الاعمار والانشاء.



رسالة استغاثة صلاح الدين الايوبي الى سلطان مظفرالدين

الفصل الثاني

الاعمال والبرامج الخيرية وطبيعة الحكم في عهد
السلطان مظفرالدين الكوكبورو

قامت اماره و مملكة اربل بالمشاريع التالية :

١-انشاء مدرسة واسعة باسم مدرسة المظفرية (مدرسة دار الحديث) بجوار منارة المظفرية مع جامع (المسجد العتيق) كبير لتدريس العلوم الدينية وقراءة المناقب النبوية في ذكرى مولد فخر الكائنات محمد رسول الله (ص) وتعليم الفقه الاسلامي. قبل هذا كانت هناك مدرسة اخرى باسم المدرسة المجاهدية او العقيلية نسبة الى الامير مجاهدالدين قايماز قبل استلام السلطان لامارة اربيل.

٢- في عام ٦٣٢ هـ في سفره الى الخليفة العباسي المستنصر بالله في بغداد استقبل السلطان مظفرالدين استقبالا مهيبا وكرمه كملك من قبل الخليفة

و كانت تجمع السلطان مظفر و الخليفة المستنصر بالله صداقة وعلاقة جيدة و خاصة ، فالاثنين كانوا ابناء لامهات تركية ، ام السلطان و الخليفة كانتا اتراك ،فكانوا اصدقاء و قريبيين جدا .فكان فللخليفة احترامما و حبا لامير اربل .وعلى هذا الاساس و قام السلطان مظفر بلاقتراح سياسي كبير ، و حفاظاً لاهل اماره اربل و المصالح العليا بان يضع اماره اربل ضمن ادارة الخلافة العباسية الثانية .

حيث الخليفة اهداه سيفا جميلا ثم في طريق عودته الى اربيل مرّ بقرية داقوق ورأى منارة طاووق (طاووق منارسي) والتي بنيت من قبل السلاجقة سنة ١٠٥٥م. اعجب السلطان بهذه المنارة ونزل الى اهل القرية للتباحث معهم وبرزت

لديه فكرة بناء منارة شبيهة بها في اربيل. حينئذ أمر السلطان بجلب نفس عامل البناء (الذي كان اسمه محمد) مع كل العمال لبناء منارة مشابهة. يبدو ان (اسطة محمد) لم يحضر بنفسه وانما ارسل شخصا اخر باسم (مسعود مراد) وكان هذا صانعا لديه لانشاء منارة اربيل. والى اليوم اسم هذا البناء باق على الباب الغربي لمنارة المظفرية. وهناك منارة مشيدة بنفس النوعية و لكن اصغر حجما في سنجار، وبنيت في نفس الفترة ، في العهد الاتابكي- المظفري (اثناء حكم السلطان).

قام (مسعود مراد) ببناء المنارة بشكل رائع وكان ارتفاع المنارة ٤٠ مترا ولكن وبعد مرور الزمن وعدم وجود الصيانة والترميم فقد وقع قسم منها تقدر بحوالي ٣ امتار وذلك بسبب عواصف رعدية جوية للاسف الشديد. استعمل هذا البناء البارح زجاجات بلون ازرق حيث لاتزال هذه الزجاجات موجودة الى الآن. في زمن بناء المنارة بنى السلطان بجانبها مكتبة كبيرة وجامع سمي ب(مسجد او جامع المظفرية) ولم تكن المنارة لوحدها وقد سمي سهوا ب(منارة جولي) أي المنارة البعيدة او المهجورة.

ولقد توصلنا في بحثنا بان هذه التسمية جاءت بعدما دمرت امارة اربيل و المدينة المقدسة اربيل ، بيد هولاء و اصبحت المنطقة خرابا ، وكانت المنارة قائمة وحدها فقط، خارج اربيل و بعيدة عن القلعة اربيل . فجاء اسم المنارة الجولي- البعيدة المهجورة .

كان هذا الجامع مشهوراً وتاتي شهرته بعد مسجد القلعة المسمى (المسجد الكبير) وكان بيت السلطان قريبا منه حيث كان يقيم فيه خطبة الجمعة ، اما الايام الاخرى فكانت الصلاة تقام في جامع القلعة.

كانت منارة اربيل من حيث الهندسة والبناء والتخطيط تعتبر من روائع الفن المعماري التاريخي في ذلك الزمان. في الثلاثينيات من القرن الماضي بدأت مديرية بلدية لواء اربيل بتدوين اسم هذه المنارة ضمن قائمة المواقع الاثرية دون الرجوع الى التاريخ الثري للمدرسة والجامع فكان اولى بهذه المديرية ان يسمي المكان باسم مدرسة او جامع السلطان مظفرالدين ، ومنذ ذلك الوقت تم اطلاق هذه التسمية على الموقع:

كتابة اللوحة الموجودة عند الجامع و المنارة المظفري باربيل

بنيت منارة المظفرية (جول منارهسى – منارهى جولى) من قبل الاتابكية سنة ٥٨٦ – ٦٣٠ هـ ورقم تسجيله ١٤٦٥ في ١٧/١٠/١٩٣٥. (دائرة الاثار لمحافظة اربيل)

الحقيقة الكاملة، هي ان هذه المنارة و الجامع المظفري بنيت و شيدت على يد الامير و سلطان اربيل، السلطان مظفرالدين زين الدين على كجك الكوك بورو .
امارة اربل كانت مملكة مستقلة ضمن اتابكية ، وكان يحكمها سلطانا حرا شجاعا .

في الحقيقة كانت هذه مدرسة وموقعا كبيرا في زمن السلطان مظفرالدين حيث ورد في كتب المؤرخين امثال (ابن خلكان) و (ابن المستوفي) باسم (المسجد العتيق او الجامع الكبير) وكانت فيه مدرسة لتعليم علوم الفقه والمعارف الاسلامية. كان يجب ان يتم اعادة بناء هذا الجامع وهذه المدرسة واحياء المكتبة القديمة التي انشأها السلطان في عهده الذهبي.

كان السلطان مظفرالدين يؤدي صلاة الجمعة في هذا الجامع القريب من بيته الواقع في حي (الربض) اسفل القلعة والمسمى الان (حي العرب) ولكن بقية الايام كان يؤدي الصلاة مع الناس و الصوفيين و المومنين و ايضا كان يحضرها، الوزراء والمستشارين في جامع القلعة. كان مسجد القلعة اول مسجد في تاريخ مدينة اربيل ويأتي جامع المظفرية بالمرتبة الثانية بعده وكان يسمى الجامع الكبير او العتيق.

في ذلك الوقت كان السلطان مظفرالدين على مذهب الحنفية الا ان الدراسة في الجامع العتيق (المظفرية) كانت تشمل الفقه الاسلامي بمذاهبه المختلفة كالشافعية والحنبلية دون اشكال. كان هذا من الصفات المحمودة للسلطان حيث كان محبا للسلام والوئام والتقدم والرقي.

٢- بناء جامع ومدرسة خاصة في حي السراي القريب منه لدراسة ومناقشة الفكر الاسلامي واستشارة العلماء و القريبين منه.

٣- بناء وافتتاح مدرسة القلعة لتدريس الدين والفكر والتاريخ.

٤- قام السلطان مظفرالدين بانشاء ثلاث مراكز مهمة للخدمات الاجتماعية للارامل والمشردين والايتام واللقطاء.
٥- انشاء مستشفى لعلاج الامراض المتفشية في ذلك الوقت وبالاخص للمكفوفين و(فاقدي البصر) وكان يشرف بنفسه على احتياجات المراكز هذه ويساعد الخبراء والاطباء العاملين فيها.

٦- بناء مجلس (خانقاه) كبير اسفل القلعة والذي كان عبارة عن جامع كبير ومكان للمشردين والغرباء والمكفوفين والمعوقين والفقراء. يوميا كان الطعام يقدم بثلاث وجبات والكسوة مرتان في السنة وكان السلطان يزور المكان ويطلع على احوالهم ويستفسر عن احتياجاتهم ويتباحث مع المشرفين على كيفية سير العمل.

وهنا يمكن وبجلاء ملاحظة وجود النظام الاجتماعي الراقى في زمن السلطان مظفرالدين في كوردستان، هذا النظام الذي يتبع حاليا في اوربا.

٧- بناء اماكن مخصصة لاستراحة الضيوف والمسافرين الذين كانوا يترددون على اربيل كزوار او في طريقهم الى اماكن اخرى مارا باربيل لآخذ قسط من الراحة والتزود بزاد السفر لهم ولدوابهم.

٨- اهم مقترح والعمل الذي قام به السلطان مظفرالدين هو مشروع احياء ذكرى مولد النبي محمد رسول الله الى البشرية (ص) حيث كان المسلمون في جميع انحاء العالم الاسلامي يتوافدون الى القلعة للمشاركة في هذه الاحتفالات

الضخمة لكي يرو بانفسهم كيف تتم هنا الاحتفال بمولد سيد الكائنات لكي تصبح تقليدا لكافة العالم الاسلامي فيما بعد، فكان يكتب و ينشر كتاب مولودنامه- بلغة التركمانية و العربية و الايات القرآنية و الاحاديث النبوية الشريفة .

٩- من خلال البحوث والتقصي و يتبين من الصور المنشورة ان السلطان مظفرالدين الكوكبورو وبعد زيارة الديار المقدسة برفقة زوجته، قد لاحظ مشكلة قلة مياه الشرب وعدم وجود الاماكن لتلاوة القرءان الكريم، ظهرت لديه فكره انشاء مسجد. وكما يذكر الدكتور ناصر الحارثي وهو كاتب سعودي انه وفي سنة ٦٠٥ هـ تم بناء مدرسة وجامع مع خزان لحفظ الماء فوق (جبل عرفة) لسد حاجة الحجاج ولاتزال اثار هذه البناية موجودة في مكة المكرمة وعلى باب البازان في السعودية.

آن احدى التحولات والتغييرات التي حصلت ابان العهد الذهبي لحكم السلطان في امارة اربل كان السماح للفرق الموسيقية والفنانين بممارسة هواياتهم في سهل شهرزور واربيل كافة.

و يروي الشيخ الطريقة القادرية- الكيلانية، الشيخ فواد محمد الشريف، الشخصية الاربيلية المعروفة، بان للسلطان مظفرالدين اعمال خيرية و كان قد بنيت جامعا ومدرسة لدراسة الدين الاسلامي و علوم القران في المدينة المنورة و يصل الماء الى جبل عرفة .

١٠- في عهد السلطان مظفرالدين تم نشر المصحف الشريف اضافة الى المولدنامة بلغتين التركمانية و العربية . وارسلت الكتب من اربيل الى البلاد المسلمين عامة .

عندما كان السلطان مظفرالدين في الشام سنة ١١٨٧م وكان اخوه زين الدين يوسف اميرا وصاحباً لاربيل، كان قد تعهد لشخص قريب منه بانه لو تسلم السلطة في قلعة اربيل واصبحت مملكة اجداده فسيقوم بتقسيم كل ما يملكه من ثروة الى ثلاثة اقسام. قسم لاعادة اعمار القلعة، وقسم يصرفه على الفقراء والمحتاجين والقسم الاخير يجعله خيراً وصدقة جارية في اماكن اخرى يجد الحاجة فيها لها .

وبعد وفاة اخيه سنة ١١٩٠م تصبح الفرصة سانحة للسلطان مظفرالدين لكي يكون نائباً للعائلة ويتسلم امارة اربيل.

كان للسلطان اخوان اخران: زين الدين يوسف (ينالتجين) و (اق بورو). لقد مات اخوه (اق بورو) وهو شاب ولكن (ينالتجين) كان اميراً لاربيل وبعد وفاته ترك السلطان مدينة (حران) وتوجه الى اربيل لاستلام امارة اربيل وسهل شهرزور.

وكما وعد السلطان وقد وفى به ، عند استلام الامارة قام بتنفيذ وعده وعمل على تنفيذه وقام بتغيير جذري في مجتمع اربيل والقلعة، وازدهرت بشكل حطاري كل المرافق و الاحياء المحيطة بقلعة اربيل

لقد كانت الازدهار و التقدم الحضاري لامارة اربل وسلطانها محل بحث و مراقبة الشعوب المجاورة لاربيل و المالك و الدول القريبة و البعيدة .

كان السلطان مظفرالدين اول من ادخل الموسيقى والاغاني الدينية والتواشيح الصوفية الى قلعة اربيل

منذ السنة الاولى من توليه السلطة وعندما اصبح صاحب اربيل (في الكتب التاريخية القديمة لذلك العصر كان الامير على البلاد يسمى بالصاحب والسلطان عليها)، اقترح برنامجاً لأحياء ذكرى المولد النبوي والاحتفال بهذه المناسبة المباركة. حسب التحقيقات التاريخية لذلك الزمن فلم يكن هناك الموسيقى والطرب في هذه المنطقة. لكن السلطان مظفرالدين استقدم الموسيقيين والفرق الترفيهية الى اربيل ونواحي اخرى من هذه المنطقة. اثناء الاحتفال بالمولد النبوي الشريف وقراءة المنقبة النبوية المسمى ب (مولودنامه) كانت الفرق الغنائية والمغنين المشهورين والفنانين من (نصيبين) و (سمرقند) والشام يأتون الى اربيل للمشاركة في هذه المناسبة التي كانت تستمر لمدة ثلاث أشهر والمبلغ المخصص لها كانت تقارب الثلاثة الاف دينار ذهب.

كان السلطان مظفرالدين هو اول من جلب الموسيقى والاغاني الى قلعة اربيل ومنطقة شهرزور. وكانت مشاريعه العمرانية والخيرية عبارة عن بناء مساجد في اماكن متفرقة من العالم الاسلامي عندما كانت المنطقة بحاجة اليها. فقد بنى جوامع في بلدان كثيرة وكمثال بنى جامع (الحنابلة)

في الشام وفي كل من (مصر) و(الموصل) جوامع باسم المظفرية وبمساعده المباشرة واشراف خبراء استمر في اعماله الخيرية هذه. يقال بانه وعند مسجد الحنابلة المظفري فقط حصص ثلاثة الاف دينار اتابكي وارسلها الى الشام لبناء واعمار هذا الجامع ثم ارسل ثلاثة الاف دينار اخرى لسحب الماء اليها من قرية (البرزة).

عندما اصبح مظفرالدين الكوكبورو اميرا وحاكما لكافة مناطق = الحران = اورفه = موزر = سميتان في عام ٥٨١ = ٥٨٦ الهجرية بنى في مدينة الحران = القريب حاليا من مدينة شانلي اورفة - قصرا كبيرا باسم (حران اتش قلعسي) أي (القلعة النار- في حران) وكذلك بنى فيها منارة ايضا ولكنها كانت مختلفة عن منارة اربيل.

في يوم ٢٣ ايلول سنة ٢٠١٧ وحسب ما جاء بتقرير ل(جريدة الزمان التركية) حول الاعمال الاثرية الجارية في تركيا في مدينتي (الحران) و(الاورفة) التركيتان، اعلن عن اكتشاف حمام اسفل هذه البناية التي عاش فيها السلطان مظفرالدين مع عدد من الغرف التي يعتقد ان الامير مظفرالدين كان قد استعملها عندما كان يعيش في هذا القصر.

أوضح محققون ومختصون من تركيا نشروا معلومات تفيد بان هذا الحمام كان مكانا لكل من نورالدين الزنكي والسلطان صلاح الدين الايوبي ولكن في الحقيقة ان هذا القصر الذي يقع في (حران) هو نفسه (اتش قلعسي) وكان مكانا للسلطان مظفرالدين علي كوجك امير حران واورفة ومزة وسميتان.

فكان مظفرالدين اميرا على حران قبل ان ياتي الى قلعه اربيل ، فكان القصر السلطان - قصر اتش قلعسي- قلعه النار- و بنى منارة ايضا و لكن شكل المنارة حران ولكن ليس شكلا مستديرا ، و حكم حران حكما نزيها ايضا ، يؤكد المورخون بأن السلطان كان قائدا عسكريا شجاعا و سياسيا كبيرا ، و رجل من رجال الله ، كان خيرا و محبا و عطوفا بالفقراء .

زار السلطان مظفرالدين بيت الله الحرام وحج عدة مرات وفي زيارته هذه احس بوجود مشكلة شح المياه في الديار المقدسة وعلى جبل عرفة بالذات ، لهذا السبب وفي سنة ٦٠٥ الهجرية قام بتنفيذ مشروع كبير لسحب مياه الشرب الى جبل عرفة. في الوثائق الموجودة لدينا والتي وصلتنا من المملكة العربية السعودية هناك اشارة الى اسم سلطان اربيل - صاحب اربيل. كذلك اوضح لنا الاستاذ (ناصر الحارثي)، وهو رجل صالح من السعودية و كاتب سعودي ، عن هذا المشروع الكبير الذي نفذه سلطان اربيل وارسل المال اللازم والمختصون من اربيل لاتمامه.

وارسل لنا صورة لاول مرة، للحجر المحفور و فيه اسم السلطان مظفرالدين حول مشروع نقل الماء الى جبل عرفة. ان كل من الدكتور ناصر الحارثي و الاستاذ اسماعيل بركات من المملكة العربية السعودية يقومون بنشر الصور و المخطوطات القديمة حول مكة و جبل عرفة وتبيان الوثائق التاريخية في السعودية و خاصة في مكة المكرمة .

كذلك قام السلطان مظفرالدين ببناء مدرسة وجامع وخران ماء كبير على جبل عرفة وذلك بهدف ايصال مياه الشرب الى المسافرين والحجاج. ولا زالت اللوحة والعلامة التابعة لهذا المشروع باقية على جبل عرفة الى هذا اليوم. يعتبر انجاز هذا المشروع فخر اخر تضاف الى مفاخر اماره اربل واهلها والتي كانت في سبيل خدمة الدين الحنيف وتذكرة لهم بان سلطانهم كان عظيم الشأن وشجاعا ومحبا للخير ولم يكن هناك حدوداً لاعماله الخيرية والانسانية في طول البلاد الاسلامية وعرضها.

اود ان اذكر شيئاً خاصاً بي . فانني ومنذ سنوات اقوم بالكتابة والتحقيق في الاعمال الثقافية واكتب عن الشخصيات والمواضيع التي تهم الامة وتخدم القضايا القومية وكان لي دوما في البحوث ورأى الشخصي بخصوص القضايا الوطنية وشارك على الدوام في بناء فضاء ثقافي عام بالمقالات والكتابات وخلق مواقف وابداء الرأي، ولكن عندما اكتب عن السلطان مظفرالدين اشعر بعدم الارتياح بشكل كبير لانني ارى ان هذا الرجل الشجاع والمؤمن والحكيم لم يعطى حقه ولم يكتب عنه بشكل كاف وبقي مرقد غريبا ولم يعرف على صعيد واسع ولم يحق قدره من قبلنا نحن الكتاب والمتقنين. عندما اكتب عن سنوات حكمه للامارة واسلوب ادارته ورئاسته للبلاد، فأني ارى نفسي امام اسلوب صوفي ذو نزعة ايمانية وحياة بسيطة شفافة ونزيهة لرجل ورع ذو احساس ديني مرهف مع الكرم والجود والزهد والترفع عن

الترف الدنيوي، رجل حكم مناطق شاسعة ووصلت اعماله الخيرية لاماكن بعيدة عن سيطرة حكمه وكلها كانت في سبيل خدمة الدين والدولة الاسلامية واعلاء كلمة الله وكان منفقاً في وجوه البر والاحسان ومؤمناً بقول الله تعالى «وما عند الله خير وابقى».

كان السلطان شخصاً بسيطاً ومتواضعاً، وفي نفس الوقت كان فارساً مغواراً شجاعاً ولكنه لم ينزل قط من القلعة وهو ممتطياً جواده. كان بعيداً كل البعد عن التظاهر بمظهر الملوك والرؤساء فكان يلبس الابطس والارخص من الملابس وينزل يومياً لتفقد السكان والفقراء والمعوزين بشكل خاص. عندما اكتب لأول مرة عن هذه الشخصية اشعر بخجل لاني اكتب عن شخص ظلمه التاريخ وهو الرجل الشهم والمحب لاهله وبلده ودينه. ان تاريخ القلعة والسلطان الاربلي الكبير لهو فخر للاربيليين و لشعوب كوردستان عامة وثقافة هذه المملكة، لذلك على الجيل الناشئ والجديد ان لا ينسى ولا يهمل اسم وتاريخ واعمال السلطان الى الابد.

اقسم بالله أني احببت شخصية السلطان مظفرالدين الكوك- بورو، ليس لاسباب سياسي- قومية، بل والله شاهد على ما اقول ، لطيبة قلب هذا الرجل العظيم ، واعماله الخيرية و اسلوب حياته و رجولته ، ولعطفه على الفقراء و المساكين ، وجدته انسانا امينا و مؤمنا صادق و رجل الله بمعنى الكلمة و الله اعلم .

١١- من الاعمال الكبرى ايضا ، انه بنى السلطان جوامع ومساجد في كل من مصر والموصل وال حلب باسم (جامع المظفرية) لاداء الصلاة وتلاوة القران الكريم ونشر الدين الاسلامي الحنيف وترك اثارا كثيرة بعد وفاته ، حيث قامت ارملة السيدة (رابيعة خاتون- اخت السلطان صلاح الدين الايوبي) بالاشراف عليها وامداد المراكز الخيرية بالمال اللازم لاستمرار الخدمات فيها.

يبدو ان جامع القلعة قد بنى من قبل (سرفتكين ابن عبدالله). كما بنى السلطان مظفرالدين جامع و خانقاه باسم مسجد المظفرية في دمشق. كذلك مسجدا اخر باسم دار الحديث ومسجد الحنابلة في سنة ٥٩٩ الهجرية.

١٢- سخر السلطان مظفرالدين باستمرار كافة امواله وممتلكاته لصالح تحرير رقبة اسرى المسلمين من يد الاوروبيين والافرنجة وكان يرسل الاموال ويعلن استعداداه التام لتحرير اسرى المعارك مع المسيحيين الصليبيين. كان لحكم وادارة السلطان للمملكة كافة مظاهر الدولة العتيدة وكان لها صك النقود الخاص بها من دينار ودرهم والتي حفظت لحد اليوم في المتحف الحضاري في اربيل وكان لها العلم الخاص بالدولة يتكون من لون ازرق في وسطه صورة للنسر وكان منتشر في كافة مرافق المملكة في ذلك الزمن. وجاء على احدى وجهي العملة من فئة درهم ما يلي:

درهم الملك المؤمن ملك الامراء سلطان مظفرالدين الكوكبورو وعلى الوجه الاخر كانت هناك صورة للسلطان

مظفرالدين يمتطي ظهر الاسد.

من خلال تحقيقاتنا ومن الاعمال التي قام بها السلطان مظفرالدين تبين لنا بانه كان سلطانا رؤوفا يخاف ربه وينفق بسخاء وكان باب سلطنته مفتوحا بوجه المثقفين الاربيليين وكانت مملكته مأوى كما اليوم للغرباء وللاديان والثقافات والقوميات دون تفرقة.

كان من اكبر اعماله ومشاريعه هو احياء ذكرى مولد الرسول الاعظم نظرا لحبه الكثير للرسول (ص) خاصة بعد رؤيته في المنام وهو يستنجد به من دخلاء يحاولون تدنيس مثواه فوجدنا في كتاب - مولدنامه- التركمانى و القصة الكاملة حول الحلم السلطان مظفرالدين حول محاولة سرقة قبر الرسول (ص) بلغة التركمانية.

كان السلطان رمزا للدولة وادارتها وكان قائدا حرا ابياً لم يقبل بان يكون تحت امرة احد، فكان حرا طليقا غير تابع لدولة او جهة اخرى عندما كان المماليك والامراء يحكمون في ذلك الزمن وكان لكل واحد منهم دولة وادارة وكانت اربيل كذلك. اضافة لذلك فكان هنالك سجل للديوان السلطاني في قلعة اربيل وكان الامور تسير وفق ضوابط دستورية وفي المناسبات والخطب يذكر فيها اسم السلطان مظفرالدين بعد ذكر وحمد الله والصلاة على رسوله الاكرم.

كان السلطان يعتبر نفسه جزءا من الاتابكيين و ايضا من سلطات وحكم الايوبيين يقود المملكة تحت راية صلاح الدين الايوبي. كان ملكا بحق له عزة وكرامة الملوك وكان

عادلا ذو اخلاق رفيعة ومحبوبا بين جماهيره في اربيل ومملكته الواسعة كافة. لم يكن هناك في ظل حكمه التجاوز والتعدي على الاخرين او القتل وهتك الاعراض والتفرقة بين الناس، اذ لم يكن يقبل بان يتم الاعتداء على احد ويعاقب المعتدي باشد العقوبات مهما كان المعتدي ومكانته.

بالرغم من ان السلطان كان من عائلة عريقة ومعروفة ونو سلطة وجاه، الا انه كان بسيطا لا يحب التباهي والتكبر على الاخرين وكان بسيطا في لبسه ومأكله وكان ينزل من القلعة مشيا على الاقدام وكان يفرش الارض ويجلس مع العلماء اوقاتا طويلة في جامع المظفرية ، حتى انه كان ينام هناك احيانا على حصير بال او فرش بسيط. كذلك زوجته (رابيعة خاتون) كانت بسيطة ايضا لاتحب التباهي والتفاخر كزوجات الامراء والملوك فكانت تتبع زوجها في خصاله الحميدة راضية مرضية لوجه الله.

هناك قصة معروفة عند الاربيليين القدامى: يحكى بان من عادات السلطان مظفرالدين ان يترك بيته و عائلته صباحا و ينزل الى اسفل القلعه ، كل يوم تقريبا.. او يومين بالاسبوع، لياكل مع اليتامى و اطفال الفقراء ، فيلاحظ رابيعة خاتون من الامر .. فيستغرب من خروج السلطان مظفر صباحا بدون فطور ...حتى يوما يتأكد من الموضوع ، يسال السلطان ، و يجيبها قائلا : بانه يفطر مع اطفاله الصغار .

هكذا كان مظفرالدين و هو كان حقيقة رجل الله ...وخادم للفقراء و المستضعفين.

أسلوب ونمط أحياء ذكرى مولد رسول الاسلام محمد (ص) من قبل السلطان مظفرالدين في امارة اربل

ان احد اهم الاعمال الخيرية والصدقات الجارية التي قام بانشائها السلطان مظفرالدين ابان فترة حكمه لامارة اربل هو احياء ذكرى مولد فخر الكائنات محمد رسول الله (ص). ولحسن الحظ فان الاحتفالات هذه باتت مستمرة ودون انقطاع وبنفس الروحية والنشاط والهمة ودون تدخل الجهات الحكومية والرسمية والى يومنا هذا وفي هذه المدينة التاريخية العريقة وتحت راية حكومة كوردستان التي ترفرف عالية على قلعة اربيل الشامخة.

كانت الاحتفالات تبدأ في زمن السلطان وتستمر لمدة ثلاثة اشهر متتالية وكانت تقدم خلالها مختلف انواع المأكولات والحلويات للضيوف واهل المدينة والوافدين اليها بهذه المناسبة وللمسافرين المارين بها وكان السلطان يتحمل مصاريف الاحتفال من امواله الخاصة وليس من خزينة الدولة باعتبارها اعمالا خيرية ليست لها علاقة بالسلطة والدولة والحكام.

تتحدث المصادر التاريخية القديمة عن ضخامة هذه الاحتفالات وتورد بعض المصادر التاريخية بانه وخلال هذا الموسم كانت تنحر اكثر من ٥٠٠٠ رأس ماشية و ١٠٠٠٠٠ دجاجة واستعمال اكثر من ١٠٠٠٠٠ جرة السمن البلدي و ٣٠٠٠٠ قطعة من الحلويات المحلية الاربيلية مع ١٠٠٠ كيلوغرام من

القشطة. كانت هذه المواد والاطعمة توزع سنويا وخلال هذه الفترة على مختلف شرائح المجتمع وكان المبلغ المالي المخصص لهذه الاحتفالات تقدر ب ٣٠٠ الف دينار ذهب حيث كان السلطان وبعد اداء صلاة العصر ينزل من القلعة مشيا على الاقدام ومن دون حرس وحماية خاصة ويتفقد المواطنين المجتمعين امام الخانقاه والذين كانوا يقومون بتلاوة الايات من القرءان الكريم واداء الادعية وانشاد التواشيح الدينية وفي نفس الوقت يبداء توزيع المأكولات والحلويات على الحاضرين والوافدين من الجهات الاربع للعالم الاسلامي فمنهم الضيوف القادمين من مختلف بقاع العالم الاسلامي ومنهم علماء ومؤرخون ومتصوفين ورجال الحكم من اقاليم اخرى شتى للاحتفال بهذه المناسبة المباركة والتحقق فيما يجري داخل القلعة الشامخة على ايدي اهل اربيل الكرام المتعطين لخدمة دينهم الحنيف وبمباركة سلطانهم الشهم. كان يتم في هذه الفترة اعداد المأكل والمسكن والمأوى لكل ضيف طيلة مدة بقائه في المدينة وكانت تصرف لهم اجور حلهم وترحالهم نهابا وأياباً وبامر من السلطان الذي كان اول رئيس وحاكم وامير وقائد اسلامي يقوم بهذه المراسيم الاحتفالية جاعلا من اهل القلعة ومدينة اربيل يفخرون ويتفاخرون به الى ابد الابد.

ويذكر ابن الدحية الكلبى الاندلسي في كتابه بأن السلطان مظفرالدين أول ملك من العرب والعجم أحيا المولود الرسول الاعظم.

قصة الرؤيا العظيمة التي رآها السلطان مظفرالدين الكوكبورو

في فترة ما ولمدة ثلاثة ليالي متتالية يرى السلطان مظفرالدين الكوكبورو في منامه نبي الاسلام محمد (ص) يستجد به ويبلغه بان هناك شخصان افرنجيان كفار يحاولان نبش قبره بهدف سرقة رفاتة ونقله الى بلادهم. في الليلة الاخيرة يفيق السلطان من نومه خائفا مفزعا ويروي رؤياه هذه لزوجته ووزير له موضع ثقته ثم بعد فترة قصيرة من هذه الحادثة يقرر السفر الى الحجاز لزيارة قبر الرسول الاعظم (ص).

وردت قصة هذه الرؤيا لأول مرة في المنقبة النبوية المكتوبة شعرا باللغة التركمانية وبامر من السلطان مظفرالدين نفسه سنة ٥٨٦ هجرية/١١٩٠ ميلادية، وتلاها امام وخطيب جامع القلعة على الحضور. ثم بعد ذلك تم نشر نص هذه المنقبة النبوية باللغة التركمانية في جميع ارجاء العالم الاسلامي وهي لازالت باقية الى يومنا هذا وتقرأ في مناطق معينة من كوردستان، منها اربيل وكركوك وتلعفر ودوز.. وتتلى وتقرأ في الجوامع والمساجد والبيوت في مناسبات عدة وفي ذكرى المولد النبوي الشريف. وقد تم ترجمتها الى اللغة الكوردية من قبل المرحوم القاضي (رشاد افندي المفتي) ورد فيها نص الرؤيا التي رآها السلطان مظفرالدين في منامه باللغة الكوردية. وهذه مقتطفات مترجمة من هذه

المنقبة المنظمة باللغة الكوردية:

ونتيجة البحث و التأكد من مصادر تاريخية و كتب مولودنامة- التركمانية الموجودة (مولود نامة ابن حجر-مولود نامة رافت- والنسخة القديمة التركية) لم يذكر قصة الرويا السلطان في الكتب ، ولكن اعمادا على القصص و التاريخ الشفهي لسلطان مظفرالدين ، العلامة و الاستاذ الكبير رشاد محمد الافندي- قام شاكر ا بكتابة نصا شعريا جميلة حول هذه الواقعة التاريخية بلغة الكردية و هي موجودة في مولودنامة- الكردية ، والتي طبعت ١٦ طبعة بفضل الله تعالى ، و اخر طبعة طبعت ، بموافقة و اشراف الاستاذ عثمان رشاد المفتى- في مطبعة حاجى قادرى كويى- في اربيل سنة ٢٠١٩.

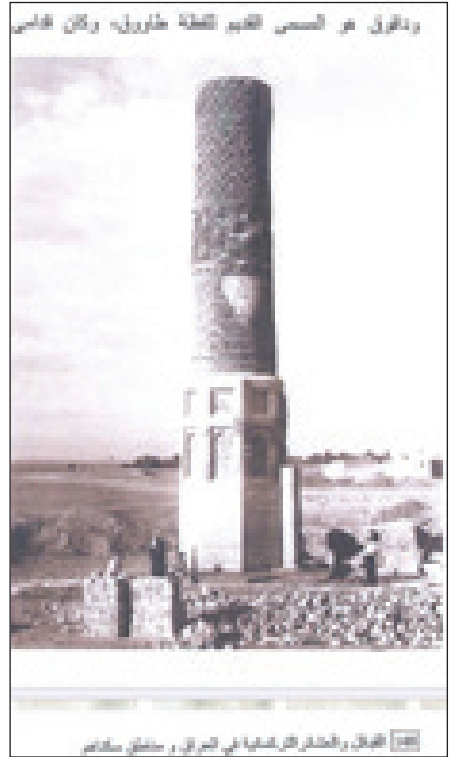
تحدث المنقبة عن قصة الرؤيا التي رآها السلطان وكيف افاق من نومه ورواها للوزير وزوجته ثم قرر السفر الى الحجاز واخذ المال اللازم وهناك بداء بتوزيع الهدايا على اهل المدينة الى ان ظهر له اثنان ذوو شعر اشقر وعيون زرقاء فتنبه السلطان وتذكر ما رآه في منامه وتعرف عليهم ثم نزل معهم الى السرداب داخل مكان قبر النبي فراءى بعينيه ما قاما به هؤلاء من حفر للوصول الى رفات النبي ، فتأكد بذلك من انهما الافرنجيان فقرر اعدامهما امام اعين الناس....الخ

يبدو ان خطة الاعتداء على قبر النبي ومحاولة نقل رفاتة الطاهرة الى بلاد الافرنجة قد تم كشفها في الوقت المناسب

من قبل السلطان مظفرالدين لذلك قام باعدام المجرمين امام اعين الناس.

تذكر المصادر التاريخية ان السلطان وبعد القضاء على هذه المؤامرة الدنيئة قام بحفر خندق بعمق ثلاثة امتار حول قبر النبي وصب الخندق بالحديد والصلب وذلك حفاظا على رفاتة ولكي لا يتمكن احد بعد من المساس بالقبر وبهذه الطريقة ونتيجة للرؤيا التي رآها السلطان تم حفظ اقدس مكان للمسلمين والى الابد..

مظفر نامہ السلطان مظفرالدین کوکبورو- امیر اربل



الفصل الثالث

سيرة حياة واعمال السلطان مظفرالدين الكوكبورو أمير اربل
الاحداث و السرد التاريخي لتطور الامور المتعلقة بامارة اربل
و العهد الاتابكي - المظفري

حسب التسلسل التاريخي

اسطورة السلطان مظفرالدين الكوك-بورو

من اق-سراى قلعة موصل الى وفاته في قلعة اربل -محلة سراى

الكرونولوجيا الاحداث التاريخية

(٥٤٩ - ٦٣٠ هجرية ١١٥٤ - ١٢٣٣ ميلادية)

الاسم والكنية: ابو سعيد مظفرالدين الكوكبورو ابن زين الدين ابو الحسن علي كوجك ابن بكتكين ابن محمد التركماني. ولد في اق-سراى في قلعة موصل من عائلة تركمانية اصيلة، قصر اق سراى كان دارا للحكم و تحول اسمه بعد احتلاله و حرقه الى (قره-سراى). و اثاره موجودة الى الان. **القابه:** الكوكبورو (الذئب الازرق)، الملك المعظم، السلطان، الامير، ملك الامراء، الملك العادل، الاسد الشجاع، امير الامراء..- ابا سعيد الكوك-بورو

حول رواية ولادة السلطان مظفرالدين من مصدر قديم جدا (جامع الحنابلة - المظفري- بصالحية جبل القاسيون) وهو كتاب للدكتور محمد مطيع الحافظ - كانت مخطوطة قديمة ولكن طبع سنة ٢٠٠٢ في بيروت يذكر ان السلطان مظفرالدين قد ولد في قلعة اربيل ولكن الدكتور محسن الحمرا، المؤرخ المشهور يقول بان هذا المصدر لايعتد به. يبدو ان اسم مظفر او مظفرالدين كان معروفا في اماره اربل وكوردستان بشكل واسع.

● سنة ٥٤٩هـ / ١١٥٤م:

مظفرالدين زين الدين علي كوجك كان ابنا لامير كبير في قلعة اربيل. كان ابوه في ذلك الوقت في الموصل لذلك ولد في قلعة الموصل. كان والده وزيرا لدى صاحب الموصل. اخوته (اق بور وزين الدين يوسف بكتكين). ولد ابو سعيد مظفرالدين التركماني في القصر الابيض - اق سراى- الذي تحول فيما بعد الى القصر الاسود -قره سراى- في قلعة

الموصل. في ذلك الوقت كان الامير مجاهدالدين قايماز اميرا على اربيل بدلا عن والده علي الكوجك.

● سنة ٥٦٣هـ : ١١٦٨م:

بعد وفاة والده زين الدين علي الكوجك استلم السلطان مظفرالدين الحكم في امارة اربل وكان عمره في ذلك الوقت ١٤ سنة.

السلطان لم يمتلك التجربة و القدرة على ادارة شؤون امارة اربل ، وظهر الخلافات مع اخوه و الامير مجاهدالدين قايماز.

● سنة ٥٦٦ هـ / ١١٧٠ م:

بعد ان ظهرت مشكلة كبيرة بين كل من السلطان مظفرالدين ومجاهدالدين قايماز، ترك اربيل ورحل الى الموصل عندما كان الاتابكيين يحكمون الموصل وكان الامير سيف الدين ابن مودود قد جاء من الحران الى الموصل سنة ١١٨٠ م. كان للحادث وقع وتأثير كبير على السلطان. عندما استولى صلاح الدين الايوبي على مدينة حران اصبح السلطان مظفرالدين حاكما وقائدا في هذه المدينة. كذلك كانت مدينة الحران في ظل سلطة السلطان مظفرالدين مدينة عظيمة وذات شأن وتطورت المدينة في جميع النواحي وتقدم بسرعة. وانشأ فيها السلطان منارة كبيرة والى يومنا هذا اثر هذه المنارة والقصر الذي عاش فيه السلطان موجود ومعروف في تركيا.

تنحيته من الحكم من قبل مجاهدالدين قايماز و اخوه ولد عند السلطان شعورا حزينا و جرحاً عميقاً و هو الذي خرج من

اربيل وليس صحيحا بان طرد من اربيل ، كما يذكر في بعض الكتب التاريخية .

هذا الحدث بقى في قلب السلطان مظفرالدين طويلاً...واثر على علاقته باخوه.و بمجاهدالدين قايماز .

● سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م:

دخل السلطان في هذه السنة جيش الملك صلاح الدين الايوبي كقائد شجاع ومقاتل مخلص لهذا قدره صلاح الدين الايوبي حق قدره واولاه مدينة حران حيث اصبحت تحت حكم الايوبيين.

● سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤م:

لاول مرة يقود السلطان مظفرالدين جناحا من اجنحة جيش صلاح الدين ويدخل الحرب مع الصليبيين ويهاجم مدينة نابلس. كذلك يشارك في معركة السفورية ضد المسيحيين. في هذه المعارك يكسب السلطان مظفرالدين الشهرة وينتشر خبر انتصاراته بين المسلمين.

● سنة ٥٨١ هـ / ١١٨٦م:

أشترك مع الجيش الايوبي في الهجوم على الموصل والحصار عليها وبهذا تقع الموصل والمناطق التابعة لها تحت سيطرة الاتابكيين في الموصل والدولة الايوبية.

● سنة ٥٨٤ هـ / ١١٨٨م:

أشترك مظفرالدين الكوكبورو في معركة حطين. هذه المعركة التي اندحر فيها الصليبيون وانتصر جيش المسلمين. وفي نفس العام اشترك في معركة البرج في مدينة انطوسوس في ضواحي مدينة دمشق في الشام.

كتب السلطان صلاح الدين الايوبي رسالة استغاثة ومساعدة للسلطان مظفر طالبا ارسال جيشه ومشاركته المباشرة في معركة حطين.

● سنة ٥٨٥ هـ / ١١٨٩م:

يشارك في معركة كبيرة ومهمة في عكا وينتصر الجيش فيها، ويشهد التاريخ الغربي الاوروبي المسيحي بطولات السلطان مظفرالدين في المعارك والحروب الصليبية .

● سنة ٥٨٥ هـ / ١١٨٩م:

في هذه المدة الطويلة التي قضاها السلطان مظفرالدين تحت امره السلطان صلاح الدين الايوبي كان مثالا للجندي المخلص والقائد الشجاع لذلك احبه صلاح الدين وقدره كثيرا لموافقته البطولية في المعارك وتقديراً له وحباً به زوجته اخته رابعة خاتون واعلن عن زواجهما سنة ٥٨١ هـ / ١١٨٦م.

تذكر المصادر التاريخية بان السلطان صلاح الدين الايوبي وبعد وفاة نورالدين الزنكي تزوج من ارملته عصمت خاتون سنة ١١٧٦م.

بعد ان ترك الشام وهو في ريعان شبابه، رجع السلطان مظفرالدين هذه المرة الى اربيل مع زوجته رابعة خاتون. بن الايوب وحسب الوثائق التاريخية فان كلاهما كانا يعشقان اربيل لذلك سكنا في قلعة اربيل في محلة السراي وينشأ السلطان ديوانا له ويحكم مدينة اربيل سنة ٥٨٦ هـ / ١١٩٠م. هناك معلومات مقتضبة وشحيحة عن شخصية رابعة خاتون.

فقد تزوجت سابقا ولكن زوجها توفي ولم يكن لها ذرية من الزواج الاول. تبقى سنوات طويلة تعيش فيها مع السلطان مظفرالدين بحب ومودة صادقة. عاش الزوجان في قلعة اربيل لسنوات في حب ووئام ويعاملون الناس بكل بساطة. عندما يقررون المجيء الى اربيل تعبر رابعة خاتون عن حبها لانها كانت تعرف بان اربيل هي مسقط رأس ومملكة ابائها واجدادها لذلك بقوا في اربيل الى ان وافاهم الاجل. كان السلطان مظفرالدين رجلا مؤمنا ومتدينا يخاف الله، لهذا لم يكن له زوجة اخرى ولم يكن لديه الجواري وكان يحب رابعة خاتون كثيرا وكان يستمع اليها ويستشيرها في امور كثيرة لانها كانت على دراية بامور الدولة والاعمال الخيرية لزوجها، وكانت لها علاقات طيبة مع الناس و المملكة.

● سنة ٥٨٦ هـ / ١١٩٠م:

بعد وفاة زين الدين يوسف يصبح مظفرالدين سلطان اربيل لانه لم يكن هناك شخص اخر من العائلة يستحق ان يورثه شرعا اذ لم يكن له غير السلطان مظفرالدين. وفاة والده واخيه باتت فرصة ذهبية له لكي يعود الى اربيل ويعلن عن سلطنته وذلك بواسطة ومساندة صلاح الدين الايوبي في تاسيس هذه السلطنة وتمشية امورها السياسية والعسكرية والاقتصادية.

وكان للسلطان خصال كثيرة تؤهله لهذه المكانة كما ذكرت في مصادر تاريخية كثيرة اذ ان والده واخوه كانوا قد

حكموا اربيل ولكن عندما يأتي السلطان مظفرالدين تبدأ مرحلة جديدة من التقدم والرفاه في هذه المدينة. قبل مجيء السلطان مظفرالدين وكما وردت اخبار من قبل الرحالة الذين كتبوا عنها بانها كانت مدينة متخلفة حضاريا ومهمشة وجامدة لاجل الحركة فيها ولاتجارة. بعد استلام السلطان مظفرالدين لادارة امارة اربل بدأت حركة دؤوبة في المدينة وضواحيها وبدأ العلماء والمؤرخون والرحالة بالتوافد عليها خاصة بعد ان امر السلطان باقامة شعائر دينية والاحتفال بالمولد النبوي الشريف فاصبحت بعد هذا مدينة تدب فيها الحياة من جديد.

● سنة ٥٨٧ هـ / ١١٩١م:

بعد ان استقر في الحكم وقوى اركان سلطنته، بدأ باعداد الجيش والقوة العسكرية المسلحة بمساندة جيش صلاح الدين لكي يستطيع الدفاع عن اربيل والمناطق التابعة لها من الاعتداءات والهجمات التي كان الامير عزالدين حسن ابن يعقوب المقنجاقي ينوي شنها بمعاونة ومساندة الخليفة العباسي الناصر لدين الله وذلك بهدف استرجاع المناطق التي كانت تحت راية مظفرالدين وهي مناطق كركوك الحالية والتي كانت تسمى الكرخيني وكذلك سهل شهرزور و علما ان شهرزور كانت منطقة اكبر و اوسع من شهرزور الحالي.

● سنة ٥٨٩ - ٦١٥ هـ / ١١٩٣ - ١٢١٨م:

كانت السنوات التي ايد فيها صلاح الدين الايوبي السلطان مظفرالدين من النواحي المادية والعسكرية والسياسية

والثقافية والاستخباراتية وانتصراته له في حكمه وسلطنته وكانت العلاقات جيدة بل ومتينة بين اماره اربل وحاكمها السلطان مع الدولة الايوبية وكان التعاون والتعاقد مستمر. كما يبدو فان صلاح الدين الايوبي كونه كورديا اهتم كثيرا باربيل وكوردستان عموما خاصة وان اخته رابيعه خاتون التي كان يعزها ويقدرها زوجة مظفرالدين الامير عليها. كل هذه العوامل ادت الى ان تتوطد العلاقات بينهما بشكل جيد.

● سنة ٥٨٩ - ٦٣٠ هـ / ١١٩٣ ، ١٢٣٣م:

بدأت المشاكل والمناوشات تظهر من حين لآخر بين اماره اربل والموصل ولم يكن السلطان مظفرالدين هو الباديء ابدا فهو كان في موقع الدفاع لانه كان يؤمن بانه ليس من العدل ان يقتل المسلم بايدي المسلم وان لا يعتدي احد على احد الا في حالات الدفاع عن النفس.

● سنة ٥٨٩ - ٦٠٦ هـ / ١١٩٣ - ١٢٠٩م:

خلال هذه الفترة تتعرض اماره اربل والمناطق المجاورة لاربيل لضغوط وهجمات من قبل عزالدين مسعود صاحب اماره الموصل بحجة ان اربيل كانت ضمن حدود الدولة الاتابكية وبعد وفاة صلاح الدين الايوبي كان ينوي استعادتها.

● سنة ٦٠٦ - ٦٠٧ هـ / ١٢٠٩ - ١٢٠١م:

بعد وفاة عزالدين الاتابكي فكر الامير نورالدين الاصلان وقرر التقرب من السلطان مظفرالدين من خلال المصاهرة وذلك بهدف اقرار السلام بينهما فزوج ابنائهم من بنات السلطان مظفرالدين. كان لنورالدين الاصلان ابنان هما الملك القاهر عزالدين مسعود وعماد الدين زنكي وبهذا الزواج عمّ

السلام وتقل المشاكل لفترة محدودة.
ذكرت بعض المصادر التاريخية وجود ابن للسلطان من زوجته رابعة خاتون اسمه سعيد. لذلك ورد اسمه بابي سعيد ولكن يبدو انه لم يعيش طويلا ولكن كان للسلطان بنتان هما صاحبة وعاصية وقد رجعتا بعد وفاة والدهما مع رابعة خاتون الى بيت الايوبيين في دمشق. كانت ابنة رابعة خاتون مدرسة في دمشق سميت باسم صاحبة على اسم صاحبة بنت السلطان مظفرالدين.

بينما بقت عاصية خاتون بن السلطان مظفرالدين الكوكبورو في اربيل و تزوج وخلف انتشروا احفادها و العائلة السلطانية في اربيل و المناطق المجاورة.

● سنة ٦١٥ - ٦٣٠ هـ / ١٢١٨ - ١٢٣٣ م:

تدهورت العلاقات بين الموصل واربيل وتعرضت اربيل لهجمة عسكرية بعد ان تسلم الاتابكي حكم الموصل، بدرالدين لؤلؤ، بعد ان قام بوضع مخطط خطير بمساندة ومعاونة الامارة مع المغول. ليقوموا بالهجوم على اربيل ويحاولون الاستيلاء عليها وتدميرها سنة ٦٠٦ هـ/١٢٥٨م.

● سنة ٦١٠ - ٦١٢ هـ / ١٢١٣ - ١٢١٥ م:

بعد اقتراب المخاطر وتهديد اماره اربيل من قبل العدو تحاول السلطة في اماره اربيل والسلطان مظفرالدين نفسه التقرب الى الخلافة العباسية في بغداد ويشترك الجيش التابع لسلطان اربيل في القضاء على الفتنة التي ظهرت في كل من همدان و اذربيجان واصفهان ويقوم باخمادها. يبدو ان هذا العمل كان ضمن الرؤى السياسية للسلطان مظفرالدين

في الوقت الذي تعرض اربيل الى مخاطر فهو حاول ان يوطد العلاقات مع العباسيين الذين كانوا يحكمون بغداد وكان جل ما قام به من اجل مصلحة الامة وامارة اربيل.

● سنة ٦١٨ هـ / ١٢٢١م:

في هذه الفترة بدأت الهجمات المغولية وكانوا يرومون الهجوم على الخلافة العباسية ومن ضمنها خططوا للاستيلاء على اربيل. في نفس المدة شارك جيش السلطان مظفرالدين في المعارك ودافع عن الخلافة ضد المغول. بعد وفاة صلاح الدين الايوبي شعر السلطان مظفرالدين بنوع من الوحدة ولهذا فكر في عقد تحالف مع الخلافة العباسية.

● سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩م:

قرر السلطان مظفرالدين المشاركة ومعاونة الجيش التابع للخلافة العباسية للدفاع عنها ضد أي هجمة من قبل السلطان الخوارزمي جلال الدين المنكبرتي.

● سنة ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩م:

تعرض جيش السلطان مظفرالدين الى هجمة شرسة من قبل القبائل التركمانية حيث تحاول قبيلة قوشيالوي الاستيلاء على بعض مناطق اربيل. تبدء معركة كبيرة ويتعرض السلطان الى ضيق شديد.

● سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠م:

يهاجم الجيش المغولي اربيل والمناطق الواقعة اسفل القلعة والتي كانت تسمى في ذلك الوقت الربض - وهو الباب

السفلي. يستدعي السلطان مظفرالدين جيش الخليفة العباسي ويعلمهم بهذا الامر فيقوم الخليفة في بغداد بارسال جيش الى اربيل للمساندة والحفاظ على اربيل والسلطان. يجب ان نوثق للتاريخ بان بعض المصادر والتحقيقات تتحدث عن تسليم قلعة اربيل وامارة اربيل الى الخليفة العباسي ولكن اتهام هؤلاء للسلطان بالخيانة وتسليم اربيل من قبل السلطان مظفرالدين بعيد كل البعد عن الحقيقة والواقع.

أن بعض المؤرخين الجهلة والحاquدين على التاريخ المشرق لاربيل يتهمون السلطان بتسليم اربيل الى السلطان والحاqu الامارة بالخلافة في بغداد وهذا جهل لهؤلاء المؤرخون. كان السلطان مظفرالدين رجل سياسة وتكتيك وكان يضع المصلحة العليا لشعبه وامارته نصب عينيه. بعد رحيل السلطان صلاح الدين الايوبي والضعف السياسي التي نتج عنها وذلك لعدم وجود ذرية له الت السلطة الى المستشارين فلم يكن هناك غير العباسيين لطلب النجدة منه اذ كانت الخلافة اقرب الى اربيل وجغرافية كوردستان ولم يكن هناك غير العباسيين للمساندة والدفاع عن الامارة وسلطنة اربيل. لهذا السبب قام السلطان مظفرالدين بعمل سياسي رشيد وعقد علاقات مع الخلافة العباسية وتمكن من الحفاظ على اربيل لمدة طويلة بمساعدة العباسيين.

كان السلطان سياسيا محنكا وقائدا صنيديا فلم يتوانى يوما عن الدفاع عن امته وشعبه وامارته فكانت سيرته نظيفة ناصعة وتبقى الى الابد كذلك.

● سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠م:

سفر السلطان مظفرالدين امير اربيل الى بغداد:

كان هذا التاريخ بالنسبة الى السلطان الكبير خاصا ويظهر ذلك من الكتب التاريخية التي تذكر ذلك. بعد ان تزداد المخاطر والتهديدات على السلطان مظفرالدين وامارة اربيل ومستقبله الامني عن طريق ازدياد تهديد جيش المغول والحاquدين على سلطته، ذهب السلطان الى بغداد ويلتقي بالخليفة العباسي واجتمع بالعباسيين وتباحث بدقة وتفصيل عن مستقبل السلطنة. وادرك بانه كبر في العمر وظهر عليه الهزال وليس له ولد يورثه ويتسلم الامارة من بعده، لذلك كله ظهرت لديه فكرة الحاق امارته بالخلافة العباسية. وبكل وضوح يطلب من الخليفة بعد موته ان يضم امارة اربيل داخل حدود الخلافة العباسية.

كان ذلك في زمن الخليفة المنصور المستنصر بالله واسمه الكامل هو ابو جعفر المنصور ابن محمد ظاهر (١١٩٢-١٢٤٣) حكم بغداد وكان خليفة للعباسيين وكانت العلاقات بينه وبين السلطان مظفرالدين جيدة حيث كانت والدته كل منهم تركمانية الاصل. ساند العباسيون كثيرا امارة اربيل.

فكان الخليفة المستنصر بالله يحب السلطان مظفر و كان يكن لامارة اربيل و شعبها عطفًا و حبا ، و وافق على حماية امارة

اربيل و حفظ امنها.

فوافق الخليفة على اقتراح السلطان مظفرالدين حبا لشعب
امارة اربيل و للسلطان ...

● سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣م:

وفاة قائد و سلطان اربيل و غروب شمس قلعة اربيل:

في هذه السنة وفي شهر رمضان المبارك في فصل الصيف
الحر في يوم الاربعاء المصادف لـ ١٨ رمضان في بيته في
محلة السراى- داخل قلعة اربيل ، (وكان له بيتا ايضا في
محلة العرب- الحالية)، مات اسطورة اربيل بتوقف قلب هذا
الرجل العظيم والى اليوم اثار بيته في اسفل القلعة من
الابواب والجدران باقية. كان هذا الدار من قبل للامير شهاب
الدين قرتاي ابن عبدالله. بعد رحيل السلطان دفن جثمانه
بشكل مؤقت في مقبرة القلعة.

ان التعقيبات والمحادثات مع الاشخاص المعروفين والمتصوفون
في اربيل تؤكد التاريخ الشفهي لشعب اربيل ، ان السلطان
مظفرالدين توفي يوم الاربعاء المصادف لـ ١٨ رمضان. قام
اهالي اربيل باحياء ذكرى وفاة هذا الرجل في اليوم الواحد
والخمسين (المسمى بالتركمانية ٤١ - يوم بعد الوفات -الى
بير) لانه لم يكن هناك الاربعينية في ذلك الزمان ولهذا
السبب يزور اهالي اربيل كل يوم اربعاء من الاسبوع مرقد
السلطان مظفرالدين ويقوم الزوار بقراءة الفاتحة والايات
القرآنية ويدعون ربهم من خلال هذا الرجل الصالح. لغاية
السبعينيات من القرن المنصرم كانت عادة الواحد والخمسين

والتي تسمى بالتركمانية (الي بير) جارية بين اهالي اربيل. الاربعينية كانت غير موجودة وهي عادة غير اربيلية ، كانت ٥١ هي السائدة و العزاء كانت ثلاثة ايام في مملكة اربيل ..والناس كانوا يزورون سلطانهم كل يوم اربعاء ..

كان السلطان قد أوصى بان ينقل جثمانه بعد وفاته الى مكة المكرمة ويدفن في مكان ما بجبل عرفة. وقد حاول البعض تطبيق وصيته وتم استخراج جثمانه من القبر في القلعة وذهبوا به نحو الديار المقدسة الا ان الحر الشديد والقلقل في جزيرة العرب حالت دون اتمام ذلك فاعادوا دفنه في كوردستان وفي اربيل بالذات في المكان الحالي لمرقده.

يروى لنا الدكتور محسن حمرا (المورخ و الكاتب الاربيلي المعروف) ان(الحاج تقي الدين الفاسي) وهو شخصية مغربية من مدينة فاس كان قد حج في زمن السلطان مظفرالدين. وقد تحدث في كتاب له بانه رأى بام عينيه قبرا محفورا على جبل عرفة من قبل مديرية امور الحج وذلك لدفن جثمان السلطان مظفرالدين فيه كوفاء له ولوصيته الا انه وللأسف لم يتم تنفيذ هذه الوصية بسبب ما جاء اعلاه.

واستنادا لرسالة الجوابية من الدكتور جعفر عبدالمهدي ، كاتب و بروفييسور في العلوم السياسية من النجف الاشرف – الموجود حاليا في النرويج ، وبعد التأكد من الملفات و الكتب القديمة في مكتبة الحوزة العلمية لمقبرة وادي السلام ، يؤكد لنا بان لا وجود لقبر السلطان مظفرالدين الكوك- بورو في النجف.

فبعد وفاته بقلعة اربيل دفن لفترة و جيزة في مقبرة خاصة داخل القلعة ، ومن ثم دفن في المزار و مقام خاص به (القبر الحالى الموجود بجانب بناية محافظة اربيل) في شارع السلطان مظفرالدين الكوكبورى .

و منذ ذلك الزمن ، اهل اربيل و القوميات الموجودة قاطبة يزورون سلطانهم كل يوم اربعاء (يشير المصادر الشفهية باربيل ، بان السبب يعود بان يوم وفاة السلطان كان يوم اربعاء) .

بعد وفاة السلطان مظفر ، انتقلت زوجته ، راييعة خاتون الى دمشق مع ابنتها صاحيبة- خاتون ، وتبقى عاصية خاتون البنت الثانية في اربيل ، وتتزوج في كوردستان و احفادها - من المؤكد - موجودون ولكن مع الاسف لم نصل الى معلومات عنهم .

رابعة خاتون ملك نجم الدين ايوب الشادي الايوبي (١١٦٤ - ١٢٤٤م): حرم السلطان مظفرالدين الكوكبورو امير اربيل

رابعة خاتون - عاشقة اربيل وقلعتها المرآة التي نسيها التاريخ:

قد يخون التاريخ احيانا شخوصا عظام. وقد يكون هذا عن تخطيط مسبق و احيانا بسبب العادات والتقاليد الموروثة للمجتمعات. نحن في كوردستان وبالاخص فيما يتعلق بالتاريخ الحافل لقلعة اربيل استطيع ان اقول رغم وجود بعض المحاولات وقليل من الكتيبات ، لا يوجد عمل كبير شامل ومتكامل عن الجوانب العديدة لتاريخ اربيل وحضارتها وقلعتها.

بعد تاليفي لهذا الكتاب عن خصال وشخصية السلطان مظفرالدين زين الدين الكوجك علي المعروف ب(ابا سعيد) والذي حكم لمدة ٤٤ سنة قلعة اربيل وكان حكمه عادلا وهو مثالا لخيرة الملوك. اثناء عملي في هذا الكتاب الذي خصصته لسيرة حياته والاعمال التي قام بها خدمة لاهالي اربيل والانسانية جميعاً و خصوصاً في مجال كتابة التاريخ الاسلامي ونشر الدين الحنيف والثقافة الاسلامية السمحة، عثرت على اسم رابعة خاتون والتي هي زوجة السلطان مظفرالدين ، عندها ذكرت القول المشهور «وراء كل رجل عظيم امرأة».

كانت رابعة خاتون امرأة عظيمة وهي بنت الشاه نجم

الدين ايوب الشادي والاخت الصغرى للسلطان صلاح الدين الايوبي. ولدت سنة ٥٦٠ هـ / ١١٦٤م في مدينة دمشق وهي اخت زمردخان المعروفة ب (ست الشام).

في عام ٥٨١ هـ قام السلطان صلاح الدين بتزويج رابعة خاتون الى الامير الكبير امير سعدالدين مسعود ابن معين الدين الانر، وكان هو من الشخصيات الكبيرة في ذلك الوقت. بعد وفاة الامير سعدالدين، تعرف السلطان صلاح الدين على السلطان مظفرالدين وتوطدت العلاقات بينهما كون المظفرالدين قائدا شجاعا ومحاربا في جيش صلاح الدين الايوبي فقام السلطان صلاح الدين بتزويج اخته الارملة الى السلطان مظفرالدين.

في عام ٥٨٥ هـ / ١١٨٩م تبدا رابعة خاتون بالعيش مع زوجه السلطان في حب ووفاء وكافة المصادر التاريخية تذكر بان رابعة خاتون كانت متمتعة بحياتها وعلاقاتها مع زوجها وتساfer معه الى اربيل بعد وفاة الامير زين الدين الكوجك علي شقيق السلطان مظفرالدين سنة ٥٨٦ هـ / ١١٩٠م ويبدأ حياتهما في اربيل.

كانت رابعة خاتون شخصية اجتماعية بسيطة ومرحة تحب الخير كما كان زوجها السلطان، الا ان المصادر التاريخية نادرا ما تذكر شيئا عن هذه المرأة واعمالها الخيرية الكثيرة وبالاخص السنوات التي قضتها مع زوجها السلطان في اربيل ومساندته في امور الدولة والسلطنة ومساهماتها في اعمال البر والاحسان، فهي وان كانت قد ولدت في

دمشق الا انها كانت تعشق اربيل والكوردستان.
كان لهما بنتان (صاحبة وعصية) وولد اسمه (سعيد) ولهذا
كان السلطان يكنى بابي سعيد. كان سعيد ابنه البكر ولكنه
وللاسف لم يعيش طويلا ومات مبكرا. لكن الابنتان عاشتا
وتزوجتا في اربيل.

بعد سنوات من وفاة السلطان مظفرالدين يتم تسمية مدرسة
باسم صاحبة وهي مدرسة الصحابية في دمشق.

من خلال البحث والتنقيب عن حياة السلطان مظفرالدين قادني
الطريق الى اثار رابعة خاتون وتبين لي بان رابعة خاتون
كانت لها دور وتأثير كبير في الاعمال الخيرية والفعاليات
الثقافية ومساعدة المرضى والفقراء وذوي الاحتياجات
الخاصة في الامارة. بعد وفاة السلطان مظفرالدين سنة
٦٣٠ هـ / ١٢٣٣م في داره الواقعة اسفل قلعة اربيل في المنطقة
التي كانت معروفة بالربض ، والتي تقع حاليا في محلة
العرب ، لاتود رابعة خاتون البقاء في اربيل وتعود الى
بيت والدها في دمشق المعروف بدار العقيقي. يبدو انه كان
لصلاح الدين اخت اخرى معروفة في دمشق تسمى زمردخان
والتي عرفت في ادبيات سوريا ودمشق بست الشام ،
فهي كاختها رابعة خاتون كانت لها شخصيتها الاجتماعية
والثقافية وكانت تساعد الفقراء واليتامى خصوصا في
دمشق وكانت تشارك في الاعمال الخيرية والتعليمية ونشر
الثقافة الدينية الاسلامية بين الناس. رابعة خاتون كانت هي
التي تشرف بنفسها على جامع المظفرية اذ ان زوجها كان قد

ارسل ثلاثة الاف دينار لبناء جامع في دمشق على غرار جامع اربيل باسم جامع الحنابلة في حي الصالحية فوق جبل القاسيون.

تذكر المصادر التاريخية بان رابعة خاتون كانت تقوم باحياء ذكرى المولد النبوي الشريف مثلما كان زوجها يقوم به وبنفس الطريقة . كانت تشارك رابعة خاتون في الحياة الفكرية لاهالي دمشق وقد حجت بيت الله الحرام وبعد عودتها بداءت بانشاء مدرسة كبيرة على نفقتها الخاصة وباسم ابنتها الكبيرة سنة ٦٢٨ هـ في دمشق على سفح جبل القاسيون والتي تسمى الان بركن الدين قريب من حي الاكراد وكانت تسمى مدرسة صاحبية.

يذكر ابن خلدون في كتابه وفاة رابعة خاتون ويبدو انها كانت تعيش في بيت والدها لحين وفاتها في دمشق. في عام ٦٤٣ هـ الموافق ل ١٢٤٤م وهو عام وفاة رابعة خاتون اخت صلاح الدين الايوبي وزوجة السلطان مظفرالدين الكوكبورو امير اربل ولشدة حبها وولعها بالمدرسة الصاحبية توصي رابعة خاتون بدفن جثمانها داخل حرم هذه المدرسة وعلى جدران الغرفة التي دفن فيها جثمانها وكتبت عبارة (لا اله الا الله) كاشارة لمرقد هذه المرآة العظيمة ولكن بعد ذلك تم تحويل هذه الغرفة الى غرفة تدريس عادية. كان مرقد رابعة خاتون ولمدة طويلة القبر الوحيد الموجود داخل الغرفة ولكن وللأسف الشديد فان ادارة المدرسة في الاونة الاخيرة قد ادخلت العديد من الطلبة الى مزار رابعة خاتون.

ان هذه المعاملة السيئة مع مرقد هذه المرأة العظيمة لهي انتقاص من حرمتها وانتهاك لكرامتها وقد كتبت بعض الصحف عن الاعمال التخريبية وتم تصوير بعض منها حيث جرت محاولات نبش قبرها وسرقة محتوياتها. لهذا السبب اقترح على حكومة اقليم كردستان و الادارة المحلية لمحافظة اربيل والمتنفذين من المسؤولين ان يتم نقل جثمان هذه المرأة العظيمة من دمشق الى اربيل لاعادت دفنها من جديد بقرب مرقد زوجها الواقع داخل المدينة .

الان ومع الاسف قبر رابيعة خاتون ، موجود في دمشق ، داخل احد الصفوف في مدرسة اطفال ، و بدون اية اهتمام. ان الاعمال الخيرية والعمرائية من بناء المساجد والمدارس لاتعد ولاتحصى فهي كثيرة ولم يذكر التاريخ قسما منها لانها لم تدون من قبل المؤرخين في وقتها، فهي بحاجة الى بحث وتنقيب من قبل لجان متخصصة من المؤرخين والاثاريين وبالتعاون مع السلطات المحلية في كل من كردستان وسوريا..

حقيقة مزار ومرقد وقبر السلطان مظفرالدين الكوكبورو في اربيل

هناك الكثير من الكتب والكتابات والروايات الشفوية حول مكان قبر السلطان مظفرالدين ولكن بمجملها غير صحيحة ولا تذكر الحقيقة. قسم من المؤرخين يدعون بان القبر الموجود في شارع المظرية داخل مدينة اربيل يعود الى زين الدين علي الكوجك والد السلطان مظفرالدين. وبعض اخر وبهدف تشويه الحقيقة ولغايات مغرضة يدعون بان القبر اصلا يعود لزين الدين يوسف نياكتين ولكن هذا الادعاء ايضا غير صحيح وبعيد كل البعد عن الواقع والحقيقة.

من المؤكد ان قبر والد السلطان مظفرالدين موجود في اربيل داخل مقبرة القلعة لانه توفى فيها، اما قبر زين الدين يوسف موجود في مدينة الناصرة في فلسطين.

بسبب الحر والقيض الشديد ووجود المشاكل والقتل جنوب العراق لم يكن بالامكان تنفيذ وصية السلطان مظفرالدين بدفنه في الديار المقدسة وبجانب قبر النبي(ص) في حينه، لذلك اعيد جثمانه الى اربيل وان القبر الموجود حاليا مقابل بناية محافظة اربيل عاصمة الاقليم لهو القبر والمثوى الاخير للسلطان والقائد الكبير.

بعد وفاة السلطان مظفرالدين تم اطفاء الانوار في مدينة اربيل وتوشحت سماء اربيل بوشاح الحزن والالم وتلبس اللباس

الاسود حزناً على فقدان هذه الشخصية الكبيرة والمؤثرة. ان السلطان القائد وصاحب اربيل السلطان مظفرالدين كان رجلاً نزيها يخاف ربه. فكان ذو اخلاق عالية يؤدي الفرائض من الصلاة والصوم ودائم الذكر باسم ربه ذو قلب ابيض يساند ويعاون المؤمنين واهل السنة والجماعة في الاسلام. كان يحب العلماء والمنورين في زمانه يحترمهم ويجزل عليهم بسخاء. في زمنه كان هناك العديد من المؤرخين والكتاب والشخصيات المشهورة منهم ابن المستوفي وابن خلكان اذ كانوا مستشارين للسلطان واحيانا مشاركين في السلطة يعاونان الامير في اموره السلطوية.

كان السلطان مساعدا لكثير من هؤلاء الكتبة والمؤرخين فهو كان محبا ومتذوقا للقراءة والعلوم والشعر والتاريخ وبسببه فقد تطورت وتقدمت العلوم الشرعية والفقه فاصبحت القلعة في زمنه ملاذا ومركزا للعلماء والمفكرين يأتون اليها من شتى بقاع العالم الاسلامي متمتعين فيها بالحرية والرخاء وينهلون من مدارسها ومراكزها العلمية الشيء الكثير من العلوم والثقافات في شتى نواحي الحياة.

مثال:

ابا زهير الاربيلي، زابن ابن سنجر، الحاجر الاربيلي، علي ابن عيسى ابن فخر الاربيلي، ابن صلاح الشهرزوري، ابو الهيجاء السمين الامير حسام الدين، الحسن ابن محمد ابن احمد، نجاد الاربيلي، عيسى ابن سنجر الاربيلي، ابن المستوفي، ابن خلكان، ابن الدحية الكبي- الاندلسي .

دحية الكلبى كان كاتباً و صديقاً للرسول الاعظم و كان كاتباً
لرسائل الرسول (ص)

فلما سمع ابن الدحية الكلبى بامر و شهرة السلطان مظفرالدين
اتى الى اماره اربل و نزل ضيفاً عزيزاً على سراى السلطان
في القلعة اربيل .

وبقى باربيل سنة كاملة وكتب عن اربيل و السلطان مظفرالدين
كتاباً تاريخياً مشهوراً (كتاب التنوير في المولد السراج
المنير)

الكتاب ديوان شعر ونثر و مدح لاربيل و السلطان مظفرالدين و
كتاب شعر و مدح للرسول الاعظم .النسخ موجودة في المكتبة
الوطنية الفرنسية في باريس و ايضا في المملكة المغربية و
مكتبة احمدى في دمشق .

فقرأ الكتاب شخصياً في القلعة اربيل على السلطان
مظفرالدين ، فكرمه السلطان بألف دينار تكريماً له .

كان السلطان مظفرالدين الكوكبورو قائداً عظيماً وسلطاناً
للمنطقة. ان اعماله ومشاريعه الخيرية لم تكن تشمل اربيل
وامارته فقط وانما امتدت الى معظم نواحي الخلافة العباسية
حيث كان له دور مشرف في نشر الدين الاسلامي واحتفال
بالمولد النبوي الشريف ومساعدة المحتاجين ومحاولة تطوير
وتقديم الجوانب المعرفية بين الملل والاقوام في الخلافة ، فقد
وصلت مساعداته الى الحجاز والشام و خوراسان واماكن
اخرى داخل حدود الخلافة الاسلامية.

كان ابن المستوفي وزيراً ومستشاراً كبيراً في ديوان السلطنة

لدى السلطان مظفرالدين وكان داره في قلعة اربيل. هناك رواية عن محاولة اغتياله من قبل رجل ويصيبه بجروح ، فيستنجد ابن المستوفي بالسلطان من خلال هذه الابيات الشعرية:

يا ايها الملك الذي سطوته
من فعلها يتعجب المريخ
ايات جودك محكم تنزيلها
لانسوخ فيها ولا منسوخ
اشكو اليك وما بليت بمثلها
شنعاء ذكر حديثها تاريخ
هي ليلة ولدت فيها وشاهدي
فيما ادعيت القمط والتمرخ

كان ابن المستوفي الوزير والكاتب والمؤرخ للسلطان مظفرالدين وفي الوقت نفسه كان مشغولا بكتابة مذكرات وتسجيل اسماء كافة الشخصيات التي كانت تتردد على اربيل وله كتاب باسم (تاريخ اربل) ورد فيه هذه المذكرات بشكل مفصل وهي عبارة عن مذكرات سياسية ثقافية جرت احداثها في ديوان الامارة وفي قلعة اربيل.

ان لكتاب تاريخ اربل (نباهة البلد الخامل بما ورد في الاماثل) اهمية تاريخية و سياسية كبيرة، كتبت على اربعة اجزاء ولكن مع الاسف لم نجد سوى جزئين فقط، فلكتاب يعتر السجل و الذاكرة السياسية لامارة اربل ، بل المذكرات السياسية- لسلطام مظفرالدين الكوك بورو .

سمات و خصائص الادارة السياسية والحكم في سلطنة اربل في عهد السلطان مظفرالدين الكوك- بورو

كان السلطان مظفرالدين قائدا قويا ذو بأس وجلد في جيش صلاح الدين الايوبي ولهذا السبب سمي صلاح الدين السلطان مظفرالدين بالملك المعظم عندما ولاه امارة اربل. كان في ذلك الزمان القاب خاصة بالايوبيين للقادة تشبها بالاوروبيين. كان السلطان مظفرالدين محاربا وقائدا مقداما وشديد البأس في المعارك فلم يخسر معركة واحدة في حياته. بمشاركته الشجاعة في معركة حطين الكبيرة جلب نظر صلاح الدين اليه فقربه وجعله من قواده المقربين .

كانت المسكوكات تسك باسم السلطان مظفرالدين وفي خط الجوامع يذكر اسمه كما يتبين من مراسلات ذلك الوقت. كان الملوك والشخصيات البارزة يزورون اربيل كما ورد في مذكرات ابن المستوفي. وكما يذكر المؤرخ ابن خلكان وهو كان يعمل في ديوان السلطان مظفرالدين كسياسي ومثقف. كما كتب ابن المستوفي مذكراته في كتاب باسم (تاريخ اربل - نباهة البلد الخامل بما ورد في الاماثل) وكان يقصد بذلك ان البلد عبارة عن حديقة زهور بالنسبة للذين ياتون اليها ويتمتعون بجمالها ومناظرها الخلابة.

يعتبر هذا الكتاب تاريخا لاربيل ونعتقد بانه عبارة عن مذكرات سياسية ثقافية اجتماعية للسلطان مظفرالدين ولامارة اربل.

كان السلطان يمد يد العون ليس الى المثقفين والكتاب والعلماء وانما يشمل برعايته كافة اطياف الشعب من الفقراء والمحتاجين والكسبة وذوي العاهات واليتامى وابن السبيل وكان يرسل امدادات خاصة الى مناطق بعيدة عن امارته عندما يتناها الى سمعه وجود محتاجين فيه. هذا اضافة الى شراءه للاسرى المسلمين الذين يقعون في قبضة الصليبيين وكان يخصص مبالغ طائلة لهذا الغرض سنويا ومن ماله وممتلكاته الشخصية وكان يستضيف عابري السبيل والضيوف والتجار ويطعمهم ويزودهم بذخيرة الطريق عندما يغادرون المدينة.

بنى السلطان مدرستين صوفيتين لتدريس وتدريب الفقهاء والطلبة فيها، وبذلك اصبحت امارة اربيل ومدينة اربيل بالذات في ذلك الوقت مركزا مرموقا لتدريس العلوم الاسلامية فكان الطلبة يفدون اليها لينهلون من علومها وتتلذذ على يد اساتذتها العلماء الافذاذ الذين ذاع صيتهم في اركان الخلافة الاسلامية قاطبة.

كان السلطان يساند وبكل قوته السياسية والعسكرية والمالية الدولة الايوبية بقيادة السلطان صلاح الدين الايوبي الذي يكن له كل التقدير والاحترام. كان للسلطان وزراء ومستشارين اكفاء ارسى بواسطتهم اركان ودعائم الدولة المتينة في امارة اربيل وسهل شهرزور فاصبحت في زمنه القلعة والمدينة مركزا ومنارة للعلم والمتعلمين. فقد نظم الدرجات الادارية في الدولة منها: الامير والوزير والحاجب

وكاتب العرائض والمستندات الرسمية والمشرف والاداري والمسؤول عن الخزينة وبيت المال والمحكمة والديوان والاستيفاء ورئيس الديوان... فكانت التقسيمات الادارية في دولة السلطان مرتبة ومنظمة بشكل يدل على مدى سعة اطلاعه على امور الدولة والادارة.

لاول مرة في زمن السلطان مظفرالدين تم ارساء اساس المؤسسات الحكومية والمجتمع المدني، مثال:

- ١- ديوان الخراج الشبيه بدائرة الضرائب على العقار والممتلكات في وقتنا الراهن.
- ٢- ديوان البريد.
- ٣- ديوان المظالم.
- ٤- ديوان المراسلات (الرسائل الرسمية والمراسلات بين الملوك والامراء).
- ٥- ديوان النفقات.
- ٦- ديوان الختم.
- ٧- ديوان التخطيط والترسيم.
- ٨- ديوان الصدقات والهبات والخيرات.
- ٩- ديوان الازمات.

من هذا يتبين لنا بكل وضوح بان السلطان كان رجل دولة بحق. وكان له جهاز مخابرات متماسك وتنظيم عسكري ذات ضبط وربط محكم، واماكن للاحتجاز والسجن لمن يخالفون

الاورامر ويتحدون القانون والتعليمات في الامارة.
كما يذكر ابن المستوفي كان في القلعة سجن ومكان احتجاز
يسمى (سجن الحلبي) وكان تحت الارض وفي مغارة. كان هذا
اول سجن في اربيل ثم تم انشاء سجن (هاوديان).
في سلطنة اربيل وفي زمن السلطان مظفرالدين كان هناك
المحاكم واماكن للاحتجاز والسجون الرسمية في قلعة اربيل
واماكن خاصة للمحاكمة ومحاسبة المتهمين وكان المحكومون
يرسلون الى قلعة هافديان المسمى حاليا بهاوديان ولازال اثار
هذه القلعة باقية في كوردستان.

كان للسلطان وزيرين ومستشارين كفوآن هما (المخلص
والبرقش). يبدو ان واحدا منهما كان مسلما والاخر مسيحيا
وكان الاثنان قد تعهدا بالدفاع عن القلعة حتى اخر قطرة دم.
من خلال هذا البحث والتنقيب يتبين لنا بان للسلطان مظفرالدين
الحكم الرشيد والدولة القوية قبل مجيء العثمانيين وكان
لها تجربة ثرية في الحكم. ان شخصية مظفرالدين وتجربة
حكمه تتطلب منا نحن الكتاب والباحثين والمؤرخين ان نستمر
بالبحث والتنقيب اكثر فاكثر لاماطة اللثام عن ما خفي ولم
يكتشف بعد. امل من المؤرخين الاخرين ان ياتون الى هذا
الميدان ويشمرون عن سواعدهم فهناك الكثير لم يتم الكتابة
عنه حول هذه الشخصية وهذا التاريخ والمفاخر العظيمة
التي سيتذكرها الاجيال الى الابد.

كانت الادارة السياسية و السراى السلطان مظفر و دار الحكم و
جميع الدور و البنائيات المؤسسات السلطنة اربيل موجون في

السلطان مظفرالدين كوكبورو- امير اربل مظفرنامه

محلة السراى- في قلعة اربيل ، ولهذا حتى السبعينات من القرن الحالى كانت جميع الدوائر الدولة كانت موجودة في السراى- القلعة ، هذا دليل بان كانت لامارة اربل ، مؤسسات سياسية - ادارية مرتبة و مرسخة في هذا المقام التاريخى العريق .



السلطان مظفرالدين زين الدين علي الكوجك رحلة رجل دولة عظيم

حكم السلطان مظفر الدين زين الدين علي الكوجك (مظفر الدين كوكبورو)، أمير قلعة أربيل، وحاكمها، وقائد إمارتها لمدة ٤٥ عاماً. وكان حاكماً عادلاً، ورشيداً، ونزيهاً. وتعتبر فترة حكمه على إمارة أربيل من أروع حقبها التاريخية، التي سوف تكتب صفحاتها بمداد الذهب. وكان، من قبل، أميراً لمدينة (حران)، بعد الاستيلاء عليها في زمن السلطان صلاح الدين الأيوبي. وبعد وفاة أخيه في أربيل، أصبح أميراً وسلطاناً في أربيل وسهل شهرزور. بعد مضي ٨٦٦ عاماً على ولادته، وانتهاء حكمه على هذه الإمارة العريقة، اكتشفنا معلومات جديدة، ووثائق قيمة، ومتنوعة، عن مكان ولادته، وحياته، وممتلكاته، وحتى وفاته. ويرقد الآن جثمانه الطاهر داخل أراضي مدينة أربيل، حيث أصبح مرقد مزاراً للزوار. نذكر هنا بعضاً من الأعمال الخيرية، والمشاريع الكبيرة، التي أقامها السلطان إبان حكمه لإمارة أربيل وسهل شهرزور. من خلال البحث والتقصي، وجدنا وثائق تاريخية مهمة حول مشروع سحب مياه الشرب، وإنشاء خزان ماء كبير لتوفير المياه الصالحة للشرب في الديار المقدسة، وعلى (جبل عرفة) في مكة المكرمة، خدمة لزوار العتبات المقدسة، والحجاج الكرام. ولادة إمارة ولد السلطان مظفر الدين الكوكبورو

(الذئب الأزرق) سنة ١١٥٤م في قلعة الموصل، داخل قصر واسع (سراي)، كان يسمى (آق - سراي)، أي القصر الأبيض، وتغير الاسم إلى (قرة - سراي)، أي القصر الأسود، وذلك بعد أن تم الاستيلاء عليه، وحرقه من قبل المغول، عند دخولهم العراق. فكانت السراي عبارة عن حيّ كبير، طويل، يضمّ عدداً كبيراً من البيوت الواسعة، يقطنها السلطان، والأمراء، وكانت تسمى دار الحكم - دار الدولة. أمضى السلطان مظفر الدين معظم سني طفولته في هذه البيوت في الموصل، ثم انتقل مع عائلته من الموصل إلى قلعة أربيل، مع (بدر الدين لؤلؤ)، صاحب الموصل، وذلك بعد أن تفاقمت الأوضاع، وكثرت المشاكل، وهاجم المغول مدينة الموصل، واستولوا عليها، وحرّقوا مبانيها، فأصبحت خراباً. في الوقت الحاضر، تقع بقايا القصر على ضفاف نهر دجلة، بينما كان في حينها بعيداً عن النهر، ولكن - وللأسف الشديد - ما تبقى منه عبارة عن جزء صغير، وهو أيضاً معرض للسقوط والانهيار التام في أي لحظة. كان السلطان مظفر الدين متزوجاً من رابعة خاتون، أخت السلطان صلاح الدين الأيوبي، وكان له بنتان (صاحبة، وعاصية). غروب شمس إمارة أربل، وموت السلطان مظفر الدين الكوكبورو: ولد السلطان مظفر الدين الكوكبور في آق - سراي (قرة سراي)، بمدينة الموصل (كما ذكرنا أعلاه)، وتوفي في مدينة أربيل سنة ١٢٣٣م، في المنطقة التي كانت تسمى بـ(الربض)، والتي تقع اليوم داخل عاصمة إقليم كردستان العراق، في (محلة العرب)، القديمة،

وتبعد عن جامع المظفرية حوالي ١٠ دقائق مشياً على الأقدام، وكان يسمى في ذلك الزمن الجامع الأكبر - المسجد العتيق. هذا الجامع الذي تأكدنا، من خلال البحوث والتنقيبات التي قمنا بها، واستناداً إلى كتابات الدكتور محسن محمد حسين الحمرا، عضو أكاديمية كوردستان، والمتخصص في التاريخ والآثار الإسلامية، بأن السلطان مظفر الدين كان يصلي صلاة الجمعة في هذا الجامع القريب من مسكنه، بينما في الأيام الأخرى الاعتيادية كان يؤدي صلاته في (جامع القلعة)، حيث كانت الصلاة تقام يومياً هناك، لكن المسجد الجامع كان مخصصاً فقط لخطبة الجمعة، والأعياد، والمناسبات الدينية. ولا زالت منارة هذا الجامع باقية في مدينة أربيل، وهي تشهد لعظمة هذا الأمير القائد. توفي السلطان مظفر الدين بعد ٤٥ عاماً من حكم وقيادة الإمارة، ودفن في قلعة أربيل أولاً، ثم تم نقل جثمانه إلى مرقدته الحالي، الواقع أسفل القلعة، حيث أصبح مكان دفنه، اليوم، مزاراً لأهالي أربيل، خاصة يوم الأربعاء (يوم وفاة السلطان)، حيث يزورونه، ويقدرونه كرجل دين ودولة. يقع مرقدته الحالي قرب بناية محافظة أربيل، في بداية شارع (سلطان مظفر الدين الكوكبورو)، أو شارع المظفرية، المسمى باسمه، تعظيماً له، وتثميناً لدوره الكبير في حفظ وبقاء وتطوير المدينة. وهذا يؤكد، ولا يقبل أدنى شكّ بأنّ جثمانه يرقد داخل هذا المرقد، وليس في مكان آخر. وحسب تحقيقاتنا، ومراجعة المصادر التاريخية الخاصة بأعمال هذا الرجل، تبين لنا بأنه عندما

رأى النبي المصطفى (ص) في منامه، زاد حبه له، وولعه به، فوصى بأن يدفن - بعد موته - بجوار حبيبه الرسول الكريم، ولكنّ كون فترة وفاته صادفت شهر رمضان، يوم ١٤ من شهر رمضان (يوم الأربعاء)، وكان فصلاً قائض الحرّ، شديداً، في جنوب العراق والحجاز، علاوة على وجود فتن ومناوشات وقتال ومشاكل أخرى كثيرة في الجنوب، يصعب المرور بها، والوصول إلى (الحجاز) بسلام، فتقرر التخلي عن تنفيذ الوصية، ووري الثرى في أربيل، عاصمة إقليم كردستان الحالية. وتؤكد المصادر التاريخية بأن والده، والد السلطان المعظم مظفر الدين، دفن في أربيل أيضاً، وفي مقبرة القلعة تحديداً، وأن المرقد والمزار الموجود أسفل القلعة هو للسلطان مظفر الدين نفسه، وليس لغيره. الأعمال الخيرية والاجتماعية للسلطان مظفر الدين الكوكبورو : كما كان السلطان قد عاهد الله، وحدّث المقرّبين له، من قبل، بما سوف يقوم به إن أصبح صاحباً وأميراً للإمارة، فقد نفذ وعده، وقام بتنفيذ برامجه الخيرية، والاجتماعية، بدقة، بعد أن تولى إمارة أربيل.. وأدت هذه الأعمال إلى تغيير جذري في طبيعة مجتمع وسكان أربيل، وسهل شهرزور، حيث كانت تحت إمرته. يعتبر السلطان مظفر الدين (أبو سعيد مظفر الدين التركماني، كما يسميه ابن خلكان، المؤرخ الذي عاصر حكمه)، أول من اقترح وأقام الاحتفال بالمولد النبوي الشريف في أرجاء الدولة الإسلامية، وأول من جلب إلى إمارته الموسيقى والمنشدين الدينيين، حيث كانت الموسيقى تعتبر

محرمہ قبل ذلك. كان للاحتفال بالمولد النبوي سنوياً، صدى كبيراً بين السكان، والمناطق المجاورة للإمارة، حيث كانت الاحتفالات تستمر لمدة ثلاثة أشهر كل سنة، وبإشراف مباشر ومباركة السلطان نفسه، تتخللها الاستعراضات العسكرية، والمسيرات الحاشدة، والتجمعات الدينية، وإقامة مجالس الذكر والتسبيح، ومباراة قراءة الشعر، وكان الضيوف يتوافدون على المدينة من كل حدب وصوب، طمعاً فيما يبذله السلطان، بسخاء، من المال والملبس والمطعم، لكل زائر وعابر سبيل.. فكان الصوفي والدرويش والفقير وقارئ المقام، يقوم بإحياء مجالس للتغني بصفات وفضائل النبي، والترحم على الصحابة، والخلفاء، وبمصاحبة الموسيقى الهادئة، من فرق آتية من البلاد المجاورة، واستعمال الدف، والقيام بحركات تنم عن نوق رفيع يليق بهذه المناسبة المباركة.. كتابة ونشر أول (مولود نامة) باللغة التركمانية: كان السلطان محباً للثقافة، وشغوفاً بالتاريخ، ومتذوقاً للأدب والشعر، وملماً باللغة العربية، فكان يبذل بسخاء لمن يمدح النبي، ويتغنى به بقصائد، فكان السلطان نفسه هو أول من شجع على تأليف المنقبة النبوية باللغة التركمانية (مولودنامة)، والتي كانت عبارة عن قصائده طويلة تتغنى بالنبي الكريم، وتذكر سيرته العطرة؛ من ولادته، وحتى وفاته، وأمر بطبع هذه المناقب بأعداد كبيرة، ونشرها بين الناس. ولا زالت بعض هذه المناقب موجودة، وتقام سنوياً احتفالات وتقرأ هذه المناقب في المدن الكبيرة، كأربيل، وكركوك، وطوز،

وتلعفر، وغيرها. مشروع بناء مدرسة، وسحب ماء الشرب إلى جبل عرفة، وبناء خزان ماء للحجاج على جبل عرفة : زار السلطان مظفر الدين الديار المقدسة مراراً، وحج بيت الله عدة مرات، ويبدو أنه انتبه إلى وجود مشكلة الحصول على الماء الصالح للشرب، من قبل الحجاج، وأهالي مكة، وبالأخص في مواسم الحج، وذلك لشحة المياه في الحجاز، فأمر بإنشاء مشروع ضخ لسحب المياه الصالحة للشرب إلى مكة، وإلى جبل عرفة، عبر باب (بازان)، وإقامة خزان كبير لحفظ هذه المياه، وذلك خدمة لزوار البيت الحرام. فجلب الخبراء والمهندسين والعمال معه إلى الديار المقدسة، وقام بتنفيذ المشروع على حسابه الخاص. وكان يرسل سنوياً المال اللازم لإدامة وصيانة المشروع. ولا زالت آثار المشروع باقية في السعودية، وهذا ما يؤكد الخبير بالآثار الدينية الإسلامية: الكاتب السعودي الدكتور ناصر الحارثي . إضافة إلى مشروع الماء، فقد بنى السلطان في مكة، مدرسة وجامعاً، وشواهدهما باقية إلى اليوم. وكمثال هناك كتابة نقشت على الحجر يقع على باب (بازان)، قرب جامع مكة، تم اكتشافه من قبل الدكتور ناصر الحارثي. وكانت للسلطان مظفر خدمات جليلة لمدينة أربيل، حيث أصبحت قبلة العلماء والفقهاء في عهده.. عمر البلاد، وأشاع الأمن والاستقرار، فكان الناس في زمنه يتمتعون بنعيم العيش.. وكان في نفس الوقت شديد الهيبة، عظيم السياسة، يحمي الضعفاء، ويخافه الأقوياء. وعلى الجيل الحالي أن يتذكره، ويفتخر به، ويقتدي

بهذا القائد الفذّ، في إدارة الدولة، وخدمة الشعب. وقد أقام السلطان مظفر الدين الكوكبورو مقوّمات إمارة قويّة، وأسس دولة، بمعنى الكلمة، وله أعمال جليلة، وامتاز بحسن إدارة أمور قلعة أربل وسهل شهرزور. وسوف نقوم، إن شاء الله، بالمزيد من البحث والتمحيص والتحقيق، لكشف ما يخفيه غبار الزمان من معالم حضارية وأعمال عظيمة، قامت على يد هذا السلطان العظيم، خدمة لأمتنا ومدينتنا العظيمة.



اكتشاف قصر النار (اتش قلعي) دار الحكم للسلطان مظفرالدين الكوكبري في حران..

حكم السلطان مظفر الدين زين الدين علي الكوجك (مظفر الدين كوكبورو)، أمير قلعة أربيل وحاكمها، وقائد إمارتها لمدة ٤٥ عاماً. وكان حاكماً عادلاً، ورشيداً، ونزيهاً. وتعتبر فترة حكمه على إمارة أربيل من أروع حقبها التاريخية، التي سوف تكتب صفحاتها بمداد الذهب.

وكان، من قبل، أميراً لمدينة (حران)، بعد الاستيلاء عليها في زمن السلطان صلاح الدين الأيوبي. وبعد وفاة أخيه في أربيل، أصبح أميراً وسلطاناً في أربل وسهل شهرزور.

بعد مضي ٨٦٦ عاماً على ولادته، وانتهاء حكمه على هذه الإمارة العريقة، اكتشفنا معلومات جديدة، ووثائق قيمة، ومتنوعة، عن مكان ولادته، وحياته، وممتلكاته، وحتى وفاته. ويرقد الآن جثمانه الطاهر داخل أراضي مدينة أربيل، حيث أصبح مرقده مزاراً للزوار.

حكم السلطان مظفرالدين اربيل مرتين، و لكن قبل ذلك كان اميرا في حران- في المنطقة الواقعة الان في جمهورية التركية قريبة من مدينة اورفة- الاثرية .

كان قلب مظفرالدين معلقا في السراي - قلعة اربيل و لكن الظروف العائلية و الشخصية اجبرت مظفرالدين للذهاب الى حران .

و ضمن العمل و البحث المستمر في اربيل، و ضمن نشاطات

انتشارات و حفظ اثار السلطان مظفرالدين كوك بورو بحثنا في تاريخ و التحقيقات الاثرية اثناء و مرحلة حكمه في حران. حيث تتواصل الإكتشافات الأثرية في مدينة "حران" في تركيا بمدينة شانلي أورفة جنوب تركيا ، أقدم المناطق المأهولة بالسكان حول العالم منذ الألفية السادسة قبل الميلاد دون انقطاع حتى يومنا الحالي ، حيث كانت إحدى المراكز الهامة للأشوريين والأمويين، و المنطقة حكم من قبل سلطان مظفرالدين كوك بورو .

وتستمر التنقيبات من قبل المورخين و الرحالة في هذه المنطقة الأثرية التي تحتضن بقايا أول جامعة إسلامية، ومرصداً فلكياً أثرياً، إضافة إلى المسجد الكبير من العهد الأموي، وغيرها من المعالم التاريخية الهامة. عثر مجموعة من علماء الآثار و المختصين في ٢٣-١٢-٢٠١٧ في تركيا، بلعمل واكتشاف القصر المشهور - اتش قلعسي- قصر النار- عثر خبراء أتراك في قضاء "حران"، عل بقايا قصر الرئاسي للسلطان

مظفرالدين زين الدين علي كجك- المعروف ب- السلطان مظفرالدين كوك بورو، قصر النار- و التي تسمى بلغة التركية- اتش قلعسي- كانت السراي او دار الحكم للسلطان مظفر في العهد الذي كان السلطان حاكما و اميرا غي حران- عثروا الخبراء على على حمام بني في القرن ال ١٢ الميلادي، ويعتقد أن عائلة السلطان مظفرالدين الكوك بورو و السلطان صلاح الدين الأيوبي استخدموا في ذلك الوقت

وفي إطار أعمال البحث المتواصلة عن الآثار، عثر الخبراء والعلماء الأتراک على دار الحكم- اتش قلعي- قصر النار- و حمام نبي قباب، بني في عهد الأيوبيين قبل نحو ٩٠٠ عام. وصرح احد المورخين للصحافة التركية وهو الدكتور محمد أونال، الأكاديمي التركي المسؤول عن أعمال الحفر في "حران"، بان إن المنطقة غنية بالآثار التاريخية، مشيراً إلى أن أعمال الحفر كشفت عن حمام بثلاث قباب في الطابق الثاني من قصر "حران إتش قلعة-".

وأضاف رئيس فريق البحث أن القصر اتش قلعة- و الحمام يعود إلى عهد إمارة الزنكي والأيوبيين، في القرنين الـ ١٢ والـ ١٣ للميلاد، عندما كان السلطان مظفرالدين اميرا في حران قبل ان يكون سلطانا في قلعه اربل .

وأوضح أن بهاء الدين ابن شدّاد، العالم والقاضي والمؤرخ الذي عاصر صلاح الدين الأيوبي، تحدث عن وجود ١٤ حماما في حرّان و أن اثنين من الحمامات اكتشفت خلال أعمال الحفر في المنطقة على فترات متفاوتة

وأشار إلى أن الحقبة التي يعود إليها الحمام تتزامن مع وجود الأمير مظفرالدين الكوكبورى، والسلطان صلاح الدين الأيوبي في حرّان، ورجح لذلك أن يكون كل من الأمير والسلطان قد استحمّ في الحمام.

يذكر بان عدى قصر السراي اتش -قلعة (دار الحكم) اكتشف علماء آثار أتراک خلال أعمال الحفر في مدينة "حرّان" الأثرية، "متجر مسك" وكمية من أواني العطور المزينة، يعتقد أن

تاريخها يعود إلى ما قبل ألف عام..
ان للسلطان مظفرالدين الكوك بورو تاريخا مشرفا و نزيها
وعلى الاجيال الحالية و المستقبلية التفاخر به و بحكمه العادل
و علينا نحن، الكتاب و المورخين البحث و التحقيق و التنقيب
عن المخطوطات و المصادر المعلومات و الكتب التاريخية حول
اشار و شخصية هذا الرجل العظيم...



ئەو سەرايەى كە لە شارى حران سەرا و خانووى سولتان موزەفەر بوو، ناوى
(ئەتەش قەلەه بوو- حران اتش قلعهسى) بە هەمان شىوێه ناویكى كۆنە، لە
سەرچاوه عوسمانییهكان باس كراوه .

ئەو سەرايە دەبیته ناویكى هەبووبیته، كاتیك سولتان موزەفەر امیری حران بوو،
لەبەر ئەوه، ئیتمە ناوى ئەو سەرايە بە دروست دەزانیین

بسمه تعالى ... شكر وتقدير واحترام ..

ان تاريخ و اسطورة امارة اربل و السلطان مظفرالدين الكوك بورو- تاريخ اربيلين جميعا ، ولهذا محاولاتي كانت ولاتزال جمع و اعداد وكتابة التاريخ الشفهي الموجود في المجتمع الاربيلي حول هذه الشخصية العظيمة .

عندما ولدت لدي فكرة اعداد وكتابة هذا الكتاب وبسبب اهمية الموضوع وقناعتي التامة بانني سوف اكتب عن شخصية كاريزمية ، فتيقنت بان الكتابة عن امير اربل والبحث عن تاريخ مملكة اربيل وهذا السفر الحافل بالمفاخر والاحداث الجسام لمدينة عريقة كمدينة اربيل ، لهو عمل صعب ومهمة ترقى الى مستوى المستحيل ولايستطيع شخص لوحده القيام به واعطاه حقه ، لهذا السبب وذاك ارتايت ان يكون هناك لجنة من الخبراء واصحاب الفكر والمؤلفين المتمرسين للاستفادة من تجربتهم. فقد استفتت واطلعت على معلومات ومعارف قيمة من الذين سوف اشكرهم واقدر مساعدتهم ومعاونتهم لي في هذا العمل الميداني التاريخي لمدينتي التي افتخر بها وبتاريخها المشرف ومن هؤلاء اذكر:

السيد صنعان احمد اغا القصاب الذي استقبلني في بيته وفتح لي خزانة كتبه وقد استفتت كثيرا ونقلت منها ما

امكنني الاطلاع عليها من مصادر تاريخية قيمة.
كذلك شكري وتقديري للسيد مازن بلال عزيز القصاب
لمساندته ومعاونته الدائمة لي دون كلل.
السيد الدكتور محسن حمرا المؤرخ الكبير والاستاذ الجامعي
القدير وعضو الاكاديمية الكردستانية وله الكثير من المؤلفات
التي اعتبرها مصادر موثوقة وقيمة استخدمتها لكتابة بحثي
هذا، فله كل الشكر والامتنان.
اثناء بحثي و كتابتي لتاريخ اربل و امارة وسلطنة السلطان
مظفرالدين كنت ازور اكااديمية الكوردية لغرض المناقشة
المسائل و المواضيع مع المؤرخ الكبير الدكتور محسن حمرا
و سيبقى له الفضل والاحترام لمساعدته لي في استمرار
بحثي و كتابتي للكتاب.
وتشرفت كثيرا بانه رسم بيده و لأول مرة خريطة امارة
اربل و سلطنة السلطان مظفرالدين الكوك- بورو و امارة
اربل و الحدود و المناطق التي تحت حكم الامارة .
شكري و احتراماتي و تقديري العالي الى اخي العزيز
الدكتور فيصل عارب بلباس ، الكاتب و الصحفي و الشخصية
المحبوبة في اربيل ، لمساعدته طول فترة اعداد هذا الكتاب
بلغتين الكوردية و العربية ومنذ سنتين .
ما عدا هؤلاء الافاضل فقد اعتمدت على الروايات لاشخاص
وخبراء معروفين في اربيل ، اذ ان تاريخ اربيل القديم والحديث
كثير منه شفاهية ومروية على لسان الاهالي والساكنين
القدامى ومعظمها غير مدونة حتى الان.

الدكتور اوميد ابراهيم الجوزلي المختص والخبير في التاريخ والذي ساعدني في كتابة السيرة الذاتية للسلطان. فله الف شكر. لقد الف الدكتور اوميد الجوزلي كتابا عن تاريخ اربيل باسم (تاريخ الترك والترکمان في اربل) وقد نشر من قبل مؤسسة التفسير.

الاستاذ عبدالهادي سليمان القصاب له الكثير من الكتابات والصور النادرة الغير منشورة.

السيد عثمان رشاد افندي المفتي اسعفني بالكتابات عن السلطان وامارته ومدينة اربيل وزودني بالمصادر التاريخية المتوفرة في مكتبته فله الشكر.

شكر خاص الى الشيخ فواد شيخ محمد الشريف ، صاحب التكية القادرية- الكيلانية في اربيل .

شكري وتقديري الخاص للاستاذ والمحامي يونس الحداد الذي اهداني نسختين من المنقبة النبوية القديمة والمؤلفة باللغة التركمانية.

شكري وتقديري للاح المحترم والصديق العزيز ضياء العوزيري في مؤسسة وكالة الانباء التركمانية وصحيفة (التبا) في اربيل لمساعدته وملاحظاته القيمة حول الكتاب والكتابة عن اربيل.

الاستاذ الملا شيرزاد شيخ محمد ، الامام والخطيب والكاتب التركماني البارز في اربيل والذي كتب عددا من الكتب والمقالات حول قلعة اربيل.

وللتاريخ ادون ، بان الاستاذ شيرزاد شيخ محمد دون و كتب و

بحث كثيرا حول تاريخ اربيل و الامور السياسية و التاريخية و الدينية و المعرفية ، حول الطبيعة السكانية القديمة ، و حسب تصورى بان استاذ شيرزاد شيخ محمد من الكتاب و المورخين الاوائل الذين كتبوا حول الاصاله التركمانية لمدينة اربل و قلعتها الشامخة . و له العديد من الكتب المنشورة و غير المنشورة ، و اتمنى ان وزارة الثقافة حكومة اقليم كردستان ، يساعده لطبع هذه الكتب القيمة الغير مطبوعة مع الاسف .

شكري الخاص الى الكاتب والصحفي السيد ناظم الصائغ . والكاتب و الصحفي الكردي عبدالرحمن معروف

الاخ العزيز زياد حيدر صديق الطفولة وهو مهندس ورسام حيث اخذ على عاتقه مهمة كتابة عنوان الكتاب و قدم لي صورة نادرة . و ايضا شكري للخطاط عبدالرحمن رمضان اسماعيل في اربيل لكتابته لعنوان كتابي العربية .

السيد كاوة فارس القلاتي- عاونني كثير ووفر لي مصادر واوراق قيمة .

الاخ سالار الاربيلي الشخصية السياسية والكاتب و المثقف التركماني .

الشخصية الاربيلية المحترمة و المحبوبة السيد اعظم عبدالكريم الافندي .

لا انسى ان اشكر الاخ برهان اليارالي الشاعر و المثقف التركماني الذي ساعدني كثيرا و كذلك السيد دلاور البازركان الذي احضر لي عددا من الوثائق القديمة من ارشيفه .

الاخ صلاح نورالدين البياتي الاربيلي المعروف بصلاح نورالدين الكاكو - صلاح نورالدين البياتي- والذي كان معي في المناقشات حول دقائق الامور التاريخية لحين اتمام هذا العمل.

اشكر الاخ والصديق حسام حسرت الشاعر التركماني الاربيلي والذي ترجم اشعار رشاد افندي الخاص بالكتاب الى اللغة التركمانية حيث اخذ قصة رؤيا السلطان مظفرالدين من المنقبة النبوية.

اخي العزيز الاستاذ الملا فؤاد نادر محمد البنا الاربيلي، الشخصية الدينية في مدينة اربيل والذي اعتمدت عليه كثيرا كمصدر تاريخي. المرحوم ملا فؤاد البنا توفي في شتاء ٢٠٢٠ مع الاسف لم يرى النسخة العربية للمظفرنامه يرحمه الله ويسكنه جناته.

اشكر الفنان الكوردي الاخ ياسين حسن في المانيا الذي رسم صورة خاصة للسلطان مظفرالدين والتي نشرتها في هذا الكتاب. السيد ياسين اصله من كركوك ويعيش حاليا في المانيا وعاش لسنوات في مدينة اربيل ولوحة كتاب السلطان مظفرالدين قد رسم برشيته وحجمها البالغ ٣٢ - ٥٠ ومحفوظ لدى المؤلف.

ويجب ان اشكر الكاتب والمتقف الاربيلي الاخ جمال الكردسوري الذي قراء المسودة وصحح الاخطاء اللغوية.

شكري الجزيل للسيد والاخ القدير شاخوان جعفر خوشناو في مطبعة الثقافة التابعة لوزارة الثقافة في حكومة اقليم

كوردستان الذي قام بتصميم الغلاف للكتب الكوردية و العربية.

شكري وتقديرى و امتناني العالي الى كل من الكاتبة و المورخة اشواق كاظم محمد و الاخ الفاضل صهيب نعمة لطيف، من مدينة بغداد لمساعدتهم لى لاكمال الكتاب و التصحيح اللغوي..

الشكر والتقدير للكاتبة تاڤڤه عباس البستاني والمؤرخ الكوردي المعروف محمد عبدالله كاكه سور.

شكري وتقديرى الكثير لالاخ العزيز فيصل نورالدين الساعاتي الدباغ فهو الاستاذ والمناضل الذي كتب مقدمة الكتاب فهو حقيقة موضع شكري وتقديرى العالين.

السلطان مظفرالدين زين الدين علي الكوجك زمن المراجعات والبحث عن حقيقة رجل دولة عظيم ١١٥٤ - ١٢٣٣م

اق- سراى قلعة الموصل - الى محطة السراى في قلعة اربيل
تاريخ مشرف لقائد عظيم

من خلال البحث والتنقيب عن تاريخ السلطان مظفرالدين يظهر لنا المعلومات الجديدة الاتية حول حياته ومماته والاعمال والمشاريع الخيرية التي قام بها ابان حكمه لامارة اربيل: السلطان مظفرالدين زين الدين علي الكوجك (١١٥٤ - ١٢٣٣) امير قلعة اربيل حكم قام بادرة و قيادة الامارة طيلة ٥٤ سنة وكان حكمه عادلا رشيدا نظيفا وكان عهده يعتبر مرحلة ذهبية لقلعة اربيل وتاريخها حافل بالمفاخر تحت رايته. بعد مرور ٨٦٦ سنة على ولادته وادارته للسلطنة هناك بعض المعلومات والوثائق المتفرقة تم العثور عليها حول ولادته وحياته وافراد عائلته ومرقده. ضمن اطار الاعمال الخيرية التي قام بها السلطان هناك وثائق تاريخية قيمة حول سحب ماء الشرب وانشاء خزان كبير للماء في المملكة العربية السعودية وعلى جبل عرفة بالذات.

ولادة السلطان مظفرالدين زين الدين علي الكوجك:

العز لمولانا السلطان ابو سعيد مظفرالدين التركماني، الملك العادل والمعظم، النزيه والرحيم، العالم المجاهد المرابط المؤيد، المظفر المنصور، بدر الدين والدنيا، سيد الملوك

والسلاطين، محي العدل في العالمين، سلطان الاسلام
والمسلمين، منصف المظلومين من الظالمين، ناصر الحق
بالبراهين، قاتل الكفرة والمشركين. بنى الدور للايتام والفقراء
وعمر المساجد وبيوت الله، قاهر الخوارج والمتمردين، حامي
ثغور بلاد المسلمين، معين الغزاة والمجاهدين، ابو اليتامى
والمساكين، فخر العباد، ماحق البغي والعناد، فلك المعالي
صاحب الدولة، ناصر الملة، جلال الامة، بهلوان الحروب
الصليبية، الملك العطوف والرحمة وابو الفضائل الملك
المؤتمن، ملك الامراء السلطان مظفرالدين زين الدين علي
الكوجك الكوكبورو.

ولادة امارة اربل

ولد السلطان مظفرالدين الكوكبورو سنة ١١٥٤م في قلعة الموصل في قصر كان يسمى بـ(اق سراي) أي القصر الابيض والتي تحول اسمه فيما بعد الى (قرة سراي) أي القصر الاسود، بعد ان تم حرقها من قبل المغول المهاجمين. كان القصر يسمى ايضا دار الحكم او قصر الدولة وكان عبارة عن حي كبير يتضمن عددا من البيوت الضخمة يعيش فيها السلطان والامراء الاخرون.

قضى السلطان مظفرالدين طفولته في هذا البيت في الموصل ثم انتقل مع عائلته الى قلعة اربيل وبعد ذلك تحول الامير بدرالدين لؤلؤ الى هذا الدار وتم اعادة ترميمه بشكل لائق وحكم امارة الموصل من هذا القصر.

بعد ان تطورت المشاكل مع بدرالدين لؤلؤ وهجوم المغول على القصر الابيض تم تدمير وحرق هذا الدار من قبل المغول فتحول لون القصر بسبب النار الى اللون الاسود ومنذ ذلك التاريخ اصبح اسم القصر (القصر الاسود). كان القصر قديما بعيد عن نهر دجلة ولكن اليوم تقع اثار هذا القصر على شواطئ نهر دجلة والدار الذي كان السلطان مظفرالدين ساكنا فيها ايل للسقوط مع الاسف الشديد.

غروب شمس امارة اربيل ورحيل السلطان مظفرالدين الكوكبورو

ولد السلطان مظفرالدين الكوكبور في القصر الابيض (اق سراي) في قلعة الموصل سنة ١٢٣٣م وتوفي في اربيل في المنطقة التي كانت تسمى الربض ، وهي اليوم معروف باسم (محلة العرب) في اربيل عاصمة اقليم كردستان. وكان بيته تبعد عن جامع المظفرالدين مدة عشرة دقائق مشيا على الاقدام. كان الجامع في ذلك الزمان يسمى الجامع الكبير او المسجد العتيق. هذا المسجد الذي كان السلطان مظفرالدين يصلي فيه صلاة الجمعة حسب كتابات الدكتور محسن الحمرا ولكنه كان يقضي بقية صلواته في جامع القلعة. بذلك كان جامع القلعة تقام فيه الصلاة يوميا اما الجامع الكبير فكان مخصصاً لايام الجمعة والمناسبات.

توفي السلطان مظفرالدين في اربيل سنة ١٢٣٣م وطيلة فترة حكمه البالغة ٤٥ سنة كان في اربيل. تم دفن جثمانه لأول مرة في قلعة اربيل ثم نقل الى مزاره الحالي اسفل القلعة في المكان الحالي الذي يزورونه اهالي اربيل ويقدرونه. يقع مرقده الحالي امام بناية محافظة اربيل في بداية الشارع المسمى شارع المظفرية تيمنا باسم السلطان مظفرالدين.

يذكر المصادر التاريخية بان والده كذلك دفن في اربيل داخل مقبرة القلعة.

اصبحت مدينة اربيل تحت راية السلطان مظفرالدين مدينة

السلطان مظفرالدين كوكبورو- امير اربيل مظفر نامه

مزهرة تدب فيها الحركة التجارية والثقافية فكان العلماء
والمتقنون يتوافدون اليها . كان السلطان مظفرالدين هو اول
من ادخل الموسيقى والاغاني والتواشيح الدينية الى اربيل
وفتح فيها المدارس والمستشفيات والخانقاه ودور للصوفية
والدراويش وكانت هناك احتفالات دينية ومناقب نبوية
باستمرار.



وينهى دهرگای مالی سولتان موزه‌فەر له الربض- پاشان ده‌بیتته قشله‌ی سووار
- گه‌ره‌کی عاره‌بان

قبر السلطان مظفرالدين الكوكبورو في اماره اربيل

عندما كنت منهماكأ في البحث والتنقيب عن مصادر تاريخية لجمع المعلومات وفي نفس الوقت كنت مشغولا بكتابة ال(مظفرنامه) وترجمة كتاب عن مظفرالدين زين الدين علي الكوجك امير وسلطان اربيل وخلال هذه الفترة واثناء اعداد هذا الكتاب لم اتوانى ولو لدقيقة واحدة عن البحث عن حقيقة قبره في عاصمة اقليم كوردستان الواقع في شارع المظفرية.

من خلال هذا البحث الدؤوب والتحقيق المضي عن المعلومات وفيما كتب عن حياة هذا السلطان وعائلته التي حكمت اماره اربيل لمدة تقارب ١٠٨ سنة، منذ عام ١١٨٣م لغاية ١٢٣٣م، تبين لي بانه هناك مصادر مفقودة واخرى لاتذكر سوى القليل عن تاريخ هذه الامارة وهذه العائلة وحتى شخص السلطان نفسه. مثال ذلك الكتاب المسمى (تاريخ اربيل) لابن المستوفي المفقود والذي يعتبر اهم مصدر تاريخي يمكن الرجوع اليه عند الكتابة عن هذه الامارة واميرها وسلطانها.

في الاونة الاخيرة عثر على كتابين من قبل الدكتور (سامي خماس الصقار) وهو مؤرخ عربي في لندن ولم يتم ترجمة هذين المصدرين لحد الان الى اللغة الكوردية للاستفادة منهما كمصادر وادلة موثقة.

ان بحثنا والتعقيب عن الادلة والمصادر حول حياة وحكم

ووفاة هذا القائد ودور عائلته في انشاء وتطور امارة اربل استوجب الكشف عن مصادر مختلفة وبلغات متعددة. كذلك تم الاتصال بالشخصيات والكتاب والمؤرخين من اجل الوصول الى حقائق تاريخية ومن هؤلاء الشخصيات الدكتور محسن محمد حسين البقال -محسن حمرا- والدكتور اوميد ابراهيم الجوزلي والاستاذ شيرزاد محمد والدكتور محمد كاكه سور. وبعد التداول والتأكد من المعلومات بدأنا بنشرها على الملأ. في كتابنا (مظفرنامه) اوضحنا بان مكان ولادة السلطان هو قلعة الموصل وبالذات في قصر (اق سراي) والذي تحول فيما بعد الى القصر الاسود وحول تاريخ وكيفية وفاة السلطان اتصلت بشخصيات ومكتبة الحوزة العلمية في مدينة نجف الاشراف عن طريق الرسائل والاتصال الهاتفي وطلبت شخصيا من الدكتور جعفر عبدالمهدي الشخصية المعروفة والعالم في التاريخ والعلوم السياسية وطلبت مساعدته حول مسألة وجود قبر السلطان مظفرالدين في مقبرة النجف الاشراف وهل هناك في ارشيف الحوزة العلمية ما يدل على وجود قبر السلطان في تلك المقبرة اذ ورد في كتاب ابن المستوفي وابن خلكان بان جثمان السلطان قد دفن بشكل مؤقت في مقبرة القلعة ثم وبناء على وصيته نقل الى جبل عرفة ولكن بسبب وجود قلاقل في الجنوب فقد حول جثمانه الى النجف ودفن في مقبرتها -مقبرة السلام- فكان رده النفي القاطع لهذه المعلومات.

نحن اكدنا قبل ذلك بان جثمان السلطان دفن في اربيل ثم نقل الى جنوب العراق بهدف دفنه في الديار المقدسة ولكن

عدم ملائمة الجو والقيض الشديد ووجود المشاكل و الفتن في بعض مناطق الجنوب منعت وصول الجثمان الى مثنواه هناك لذلك اعيد الى اربيل ودفن في المكان الحالي في شارع المظفرية بقرب بناية المحافظة.

انا اعيد واكرر دعوتي وطلبي للكتاب والمؤرخين والسياسيين والمتقنين في اربيل وضواحيها ان يقوموا يدا واحدة للبحث والتنقيب عن تاريخ واثار هذه الامارة وسلطانها قبل ان تضيع وتطويها صفحات النسيان..



قبر السلطان مظفرالدين زين الدين علي كوچك في اربيل - اقليم كردستان العراق

قهبرو مه زارى سولتان موزه فەر له ههولير پايتهختى ههريمى كردستان - ٢٠١٩

اول منقبة نبوية كانت تركمانية :

بعد التطور الثقافي وتشكيل فرق موسيقية ومنشدين دينيين ظهر جيل من الادباء والشعراء يقومون بنظم الموشحات الدينية والقصائد الشعرية ويتغنون بحب الدين والرسول الاكرم. بعد هذا التحول والتغيير والتطور امر السلطان مظفرالدين بتاليف المنقبة النبوية باللغة التركمانية ليتم قراءتها وانشادها في الاحتفالات السنوية والتي كانت تقام احياء لذكرى مولد الرسول الكريم محمد (ص).

وتقام الى اليوم مناقب نبوية في المدن الكبيرة مثل كركوك وتلعفر ودوزخورماتو.

المنطق التاريخي و التاريخ الشفوي لاربيل و الشخصيات التاريخية تؤكد بان اول كتاب مولودنامه- كانت بلغة التركمانية السائدة في زمن السلطان مظفرالدين ، و بعد وصول المورخ و الشاعر العربي ، ابن دحية الكلبي الاندلسي الى اربل و كتابة كتابه الشهير ، كتاب التنوير في مولد السراج المنير ، كتب و رتب الكتاب المولد النبوي الشريف بلغة العربية مستفدين من اشعار الكتاب ابن الدحية الكلبي الاندلسي.

وتؤكد المصادر التاريخية الكردية ، بان في القرن ١٩ صهر كتاب وشعراء اكراد وكتب بلغة الكردية عن مولد النبوي الشريف و اخره كتاب الاستاذ رشاد محمد افندي.

اربل سولتانن حیکایه سی (سولتان مظفرالدین کوکبورو)ین پیغهمبهر (ص) دوشته گوردوغو حکایه سی

حسام حسرت

بو دیزه لر بونو انلاتیور کی ، واقتیلا پیغهمبهر (ص) اربیل
سولتانن اولان سولتان (مظفرالدین)ین رؤیاسینا گیره رهک
مبارک جسدینی الماق نییه تیله مه زارینی قازمایا اوغراشان
ایکی فیره نک لعینن نه لیندن قورتولماسینی ایسته میش
و اونلارین اوصافلارینی اونا بیلدیرمیش. سولتان مظفر ده
أربیلدن یوکو التون و درهم اولان بیر که روانلا گیده رهک
مدینه شهرینه وارمیش و او ایکی لعینی بولماق اوزره شهرده
اولان بوتون انسانلارا باغیش داغیتماق ایچین هه پسینی
چاگیرمیش و هه پسینه باغیش داغیتمیش و گه له نلر اراسیندا
اونلاری بولامامیش ، باشقا کیمسه لرین قالدیغینی صورونجا
ایکی ذات قالمیش اونلار باغیش المازلار و اونلار سوره کلی
پیغهمبهرین قبرینه خژمت نه تمه کته دیر له ر ده میشله ر. اصرارلا
اونلاری دا چاگیرین ده میش ، گه لدیکری زمان گوزلری ماوی
اولان او ایکی فیره نگی رؤیاسیندا انلاتیلان وصفلاردان تانیمیش.
نه رده اوتوردوقلارینی صورونجا روچه یه یاقین بیر حجره ده
اوتوردوقلارینی سویله میشله ر. سولتان حجره لرینه گیتمیش و

حجره نين هر يانيني اراشتيرميش صوندا يه رده بولونان
حصيرين التيندا بير بوشلوق گورموش و اورادان پيغهمبه رين
مه زارينا دوغرو يولون قازيلديغيني گورونجه ئوفكه له نه رهك
ديشاري چيقميش و اهالينين ئونونده ايكي سيني دوقمه يه
باشلاميش و اونلار دا ايكي كافر اولدوقلاريني اعتراف ئه ديپ
مقصدلاري مه زاردان جسدي چيقارماق ايميش. سولتان هه مه ن
ايكي سينين باشيني وورموش و بو ايش تكرار لانماسين ديه
مه زارين اگرافيندا بير سد قازديرميش و ايچيني ئه ريتيله ن
ده ميرله دولدورموش، بويله جه پيغهمبه رين مبارك جسديني
لعينلرين ئه لينده ن قورتارميش.

بو حكايه (رشاد مفتي) نين (مولودي كوردي) كوردچه مولود
ادلي كتابيندا گه چمه كته دير، بهن تصرفلا بو حكايه يي
توركمنجه يه چه ويرديم.

بوردا حاضر اولانلار بو زمان اخر زمان
حق دينه اوز چه ويرين سيزلر كي اهلي ايمان

فرصتي جان گيولده ن توبه لره اچيلين
دينه صيخي باغلانين گولگه سينده صاچيلين

ئه گهر مؤمين ايسه ويز دائم بهل بهله وهرين
قارداش كيمين ده اولون بونون معناسي ده رين

کافر، زندیق، دینسیز لر بهله گورسونلہر سیزی
گورونجه ده یانسینلار چه کسینلہر ہەر تور صیزی

ناماز اوروج حاج زکات بیر ده شہادت سوزو
ہہپ بونلارا صاریلین بونلار اچارلار گوزو

ہەر ایی بیر ایشین ده قارشیلیغی بیرہ یوز
واخیت گہچمہ سین بوشا باہا اولماسین اوجوز

مولود اوخوتمانین دا خیری چوخ بویوکتو
چونکو او دین گونونده خیر دولو بیر یوکتو

مولود مراسیمینده ہەر کیم خڑمت ئہدہرسہ
شبهہسین ایمان ایله گیدہر ئہن صون گیدہرسہ

واختیلا دییہلہر کی شانلی سولتان مظفر
یوجہ اربیل أمیری او ایگید قاہرامان ئہر

شریعتتہن چابالار بوتون احکامی عادل
ئوڭگو قبیلیننہن ده او ہەر بیر مدحہ قابل

مولود ایچین خارجاردی چوخ مال ایله چوخ پارا
مالی دا پارانی دا دوشہنمہزدی بیر ارا

ہەر ایل دائم اون بیر ای بویونجا چوخ بیر یہردہن
أشیالار گہتیریدی یاخون اوزاغ شہردہن

مولود ايچين يوزلرجه انسان
كهستيريدي بينلرجه قوچ دانا كيمين حيوان

كيمي امردهن گه لير كيمي پارا اليردي
بوخارادان ايكي يوز عالم بورا گه ليردي

ماقامچي و مجود هم ده كتاب اوخويان
الاهيلردهن ئوگجه چوخ اوخوردولار قران

شهر و كويدهن گه لهن كوچوك بويوك هر فقير
چيافت صوفراسيندا يه مهغ يه رديله ر بير بير

لاله كيمين پريا جامعلرده چوخ ايدى
مولود اوخونان يه رده شيطاننا يه ر يوخ ايدى

هر جامع هر تكيه ده روح گه ليردي سوزلره
صباحا قادار يوخو هيچ گيرمه زدي گوزلره

مولو گونو هر كه سى شاد ئه دينجه يارادان
دييه لله ردى كور اولسون شيطان چيخسين ارادان
صبحا ئونجه سى سولتان مظفر ياتميش ايدى
پيغهمبه ر روياسينا گه لدى و اونا ده دى

دوغروسو بو دييره م يانما گه لمه سه و سه ن
ئه گه ر گه جيكي ر سه و ده قالمارام بيته ره م مه ن

دورما ھہمہن یولا دوش ئەرکەن مدینە یە گەل
مەنی قورتار بو ایکی لعینین ئەلیننەن ال

ایکیسینین صفاتی چیرکین موردار چەھرەلی
ضعیف بویلاری قیصا عینی کوپوک مپالی

فیرەنکتیلر صاقالسیز قیرمیزی دی رەنکری
ئەگەر دقت ئەتسەوز صاپ صاریدی توکری

جامع حجرەسیندەر یەرلری دە چوخ متین
گیزلیجە چالیشیرلار قازارلار یەرین دیین

مقصدلاری وار مەنی بو قبردەن السینلار
فیرەنکلرین ایچیندە میتیمە اود صالحسینلار

دەشتیننەن اویاندی باختی دوروم اغیردی
ھەمەن ایشلرە باخان وزیرینی چاغیردی

گوردوغو رۆیاسینی وزیرینە انلاتتی
عاقل وەزیرسە یولا چیخماغی ئوگە اتتی

او دەمدە سفر ایچین حاچرلیغا أمر ئەتتی
التون یوکلو کەروانلا او شەرە دوغرو گیتی

حرسینان ئهن تهز واخت مدینه‌یه اولاشتی
گوزلری قاننان دولو ههر بیر یانی دولاشتی

أمر ئه‌تتی بوتون شهر أهلی بورایا گه‌لسین
داغیتیلان باغیشتان ههرکس پایینی السین

بو ایشته دقتینی اولوپ بیتنه‌نه سهردی
ههر گه‌له‌نه بیر باختی بیر اوچ التون وهردی

بو باغیشتان بیر تورلو میراز حاصل اولمادی
داها کیم قالمیش دهدی کیم الماغا گه‌لمه‌دی

ده‌دیلهر ایکی ژات وار کی باغیشا گه‌لمه‌زله
بونو یانلیش بیلیرله‌ر اونلار باغیش المازلار

اولور اولماز ایکی ذات گه‌لمه‌له‌ری گه‌ره‌کتی
باغیشتان پایلارینی المالاری گه‌ره‌کتی

او ایکی گوزو ماوی فیره‌نک گه‌لدیغلی ان
دوشته انلاتیلدیغی کیمیندی او ایکی جان

اونلاری گورونجه ده گیولی خوش اولدو بیرده‌ن
غملری گیدینجه ده قورتولدو هه‌پ کدرده‌ن

یہر یوردووز ہاردادی بونو قافایا قوردو
شہرہ او تورو سوز یوخسا دا کویدہ صوردو

دہدیلهر شہرلییغ ہم عرپلر دہنیغ بیز
دینہ خژمت ئەتمہ غتی سورہ کلی ہەر ایشیمیز

اوشاغلیغتان ہەر ایی ایشہ ئوگرہنہن قولوغ
حجرہدہ اوتوروروغ خیر اہلینہ او قولوغ

حجرہ لرینہ دوغرو گیتی ایچہری گیردی
تاختانی گورونجہ دہ ہمہن تاختانی قیردی

تاختانین التی چیقور توپراغین دیبی ایدی
ہم دہ پایا پایالی مہردیوان گیبی ایدی

حجرہدہن چیختی امیر اصلان کیمین قاپیشتی
ہەر ایکی لعینین دہ یاخاسینا یاپیشتی

اونلاری سوپا ایلہ روچہ ئوگونده بیختی
دوغرو دییہنہ قادر بوغازلارینی صیختی

دہدیلهر کافیریغ بیز اہلیمیز ایسہ فیرہنک
فدائیغ ئولومہ یاخون بیزدہکی اورہک

اوغراشیردیغ بیزلرچین باشا گیتسهیدی بو ایش
رسولو یانیمیزا الیپ الیردیغ باخشیش

هیچ بیر کیمسه بیلمه‌دهن اونو اوردا یانديراغ
ایمانی گوچلو اولسون تا کافری قانديراغ

خیزلا هر اکیسینین ئەل ایاغین باغلا‌دی
اعداملاری ایچین ده بیر ده اورتام صاغلا‌دی

توپلانان اهلینین گوزو ئوگونده دوردو
قیلینجینی چه‌که‌ره‌ک اکیسینین بوینون ووردو

تکرار اولماسین دییه بو قناعته یه‌تتی
روضه‌نین اطرافینا سد یاپماغا امر ئەتتی

ده‌ریلیغ بیرمی ارشین اون ایکی ایسه ئەنی
ده‌میردهن دوشه‌نینجه محکم اولدو هر یانی

حق حبیبی صلاتتان هر دم الینجا دیله
جمله مقصوده واردی مولود حرمتی ایله

ایسته‌رسه و اخرتته قاووشاسان صفایا
گونده یوز بیر صلات وەر محمد مصطفایا

(اللهم صل على سيدنا محمد و على اله و صحبه و سلم)

أربيل شهري سولتان اوغلو مظفر
بهللى اولدو ئەلینده هەر دەم ظفر
مدینهیه ئەیلەدی صون بیر سفر
کوتولردەن پیغەمبەری قورتاردی
دونه نلره دوغرو یولو گوستەردی

أربيل شهرينده يايغين بير روايت واردير كي ، پيغەمبەر
ئەفەندىمىز (ص) سولتان مظفرالدين كوكبورونون رۇياسينا
گيرميش و اوندان مەزارينا كوتولوك ئەدەنلردەن اونون مبارک
جسدینی قورتارماسینی بويورموش. سولتان مظفرالدين
دە أربيلدەن اوردوسويلا مدینهیه گیدەرەك بو كوتو ايشە
قالقان كيمسەلری ياقالايارق جزالانديرميشتير.

حسام حسرت

اربيل ۱۵-۱-۲۰۱۹

ان هذة القصة لحلم السلطان مظفرالدين الكوك- بورو، تلك
القصة المشهورة الموجود في كتاب مولودنامه - بلغة التركمانية

ايها الملك المعظم مظفرالدين
ساضع سيفك في كفك وسيعرفك الله فانك سيفه

كلمات للتاريخ

من خلال كتابة هذا المؤلف وطوال فترة انشغالي بالبحث والتنقيب عن تاريخ واثار امارة اربيل وصاحبها السلطان مظفرالدين كنت اجري مقابلات ومحادثات مع من له الخبرة والدراية بتاريخ اربيل وكنا وللتاريخ اقول نعمل كفريق عمل من اجل اظهار الحقائق واعطاء الموضوع حقه وكنت اردد دائما باننا نحن الكتاب والباحثين والمؤرخين يجب ان نعمل كفريق لاكمال ما تبقى وما لم يذكره المؤرخين قبلنا وكتابة تاريخ كامل ومفصل لهذه المدينة العريقة وقلعتها الشامخة ونظام الحكم فيها قبل مئات السنين وهذ مفخرة لجيلنا والاجيال القادمة.

لحسن الحظ وكما يقول الدكتور محسن الحمرا فان اكااديمية اللغة التركمانية ومنذ سنة ٢٠٠٧ عملت على جمع تواقيع من الاخوان وداد خورشيد ارسلان والدكتور عبداللطيف عمران بندر اوغلو واسعد شاكر الاربيلي وسهام انور ولي وقدموا مشروعا الى السيد نيجيرفان البارزاني رئيس حكومة اقليم كردستان (كان رئيسا لمجلس الوزراء في عام ٢٠٠٧) وذلك بهدف تاسيس

اكاديمية ومركزا للدراسات التركمانية ولكن وللأسف الشديد لم يرى المشروع النور لحد الان بسبب خلافات واهماله من قبل الموقعين على المذكرة.

والاهمال و الكسول صفات موجودة لحد الان و مع الاسف ، عند الكثير من الفئات ، فلا وجود لعمل اكاديمي – تاريخي – ثقافي ، الكل يعول على الاخرين- ليخدم و يكتب و يدون و وانما(هم) فلا وجود لهم مع الاسف .

لاشك ان تاسيس مركزا واكاديمية كهذه في اربيل سوف يؤدي الى المزيد من البحث والتحقيق في تاريخ واثار اربيل وتاريخ السلطان مظفرالدين و امارته الشهيرة في المنطقة ومدى اسهام الكرد والتركماني في نشر وتدعيم هذا الدين الحنيف و حماية مصالح المسلمين فيها وغير المسلمين سواسية ودون تفرقة ، في زمن كانت الحروب الصليبية على اشدها وكان العدو يحاول طمس المعالم الحضارية في المنطقة ، خاصة بعد تعرض المنطقة الى هجمة شرسة بربرية من المغول ، فلولا هذا القائد العظيم لما بقي اثر يذكر بعد ان وصل العدو الى مشارف المدينة وبدا بتدمير القرى ونهب الساكنين فيها دون رحمة.

عندما طبعت مظفرنامه- بلغة الكوردية ، كانت المكتبة الكوردية خالية من كتاب حول امارة اربيل و السلطان

مظفرالدين الكوك- بورو ، وكان الكتاب ولتنوع المصادر و بعض المشاكل الفنية اثناء كتابة الكتاب و اثناء الطبع ، فالتمس العفو و لله الكمال.

اما بنسبة لموضوعية الكتاب ، فاننى والله هذا ما قدرنى الله لكتابته و جمع هذا التاريخ الشفهي لامير اربل، فاننى والله عرفت السلطان مظفرالدين رجل الله ، امينا و قائدا ، و سيفا لله و احببت شخصيته و دوره و حكمه ..

فالانسان يقع في الاخطاء عندما يحب او يكرهه.. والله) اذا يجد القاري مظفرنامه- اغلاطا و كلمات و امور لا يعجبه ، فوالله هذا من حبي و اعجابي للسلطان مظفرالدين (سترون انتم و الاجيال القادمة من امتى ... من اربيليين الاصلاء .. كيف يعشقون سلطانهم يوما ما .

ويترحمون عليه و على الكاتب مظفرنامه- استغفر الله من كلمة انا ، ولكننى هذا الذى انا قدرت بكتابته حول حكاية اربل و القلعه و السلطان مظفر الدين زين الدين على كجك الاربيللى..

ان احياء تاريخ اربيل و امارة اربل لهو واجب وطني و قومي و ديني على الشرفاء و الغيارى من الكتاب و المؤرخين و الباحثين و اني لامل بان هناك من ياتي بعدنا لاكمال هذه المسيرة

بشكل افضل واقرب الى الدقة والصواب، فالى ذلك اليوم
اتمنى الخير والتطور والسلام والرخاء لبلدي وموطني، موطن
الاقليات المتاخية المتالفة..

والله من وراء القصد
العبد الفقير الى رحمة الله تعالى
خسرو بيربال القصاب
شتاء ٢٠١٩م الموافق ل ١٤٤٠ هـ
اربيل - إقليم كردستان العراق



Erbiliin Sultanı

Sultan Muzafferettin Gökborü

(1154-1233)

Khasro Pirbal- Erbil

Bu kitap, siyasal ve tarihsel bir araştırma olup Ebu Sait, El Melik El Muazzam ve Emirlerin kralı olan Sultan Muzafferettin Zeyneddin Ali Küçükün rol ve etkisi hakkında yazılmıştır.

Bu araştırma tarihsel-siyasi bir yazı olup Erbiliin büyük şahsiyeti, büyük sultanı, kıymetli serdarı ve Erbil Kalesinin medarı iftiharını hakkında hayata geçmiştir.

Erbil Sultanı Muzafferettin Gökborü, 45 yıl süre zarfında Erbil ve Şahrezur bölgesinin hakimiyetini sağlamış ve hüküm sürmüştür.

Maalesef kütüphane repertuarımızda kişiliği, rolü ve toplumdaki ağırlığı üzerine çok nadiren çalışmalar yapmıştır. Bazı tarihsel kitaplarda hayatının bir bölümü geçiyor. Fakat biyografik veya tarihçiler tarafından herhangi özel bir kitaba işlenmemiştir. Böylelikle bu büyük insanın hayatını anlatan herhangi bir kitap basılmamıştır.

Sultan Muzafferettin Musulda hayata gözlerini açmıştır. Buna rağmen her zaman Erbil şehrine farklı duygular beslemiştir. Buna ilaveten kalben hep Erbilde olmaak istemiştir. Kendisi Erbilin asil ailelerinden birine mensuptur. Musulda döndükten sonra ailesi ile birlikte Şam'a taşınmışlar. Sultan Muzafferettin, Selahattin Eyyübünün en önemli kumandanlarından birisiydi. Cesurluğundan dolayı Selahattinin

yakınlarından birisi olmuştur ve sonuç olarak Sultan Selahattin kendi kız kardeşi olan Rabia hatununu Muzafferettin ile evlendirir. Evlilikten sonra Sultan Muzafferettin ile beraber Erbil'e taşınırlar. Gelişten hemen sonra her ikisi Erbil halkı ile 40 yıllık mesut ve iç içe bir hayat yaşarlar. Her ikisi Erbi Kalesi'ne aşıktilar. Milletle kol kola zorlukları ve refahiyeti brlikte tattılar.

Kişilikleri ve davranışları Erbil halkının ve Türkmenlerin gurur kaynağı olmuştur. Türkmen halkı Erbil'de yaşamış cömert, cesur ve gönlü bol Sultan ile gurur duymalıdır.

Elime geçen bazı tarihsel kaynaklara baktığım zaman gerçekten yüzüm kızarıyor. Çünkü Sultanın iman, takva, berraklık ve yüksek insanlık erdemlerine sahip birisi.

Şahsım olarak eski tarihlerde yaşamış Sultan Muzafferettin kadar mert, cesur ve keramet sahibi bir insanla karşılaşmadım.

Eski kaynaklara göre Sultan Muzafferettin Erbil hakkında şunları söylüyor:

«Eğer ki Erbil Tekrardan nasibim olursa, varımı yoğumu üç bölüme ayıracağım:-

Bir kısmını fakir fukaraya, diğer kısmı ile Erbil'i tekrardan imar edeceğim, son bölümü ile de devamlı olarak hayır işlerine ayıracağım».

Sultan Muzafferettin kendine has kişiliği ile yaşanan bütün savaşlara dahi olmakla birlikte Sultan Selahattin Eyyübi ile beraber El Hattin savaşına katılmış olup büyük bir zaferle çıkmıştır.

Halklar her zaman karizmalı ve şahsiyetli liderlere ihtiyaçları

vardır. Bundan dolayı Türkmen milleti kendi kültürlerine, ane-
nelere ve tarihleri ile gurur duymalıdır.

Şahsım bu hususta Sultan Muzafferettin'e ait döviz, bayrak,
karizması ve kalıntıları toparlamak istiyorum. Topladıktan son-
ra da çıkardığım kitabımda yer vermek istiyoruz.

Muzafferettin gökbörü ve saltanatı kendi bayrak, sınır ve
dövizine sahip olmuştur. Erbil Kalesi'nde başkanlık divanı
varmış ve oradan yönetiyormuş. Gündelik olarak saltanatları
hakkında vezirleri, yazarları ve şahsiyetler ile istişarede bulun-
muştur.

Erbil Türkmenlerinin saltanatı, osmanlıların tarihi ile yakın-
dan veya uzaktan ilgisi yoktur. Osmanlılar 1299 yılında saltanat
sahibi olmuşlardır, fakat biz Erbil'in koca kalesinde 1160'lı
yıllarda Zeyneddin Ali Küçük hanedanı tarafından saltanat
sürmüştür. Kürdistan'ının kalesinde halklar birlikte yaşamış
olup, Sultan Muzafferettin tarafından hepsine aynı gözle
bakılmıştır. Ve aynı vizyon ile halklara ve farklı dine mensup
olan şahıslara yaklaşmıştır.

Bu araştırma o dönemin şartlarını anlatan ve Sultan Mu-
zafferettin'in gurur dolu yıllarına ışık tutan ve Mısır'ın ünlü
yazarlarından olan Dr. Abdulkadir Tuleymat tarafından kitap
haline getirilmiştir. Kitabın tarihi 1963 senesine dayanıyor ve
o dönem Arap Medya Zinciri projesi tarafından hazırlanmıştır.
Kitabı çevirdiğim zaman bazı eksiklerin olduğunu farkettim.
Bundan dolayı araştırmamızı Sultanın ve eşinin hayatı ve
kalıntıları üzerine yapmaya karar verdik.

Her başarılı Erkeğin arkasında güçlü bir kadın vardır demişler eskiler. Gerçekten bu deyim tıpa tıp yerine oturuyor. Sultan Muzafferettin Gökbörü'nün arkasında Rabi Eyyübi hatun bulunuyor. Oda Sultan Muzaffer gibi aynı kişisel özelliklere sahipti. Yardımseverliği, gönlü bolluğu ile örnek bir kişiliğe sahipmiş.

Bu kitabı yazmaya başladığım süre zarfına kadar, sultanın hayatı, liderliği, dili ve asaleti ve aynı zamanda ölümü hakkında bazı gölgeler vardı. Maalesef Tarihçiler arasında Türkmen ve Arap olanların marifetsiz ve cahilse yanlış bilgi ve sözler aktarmışlar.

Biz bu kitabı yazmaya başladığımız zaman farklı farklı kaynakları ele aldık ve bir tim halinde şahsiyeti ve diğer teferruatlarını çözmeye çalıştık. Bu araştırma esnasında bazı hakikatlere vardık ve bu hakikatları tarih nezdinde ortaya çıkarmak istiyoruz:

Sultan Muzafferettin Zeyneddin Ali Küçük, diğer adıyla tanınan Sultan Muzafferettin Gökbörü, Türkmen bir lider olup üstün liderlik vasıflarına sahip Allaha yakın bir serdardır. Bütün Türkmen Milletinin ve Erbil halkının onunla gurur duyması lazım.

Kendisi Musul'da hayata gözlerini açmıştır. Fakat vefatı Erbil'in kale altında bulunan evinde hayatını kaybetmiştir. Tarih ramazanın 18. günü olan Cumayı gösterdiğinde ve miladi takviminin 1233 yılına denk geldiği gün bir sürelik kalede bulunan mezarlıkta gömülmüş, sonradan şuandaki Ebil valiliği-

nin yanında toprağa verilmiştir, sonrada mezarı bir türbe haline getirilmiştir.

Erbil'de 45 yıllık adilane bir hüküm sürmüştür. O dönem, bölgenin bütün milletleri Erbil şehrinde bulunmuşlardır. Aynı zamanda dini oluşum olarakta Hıristyan, Yahudi ve Ezidileri kendisine barındırmıştır ve hepsi birlikte yaşamlarını sürmüştür.

Rabia hatunun Sultan Muzafferettin'den 3 çocuğu olmuştur. Birisi erkek, diğer ikisinde kız. Erkek olanın adı, Sait'tir. Kız olanların ise Sahibe ve Asiye'dir. Sultanın vefatının ardından Rabia hatun Erbil'i Şam'a doğru bırakmış, kendi ailesinin yanına gei dönmüştür. Mezarı, El kasiyun Dağının eteklerinde bulunan ve El Sahibe adını taşıyan bir okua gölmüştür. Okul kendi kızını adına inşa edilmiştir.

Erbil Saltanatı kendi döviz (Dirhem) ve bayrağına sahipmiş. Bir devlette gerekli olan bütün esasları kendisinde barındırmıştır.

Sultan keramet sahibi olup cesur bir lidermiş. Erbil Kalesi ve Erbil için Bağdat'a giderek Abbasi devletinin halifesi ile görüşüp Erbil Kalesi'ni Muhafaza ve halkınıda korumak için halifenin karşısına çıkmıştır.

45 yıl içerisinde Sultan, Erbil'i islam medeniyetinin merkezi haline getirerek birçok projeye imza atmıştır. Devlete ait kurumları inşa ettirmiş ve ayrıca 3 aya kadar İslam Peygamberi-

nin doğum münasebetinden dolayı mevlüt okutmuştur.

Arafat Dağının eteklerinde su projesi ve bir cami inşa ettirmiştir. Ayrıca cıvar ülkelerde de El Muzafferiye adında okullar açmıştır. Ayrıca sürekli larak İslam ordusunun rehinleri için serbest bırakılma pahasına paralar ve fidyeler vermiştir.

Erbil Kalesi ilerleme ve Ehli iman olmanın mşalesini taşımış olup tasavvuf ve insanlığa önem vermiştir. Sultanın ölümünden sonra ülkeyi kara ve soğuk bir sis kaplamış olup maalesef Erbil'in çırası sönmüştür.

Fakat adı, tarihi ve yaptıkları hayır işleri, buna binayen camileri her zaman kalplerde yerini etmiş olup yerini korumaktadır.

Her ne kadar bu koca insan hakkında yazmak zor olsada bir kitaba yerleştirmek bir o kadar da zor. Arştırmalara sığmayan bu koca insan hakkında bendeniz bu kadarını yapabildim. Dileği, yazar ve tarihçilerin bu konu hakkında daha fazla yazması.

Adı, gölgesi ve şöhreti her zaman kalbimizde kalacaktır ve buna binayen bir gölge misali peşimizde olacaktır.

Biz şuanda Erbil Kalesi'nin cömertliği, cesurluğu ve imandallığı ile nam sanmış Sultan Muzafferettin Gökbörü ile yüzleşiyoruz. Bundan böyle bütün Erbillilerin bir zamanlar hoşgörülü, mert ve gönlü yüksek olan bir Sultana sahip oldukları için iftihar etmeliler.

Allah bütün maksatların arkasındadır

Sultan Muzzaferedin Gokboru Erblin Sultani (1154-1233)

ليکۆلينه وه يه کي ميژوويي - سياسي يه له ي سه ر رۆل و پيگه ي که سايه تي سولتان موزه فه ره الدين گوگبورو - ئەميري ئەربل . موزه فه ره لدين زهينه لدين علي کچک ناسراو به (ئەبو سه عيد - الملك المعظم) ، ئەو ليکۆلينه وه يه ، نووسين و گه ران وليکۆلينه وه يه کي ميژوويي - سياسي - فه ره نگيه له سه ر يه کيک له له کۆنترين و ديارترين که سايه تي گه وره ي شار ي هه ولير ئەو يش سولتاني گه وره و پايه به رز و سه ر کرده يه کي خاوه ن کاريزما ي تورکمانه له قه لاي هه ولير . سولتان موزه فه ره لدين زهينه لدين علي کچک ناسراو به موزه فه ره لدين گوگبوري سولتاني هه ولير که ، ماوه ي ۴۵ سال حوکمي هه ولير و ده شتي شاره زووري کردوه .

له کتبخانه دا به داخه وه زۆر که م ليکۆلينه وه له سه ر که سايه تي و رۆل و پيگه و ژياني ئەو سه ر کرده مه زنه نووسراوه ، له چه ند کتبيکي ميژوويي باسي لايه نه کاني ژياني کراوه ، به لام وه کو بيوگرافيست و ميژوونووس و کتبيکي تايبه ت به و سه ر کرده يه مه زنه هيچ نه بووه ، هه موو لايه نيکي ژياني ئەو که له پياوه باس بکات . سولتان موزه فه ره له مووسل له دا يکبووه ، به لام هه ميشه عاشقي قه لاي هه ولير بووه ، دلي هه ميشه له هه ولير بووه ، له خانواده يه کي گه وره ي هه وليري ره سه ن بووه .

سولتان له مووسل له دا يک بووه و پاشان له گه ل خانواده کي چوونه ته (ديمه شق) ، يه کيک بووه له نازاترين سه ربازه کاني

(صلاح الدین ئەیوبی)، تاوہ کو دەبیتە کەسیکی خۆشەوێست و نزیکى ، پاشان سەرکردە صلاح الدین رابیعە خاتوونى خوشکی خۆی پى دەبەخشی و پیکەوہ ، سولتان موزەفەر و رابیعە خاتوون ، کە هەردووکیان عاشقی قەلای هەولیر بوون ، دین و لەگەڵ میللەتی (اربل) ٤٠ سال دەژن ، لە نزیکەوہ پیکەوہ لە خۆشی و ناخۆشییەکان بەشدار دەبن .

خەسلەت و سیما و یادگارە جۆربەجۆرەکانى سولتان موزەفەر و رابیعە خاتوون مایەى شانازى هەموو هەولیریەک و تورکمانیکە ، دەبیت میللەتی تورکمان شانازى بەو سەرکردە جۆمەرد و ئازا و سەخى و دلبلند و مەردە بکەن . کاتیکی لاپەرە میژوووییەکان و هەندیکی سەرچاوہ و کتیبم دەربارەى ئەو پیاوہ مەزنەم دەدیت و دەمخویندەوہ ، هەستم بە شەرمەزارى دەکرد بەرامبەر باوہر و تەقواو پاکى و مەردایەتی و ئینسانییەتی سولتان موزەفەرەلدىن . لە میژووی کۆن دا هیچ سەرکردەیکى ئینسان و مەرد و ئازا و خاوەن کەرامەتی وەکو ئەو مەزەفەرەلدىن گۆگبریەم نەخویندووتەوہ و نەمناسییە .

لە میانى هەندیکی قسەى سولتان موزەفەر لەگەڵ یەکیکی ، دەلى: - ئەگەر هەولیر بە نسیم بیت و بچمەوہ قەلای ، ئەوہ ئەوہى هەمە دەیکەمە سى بەش ، بەشیکیان دەبەخشمە هەژارەکان و بەشیکیان هەولیری پى ئاوەدان دەکەمەوہ و بەشەکەى تریش بو هەمیشە خیر و خیراتی بەردەوامى پى دەکەم . سولتان موزەفەر خاوەن کاریزما و سەرکردەیکى ئازا بووہ ، بەشدارى هەموو ئەو شەرانەى کردووە لەژیر ئالای صلاح الدین ئەیوبى ، بە تايبەت لەشەرى (حوتین - الحطین)

که ، سهرکهوتنی مهزنی به خشیه صلاح الدین .
میلله تان هه میشه پیوستیان به سهرکردهی خاوهن کاریزما و
که سایه تی و سیاسی گه وره هه یه ، ده بیّت میله تی تورکمان
بزنانن ، ده بیّت له مه و پاش شانازی به میژووی رابوردووی
میلله ت و زمان و فرههنگی خویان بکه ن ، من حاشا ناکه م له
وشه ی من ، هه ولی جدیم داوه که ، شانازی به هه مو و ئه و
که رسته و که سایه تی و ئالا و دراوی سولتان موزه فهر و سه لته نه تی
بکه م و سیماکانی ده ولته ته مه زنه که ی سولتان موزه فهرتان بو
کو بکه مه وه له و کتیبه مدا ، گوگبری خاوهنی ئالا و پاره و زمان
و خاک و سنووری خوئی بووه ، له گه ره کی سه رای ناو قه لای
هه ولیر ، دیوانی سه روکایه تی هه بووه ، هه مو و روژیک له گه ل
چه ندین که سایه تی و نووسه ر و وه زیری به توانا ، سه لته نه تی
تورکمانه کانی هه ولیر هیچ په یوه ندییه کیان نیه به میژووی
سه لته نه تی عوسمانی ئه وان به ریوه به رایه تی سه لته نه تی خویان
کردووه ئه وان له سالی ۱۲۹۹ تورکه کان ده گه نه سه لته نه ت ،
به لام له قه لای مه زنی (ئه ربیل) هه ر خانواده ی زهینه لدینعلی
کوچک سولتانی قه لا بوونه ، هه ر له سالی ۱۱۶۰ میلله تانی
کوردستان پیکه وه ژیاون له قه لای هه ولیر ..

له گه ره کی سه رای سولتانی ئه ربیل به یه ک چاو خزمه تی
هه مو و میلله ت و ئایینی کردووه . ئه و لیقولینه وه یه ،
له سه ر بار و دوخی ئه و کاته و میژووی پر شکوی سولتان
. فرههنگه جیاجیاکانی کردووه کتیبیکی ، له سه ر موزه فرهه لدین
که له سالی ۱۹۶۳ نووسه ریکی میسری (الدکتور عبدالقادر احمد
طلیمات) له چوارچیوه ی په روه رده یی (سلسله اعلام العرب)

لہسہر سولتان موزہفہری نووسیوہ ، لہ وەرگیرائی ئہو کتیبہ
 ھہستم کرد کہ نوقسانی تیدایہ ، لہبەر ئہوہ لیکۆلینہوہمان
 زیاتر لہسہر ژیانی سولتان و رابعہخان و ئاسہواری ئہو..
 ریک وایہ وتوویمانہ لہپشت ھہموو پیاویکی مہزن ، ژنیکی
 مہزن ھہبووہ.

کہسایتیہ گہورہی سولتان موزہفہریش ، رابعہن خاتوونی
 ئہیوبیی لہپشت بووہ 'ئەویش وەکو سولتان موزہفەر ، کہسیکی
 تاوہکو نووسینی ئہو کتیبہم ، گومان لہسہر ھہندیک لایہنی
 ، سہخی وخیرومہند و ئەعلی تہقوا پاک ژیان و سہرکردایہتی
 و زمان و رەسەنایہتی نەبووہ ، پاش مردنی سولتان موزہفەر
 ، بەداخوہ ھہندیک نووسہری ئیمہ و میژوو نووسی (عہرہب
 و تورکمان) بی معریفہت و جاھیل ، قسہ و زانیاری ھہلہیان
 بلاو کردووتہوہ . لہ پرۆسہی نووسینی میژوووی سولتان
 موزہفەرلدین ، پشتمان بہ چہندین سہرچاوہی جۆراوجۆر
 بہستووہ ، وەکو تیمیک لہکەسایہتی ھہموو ووردہ کاریہکانمان
 شیکردووتہوہ و گہیشتتوینہتہ چہند راستیہکی گہورہ وشیاو
 بہ سولتان موزہفہرہالدین زہینہلدین علی کوچک ، دەمانہوویت
 بو میژوو ھہموویان بەدیکۆمینت بکہین ..

موزہفہرہلدین کہلہسہر کردہیہک و پیاویکی خودایی ئازا
 و جۆمہردی تورکمانییہ - دەبیئت لہمووسل لہدایک بووہ ،
 وەلہخانووہکەہی خۆی لہخوار. ھہموو تورکمانیک و ھہولیرییہک
 شانازی پیوہبکہن . لہ روژی ھہینی ۱۸ی مانگی رەمەزاندا بو
 ماوہیہک لہقہبرستانیکی ناو قہلألہسالی (۱۲۳۳) نیژراوہ ، پاشان
 لہو مہزارگہو مہرقہدہی خۆی ئیستاکہ لہ شہقامی سولتان

موزه‌فەر له نزيك باله‌خانه‌ی پاريزگای هه‌ولير نيژراوه و ئه‌و شوينه‌ی قه‌بر و توربه‌ی سولتانی گه‌وره‌یه‌ ماوه‌ی ٤٥ سال حوكميكي عاديلا نه‌ی كردوه ..

سولتان موزه‌فەر دوو كچی هه‌بووه (صاحیبه وعاصیبه)، پاش مردنی سولتان موزه‌فەر رابیع‌ه خاتوون ده‌چیته‌وه دیمه‌شوق ، قه‌بری له‌ناو قوتابخانه‌ی (مدرسه‌ الصاحیبه‌ه) له‌سه‌ر چیا‌ی (القاسیون)ه .. سه‌لته‌نه‌تی ئه‌ربل خاوه‌نی دره‌م و دیناری خۆ‌ی بووه . سولتان موزه‌فەر سه‌ركرده‌یه‌کی خاوه‌نی ئالای تایبه‌تی خۆ‌ی بووه وه‌هه‌موو سیما و ده‌وله‌تداری هه‌بووه ئازا و خاوه‌ن كه‌رامه‌ت و سیاسییه‌کی گه‌وره‌ش بووه ، له‌به‌ر به‌رژه‌وه‌ندی میله‌ت و قه‌لاو هه‌ولير به‌ئاگاداری هه‌موو وه‌زیر و راویژكارانی چووه‌ته‌ به‌غدا بو‌ لای خه‌لیفه‌ی عه‌باسییه‌كان ، بو‌ ئه‌وه‌ی قه‌لای هه‌ولير و حوكمی ٤٥ ساله‌ی خۆ‌ی له هه‌ولير بنكه‌یه‌کی میله‌ت و بیاریزیت له‌هیرشی دوژمنانی فه‌ره‌هنگی ئیسلامی گه‌وره و چه‌ندین پرۆژه‌ی گه‌وره و خیر و خیرات و بناغه‌ی دام و ده‌زگای حوكمی و پرۆژه‌یه‌کی ئاو و بو‌ ماوه‌ی ٣ مانگ هه‌موو سالیک یادی مه‌لودی پیغه‌مبه‌ری ئیسلامی كردووه و مزگه‌وتی له‌سه‌ر چیا‌ی عه‌ره‌فات دروستكردووه بو‌ حاجیان ، له‌هه‌موو وولاتانی ده‌وروبه‌ر مزگه‌وتی دروست كردووه و قوتابخانه‌ی (الموزه‌فه‌ریه‌ی) كردووته‌وه و به‌رده‌وام پاره‌و فیدییه‌ی داوه بو‌ ئازاد كردنی دیله‌كانی سوپای هه‌ولير ..

قه‌لای هه‌ولير مه‌شخه‌لی پیشكه‌وتن و ئه‌هلی ئیمان وته‌سه‌وف و مرۆفایه‌تی بووه .. پاش مردنی سولتان موزه‌فەر ، هه‌ولير ته‌میکی تاریك و خه‌می به‌ خۆوه بینیوه له‌ ناو و میژوو‌ی

، کاریگری گہورہ لہسہر ئہم مہملہ کہتہ پھیدا دہبیت
(چرای) قہلای ہولیر دہکوژیتہوہ و کردہوہ و خیر و خیرات
و مزگہوتہکانی سولتان موزہفہر بو ہہمیشہ لہناو دلان و بیر
و ہوشمان ماوتہوہ ... نووسین لہسہر ئہم کہلہ پیاوہ زور
قورس و ئہستہمہ ناتوانی بہیہک کتیب ، بہ لیکولینہوہیہک
ہہقی خوئی پی بدہی ، بہلام بہندہ ہہر ئہوہندہم پیکرا.
ہیوادارم نووسہر ومیژووناسانی تر بین وکاری زیاتر لہسہر
ناو وناوبانگ وسیبہری سولتانی گہورہی قہلای ئہربل بو
ہہمیشہ لہناو دلان ، ئہو پیاوہ مہزنہ بنوسن ، ئیمہ
بہرامبہر گہورہترین سہر کردہی ئازا و ئیماندار دہمینیتہوہ
وہکو سیبہریک بہدوامانہ جوہردی میژووی میللہتی قہلای
ہہولیرین ، دہبیت لہمہو پاش ہہموو ہہولیریہک شانازی
بکن کہ روژیک لہ روژان سولتانیکی ہیئدہ میہربان و
دلہندیان ہہبوہ ..

والله من وراء القصد .

خہسرو پیربال قہساب - ہہولیر ۲۳/۱/۲۰۱۹



النزيه و العادل و المعظم / عز لمولانا السلطان ابا سعيد مظفرالدين
التركمانى / الملك الرحيم/ العالم/ المجاهد/ المرابط/ المؤيد/ المظفر/
المنصور/ بدر الدنيا والدين/ سيد سلام والمسلمين/ منصف الملوك
والسلاطين/ محي العدل في العالمين/ سلطان الإل دور المظلومين من
الظالمين/ ناصر الحق بالبراهين/ قاتل الكفرة والمشركين/بانياالمساجد
و بيوت الله لللايتام و الفقراء و عامر / قاهر الخوارج والمتمردين/ حامي
ثغور بلاد المسلمين/ معين الغزاة والمجاهدين/ أبو اليتامى والمساكين،
فخر العباد/ بهلوان /جلال الأمة/الدولة/ ناصر الملة/ صاحب البغي
والعناد/ فلك المعالي/ ماحي أبو الفضائل/ الملك الموثمن، الملك ملك
العطوف و الرحمة و /الصليبية الحروب الامراء/السلطان مظفرالدين زين
الدين علي كوجوك الكوكبورو

Muzzafarnama - Erbil Sultan
Sultan Muzafferettin Gökbörü
(1154-1233)

An Historical –Political study about the roles and the state experience in Erbil under the presidency of a great sultan. This book is a political and historical research on the role and the influence of Sultan Muzafferettin Bin Zeyneddin Ali Kuchuk, who was the king of all princes in Kurdiştan , “El Melik El Muazzam” King of all Emirs.

This study is a historical-political book about Erbil’s great personality, great Sultan, precious leader and prince of Erbil Castle.

The Sultan of Erbil, Abu Sa’eed Muzafferettin Gökbörü ruled Erbil and Şahrezur province over a 45-year period. And before him , the country was been rolled by his father.

Unfortunately, the library has rarely contained books and studies on this personality, his role and his status in the society of his time. In some historical books a part from a short stories about his life and death, there is no books written by any biographer or historians about him. Thus, no book has been published describing the life of this great man. Sultan Muzafferettin

opened his eyes to life in Mosul, he was born in 1154.

Nevertheless, Erbil has always been in his heart and emotions.

In addition, his heart always wanted to be in Erbil. He belongs to one of the Erbil’s noble families. Upon his return

498

السلطان مظفرالدین کوکبورو- امیر اربیل

to Mosul, he and his family moved to Damascus. Sultan Muzafferettin

zainatin ali kuchuk , was one of the most important

commanders in the Selahadin Eyubi's Army. He became one of the relatives of Selahattin due to his courage and as a result, Sultan Selahadin married his sister Rabia khatun to Muzafferettin. After marriage, she moved to Erbil with Sultan Muzafferettin. Immediately after the arrival, they lived a life of 40 years and shared their life with the people of Erbil. Both of them were in love with Erbil Castle. They have experienced

the challenges and shared prosperity of the life together. Their personalities and behaviors have been a source of pride for the people of Erbil and Turkmens.

The Turkmens should be proud of the generous, courageous and hearty Sultan who lived in Erbil. When I look at some of the historical sources I really get, my face is flushed because of the Sultan's faith, loyalty to God (Taqwa), clarity and high human virtues. As a person who lived in ancient history Sultan Muzafferettin as much as a man, a man who was brave and miracle. According to former sources, Sultan Muzafferettin says of Erbil:

If Erbil has again become under my leadership, I will divide the wealth of Emirate into three parts:

Part would be spent for the poor and needy people.

The other part of Erbil wealth will be used for reconstruction, and the last part of it would be used in the continuation of charitable work ' ' he said.

Sultan Muzafferettin, along with Sultan Selahadin Eyubi, participated in the battle of El Hattin and all other battles.

499

السلطان مظفرالدين كوكبورو- امير اربيل

People always need charisma and personality leaders. Therefore, the Turkmen nation should be proud of their culture and history.

I want to collect the exchange, flag, charisma and ruins of Sultan Muzafferettin. After collecting, I want to include it in my book. Muzafferettin Gökbükü and his reign had his own flag, border and currency.

Erbil Castle had a presidential council and ruled from there. He consulted with his officials, writers and personalities about his reign daily. The reign of Erbil Turkmens has nothing to do with the history of the Ottoman Empire.

The Ottomans were ruled by the Ottoman Empire in 1299, but in the 1160s in Erbil's great castle, Zeyneddin Ali was reigning by the Kuchuk dynasty.

The people lived together in the castle of Kurdistan and Sultan Muzafferedin looked at them all the same. And with the same vision, they approached people belonging to different religions and nations.

This research is about the conditions of that period and shade light on the prideful years of Sultan Muzafferettin by the famous writer of Egypt turned into a book by Dr. Abdulkadir ahmad Tuleymat.

The book dates back to 1963 and was prepared by the Arab Media Chain project. When I translated the book, I realized that there were some shortcomings. And the question need more information.

Therefore, we decided to do our research on the life and ruins of the Sultan and his wife. It is said that -every successful

500

السلطان مظفرالدین کوکبورو- امیر اربیل

man has a strong woman behind him-. This statement is really suitable for the Sultan Muzafferettin Gökbörü's wife, Rabia khatun Al-Eyyübi. The women had the same personal features as Sultan Muzaffer.

He had an exemplary personality with his charity and hearty abundance. Until I began writing this book, there were some shadows about the sultan's life, his leadership, his language and nobility, as well as his death.

Unfortunately, historians have conveyed false information and words about the Turkmen and Arabs who are unjust and ignorant. When we started writing this book, we discussed different

sources and tried to solve the personality and other details as a team. We came to some facts during this research and we want to reveal these truths in the past.

Sultan muzzferedin was a great leader, served his country as a patriot man and he will reside in the memory of the nation forever.

In general our book try to collect all information , truth about the life ,roles and the death of one of the most famous leader in the history of Erbil .

The people of Erbil should be proud to have a great king like Sultan Muzzaferedin Gogbru ...

Khasro Pirbal

Erbil –Iraqi Kurdistan

Pirbal@hotmail.com

Facebook: khasro Pirbal

Tel 009647504461416

مظفرنامه

کاری تحقیقی و پژوهشی تاریخی - سیاسی در باره‌ی نقش و پایگاه شخصیت بارز و حکمران دادپرور (مظفرالدین گوگبورو) سلطان مظفرالدین زین الدین علی کوچوک - امیر اربیل، مشهور به (ابو سعید التورکمانی - الملك المعظم - طورط شین) است.

(۱۱۵۴ - ۱۲۳۳)

مظفرالدین گوگبورو، شخصیتی والا و بلندمرتبه، امیری کاریزما، حاکمی روشنفکر و دادپرور بوده، که پس از حکمرانی برادر بزرگترش (سلطان زین الدین) در اربیل، برای مدت ۴۵ سال زمام حاکم‌رانی اربیل و دشت شاره‌زور را به عهده داشته‌است. متأسفانه در کتابخانه‌ها به زبانهای کردی و فارسی، اثری جامع و کامل در باره‌ی نقش و پایگاه شخصیت بارز این حکمران دادپرور یافت نمی‌شود. تنها در برخی کتب تاریخی اشاره‌ی مختصری به آن کرده‌اند، در حالی که جای خود دارد، تاریخ نگاران و بیوگرافیست‌ها دین خود را به این شخصیت نامدار ادا کنند. سلطان مظفرالدین از تبار خانواده‌ای بزرگ و نامدار و اصیل اربیل است، اگرچه در سال ۱۲۳۳ میلادی در قلعه‌ی موصل (کاخ اق سرای) دیده به جهان گشوده‌است و بعدها همراه با خاندانش عازم (دمشق) شده‌اند، اما همواره عاشق و سوداسر قلعه‌ی باستانی اربیل بوده‌است. پس از هجرت به دمشق و در ایام جوانی همچون یکی از شجاعترین سربازهای (صلاح الدین نئیوبی)، نقش به‌سزایی در فتوحات آن سردار بزرگ می‌بیند،

سلطان صلاح الدین ئیوبی به پاس دلاورمردیهای این سه‌رباز و فرماندهی شجاع که در آن زمان جوان بزرگمنشی بوده است، خواهر خود را به نام (رابیعه) خانم به عقد سلطان مظفرالدین در می آورد. این زوج گرانقدر هر دو شیفته‌ی قلعه‌ی اربیل بودند، به همین دلیل بار سفر به این دیار را می‌بندند و برای مدت بیش از چهار دهه با مردمان این شهر کهن و دیرین غم و شادیهایشان را تقسیم میکنند. خصایل انسانمدار و بشردوشتی سلطان مظفر و همسرش رابعه خانم، زیانزد خاص و عام می‌شود. مردم اربیل و ترکمانهای اصیل این شهر، تا بحال نیز با فخر و مباهات از بزرگواریشان یاد می‌کنند. سلطان مظفرالدین پس از حکمرانی سلطان زین الدین (برادر بزرگ) در اربیل، زمام حوکرانی این مملکت را به عهده می‌گیرد. در تمام دوران حاکمیتش هرگز از مردم تحت تسلطش غافل نماند. جنگ و آشوبهای دوران حکمرانیش نتوانسته است سد معبری در مسیر حفظ و اهمیت دادن به منافع امارتش (اربیل) درست کند. این شهر ناشناخته را - قبل از آنکه فرمانروایی آن را بعهده بگیرد - به پایگاهی سیاسی تبدیل کرد، که در رویدادهای آن زمان، نقش چشمگیری داشت. کیانی مستقل را بنیاد نهاد و شهری را که به درازای تاریخ اسلام و اندکی قبل از آن نیز نادیده بوده، به شهری مملو از آبادانی،

عمارتسازی، کشاورزی و بازرگانی تبدیل کرد، تا جایی که نظر همگان را جلب می‌کرد، چه مسکونیان دائمی و چه آنانی که برای مدت مدیدی در آن شهر ماندگار بودند. هنگامی که به

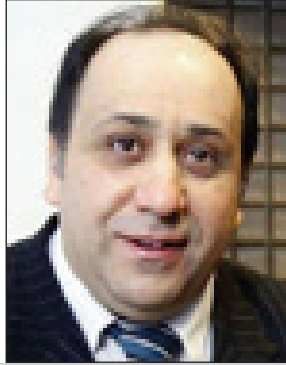
ماہیت سلطان مظفر پی بردم، تصمیم گرفتم به پژوهش دقیقی در مورد این حاکم بلندمرتبه، انسانمدار و دادپرور بپردازم، به چندین منبع به زبانهای مختلف مراجعه کردم، هرچند منابع قابل دسترسی، حاوی اطلاعاتی کافی و در شأن این بزرگمرد تاریخ نبودند، اما همان اندک اندکها را جمعآوری کردم، تا مشتی از خروار تقوی، آزادگی، رادمردی و اندیشه‌ی این دولتمدار هویدا باشد و شرمسار کارنامه‌ی درخشانش نباشیم. مظفرالدین گوگبورو، بهای فرامرزی را برای شهروندان تحت فرمانش قایل بوده، که در حقیقت جای تأمل دارد. نگرش دقیقی در باره‌ی معضلات اجتماعی داشته و برای تأمین مریضان بیمارستان را تأسیس کرده، پناهگاه مأمنی برای نابینایان و بیوه‌زنان و یتیمان و افراد بی سرپرست ساخته‌است و در این خصوص هزینه‌ی بسیاری کرده‌است. همچنین اهتمام فراوانی به تعلیم و تربیت داده‌است و مدارس را ساخته و اساتید و دانشمندان را قدر نهاده و به خود نزدیک کرده‌است، در مقابل، این قشر جامعه نیز به فرمانروای خویش متعهد بوده و این قرابت بازتابی از روشنفکری فرهنگی، ادبی، دینی و اجتماعی را به فضای شهر بخشیده‌است.

آنچه من را همانند خوانندگان زندگینامه‌ی سلطان مظفرالدین متحیر می‌کند، این است، که سلطان مظفرالدین دارای شخصیتی مهربان و انسانمدار و احساسی ظریف بوده و همواره از نزدیک پناه دهندگانش را مراقبت کرده و به آنان سر زده و جویای احوالشان بوده و از مشکلاتشان پرسیده و خواسته‌هایشان را

به جای آورده‌است. سلطان مظفر، قبل از آمدنش به اربیل، خطاب به یکی از دوستانش گفته‌است: - اگر اربیل در تقدیر من باشد و به قلعه‌ی اربیل برگردم، تمام سامان خود را به سه سهم تقسیم می‌کنم. سهمی برای فقرا، سهمی برای آبادانی شهر و سهم دیگرش را هم وقف مدرسانی می‌کنم. مظفرالدین گوگبورو، پرچمدار اکثر جنگهای صلاح الدین ایوبی بود، بخصوص در جنگ (الحطین) که پیروزی در این جنگ، دستاوردهای بسیاری را به دنبال داشت. همه‌ی ملل جهان به رهبری کاریزما و سیاستمداری توانمند نیاز دارند. ما ملت ترکمان نیز از این پس، باید به تاریخ پر افتخار و زبان و فرهنگ غنی خویش افتخار کنیم، که نام آوری همچون سلطان مظفر را داریم. بنده نیز تلاش جدی کرده‌ام تا کارنامه‌ی درخشان این دولتمدار را به تحریر در بیاورم، تا در تدوینی نو، چشم اندازی به سیمای این دولتمدار و دولت و مرز و پرچم و هرآنچه داشته باشیم که برایمان به میراث باقی گذاشته‌اند...

خسرو پیربال - کردستان عراق - اربیل :

انتشارات و حفظ آثار السلطان مظفرالدین کوکبورو



الكاتب في سطور

ولد (خسرو بيربال عمر سعيد القصاب) في ٤/١٠/١٩٦٧ بمحلة (طيراوة) المعروف رسميا بمحلة - ابن المستوفي - العريقة بمدينة اربيل. قبل ذلك كان بيت (بيربال عمر سعيد القصاب) والد الكاتب ولادته في محلة التكية- بقلعه اربيل ثم انتقل الى محلة (سيداوة) باربيل ايضا، ثم تحولوا الى محلة (خانقاه) واستقروا في دار يقع اسفل القلعة و خلف حمام (علي اغا) والتي اصبحت اليوم مسجدا باسم (جامع الجادر).

كان الكاتب ومنذ صغره يهوى القراءة والكتابة. نشر في الصحف العراقية وفي صحيفة (هاوكاري) و صحيفة عراق الكردية لاسبوعية التي كانت تصدر باللغة الكوردية اشعارا ومواضيع تخص الاطفال والنشأ الجديد. درس الكاتب العلوم الاقتصادية في الجامعة صلاح الدين- كلية الادارة و الاقتصاد

وله كتب ومقالات سياسية وادبية وثقافية. نشر لحد الان اربعة كتب وهي: ١- رسائل الغربية (باللغة الكوردية). ٢- اقتصاد اقليم كوردستان - دراسة اقتصادية. (باللغة الكوردية) ٣- دع الكلمات

تستمر (باللغة الكوردية). ٤- كتاب اخر حول اقتصاد كردستان (باللغة الانكليزية). يكتب ويتكلم اللغات: الكوردية، العربية، الانكليزية، الفرنسية، التركية، الفنلندية، الفارسية) بشكل جيد. في التسعينيات من القرن المنصرم نشر مقالات سياسية وثقافية في عدة مجلات والنشرات التي كانت تصدر في كردستان والعراق. والد الكاتب المرحوم الحاج بربال القصاب ولد سنة ١٩١٢ في محلة (التكية - قلعة) بمدينة اربيل الاثرية وهو من عائلة اربيلية تركمانية عريقة وكان والده حدادا، ولكنه (الحاج بربال) ومنذ سنة ١٩٢٠ اصبح قصابا وكان يعرف في سوق القصابين ب(بربال عاصية خان) وكان الولد الوحيد لعائلته وله اختان باسماء (ممة خان وفخرية). تزوجت (فخرية خان) من الحاج (قادر شيخو البقال) المعروف ب(قادر لبلب) والاخرى كانت زوجة ل(فرج افندي). خوال (بربال القصاب) ينتمون لعشيرة (خوشناو) الكوردية وولدوا في قرية (بيريزي) القريبة (اسفل) ناحية صلاح الدين الحالية ثم انتقلوا الى اربيل وكانوا عائلة متواضعة وبسيطة في اربيل جد الكاتب المرحوم (عمر القصاب) كان شرطي الخيالة في (قشلة) اربيل قبل ان يمتهن مهنة الحدادة. كان وفاته بحادث دهس مأساوي من قبل باص كبير في احدى قرى الملاك المعروف بال(ملا افندي). والدة الكاتب المرحومة (امينة سليمان حسن) ولدت في قرية (جومان) التابعة لناحية (بالك) سنة ١٩٢٥ وكانت من عائلة يهودية الديانة وبعد ان تزوجت من الحاج (سليمان) اسلمت. بعد هجوم الجيش الروسي على منطقة (راوندوز) اثناء الحرب العالمية الاولى وكمعظم اهالي المنطقة يتجهون نحو مدينة اربيل

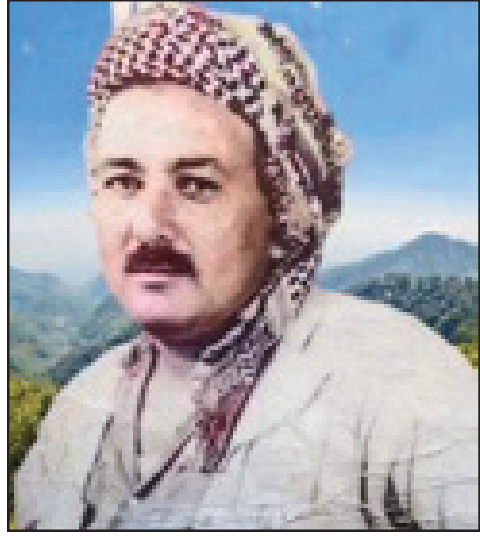
ويستقرون في محلة (سيداوة). وقد وافاها الاجل سنة ١٩٨٩ قبرها موجود في مقبرة كردة رةشة- طريق كركوك. جنوب اربيل . كان للكاتب ومنذ سنة ١٩٨٣ المام بالتجارة والعمل داخل سوق (القيصري) بمدينة اربيل حيث ساهم في اعمال والده ثم وبسبب الدراسة ابتعد عن السوق والاعمال الحرة. للكاتب اراء ومواقف خاصة به ومنذ سنة ١٩٩١ يكتب حول مواضيع وامور عديدة وينشر مقالاته في الصحف والمجلات والمواقع الالكترونية داخل كوردستان وخارجها. ومنذ سنوات يكتب مقالات و كتب عن تاريخ اربيل و القلعة و خاصة اربيل في العهد السلطان مظفرالدين الكوك- بورو



المرحوم بيربال عمر سعيد القصاب

والد الكاتب اربيل ١٩١٢ - ٢٠٠١

محلة تكية القلعة اربيل- قبره موجود في مقبرة شيخ جولى



السيرة الذاتية للكاتب

معلومات شخصية

الإسم: خسرو بيربال عمر القصاب

تأريخ الميلاد: العراق- أربيل ١٠/٠٤/١٩٦٧

الجنسية: العراقية/الفنلندية

العنوان: أربيل- حي العدالة

٠٠٩٦٤٧٥٠٤٤٦١٤١٦

٠٠٩٦٤٧٧٠٤٤٦١٤١٦

أوريا: ٠٠٣٥٨٤٦٥٩٣٣٥٨٦

Pirbal@hotmail.com

الشهادات الاكاديمية

- ٢٠٠٣ ماجستير، ادارة الاعمال الدولية/ جامعة لاهتي التكنيكية -
فنلندا
- ١٩٩٥ ماجستير، الهجرة والتنمية الإقتصادية في الشرق الأوسط/
جامعة باريس ٧- فرنسا
- ١٩٩٢ بكالوريوس، الإقتصاد الأوربي والدولي / جامعة باريس ٧-
فرنسا
- ١٩٨٨ بكالوريوس، الادارة و الاقتصاد، الإقتصاد/جامعة صلاح الدين-
أربيل

المؤهلات والخبرات

على المستوى الوظيفي والدبلوماسي:

- ٢٠١٩ ومستمر منذ ٢٠٠٧ في ديوان رئاسة إقليم كردستان/ المديرية
العامة للعلاقات- دائرة الخارجية KRP.ORG، بدرجة مدير عام
- ٢٠٠٤ الى ٢٠٠٧ دائرة العلاقات الخارجية في المكتب السياسي
للحزب الديمقراطي الكردستاني FROM-KDPPRO
- خبرة متراكمة في العلاقات العامة والدولية الخارجية على وجه
الخصوص

على المستوى الثقافي والإعلامي:

- عضو إتحاد الكتاب الكورد- اربيل
- عضو منظمة القلم الدولية -الفنلندية
- خبرة في مجال العلاقات الخارجية والإدارة الإعلامية والإشراف
عليه

مؤلفات و دراسات

- ٢٠١٩ مظفرنامه - السلطان مظفرالدين كوكبورو أمير أربل-
٢٠١٣ تأريخ الأدب الفنلندي والمجموعة الشعرية الكاملة للكاتب
والشاعر الفنلندي بنتي ساريكوسكي
٢٠٠٣ كوردستان، الملامح الاقتصادية الإقليمية/ دراسة اقتصادية
باللغتين الكوردية والإنجليزية
٢٠٠٠ لمحة تاريخية عن كوردستان العراق
٢٠٠٩ رسائل المنفى/ كتابة نثرية- شعرية
منذ ١٩٩٣ نشر العديد من المقالات والبحوث في الصحف والمجلات
المحلية والعالمية وباللغات الكوردية والإنجليزية والفنلندية
اللغات
الكوردية (اللغة الأم)، العربية
الإنجليزية، الفرنسية، الفنلندية، التركية والفارسية

مصادر هذا البحث

- ١- اربيل في عهد الاتابكية (باللغة الكوردية). الدكتور محسن محمد حسين. من منشورات الاكاديمية الكوردية - اربيل ٢٠١٠.
- ٢- اربيل كما سمعت عنها ومن مصادرها (باللغة الكوردية). سيد مولود بيخالي - الجزء الرابع. اربيل ٢٠١٠.
- ٣- المنقبة النبوية (باللغة الكوردية). رشاد افندي - الطبعة الثامنة اربيل ٢٠٠٦.
- ٤- مجموعة بحوث في التاريخ الكوردي (باللغة الكوردية). دكتور محسن محمد حسين - من منشورات الاكاديمية الكوردية - عدد ١٩٩. اربيل ٢٠١٣.
- ٥- نسختان من المنقبة النبوية باللغة التركمانية والتي تعود تاريخهما الى سنة ١٩٣٠. حفظتا وطبعتا في كركوك من قبل الاستاذ والمحامي يونس عبدالله حداد.
- ٦- المدارس العلمية ودورها في اعداد العلماء والدعاة في اربيل - بلال ملو برخال البرادوستي - ٢٠١٨.
- ٧- مجاهدالدين قايماز نائب اربيل والموصل. الدكتور صادق احمد داود جودة. دار عمان - الاردن. مؤسسة الرسالة ١٩٨٥.
- ٨- اربيل. دراسة تاريخية. مجموعة مؤرخين باشراف الدكتور محسن محمد حسين. مؤسسة اراس ٢٠١٢.
- ٩- بحوث في التاريخ الكوردي. دراسة حول اربيل. صلاح الدين يوسف. ابن اثير وغيرهم للكاتب الدكتور محسن محمد حسين. من منشورات الاكاديمية الكوردية ٢٠١٢.
- ١٠- اربيل - هولير بين الماضي والحاضر - مديرية دار الكتب

- للطباعة والنشر. جامعة الموصل ١٩٨٦.
- ١١- ابن اثير - الكامل في التاريخ.
- ١٢- ابن خلكان. وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان.
- ١٣- ابن العماد الحنبلي - شذرات الذهب في اخبار من ذهب.
- ١٤- ابن واصل - مفرج الكروب في اخبار بني ايوب.
- ١٥- سبت ابن الجوزي - مرآة الزمان في تاريخ الاعيان.
- ١٦- الدكتور اميد ابراهيم الجوزلي - تاريخ الترك والتركمان في اربيل - مكتبة التفسير. ٢٠١٩.
- ١٧- الدكتور رامز عزيز - سرد تاريخ اربيل - (معلومات عن طريق الاخ عثمان المفتي).
- ١٨- صنعان احمد اغا. اصالة التركمان. اربيل ٢٠١٧.
- ١٩- اربيل المدنية السلجوقية. باللغة التركية. (للكاتب محمد الكرمانلي) انقره. ٢٠١٤. Erbil selcuki medanetti. garmuanli. Ankara
- ٢٠- تاريخ الموصل. سليمان الصائغ ١٩٢٦. جزئين الاول والثاني.
- ٢١- تاريخ الموسيقى الكوردية (بلغة الكوردية) - الدكتور محمد حمة باقي. اكاديمية كوردستان.
- ٢٢- ارشيف ناصر الحارثي. السعودية - جامعة الملك عبدالعزيز. - المواقع الالكترونية في الفيسبوك و تويتر
- ٢٣- مجموعة بحوث حول التاريخ الكوردي - الدكتور محسن محمد حسين. من منشورات الاكاديمية الكوردية. العدد ١٩٩ - اربيل ٢٠١٣.
- ٢٤- تاريخ الموصل - كوركيس عواد - بغداد. مطبعة النهضة ١٩٣٤.

- ٢٥- جامع الحنابلة - المظفري - بصالحية الجبل القاسيون.
الدكتور محمد مطيع الحافظ - بيروت ٢٠٠٢.
- ٢٦- صبحي ساعاتجي, القبائل و العشائر التركمان في العراق و مناطق سناهم, وقف كركوك- كركوك ٢٠١٩ مؤسسة فظولى ترجمة ارشد احمد رمزى
- ٢٧-ابن خلكان - من مشاهير و اعلام المسلمين, زبير بلال اسماعيل, مطبعة الامة - بغداد , ١٩٧٩

خارج هذه المصادر لقد استفد ايضا من عدد من المواقع الالكترونية والفيديو ومن بعض الشخصيات الاربيلية واستخدمت الصور والوثائق التي حصلت عليها من هؤلاء فلهم الشكر والتقدير.

بما اننى كتبت و دونت التاريخ الشفوى للسلطان مظفرالدين الكوك بورو , حاول ايجاد كل المقالات و الدراسات و المعلومات المنشورة و بلغات عديدة و في مصادر متعددة , و رايت من الواجب نشره في نهاية كتابي, او بالاحرى في كتاب مظفرنامه- كتاب السلطان .

ولهذا ترون مجموعة مقالات و الابحاث المنشورة من قبل كتاب اخرين, لاغناء الموضوع نشرت مرة اخرى في كتاب مظفرنامه- الكامل في التاريخ و حكاية السلطان و امير اربل .
والله من وراء القصد ...

مُظَفَّرُ الدِّينِ كُوكُبُورِي

أُمِّيْرُ اِرْبِل

تأليف

عَبْدُ الْقَادِرِ أَحْمَدِ طَلِيحَات

وزارة الثقافة والإرشاد القومي

المؤسسة القطرية العامة

للأبحاث والترجمة والطباعة والنشر

أعلام العَرَبِ
الكتاب القادم

رشيد رضا
الإمام المجاهد

بقلم
الدكتور إبراهيم أحمد العدوي

صدر في ٢ سبتمبر ١٩٦٤

يطلب

مكتبة

٣ شارع كامل
المن ٥ قروشي

طبعة جديدة

مُطَفَّرُ الدِّينِ كُوكُبُورِي
أَمِيرِ اِرْبِلْ

تأليف

عبد القادر أحمد ظلمات

مقدمة

هل مظفر الدين كوكبوري عربى الجنس والدم حتى نعه من العرب فنشر سيرته فى سلسلة أعلام العرب ؟
أو هو تركمانى الجنس والدم كما يدل عليه بعض اسمه ، فيقتضى ذلك اخراجه من زمرة العرب ، فلا ننشر سيرته فى سلسلة أعلام العرب ؟

وقبل الاجابة عن هذا السؤال ، نسأل ، هل يشترط فى الرجل أن يكون عربى الجنس والدم لكى يكون عربيا ، أم لا يشترط ذلك ما دام أنه يحوز المقومات التى تجعله يساوى العربى ويقف معه جنبا الى جنب فى كثير مما هو عند العربى ؟

وقبل الاجابة عن السؤالين : أريد أن أوضح سبب اثاره السؤال عن عروبة مظفر الدين ، وذلك لأن هناك من اعترض على نشر سيرة الظاهر بيبرس فى سلسلة أعلام العرب ، لأن الظاهر بيبرس — فى عرف المعترضين — **جر كسى** الأصل ولم يكن عربيا ، فأردت هنا أن أحدد من هو العربى لا برأى ، وانما برأى النبى العربى محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام . فقد خطب عليه السلام فى المسلمين خطبة جامعة ، حدد فيها من هو العربى ، فقال :

« يا أيها الناس ، ان الرب واحد ، والدين واحد ، والأب

واحد ، ومن أسرع به عمله لم يبطن به نسبة ، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبة ، ومن دخل في هذا الدين فهو من العرب « (١) .

وما دمتنا قد ذكرنا تعريف النبي العربي ، للعربي ، نرى من اللازم أن نذكر مناسبة هذا التعريف وسببه ، ليكون أقوى في الاقتناع وأثبت في الذهن .

فقد روى أن الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص ، دخل المسجد ليصلى في عهد الرسول ، فوجد فيه سلمان الفارسي ، وصهيب الرومي ، وبلال الحبشي ، وسالم الفارسي مولى أبي حذيفة مجتمعين في حلقة يتحدثون ، فدخل سعد في الصلاة ، وبينما هو في صلاته ، سمع أعرابيا يقول لهم ساخرا : تحلقتم يا معشر العليجة (٢) كأنكم من الأوس والخزرج (٣) ، فقال سعد ما سمع من الأعرابي فعجل في صلاته حتى إذا انتهى منها أسرع الى الأعرابي وأخذ بتلايبه وهو يعنفه ويقول له : يا عدو نفسه ، تقول هذا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم !! ثم سحبه وذهب به الى النبي فأخبره بما قاله للصحابة ، فعظم ذلك على النبي ، فجمع المسلمين وخطبهم الخطبة التي ذكرناها (٤) .

(١) القرب في محبة العرب ، ص ٢٧ .

(٢) العليج ، هو الكافر من العجم أو الروم .

(٣) يريد أن يعيرهم بأنهم من غير العرب حتى يجلسوا في حلقة

كما يجلس العرب . والأوس والخزرج قبيلتان عربيتان .

(٤) القرب في محبة العرب ، ص ٢٧ .

فليس العربي اذن من هو من أرومة عربية وحسب ، وانما العربي أيضا كل من اعتنق الاسلام وهو دين العرب ، وكل من اتخذ اللغة العربية لغة له وهي لغة العرب ، وأن كل من عمل على الحفاظ على الاسلام ، وعلى أمجاد الاسلام ، وعلى أرض الاسلام ، فهو من العرب .

فالظاهر يببرس كان يملك كل هذه الحثيات ، فهو اذن من العرب . فهو اسلامي العقيدة ، عربي اللسان ، وقد جاهد حق الجهاد في سبيل الاسلام وأمجاد الاسلام وأرض الاسلام ، ويشهد له تاريخه المجيد بذلك .

ومنظر الدين كوكبوري ، صاحب هذه الترجمة ، كان يملك كل هذه الحثيات أيضا ، كما سنرى من سيرته . فهو مسلم العقيدة ، ولد مسلما ومات مسلما . واتخذ اللغة العربية لغة له ، فكان يحسنها قراءة وكتابة وحديثا .

وشارك في الدفاع عن دين الاسلام وأمجاد الاسلام وأرض الاسلام باشتراكه في الحروب الصليبية .

وفضلا عن هذا ، فقد حكم بلاده حكما اسلاميا ، فرعى حق الله في رعيته فأحسن سياستها ، وعدل في حكمها ، واهتم بمصالحها ، ولم يأل جهدا في اسعادها ، فاهتم بالفقير ، ورعى المسكين ، واحتضن الضعيف ، وأخذ بيد المظلوم ، وضرب على يد الظالم ، وهو الحكم الصحيح الذي ينادى به الاسلام ، ويدعو اليه نبي المسلمين .

وبعد . فلماذا اخترت مظفر الدين كوكبوري موضوعا لهذا الكتاب ؟

والجواب عن ذلك ، أن مظفر الدين قد جذبني اليه بعدة عوامل :

فهو كحاكم ، لمست فيه الحاكم المستنير الذي لم تشغله الحروب والاضطرابات السائدة في عصره ، عن الاهتمام بمصالح امارته « اربل » ، فحول المدينة المغمورة — قبل أن يحكمها — الى وحدة سياسية أدلت بدلوها في الأحداث الجارية ، وجعلها كيانا سياسيا قائما بنفسه .

ووجدته قد جعل من المدينة المهمة طيلة تاريخها الاسلامي يوما قبله بقليل ، مدينة عامرة زاخرة بال عمران والزراعة والتجارة ، حتى نالت اعجاب كل من رآها في عصره ، وحتى جذبت اليها كثيرا من السكان المجاورين لها فأقاموا بها ، أو قضوا بها وقتا طويلا .

ووجدته قد اهتم بمجتمعه اهتماما بالغا حد الروعة ، وتنبه الى ما فيه من أمراض صحية واجتماعية ، فأقبل على علاجها اقبال الرجل المتسع الأفق ، فأنشأ مستشفى للمرضى ، وملاجئ للعميان والأرامل واليتامى الصغار واللقطاء ، وخصص لهذه المنشآت الانسانية الأموال الضخمة . كذلك اهتم بنشر التعليم فبنى مدرسة ، واحتضن المدرسين والعلماء وأكرمهم وأبرهم ، فلازمواه وأضفوا على مجتمعه مسحة جميلة من الثقافة الدينية والأدبية .

وأعجبنى منه كإنسان ، ما كان يتحلى به من الشعور الرقيق ،
والعواطف الكريمة ، والانسانية الراقية ؛ فقد كان يرعى نزلاء
الملاجئ ويتفقدهم بنفسه ، ويسألهم عما ينقصهم فيستكملة ،
وعما يزعجهم فيزيله ، فكان هذا الشعور الانسانى الكريم
ما هزنى منه واستثار اعجابى كما سيستثير اعجاب وتقدير قارىء
سيرته . بالاضافة الى أنواع البرمالالى الذى كان يطره على
الفقراء والمحتاجين دون أن يسألوه الحافا ، فى المناسبات الدينية
وغيرها ، فكان يره متواصلا على مدار السنين التى عاشها حاكما
على شعبه . ثم تعدت انسانيته الى أبعد من هذا ، حيث أنشأ
فى « اربل » دارا للضيافة ، يستضيف بها كل عابر سبيل يمر
بمدينته ، فيريح نفسه ودابته فى هذه الدار — بلا مقابل —
ما شاء له أن يستريح ، ثم يواصل بعد ذلك سفره مشكورا بعد
أن يتزود — بلا مقابل أيضا — بما يكفيه أثناء سفره حتى يصل
الى المكان الذى يقصده .

يضاف الى ذلك ، حياته الخاصة والعامة ، ففى شقيها كان
يحيا حياة البساطة ، بل هى حياة أقرب الى التصوف منها الى
أية حياة أخرى ، فلم يكن يهتم بمظاهر الملك والامارة ، وما كان
يقيم فى قصر فاخر أو فى دار مرفهة ، وانما كانت اقامته اما فى
قلعة المدينة أو فى دار من دور الصوفية ، وقد حبيت اليه ثقافته
الدينية هذه الحياة المبسطة الرضية ، وكانت أحلى أوقاته
وأعذبها ، هى تلك التى يقضيها مع العلماء من فقهاء ومحدثين .

وصوفية ، أو تلك التي يقضيها على صهوة جواده يخوض غمار
المعارك ضد الصليبيين بالشام .

وبعد كل هذا ، قد أعجبنى من مظفر الدين دوره الكبير الذي
أداه مع صلاح الدين في حركة الجهاد المضنى ضد الصليبيين
— وقد كان الصليبيون مشكلة الساعة بالنسبة للعالم الاسلامى
كله في ذلك الوقت — فساهم في الانتصارات الصلاحية الكبيرة
على الصليبيين .

وإذا كان هذا الكتاب مخصصا للحديث عن مظفر الدين ،
فانه يتحدث أيضا عن أسرته : والده وأخيه ؛ ذلك أنه لا يستساغ
الحديث عن مظفر الدين دون التعريف بأسرته ، خاصة وأن والده
كان أول من حكم مدينة « اربل » ، ثم حكمها أخوه زين الدين
يوسف ، ثم حكمها هو من بعده . فضلا عن أن والده وأخاه
شاركوا في أحداث العصر ، فكان لوالده دور كبير في ظهور دولة
كبيرة هي دولة بنى زنكى في الموصل والشام ومصر . فمن
الضرورى اذن ، أن نفرد فصلا خاصا عن والد مظفر الدين
وأخيه ، وما أدباه لعصرهما من خدمات .

وأرجو بعد هذا ، أن أكون قد وفقت في تقديم ما يفيد .

وعلى الله قصد السبيل .

عبد القادر أحمد طليمات

مصر الجديدة فى
} رجب ١٣٨٣
} نوفمبر ١٩٦٣

الفصل الأول مؤدات مسارة

كان الكيان الساسى للعالم الاسلامى فى القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) قائما على وحدات اقليمية كبيرة وعلى وحدات مدينية صغيرة . وأبرز ما نراه من هذه الوحدات الاقليمية والمدينية هو ما يقع غرب بغداد مركز الخلافة : فى العراق ، والجزيرة ، والشام (١) . أما ما يقع شرق بغداد : فى فارس ، وخراسان وغيرهما : فان الوحدات الاقليمية كانت هى الغالبة . وهذا هو المظهر الواضح لتفكك الدولة الاسلامية الكبرى الى دول ودويلات متعددة .

وقد بدأ تفكك وحدة العالم الاسلامى منذ العصر العباسى الثانى ، حيث ظهر الولاة المتغلبون بسبب ضعف الخلفاء ، فأنشأوا الدول الاقليمية الكبرى ، أو ما نسميه اليوم حكم الأسرات ، فكان كل اقليم تحكمه أسرة متغلبة لا يربطها بالخلافة الا الولاء الدينى ، أما علاقة الأسر بعضها ببعض فهى علاقة التنافس والتقاتل من أجل التوسع والامتلاك .

(١) المقصود بالشام هنا ، سوريا ولبنان وفلسطين .

ويحدد المؤرخ المعاصر ابن مسكويه ، سنة ٣٢٤ ، بأنها السنة التي بلغ فيها التفكك أقصاه ، فقد كانت البصرة في يد ابن رائق ، وخوزستان في يد البريدي ، وفارس في يد عماد الدين بن بويه ، وكرمان في يد أبي علي محمد بن الياس ، والري وأصبهان والجبل يتنازع عليها كل من ركن الدولة بن بويه ووشمكير ، وخراسان وما وراء النهر في يد نصر بن أحمد الساماني ، وطبرستان وجرجان في يد الديلم ، والموصل ودياربكر ومضر وربيعة في يد بني حمدان ، ومصر والشام في يد محمد بن طنج الأخشيد ، والبحرين واليمامة في يد أبي طاهر القرمطي ، والمغرب وإفريقية في يد الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله ، والأندلس في يد عبد الرحمن بن محمد الملقب بالناصر الأموي (١) .

وظل الوضع هكذا حتى ظهرت الأسرة السلجوقية سنة ٤٣٢ هـ (١٠٤٠ م) ، فأخذت على عاتقها حكم المشرق الاسلامي نيابة عن الخلفاء العباسيين ، فاستطاعت أن تخضع معظم الأقاليم المشرقية (٢) الى سلطانها ، وبذلك عادت وحدة هذا الجزء من العالم الاسلامي الى ما كانت عليه الى حد ما ، وبخاصة في عهد السلطان ملكشاه أعظم سلاطين بني سجلوق (٤٦٥ - ٤٨٥ هـ = ١٠٤٢ - ١٠٩٢ م) ، ولكن ما أن مات ملكشاه حتى عادت الوحدة الى التفكك من جديد ، ولكن بصورة أوسع ، ففضلا عن عودة الدول الاقليمية - أو دول

(١) تجارب الأمم : ج ٥ / ص ٣٥٣ .

(٢) المقصود بالمشرق هنا ، مايقع شرق البحر المتوسط .

الأسر — مرة أخرى فانه ظهرت الى جانبها دول المدن في داخل الدول الاقليمية ، أى أن الكثير من هذه الأقاليم تفتت الى وحدات سياسية صغيرة ، يحكم كل وحدة أمير ، حكما مستقلا . وكان نظام الاقطاع العسكرى الذى عممه السلاجقة ابان حكمهم هو السبب في ظهور دويلات المدن ، فقد اتبع السلاجقة نظام الاقطاع ، لكى يقوم الاقطاع مقام العطاء والمرتبات التى كانت تدفع لولاة الأقاليم ولقواد الجند .

وكان لهذا النظام امتيازات كبيرة للمقطع ، أهمها أنه كان له حق حكم الولاية أو الاقليم حكما داخليا مستقلا ، وله تبعاً لذلك أن يتقطع مدن الولاية لقواد جنده وكبار موظفيها عوضاً عن دفع مرتبات لهم . فلما مات السلطان ملكشاه ، كان على الأقاليم ولاة اقطاعيون ، فانتهم معظم الولاة فرصة النزاعات الأسرية بين خلفاء ملكشاه على السلطنة والملك ، فاستقل كل وال بولايته ، وقطع صلته بالسلطة المركزية العليا ، ولا يدين بالطاعة الا للخليفة ، وهى طاعة دينية نظراً لمركز الخليفة الدينى ، حتى اذا ما اتتصف القرن السادس ، كان العالم الاسلامى مشرقه ومغربه عبارة عن ولايات اقليمية ومدينة .

وليس أدل على ذلك من ظهور مدينة اربل المغمورة ، كوحدة سياسية مستقلة في أواخر القرن السادس الهجرى ، وكان ظهورها عن طريق اقطاع اقليمى هو اقليم الموصل ، فقد كانت قبل ظهورها كوحدة سياسية قائمة بنفسها ، مجرد مدينة مغمورة من ضمن اقليم الموصل ، فأقطعها أمير الاقليم عماد الدين زنكى لقائده .

زين الدين على بن بكتكين في سنة ٥٢٦ هـ (١١٣١ م) ، فتحوّلت المدينة بذلك الى امارة صغيرة لها حكم ذاتي داخلي فقط ، يدين أميرها لأمير الموصل ، الا أنه أصبح للمدينة كيان سياسي يختلف عن كيانها السابق ، فأصبحت تسهم في الأحداث الجارية ، بعد وفاة زين الدين على ، وولاية ابنه زين الدين يوسف عليها ، ففي عهده قامت حروب المنافسة بين صلاح الدين الأيوبي وبين بنى زنكي بعد وفاة نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي سنة ٥٦٩ (١١٧٣ م) ، فرأى زين الدين يوسف أن من مصلحته ومصلحة امارته أن يحول تبعيته من الموصل الى صلاح الدين ، وان كان هذا التحول لم يغير من وضعه شيئا ، فقد ظل في مركز التابع لصلاح الدين ، مقيدا بسياسته لا يحيد عنها ، الا أنه أثر في ميزان القوى بين الخصمين المتنافسين ، حيث أضعف قوة الموصل ، بينما زاد من قوة خصمها . ثم لما توفي زين الدين يوسف وخلفه أخوه مظفر الدين — وكانت امارته عليها عن طريق صلاح الدين بصفته السيد الأول للمدينة — استمر مظفر الدين على ولائه لصلاح الدين ، غير أن دور المدينة في عهد مظفر الدين كان أخطر وأهم ، بسبب اسهام مظفر الدين في الحروب الصليبية مع صلاح الدين اسهاما كبيرا .

ثم تغير وضع المدينة تماما بعد وفاة صلاح الدين سنة ٥٨٩ هـ (١١٩٣ م) ، بحيث تحوّلت من وحدة سياسية تابعة الى وحدة سياسية مستقلة استقلالاً كاملاً في سياستها الداخلية والخارجية على السواء يتصرف صاحبها مظفر الدين بوحى من مصالحه

ومصالح مدينته ، وقد ساعده على هذا التحول تفكك دولة صلاح الدين الموحدة بعد وفاته ، بسبب ما حدث بين أبناء الأسرة الأيوبية خلفاء صلاح الدين من التنازع والحروب من أجل السلطنة والملك — كما حدث بين أبناء الأسرة السلجوقية بعد وفاة السلطان ملكشاه ، وكما حدث بين أسرة بنى زنكى بعد وفاة نور الدين محمود — فاستقل كل أيوبى بمدينته التى كان يقوم على حكمها أيام صلاح الدين ، وبذلك تفككت الدولة الأيوبية وتحولت الى دويلات مدينية ، فاقليم الشام — مثلا — بعد أن كان موحد الأجزاء والادارة على عهد صلاح الدين ، تفكك بعد وفاته الى دويلات مدينية ، ففى دمشق حاكم ، وفى حلب حاكم آخر ، وفى حمص حاكم ثالث ، وفى الجزيرة حاكم رابع ، ففقد الاقليم بذلك وحدته ، واذا عرفنا أن مصر كان لها حاكمها الأيوبي الخاص بها ، تبين لنا مدى تفكك الدولة الأيوبية الموحدة ، علاوة على ما ترتب على هذا التفكك من نتائج ، فقد كان كل حاكم لا يعمل الا بما فيه مصلحته الخاصة ومصحة مدينته ، دون العمل للمصلحة العامة للاقليم كله ، فضلا عن حروب المنافسة التى كانت تحدث بينهم .

فاتتهز مظفر الدين فرصة النزاع الأسرى الأيوبي فاستقل بمدينته وحولها الى امارة . ثم اتخذ لنفسه لقب الملك المعظم . وعلى ذلك ، فان امارة اربل ولدت فى عصر ، أصدق وصف له ، هو « عصر الغلبة » ، فقد كان صاحب كل وحدة سياسية كبيرة أو صغيرة يجد فى نفسه المقدرة الحربية على التوسع على

حساب جيرانه لا يتوانى فى شن الحرب على المستضعفين منهم ، وقد حاول مظفر الدين نفسه أن يجارى عصره فى التوسع عن طريق الغلبة مرتين ، ولكنه فشل فى كليهما . فأما المرة الأولى فحين كان أميراً على حران (كما سيأتى فى الفصل الثالث) فحاول أن يستولى على مدينة حلب فى سنة ٥٧٨ هـ (١١٨٢ م) ولكنه فشل لضعف قوته فى ذلك الوقت وعدم موافاة الظروف له ، وأما المرة الثانية ، فقد كانت بعد أن أصبح أميراً على اربل ، وفشل فيها أيضاً ، ولكن فشله فى هذه المرة — على ما يبدو — لم يكن عن ضعف فيه ، وإنما كان مرجعه وازع خلقى .

كذلك تعرض مظفر الدين لأطماع الغير فى امارته ، فقد طمع فيها بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ، وطمع فيها الأشرف موسى صاحب دمشق ، كذلك طمع فيها جلال الدين خوارزم شاه ، وأخيراً طمع فيها التتار ، ولكنه استطاع أن ينقذ امارته من براثنهم جميعاً ، بالحرب أحياناً ، وبمعاهدات الصداقة أحياناً أخرى . وسوف نتعرض لكل هذا بالتفصيل فيما يلى من الكتاب .

الفصل الثاني أسرة مظفر الدين كوكبوري

نشأ مظفر الدين في أسرة تركمانية الجنس تتكون من أبيه زين الدين علي بن بكتكين بن محمد وأخيه الأصغر زين الدين يوسف . وقد شاهد مظفر الدين من أمجاد أبيه ما كان له أثره في حياته للعلمة والخاصة ، فقد بلغ والده من المجد والسؤدد مكانة عالية . حتى أصبح محط أنظار أهل عصره في المنطقة التي كان يعيش في محيطها ، وهي الموصل والجزيرة واربل .

ويحدثنا المؤرخون : بأن زين الدين عليا ، كان في مبدا أمره مملوكا من مماليك قسيم الدولة آقسنقر الحاجب أمير حلب ، ولكن جاء الوقت الذي أصبح فيه هذا المملوك سيذا خطيرا من سادات مدينة الموصل ، يخطب ملوكها وده ، ويعتمدون عليه في ادارة مملكتهم وقيادة جيوشهم .

وقسيم الدولة آقسنقر ، الذي كان زين الدين من مماليكه ، كان أحد كبار قواد السلطان ملكشاه السلجوقي ومن أخص أصحابه ، وفي سنة ٤٧٩ هـ (١٠٨٦ م) استولى السلطان ملكشاه على مدينة حلب وكانت تابعة للخلافة الفاطمية في مصر ، وكان

قسيم الدولة يرافق السلطان في مسيره الى حلب ، فأقطعه ملكشاه المدينة وأعمالها ليقوم على حكمها ، فتحول قسيم الدولة بذلك من قائد في جيش الى حاكم مدينة عظيمة كمدينة حلب وما يتبعها من مدن وقرى ، فانتقل اليها قسيم الدولة بأسرته وجنده وغلماؤه — ومنهم زين الدين علي — واستقر بها (١) .

ولا نعرف على وجه التحديد كيف ومتى دخل علي بن يكتكين في ملك قسيم الدولة . ولذلك نرجح — فيما يختص بكيفية دخوله في خلصته — أن ذلك حدث اما عن طريق الأسر في إحدى غزواته الحربية ، واما عن طريق الشراء . أما متى دخل في ملك قسيم الدولة ، فان من الصعوبة بمكان تحديد السنة ، وانما الذي نرجحه أن عمر زين الدين كان في سنة ٤٧٩ نحو ست عشرة سنة ، اعتماداً على ما يذكره المؤرخون بأنه توفي سنة ٥٦٣ وله من العمر نحو مائة عام (٢) ، فيكون مولده اذن حوالي سنة ٤٦٣ ، فاذا عرفنا أن قسيم الدولة انتقل الى حلب بغلماؤه وأهله في سنة ٤٧٩ ، فبعملية حسابية بسيطة بين سنتي مولد عليّ وانتقال قسيم الدولة الى حلب ، نجد أن عمره كان نحو ست عشرة سنة .

ويبدو أن زين الدين عليا ، كان له من الميزات ما حبه الى سيده ، فقربه اليه ، وأضفى عليه الكثير من العناية والرعاية ، مما جعل زين الدين يحفظ له فضله في شخص ابنه عماد الدين

(١) التاريخ الباهر ، ص/٤/٦ .

(٢) وفيات الأعيان ، ج/٣/ص/٢٧٠ .

زنكى ، فقد لزم على ، عماد الدين بعد مقتل والده ولم يفارقه حتى وفاته ، أى وفاة عماد الدين .

ظل على — وقد اتخذ لنفسه فيما بعد لقب زين الدين — في خدمة قسيم الدولة حتى مقتله في سنة ٤٨٧ هـ (١٠٩٤ م) في حرب منافسة بينه وبين تاج الدولة تتش صاحب دمشق (١) . وأصبح عماد الدين — وكان له من العمر نحو عشر سنين — وحيدا ليس له من يأخذ بيده أو يقوم على شئونه من أفراد أسرته ، غير أنه كان لوالده بعض الأصدقاء المخلصين ، فاحتضنه واحد بعد واحد ، هو وغلمان أبيه ومنهم زين الدين ، حتى اذا اشتد عوده ، اختار القتال مهنة له فالتحق بجيوش أمراء الموصل ، وكان يلزمه صاحبه ورفيقه على — الذى اختار القتال أيضا مهنة له — فكانا يتلازمان ولا يفارق أحدهما الآخر ، فأخذت الصداقة تتوثق بينهما كلما امتد بهما العمر .

وقد حارب كل من عماد الدين وزين الدين ، وهما في خدمة أمراء الموصل ، في عشرات المعارك ، سواء تلك التى كانت تدور في حروب المنافسة بين أمراء الموصل وبين جيرانهم الأمراء المسلمين ، أو تلك التى كانت تقوم بينهم وبين الصليبيين في الشام ، فتمرس كل منهما في القتال ، وأصبحا من رجال الحرب المشهورين في عصرهما .

ولكن حين بلغ عماد الدين الأربعين من عمره ، وذلك في

(١) التاريخ الباهر ، ص/١٥ .

سنة ٥١٧ هـ (١١٢٣ م) ضاق ذرعا بعمله كمحارب يحركه أمير الموصل الذي يعمل في خدمته كيف يشاء ومتى شاء ، فلا يملك لنفسه حرية التصرف والعمل ، وانما يتنقل من ميدان قتال الى ميدان آخر بحسب ما تقتضيه مصالح صاحب الموصل وظروف الأحداث . فهو آنا يقاتل في الجزيرة ، ومرة في الشام ، وأخرى في العراق ، ونفس عماد الدين الطموحة ترفض الاذعان لأمر يتحكم فيه وفي ارادته ، فهو يريد أن يتحرر من كل هذا ، ولكن كيف السبيل الى هذا التحرر ؟ وفي ساعة ضيق كان يجلس مع بعض خلصائه في الجيش ، ومنهم صاحبه زين الدين على ، فصاح عماد الدين أصحابه بما يثور في نفسه ، قال : قد ضجرنا مما نحن فيه ، كل يوم قد يملك البلاد (أى الموصل) أمير وتؤمر بالتصرف على اختياره و ارادته ، ثم تارة هو بالعراق : وتارة بالموصل ، وتارة ببلاد الجزيرة ، وتارة بالشام ، فبم تشيرون أن أصنع ؟ فسكت أصحابه لا يحIRON جوابا ما عدا زين الدين ، فانه أجابه : يا مولانا ، التركمان تقول في أمثالها : اذا أراد الانسان أن يضع على رأسه حجرا فليكن من جبل كبير ، ونحن اذا كان لابد أن نخدم الناس ، فلأن نخدم السلطان أولى . ونصيحة زين الدين على هذه ، تدل بوضوح على أنه كان أيضا ذا نفس طموحة كصاحبه عماد الدين ، وأن عوامل الضيق كانت تثور في نفسه كما كانت تثور عند صاحبه ، وأنه عزوف عن الصغائر ، ولعل ملازمة الرجلين كل منهما للآخر سببها هذا التجاوب بينهما ، فكل منهما ذو نفس كبيرة وآمال واسعة ، ولذلك نرى عماد الدين

يتقبل اقتراح صاحبه بارتياح ، ثم وضع الاقتراح موضع التنفيذ ، فترك خدمة قسيم الدولة آقسنقر البرسقى أمير الموصل ، واتجه مع صاحبه الى السلطان محمود بن ملكشاه السلجوقى سلطان العراق — وكان بهمدان — وعرض عليه الدخول فى خدمته ، فرحب به السلطان محمود لسابق معرفته بوالده وخدمته للأسرة السلجوقية على عهد أبيه ملكشاه ، بالإضافة الى ما سمعه عن شجاعة عماد الدين نفسه ، وبطولته فى حروبه ضد الصليبيين بالشام ، فألحقه فى جيشه وزوجه أرملة أحد كبار قواده ، ثم أقطع مدينتى البصرة وواسط ، فسار الى واسط وفى رفقة زين الدين على . ولما رأى السلطان شجاعة عماد الدين ومهارته الحربية فى الحروب التى خاضها معه ضد الخليفة العباسى ولاء شحنكية (١) بغداد . وفى سنة ٥٢١ هـ (١١٢٧ م) انتقل عماد الدين من أمير صغير لولايتين صغيرتين الى أمير كبير على امارة من كبريات الامارات الاسلامية ، وهى امارة الموصل .

فقد كانت الموصل حتى سنة ٥٢٠ هـ تحت حكم قسيم الدولة آقسنقر البرسقى ، وكانت الموصل فى ذلك الوقت تنزع حركة المقاومة الاسلامية للغزو الصليبي بالشام ، وقد حدث أن قتل البرسقى فى تلك السنة غدرا (٢) ، فخلفه ابنه عز الدين مسعود ، ولكن بدلا من أن يوجه مسعود مجهوده الحربى ضد

(١) الشحنة : لفظ فارسى ، معناه : محافظ المدينة ، أو نائب الملك أو رئيس البوليس والمعنى الأول هو المقصود هنا .

(٢) الكامل ، ج/٨/ص/٣٢٠ .

الصلبيين كما كان يفعل أبوه ، فانه وجهه ضد مدينة دمشق
الاسلامية طمعا في الاستيلاء عليها (١) ، فخرج بجيش الموصل
اليها ، ومرّ وهو في طريقه الى دمشق على مدينة الرحبة فحاصرها
واستولى عليها ، ثم أخذ يتجهز لكي يواصل مسيره الى دمشق ،
الا أنه مرض مرضا شديدا توفي به على الاثر ، فأقام نائب
مسعود بالموصل ، ابنا قاصرا المسعود أميراً عليها (٢) .

ولما كانت الموصل تقع تحت حكم السلطان محمود
السلجوقي ، كان لابد لنائب الموصل من أن يحصل على موافقة
السلطان على احلال الطفل مكان أبيه في الامارة ، ومن ثم أرسل
رسولين الى السلطان للحصول على هذه الموافقة ، فلما علم
عماد الدين وهو ببغداد بذلك ، اتصل بالرسولين بواسطة بعض
أصدقائه يعرض عليهما أن يتولى هو امرة الموصل في مقابل
اعطائهما اقطاعات في الموصل اذا تمت ولايته عليها ، فأجابه
الرسولان الى ذلك ، وقد دفعهما الى الاجابة أيضا كراهما
لنائب الموصل وتخوفهما منه . ولما اجتمعا بالسلطان نجحا في
اقتناعه بتولية عماد الدين امرة الموصل بدلا من ابن مسعود
القاصر ، متذرعين بدقة موقف الموصل بالنسبة لخطورة الصليبيين ،
وأن زعامة الموصل لحركة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين تتطلب
أن يولى عليها رجل ذو خبرة وكفاءة حربية ممتازة ، وأن عماد الدين

(١) طمع مسعود بدمشق هو أحد الأمثلة لـ « عصر الغلبه »
الذي ذكرناه في الفصل السابق .
(٢) الكامل ، ج ٨ / ص / ٣٢٤ .

هو خير من يتولى امرة الموصل ، فاقتنع السلطان بحجتها ، وولى عماد الدين أميرا عليها ، فسار عماد الدين اليها ، وفي رفقته صاحبه زين الدين على (١) .

وما أن استقر عماد الدين في الموصل ، حتى كافأ صاحبه زين الدين مكافأة طيبة ، بأن جعله من كبار قواد جيشه ، وقربه منه حتى أصبح من أقرب الناس اليه ، اذ بفضل مشورته المباركة بدخوله في خدمة السلطان محمود ، وصل الى ما وصل اليه من مكانة رفيعة بعد أن كان قائدا أجيرا في خدمة أمراء الموصل .

ومنذ أن عين زين الدين قائدا كبيرا في جيش عماد الدين أصبحت حياته كلها حياة حرب وكفاح في ميادين القتال ، أسوة بحياة صاحبه عماد الدين .

فقد كان عماد الدين ذا نفس طموحة وآمال واسعة ، وكان طموحه يمتد الى انشاء دولة كبيرة تحمل اسمه واسم أبنائه من بعده ، أسوة بالأسر الاسلامية الحاكمة العديدة في دولة الخلافة ، ففي الشام أسرة بنى طغديكين ومقرها دمشق ، وقد كان طغديكين — مثله — قائدا في جيش صاحبها تاج الدولة تش السلجوقي ، ثم استطاع بمواهبه أن يبرز وأن ينشئ له مكانة ممتازة بدمشق ، فلما مات تاج الدولة ومن بعده ابنه دقاق ، نصب نفسه حاكما على المدينة وما يتبعها من مدن ، وقال موافقة كل من الخليفة والسلطان على ذلك ، ثم أورث الحكم لأبنائه

(١) الكامل ، ج ٨ / ص ٣٢٤ .

من بعده ، فلماذا لا يكون عماد الدين مثل طغديكين وينشىء دولة تحمل اسمه واسم أبنائه ؟ يضاف الى ذلك الخطر الصليبي الجاثم في قلب العالم الاسلامي ، أعنى الشام ، وعماد الدين يعد نفسه — كمسلم — مسئولاً عن ازاحة هذا الخطر ، ومن ثم قرر أن يكرس حياته لجهاد الصليبيين حتى يطهر أرض الاسلام منهم ، ولكنه في الوقت نفسه ، يعلم أنه لا يمكن تحقيق ذلك الا بوجود قوة كبيرة موحدة يستطيع بها مواجهة الصليبيين ، وقوة الموصل وحدها لا تكفي لانجاز هذه المهمة ، وتحالفه مع القوى الاسلامية المجاورة له في منطقة الجزيرة والشام لا تجدى نفعا ، فقد جرت محاولات سابقة لمثل هذا التحالف وباءت كلها بالفشل ، وسبب ذلك ما كانت عليه الجزيرة والشام من تفكك وانحلال ، بالاضافة الى روح المنافسة الطاغية التي كانت تسود أمراء المنطقة ، فكل أمير طامع فيما يملكه جاره يحاول جاهدا الاستيلاء على بلاده ، فكان الحسد المستحكم بينهم ، يحول بينهم وبين تكوين حلف جدى يقوم أساسا على الثقة المتبادلة فيما بينهم جميعا ، وعماد الدين يعلم هذا جيدا حين كان يعمل في جيوش الموصل ، وحين كان يحارب في صفوف الجيوش المتحالفة ، فهو خير بها ، لذلك وجد أن الطريق الأمثل لتكوين قوة كبيرة متحدة لمحاربة الصليبيين ، هو جمع الامارات العديدة المبعثرة في منطقة الجزيرة تحت حكمه ، فيضع قواتها المحاربة تحت قيادته ، ويضمن في الوقت نفسه موردا ثابتا لزيادة أعداد جيشه بما يجنده من أبناء الامارات ، وكذلك يضمن موارد تموينية ثابتة لجيوشه من

بِرَاعَاتِهَا ، وَهَكَذَا سَاعَدَتِ الظُّرُوفُ الصُّلَيْبِيَّةُ عِمَادَ الدِّينِ وَمَهَّدَتْ لَهُ الفُرْصَةَ لِتَحْقِيقِ مَشْرُوعِهِ فِي بِنَاءِ دَوْلَةٍ تَحْمِلُ اسْمَهُ .

وَعَلَى ذَلِكَ ، كَانَ عَلِيُّ عِمَادِ الدِّينِ أَنْ يَحَارِبَ فِي جَبْهَتَيْنِ ، الجَبْهَةَ الإِسْلَامِيَّةَ فِي الجَزِيرَةِ وَالشَّامِ لِتَكْوِينِ دَوْلَتِهِ ، وَالجَبْهَةَ الصُّلَيْبِيَّةَ فِي الجَزِيرَةِ وَالشَّامِ أَيْضًا لِتَطْهِيرِ البِلَادِ مِنْهُمْ .

وَقَدْ أَلْقَى عِمَادُ الدِّينِ عِبْءَ انْشَاءِ الدَّوْلَةِ فِي قِسْمِهَا الجَزْرِيَّ عَلَى عَاتِقِ زَيْنِ الدِّينِ ، فَقَدْ كَانَ زَيْنُ الدِّينِ هُوَ قَائِدَ الجَيْشِ الَّتِي قَامَتْ بِعَمَلِيَّةِ تَوْحِيدِ أَمَارَاتِ الجَزِيرَةِ ، فَفَتَحَ بِنَفْسِهِ وَاشْتَرَكَ مَعَ عِمَادِ الدِّينِ فِي فَتْحِ كَثِيرٍ مِنْ هَذِهِ البِلَادِ ، كِبِلَادِ الأَكْرَادِ الهَكَارِيَّةِ وَقَلَاعِهَا ، وَبِلَادِ الأَكْرَادِ الحَمِيدِيَّةِ وَقَلَاعِهَا (١) .

كَذَلِكَ اشْتَرَكَ زَيْنُ الدِّينِ فِي حُرُوبِ عِمَادِ الدِّينِ ضِدَّ الخُلَفَاءِ العَبَّاسِيِّينَ وَضِدَّ السُّلَاطِينِ السَّلَاجِقَةِ ، فَقَدْ كَانَتْ عِلَاقَةُ عِمَادِ الدِّينِ بِهِمْ جَمِيعًا تَحَدُّدَهَا مَصَالِحُهُ الخَاصَّةُ وَالْعَامَّةُ ، فَهُوَ أحيانًا مَطِيعٌ لِلخُلَفَاءِ يَنْتَصِرُ لَهُمْ ضِدَّ السَّلَاجِقَةِ ، وَأحيانًا أُخْرَى مَعَانِدٌ لَهُمْ يَنْتَصِرُ لِلسُّلَاطِينِ ضِدَّهُمْ ، أَوْ هُوَ يَنْتَهِزُ فُرْصَةَ حَدُوثِ خِلَافٍ بَيْنَ الخَلِيفَةِ وَالسُّلْطَانِ فَيَعْمَلُ لِحِسَابِهِ الخَاصِّ ؛ مِنْ ذَلِكَ مَوْقِفُهُ مِنْ المَلِكِ مَسْعُودِ السَّلْجُوقِيِّ ، فَقَدْ انْتَهَزَ فُرْصَةَ النِّزَاعِ بَيْنَ المَلِكِ وَبَيْنَ الخَلِيفَةِ المُسْتَرشِدِ بِاللهِ عَلَى السُّلْطَنَةِ فِي سَنَةِ ٥٢٦ هـ ، فَزَحَفَ عَلَى مَدِينَةِ أربِل — وَهِيَ مِنْ أَمْلَاقِ المَلِكِ مَسْعُودِ — وَحَاصَرَهَا لِلإِسْتِيْلَاءِ عَلَيْهَا ، فَلَمْ يَسْتَطِعِ المَلِكُ مَسْعُودُ الدِّفَاعَ عَنْهَا ، فَسَاوَمَ

(١) التَّارِيخُ البَاهِرُ ، ص/١٣٥ .

عماد الدين عليها ، واتفق معه على تسليمها له في مقابل أن يعاونه عسكريا ضد الخليفة لكي يتولى سلطنة العراق ، فقبل عماد الدين ذلك ، واشترك معه في حرب الخليفة ، وتسلم مدينة اربيل وضمها الى ممتلكاته ، ثم أقطعها لزين الدين علي^(١) ، فسلمها زين الدين لنائب له ليقوم على حكمها وادارة شئونها ، وفي سنة ٥٤٩ هـ ، سلمها لملوكه مجاهد الدين قايماز ليحكمها نيابة عنه .

واشترك زين الدين أيضا مع عماد الدين في تطهير اقليم الجزيرة من الصليبيين ، فقد كان لهؤلاء الغزاة في هذا الاقليم مدينة الرها ، وكانت هذه المدينة أول مدينة اسلامية حولها الصليبيون الى امارة صليبية ، وأقاموها في بلاد الاسلام في أول غزوتهم سنة ٤٩١ هـ (١٠٩٧ م) ، وظلت المدينة في يدهم حتى سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٤ م) بالاضافة الى ما احتلوه من البلاد المجاورة لها ، وقد صبر عليهم عماد الدين حتى استكمل قوته ، ووثق من نفسه بأنه أصبح من القوة بحيث يستطيع انتزاعها منهم ، فعزم على استردادها في تلك السنة ، فجرد عليها جيوشه ، وكان هو الذي يقود المعركة بنفسه ، ويعاونه فيها كبار قواده ومنهم زين الدين علي . وأرى أنه لا بأس من ايراد وصف للمعركة بقلم مؤرخ معاصر لها هو ابن القلانسي ليقف القارئ على المجهودات الضخمة التي كان يبذلها المسلمون لاسترداد البلاد من الصليبيين ، والصراع العنيف الذي كان يدور بين الفريقين في المعارك ذات الأثر الفعال . قال ابن القلانسي في أخبار سنة ٥٣٩ هـ

(١) مفرج الكروب ، ج ١ / ص ٩٧ .

ان عماد الدين « فتح مدينة الرها بالسيف ، مع ما هى عليه من القوة والحصانة والامتناع على قاصديها ، والحماية على طالبيها » ثم يقول ، ان عماد الدين استدعى جميع التركمان فى الجزيرة ، « فوصل اليه منهم الخلق الكثير والجهم الغفير ، بحيث أحاطوا بها (أى بالرها) من جميع الجهات ، وحالوا بينها وبين ما يصل اليها من الميرة والأقوات ، وأن الطائر لا يكاد يقرب منها خوفا على نفسه من صوائب سهام منازلها ، ويقظة المضيقين عليها ، ونصب على أسوارها المجانيق ^(١) ترمى عليها دائما والمحاربة لأهلها ، وشرع الخراسانيون والحلييون العارفون بمواضع النقوب ، فنقبوا فى عدة مواضع عرفوا أمرها ، وتيقنوا نفعها وضرها ، وما زالوا على هذه الحال فى الايغال فى النقب ، والتماضى فى بطن الأرض ، الى أن وصلوا الى تحت أساس أبراج السور ، فعلقوه بالأخشاب المحكمة والآلات المنتخبة ، وفرغوا من ذلك ولم يبق غير اطلاق النار فيها ، فاستأذنوا عماد الدين أتابك فى ذلك فأذن لهم بعد أن دخل فى النقب وشاهد حاله ، واستعظم كونه وهاله ، فلما أطلقت النار فى تعليق النقوب ، تمكنت من أخشابها وأبادتها ، فوقع السور فى الحال ، وهجم المسلمون على البلد ؛

(١) جمع منجنيق : وهو آلة حربية تستعمل لهدم أسوار المدينة المحاصرة . ويصفه القلقشندى فى كتابه (صبح الاعشى ، ج ٢ / ص ١٤٤) بأنه «آلة خشب ، له دفتان قائمتان بينهما سهم طويل ، رأسه ثقيل وذنبه خفيف تجعل كفة المنجنيق التى يجعل فيها الحجر يجذب حتى ترفع أسافله أعاليه ، ثم يرسل فيرتفع ذنبه الذى فيه الكفة فيخرج الحجر منه ، فما أصاب شيئا الا أهلكه» .

بعد أن قتل من الجهتين الخلق الكثير على الهدم» (١). وهكذا سقطت امارة الرها ، أول حصن حصين أقامه الصليبيون في أرض الاسلام ، وتحقق ما كان يتوقعه عماد الدين من سقوطها ، فان المدن المغتصبة في اقليم الجزيرة ما لبثت أن سقطت في يده الواحدة تلو الأخرى ، حتى أنه لم يبق صليبي واحد في أرض الجزيرة .

ثم انتقل زين الدين من ميدان الحرب — مؤقتا — ليدخل ميدان العمل الإداري ، وذلك أن مدينة ألبيرة — وهى من بلاد الجزيرة — كان معظم سكانها من الأرمن ، وكان الأرمن ضالعين مع الصليبيين ضد المسلمين ، فلما انتهى عماد الدين من أمر الرها وغيرها ، عطف على مدينة ألبيرة ليفتحها ويدخلها تحت حكمه . وبينما كان يحاصرها بجيشه ، جاءه نبأ مقتل نصير الدين جقر نائبه في الموصل ، فجزع عماد الدين بادىء ذى بدء لفقده رجلا فذا من رجاله ، كان يعتمد عليه ويأمنه على الموصل حين يتركها لفترة من الزمن تطول أو تقصر ، ولكنه لم يلبث أن هدا روعه حين تذكر أن معه رجلا لا يقل عن نصير الدين مقدره وكفاءة ، هو صاحبه زين الدين على ، وكان زين الدين مع عماد الدين على حصار ألبيرة ، فأعفاه عماد الدين من القتال وأرسله على جناح السرعة ليحل محل نصير الدين فى نيابة الموصل ويضبط أمورها ، فسار زين الدين إليها وشغل منصب نصير الدين ، فأخذ الناس يتساءلون عن سياسة زين الدين وكيف تكون ، هل هى سياسة القسوة والعنف التى كان يتبعها

(١) ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٧٩ .

نصير الدين ، أم أنه سيكون أشد قسوة منه وعنفا بحكم مهنته كقاتل ، ولكن زين الدين خيب ظن المتشائمين ، حيث ساس الناس سياسة أرضت الجميع ، فقد اتبع سياسة العدل واللين ، فحمدته الناس وشكروا له حسن معاملته لهم (١) .

وفي سنة ٥٤١ هـ (١١٤٦ م) قتل عماد الدين زنكى وهو يحاصر قلعة جعبر ، وكان زين الدين نائبا عنه في الموصل ، وكادت أن تحدث مأساة يفقد بسببها أبناء عماد الدين دولة أبيهم ، لولا أن تدخل كبار رجال الدولة : زين الدين على ، وجمال الدين محمد ، وصلاح الدين الياغيسانى ، فعملوا على حفظ الدولة لأبناء عماد الدين .

وقبل أن نذكر دور زين الدين على في الدولة الزنكية الجديدة ، نريد أن نذكر ماذا كان نصيب زين الدين من عماد الدين مكافأة له على جهوده الكبيرة التي بذلها من أجله ، والجواب على ذلك أن عماد الدين كافأ صاحبه ورفيقه مكافأة جليلة ، حيث أقطعه كثيرا من المدن والقلاع مثل مدن الأكراد الهكارية والحميدية وقلاعها ، كذلك أقطعه مدينة اربيل ، فأصبح زين الدين بذلك من الأمراء الكبار ، فكان لمتانة مركزه أثر كبير في ازدياد نفوذه في الموصل بعد عماد الدين .

ونعود الى زين الدين بعد مقتل عماد الدين ، فقد ذكرنا أن عماد الدين قتل وهو محاصر قلعة جعبر ، وكاد مقتله أن يخرج الدولة من أيدي أبنائه ، وذلك أنه كان مع عماد الدين على

(١) التاريخ الباهر ، ص ٧٢ .

حصار جبر الملك ألب أرسلان بن السلطان محمود السلجوقي ، فحدثته نفسه بأن يحل محل عماد الدين في الدولة ، فأخذ يجمع حوله بعض قواد عماد الدين ويرغبهم بالعطاء والأموال حتى اجتمعوا عليه ، ولكن جمال الدين محمدا وزير عماد الدين وصلاح الدين الياغيساني أحد قواده — وكانا مع عماد الدين على الحصار — استطاعا أن يمكرا بالملك ، فتظاهرا له بالطاعة ، وأقنعا بالمشير معهما إلى الموصل كملك عليها ، فسار معهما إلى حيث لقي مصيره دون أن يحس به أحد .

وكان زين الدين قد أسرع بمجرد أن سمع بخبر مقتل عماد الدين ، فأرسل إلى سيف الدين غازي بن عماد الدين — وكان بمدينة شهرزور — من أخبره بمقتل والده ويدعوه إلى الموصل على جناح السرعة ليجلسه مكان أبيه ، فسار سيف الدين من شهرزور إلى الموصل فدخلها واستقر بها (١) ، وهكذا حافظ زين الدين على استمرار الدولة التي كان هو سبب وجودها .

وبمقتل عماد الدين انقسمت دولته قسمين : القسم الغربي ويشمل الموصل والجزيرة وقد اختص به سيف الدين غازي ، والقسم الشرقي ويشمل حلب وما يتبعها من مدن الشام ، وقد اختص به نور الدين محمود — أخو سيف الدين .

وقد عرف سيف الدين غازي لزين الدين فضله في حفظ الموصل للبيت الزنكي ، فأقطعه مدينة شهرزور إلى جانب ما بيده

(١) التاريخ الباهر ، ص ٨٥ .

من البلاد ، فزادت بذلك اقطاعات زين الدين وعظمت قوته ،
كذلك فوض سيف الدين اليه أمور الدولة كلها بالاشتراك مع
وزيره جمال الدين محمد بن علي الأصفهاني .

وكان سيف الدين يقدر مواهب زين الدين الحربية ، فقد
سمع كثيرا عن شجاعته وبطولته وجرأته في القتال أثناء أن كان
يحارب مع أبيه ، فولاه امرة جيش الموصل ، أي قائدا عاما
له (١) ، وبذلك اطمأن سيف الدين الى أنه سلم قياده الى رجل
كفاء ، يجمع بين الاخلاص والمقدرة الحربية .

واشترك زين الدين مع سيف الدين في حروبه ، فان
عماد الدين كان قد استولى من بنى أرتق أمراء دياربكر على
بعض بلادهم ، مثل : دارا ، ونصيبين وغيرهما ، فلما قتل
عماد الدين ، استرد بنو أرتق بعض هذه البلاد ، فعندما استقر
سيف الدين في الموصل ، خرج بجيشه وعلى رأسه قائده
زين الدين ، وحارب الأرتاقة ، واستعاد منهم ما استردوه من
البلاد (٢) .

ولم يطل العهد بسيف الدين غازي ، فقد توفي بعد نحو ثلاث
سنوات من ملكه ، أي في سنة ٥٤٤ هـ (٣) (١١٤٩ م) .
ولما توفي سيف الدين ، لم يكن هناك من يخلفه على الملك من
ذريته ، وكان قبل موته قد أوصى بملكه الى أخيه قطب الدين

(١) الكامل ، ج ٩ / ص ٢٤ .

(٢) التاريخ الباهر ، ص ٩٠ .

(٣) التاريخ الباهر ، ص ٩٢ .

مودود ، كذلك أوصى بأن يكون زين الدين المستشار الخاص له ، لما لزين الدين من الخبرة والتجارب الطويلة ، فضلا عما يمتاز به من الاخلاص للبيت الزنكى والوفاء له ، وأوصى أيضا بأن يظل جمال الدين وزيرا له ، فجمع زين الدين وجمال الدين — بعد وفاة سيف الدين — الأمراء والكبراء وقواد الجيش وحثفاهم على الولاء لقطب الدين والطاعة له ، فلما تم ذلك كله ، عين قطب الدين ، زين الدين نائبا عنه في بلاده كلها ، وعين جمال الدين وزيرا له (١) .

ظل زين الدين أميرا على جيش الموصل الى جانب مباشرته أمور الدولة ، فكان لذلك أكبر رجل في الدولة بعد قطب الدين ، فقد « تمكن زين الدين في دولة قطب الدين تمكنا عظيما » (٢) و « كان هو الحاكم في الدولة » (٣) ، فكان لا يبرم أمر الا بموافقة ، ومع ذلك لم يكن قطب الدين برما بقوة زين الدين ، ثقة منه بأنه يعمل لما فيه مصلحته ومصلحة دولته ، لذلك كان يكافئه بزيادة اقطاعه كلما استدعى الأمر ذلك .

واتبع قطب الدين سياسة والده عماد الدين مع الخليفة العباسي والسلطين السلاجقة في الخلافات التي كانت تنشب بينهم ، هذه السياسة التي كانت تكييفها مصالح الدولة والفائدة التي تعود عليه من ورائها .

(١) التاريخ الباهر ، ص ١١٣ ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٠٧ .

(٢) التاريخ الباهر ، ص ٨٢ .

(٣) الكامل ، ج ٩ / ص ٩٧ .

ففى سنة ٥٥١ هـ (١١٥٦ م) ، اضطربت العلاقة بين الخليفة
لأمر الله وبين الملك محمد بن السلطان محمود السلجوقى بسبب
السلطنة أدت الى الحرب ، فلجأ الملك محمد الى قطب الدين
مودود يطلب منه معونة عسكرية ، فأمده قطب الدين بجيش
على رأسه زين الدين .

فقد طلب الملك السلجوقى محمد بن السلطان محمود صاحب
اقليم الجبل : الرى وهمذان وغيرهما ، من الخليفة أن يخطب له
بالسلطنة فى بغداد ، فرفض الخليفة طلبه وخطب لعمه — عم
الملك محمد — سليمان شاه ، واتفق الخليفة مع سليمان شاه
على حرب الملك محمد وأمدته بالمال والرجال ، فخرج سليمان شاه
بالجيش الى قتال ابن أخيه ، وأرسل الى ملكشاه — أخى الملك
محمد — لينضم اليه فاستجاب له ، فلما علم الملك محمد بذلك ،
أرسل الى قطب الدين مودود والى زين الدين على يطلب منهما
مساعدته ، وبذل لهما بدولا سخية فى مقابل ذلك ، فاستجابا
اليه ، وخرج زين الدين بجيش الموصل الى همذان لينضم الى
الملك محمد ، ثم نزل على مدينة شهرزور لراحة الجيش ، وبينما
هو مقيم بها ، جاءت الأخبار بأن القتال قد نشب بين الملك محمد
وسليمان شاه ، وأن الهزيمة قد حلت بسليمان شاه وأنه فى طريقه
الى بغداد عن طريق شهرزور ، فرابط له زين الدين فى الطريق
وقبض عليه وعاد به الى الموصل واعتقله بها ، وأرسل الى الملك
محمد يشره نبأ القبض على سليمان شاه ، ويعدده « المعاضدة له

على كل ما يريد منه والمساعدة له»^(١) . وهكذا نرى أن قطب الدين وزين الدين قد وقفا الى جانب الملك محمد السلجوقي ضد الخليفة ، واذا كان ظاهر الخبر يشير الى أن القتال كان بين ملكين سلجوقيين ، الا أن الحقيقة ، أن القتال كان بين الخليفة وبين الملك السلجوقي محمد ، لأن الخليفة كان يساند سليمان شاه ، حيث أمدّه بالمال والرجال ، بل ان هناك خبرا يقول ، ان الخليفة خرج بنفسه حتى مدينة حلوان ^(٢) تشجيعا لسليمان شاه .

وقد أثار تصرف الخليفة ، الملك محمدا ، لرفضه أولا الخطبة له ببغداد وتفضيله عمه سليمان شاه عليه ، ثم تحريضه سليمان شاه على حربه وقتاله ، فسار بجيشه الى بغداد لحصارها ومقاتلة الخليفة ، وأرسل الى قطب الدين وزين الدين مرة أخرى لكي يمداه بالجند ، فسار زين الدين الى بغداد يقود جيش الموصل وانضم الى الملك محمد ، فدار القتال عندئذ بين الجيوش المتحالفة وبين جيش الخليفة ، وكان نصيب زين الدين من القتال كبيرا ، وبينما كانت المعركة حامية الوطيس ، فتر زين الدين عن القتال فجأة وتخلي عن الملك محمد ، الأمر الذي أدى الى اضعافه وأخر انتصاره على الخليفة مما أطعم أعداؤه به ، فاستولوا على همدان ، فلما سمع الملك محمد بذلك عاد اليها لاستردادها ، وبذلك فشلت حملته على بغداد . أما سبب فتور زين الدين عن

(١) الكامل ، ج ٩ / ص ٤٨ .

(٢) حلوان : مدينة في آخر حدود سواد العراق مما يلي جبال

بغداد (معجم البلدان ، ج ٣ / ص ٣٢٢) .

القتال ، فان الخليفة كان يرأسه سرا ويستميله اليه ، فاستجاب له زين الدين ^(١) ، ولم يذكر المؤرخون الثمن الذي قبضه زين الدين من الخليفة في مقابل تخليه عن نصره الملك محمد ، وان كان من المؤكد ، أنه لم يتخل عنه الا في مقابل عوض ، قبضه مقدما أو وعد به .

وكاد زين الدين أن يصبح قائداً لجيش سلطان سلجوقى ، هو سليمان شاه نفسه الذى كان قد قبض عليه زين الدين ، ذلك أن الملك محمداً — ابن أخى سليمان شاه — توفى سنة ٥٥٤ ، فأرسل المسئولون فى حكومة الملك محمد فى همذان الى قطب الدين مودود يطلبون منه أن يرسل اليهم سليمان شاه ليولوه سلطانا مكان الملك محمد ، فاتفق قطب الدين مع سليمان شاه ، على أن يكون سليمان شاه سلطانا ، وأن يكون قطب الدين أتابكه ، أى المدبر لشئون سلطنته ، وأن يكون جمال الدين — وزير قطب الدين — وزيرا لسليمان شاه ، أما زين الدين على فيكون قائدا عاما لجيش السلطنة . وبعد أن تم الاتفاق بين قطب الدين وسليمان شاه على ذلك ، جهز قطب الدين جيشا بقيادة زين الدين لمرافقة سليمان شاه الى همذان مقر سلطنته ، فلما قاربوا بلاد الجبل ، أقبلت عساكرها لاستقبال سليمان شاه ، حتى تجمع لديه جيش ضخم ، فخافهم زين الدين على نفسه ، لأنه رأى من تسلطهم على سليمان شاه « واطراحهم الأدب معه

(١) الكامل ، ج ٩ / ص ٥١ ، التاريخ الباهر ، ص ١١٤ .

ما أوجب الخوف منهم » ، فترك سليمان شاه وعاد بجيشه الى الموصل ، ففشل المشروع لهذا السبب (١) .

وكما كان زين الدين على موضع ثقة ملوك الموصل الذين كان يعمل في خدمتهم ، فانه كان أيضا موضع ثقة نور الدين محمود صاحب الشام ، بحيث أقطعه نور الدين مدينة حران — وهي من أملاكه — لحمايتها ثقة منه به . فقد مرض نور الدين في سنة ٥٥٤ مرضا شديدا في حلب حتى أرجف بموته ، وكان أخوه نصر الدين أمير أميران في مدينة حران ، وكان نور الدين قد أقطعها له ، فلما بلغ نصر الدين مرض أخيه وتوقع موته طمع في أن يحل محله في الحكم ، فسار من حران الى حلب للاستيلاء عليها ، ولما دخلها أغرى بعض قواد جيش أخيه وكبار رجال الدولة فيها بالانضمام اليه ، ولكن لما أخذ نور الدين يتقدم الى الشفاء ، ندم نصر الدين على ما أقدم عليه ، وتنبه الى خطئه الذي اقترفه في حق أخيه ، فرحل عن حلب الى حران ، وكان قد بلغ نور الدين ما فعل أخوه ، فغضب منه وعزم على تأديبه بأخذ حران منه ، فلما أن تماثل للشفاء ، خرج بجيشه من حلب الى حران وحاصرها ، فلما اشتد الحصار على نصر الدين وعرف عجزه عن المقاومة فر من المدينة ، فاستولى نور الدين عليها . ويبدو أن نور الدين استعان بجيش الموصل وبقائده زين الدين على ، حيث سلم نور الدين المدينة لزين الدين ليقوم على

(١) التاريخ الباهر ، ص ١١٤ .

حكما (١) . وبذلك زادت اقطاعات زين الدين فازدادت لذلك قوته .

ولما كان نور الدين قد انفرد بحكم البلاد التي كانت لأبيه في الشام ، فانه قد وقع عليه وحده عبء مقاتلة الصليبيين ومواصلة عملية استرداد البلاد منهم التي بدأها أبوه عماد الدين ، وكان عماد الدين قد استطاع أن يسترد كثيرا من البلاد منهم ، فكان على نور الدين أن يواصل عملية الاسترداد هذه من ناحية ، وأن يعمل على الاحتفاظ على ما بيده من البلاد من خطرهم من ناحية أخرى .

غير أنه كان هناك تعاون بين الأخوين نور الدين وقطب الدين ، وقد اشترك قطب الدين بنفسه وبجيسته مع أخيه في بعض المعارك الهامة ضد الصليبيين ، وكان لزين الدين دوره في هذه المعارك بحكم قيادته العامة لجيش الموصل .

من ذلك ما حدث في سنة ٥٥٩ هـ (١١٦٣ م) ، فقد عزم نور الدين على فتح مدينة حارم (٢) ، وكانت بيد الصليبيين ، وسبب ذلك أنه في تلك السنة قامت فتنة في مصر بين وزيرها شاور ومنافس له على منصب الوزارة يقال له ضرغام ، وقد تمكن ضرغام من اقضاء شاور عن منصبه ، فهرب شاور الى الشام ولجأ الى نور الدين محمود يطلب مساعدته على اعادته الى

(١) ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٥٨ ، الكامل ، ج ٩ / ص ٦٧ .

(٢) حارم : مدينة تقع غرب حلب قرب أنطاكية ، وهي من أمنع الحصون وأحصنها (التاريخ الباهر ، ص ١٠٩) .

منصبه ، وبذل له في سبيل هذا المسعى بذولا سخية ، وذلك بأن تعهد له أن يعطيه ثلث ايراد مصر ، وأن يعطى جنده ثلثا آخر علاوة على ما ينفقه عليهم أثناء اقامتهم في مصر من النفقات وحلف له على ذلك ، فرأى نور الدين أن يستجيب له ، فجرد جيشا بقيادة أسد الدين شيركوه الذي استطاع أن يتغلب على زرغام وأن يعيد شاور الى منصبه ، ولكن ما ان استقر شاور في الوزارة وضمن حياته بموت زرغام ، حتى حث في يمينه نور الدين وأبى تنفيذ ما وعد به ، بل انه فعل أكثر من هذا ، فقد أمر أسد الدين بمغادرة مصر فورا والعودة الى الشام بجنده ، فغضب أسد الدين على شاور ، وعزم على ارغامه على تنفيذ ما تعهد به بالقوة ، فلما رأى شاور الجدد من أسد الدين ، ثم رأى أنه لا يستطيع مقاومته ، لجأ الى الصليبيين يستنجد بهم ، فأرسل اليهم واستدعاهم من الشام لكي يساعده على اخراج أسد الدين من مصر ، وكان هذا الاستدعاء فرصة طيبة للصليبيين ، فقد كانوا يتحرقون شوقا للاستيلاء على مصر ، وحاولوا ذلك مرارا ، ولكنهم فشلوا في كل محاولة قاموا بها ، فحين استدعاهم شاور لمساعدته ، طمعوا في تثبيت أقدامهم فيها بحجة حماية شاور ، فساروا اليها في جيش لجب ، واشتبكوا مع أسد الدين — يظاهرهم شاور وجيشه — في معارك عديدة ، انتهت بما يشبه الهزيمة لأسد الدين ، وان كانت انتهت أيضا بتحطيم أمل الصليبيين في بقائهم في مصر ، فقد انتهت الحرب بالاتفاق

بين أسد الدين وبين الصليبيين على أن يرحلوا جميعا عن مصر ،
ويعود كل منهم الى بلاده (١) .

وكان نور الدين قد علم — وأسد الدين لا يزال بمصر —
بما حدث من شاور من غدر ومن استدعائه الصليبيين من الشام
لحرب أسد الدين : فعزم على ازعاج الحملة الصليبية التي سارت
الى مصر ، وذلك بالاغارة على البلاد التي بأيديهم بالشام ، فتضطر
الحملة — أو بعضها — الى العودة الى الشام للدفاع عن بلادها ،
وبذلك يخف ضغطهم على أسد الدين .

واختار نور الدين ميدان المعركة اختيارا موقفا ، اختار مدينة
حارم ليوجه اليهم ضربته منها ، لما لها عند الصليبيين من مكانة
دينية مقدسة .

وكان نور الدين يعلم أنه مقدم على عمل خطير لا يستطيع
أن يقوم به وحده ، لأنه يعلم أن الصليبيين جميعا لن يتركوه
يستولى على حارم وانما سوف يقاتلونه قتالا مريرا ، لذلك لجأ
الى أخيه قطب الدين مودود صاحب الموصل والى الأمراء المسلمين
في الجزيرة يدعوهم الى الاشتراك معه في هذه الحرب ، فاستجاب
له أخوه وسار اليه بجيش الموصل وعلى رأسه زين الدين على
كذلك استجاب له الأمراء المسلمون ، فساروا اليه بجيوشهم ،
فتجمع لدى نور الدين من هذه الجيوش جيش يصفه ابن الأثير
المؤرخ لعظمتهم بأنهم « كانوا جيش الطواويس ، وكل منهم في

(١) التاريخ الباهر ، ص ١١٩ .

بيض الحديد وألوان التشاهير يختال ويميس » (١) ، فسار نور الدين بجيش الطواويس هذا الى حارم ، ونزل عليها وحاصرها .

أما الصليبيون ، فقد تحقق ما توقعه نور الدين منهم ، فقد حشدوا كل من يصلح للقتال من محارب وغير محارب ، حتى رجال الدين أشركوهم معهم في المعركة ، يقودهم كبار قوادهم وأمرائهم . ويصف ابن الأثير استعداد الصليبيين وتكتلهم للدفاع عن حارم بقوله : « وجاءوا في حدهم وحديدتهم ، وعددهم وعديدهم ، وقضهم وقضيضهم ، وملوكهم وفرسانهم ، وأساقفتهم ورهبانهم ، قد حشدوا حتى أرباب الصوامع ، ولم يشعروا أنهم رزق الذئب والخوامع (٢) ، وأقبلوا اليه رجالا وعلى كل ضامر ، في كل قرن مساور وبطل مهاصر ، قد ألف النزال ، واعتاد اقتناص الأبطال ، فهم لكثرتهم من كل حذب ينسلون ، فارتاع لكثرتهم المسلمون ، وكان مقدم الفرنج البرنس صاحب أنطاكية ، والقمص (٣) صاحب طرابلس وأعمالها ، وابن جوسلين — وهو

(١) التاريخ الباهر ، ص ١٢٣ .

(٢) الخوامع : جمع خامع ، وهي الضبع .

(٣) القمص : تعريب حرفي للفظة اللاتينية Comes أي الأمير .

ومعناها الأصلي في اللاتينية « الرفيق » لأنه في بادئ الأمر يرافق الملك في حروبه وتنقلاته . ولفظة Comes اللاتينية هي التي حورت في اللغة الفرنسية الى Comte . واعتادت المراجع العربية أن تعريبها الى : كد ، وكند ، وقند . (التاريخ الباهر ، ص ٤١ / حاشية ٤) .

من مشاهير الفرنج وأبطالها — واندوك — وهو رئيس الروم
ومقدمها — وجمعوا من الراجل ما لا يقع عليه الاحصاء ، قد
ملأوا الأرض وحجبوا بقسطلهم السماء .

ثم تقابل الفريقان ، المسلمون والصليبيون ، وجها لوجه ،
ودارت بينهم معركة من أشد المعارك هولاً ، صبر فيها الخصمان
صبراً عجيباً ، وظهر من الخصمين من البطولة ما يدعو الى
الاعجاب ، وكان دور زين الدين فيها دوراً له خطره وأثره .

يصف ابن الأثير المعركة الخالدة في تاريخ معارك الحروب
الصليبية ، فيقول : « فلما تقاربوا اصطفوا للقتال ، وتهيأوا
للنزال ، وتدانت الخطى ، وكشف الغطا ، وبدأ الفسرنج
(الصليبيون) بالحملة على مينة المسلمين وبها عسكر حلب
وفخر الدين ، فبددوا نظامهم ، وزلزلوا أقدامهم ، وولوهم
الأدبار ، وركنوا الى الفرار ، فتبعهم الفرنج ، وكانت تلك القرية من
المينة عن اتفاق ورأى دبروه ، ومكر بالعدو مكروه ، وهو أن
يعدوهم عن راجلهم ، فيميل عليهم من يقى من المسلمين ويضعوا
فيهم السيوف ، ويرغموا منهم الأنوف ، فاذا عاد فرسانهم من
أثر المنهزمين ، لم يلقوا راجلاً يلجأون اليه ، ولا وزراً (١) يعتمدون
عليه ، ويعود المنهزمون في آثارهم ، يكسعون أدبارهم ، وتأخذهم
سيوف الله من بين أيديهم ومن خلفهم ، فيعجل لهم بوارهم
وحقتهم » . وجازت الحيلة على الفرسان الصليبيين ، إذ أنهم

(١) : ألوزر : بفتحتين، الملجأ. وأصله الجبل. (مختار الصحاح).

ما كادوا يرون سيمنة المسلمين تترك الميدان هاربة ، حتى لحقوا بهم لكي يبيدوهم ، فخلا الميدان منهم ، وأصبح المشاة الصليبيون وحدهم في الميدان ، وهنا جاء دور زين الدين لحسم المعركة ، واستئصال مشاة الصليبيين استئصالا تاما ، فما أن رأى زين الدين الفرسان الصليبيين يطاردون المسلمين المنهزمين ؛ حتى عطف على رجالتهم بجيش الموصل ، فانحطوا عليهم بالسلاح يطيحون منهم الأعناق ، ويأسرون منهم من لم يستطع الفرار ، وبذلك زال خطرهم عن المسلمين .

ثم تنبه الفرسان الصليبيون الى أنهم تركوا مشاتهم من غير حماية ، فخافوا عليهم من الفناء ، وهم لا يدرون ما حل بهم ، فعادوا اليهم ليحموهم من المسلمين ، ولكنهم وجدوا أن أمرهم قد انتهى الى ما بين قتيل وجريح وأسير ، فكانت المفاجأة المذهلة لهم ، فأعقبت في أيديهم ، ثم فاجأتهم المفاجأة الثانية ، وذلك أنه حين رأى المسلمون المنهزمون أن الفرسان الصليبيين قد كفوا عن مطاردتهم وعادوا الى ميدان القتال لأجل مشاتهم ، كروا عليهم من ورائهم ، فأصبح الصليبيون في الوسط بين شقي الرجا ، فكان القتل من أمامهم ومن خلفهم ، وسدّ المسلمون عليهم المنافذ ، فأخذوا يتهاوون تحت سلاح المسلمين بين قتيل وجريح . ويصف ابن الأثير هذه المرحلة النهائية من المعركة ، فيقول :

« وكان الأمر على ما دبر ، والحال على ما قدر ، فان الفرنج لما تبعوا المنهزمين ، عطف زين الدين في عسكر الموصل على

راجلهم فأفناهم قتلا وأسرا ، وعادت خيالتهم ولم يعنوا في
 الطلب خوفا على راجلهم من العطب ، فصادفوا راجلهم على
 الصعيد مغررين ، وبدمائهم مخرجين ، فسقط في أيديهم ورأوا
 أنهم قد ضلوا ، وخضعت رقابهم وذلوا ، فلما رجعوا عطف حينئذ
 المنهزمون أعنتهم ، وعاودوا كرتهم بعد فرتهم ، فبقى العدو في
 الوسط وقد أحدق بهم المسلمون من كل جانب ، وحمى
 الوطيس ، وبأشر الحرب المرءوس والرئيس ، وقاتل الفرنج
 قتال من يرجو بإقدامه النجاة ، وحاربوا حرب من آيس من
 الحياة ، واشتد الزحام ، وعظم اللزام ، وبطل العامل ^(١) وعمل
 الحسام ، وانقضت العساكر الاسلامية عليهم انقضا الصقور
 على بغاث الطيور ، فمزقوهم بددا ، وجعلوهم قددا ، وألقى
 الفرنج بأيديهم الى الأسار ، وعجزوا عن الهزيمة ^(٢) والفرار ،
 فأكثروا فيهم القتل ، وأوردوهم مناهل الفناء والهلاك ، فزادت
 القتلى على عشرة آلاف ، وأما الأسرى فلم يحصوا كثرة ^(٣) .
 فكانت هذه الواقعة أشد واقعة نزلت بالصليبيين ، فضلا عن
 الألوف من جنودهم الذين سقطوا قتلى وجرحى وأسرى ، فان
 المسلمين أسروا جميع قوادهم وأمرائهم ، ثم سار نور الدين بعد
 هذا الانتصار الرائع الى المدينة فملكها في ٢١ رمضان ^(٤) ،

(١) هو عامل الرمح مما يلي السنان ، وهو دون الثعلب .

(٢) أي الارتداد .

(٣) التاريخ الباهر ، ص ١٢٥ .

(٤) التاريخ الباهر ، ص ١٢٥ .

وبذلك عادت المدينة الى أصحابها المسلمين . ويقال ان سبب قبول الصليبيين الذين كانوا في مصر الصلح مع أسد الدين وعودتهم الى بلادهم ، هو ما بلغهم من حصار نور الدين حارم ، فأرادوا العودة لكي ينقذوا مدينتهم من السقوط في يده ، ولكن حين وصلوا الى الشام ، وجدوا أن المدينة قد خرجت من أيديهم الى الأبد . ولما انتهى أمر حارم ، عاد قطب الدين وجيشه الى الموصل رافعين نواء النصر ، بعد أن أدوا واجبهم أداء كريما .

أمضى زين الدين على حياته كلها في خدمة بنى زنكى منذ أن دخل في ملك قسيم الدولة والد عماد الدين زنكى حتى سنة ٥٦٣ هـ (١١٦٧ م) ، تقلبت به الأحوال من مملوك الى أن أصبح السيد الأول في الدولة بعد ملكها ، بل لقد بلغ مبلغ ملوكها من القوة ، فقد كان له من الاقطاعات المدن الكبيرة ذات المساحات الواسعة والثراء ، مثل : اربل ، وشهرزور ، وتكريت ، وسنجار ، وحران ، كذلك كان له من القلاع الحصينة ، مثل : قلاع الأكراد الهكارية والحميدية بديار بكر وغيرها (١) ، فكان له في كل مدينة وقلعة نائب ينوب عنه في حكمها ويدين له نوابه بالولاء والطاعة ، كذلك كان لكل مدينة وقلعة جيشها الخاص بها ، ولها أيضا دواوينها وموظفوها ، ولها مصادرها المالية ، فكان زين الدين في الواقع ملكا غير متوج ، ولو داخل زين الدين الطمع بالانفصال عن الموصل وتكوين دولة تحمل اسمه لحقق أطماعه في سهولة ويسر ، فقد كانت الامكانيات من أموال وجيش

(١) التاريخ الباهر ، ص ١٣٥ .

متوفرة لديه ، ولكن وفاءه للبيت الزنكي الذي نشأ فيه ، منعه من الاقدام على هذا التصرف الخطير والاضرار بهم .
وكانت سنة ٥٦٣ ، نهاية حياة زين الدين من الدنيا ، فقد أصابه العمى والصمم بعد أن بلغ نحو المائة من عمره كما يجمع على ذلك المؤرخون ، فعجز عن الاستمرار في العمل ، ومن ثم قرر الاعتكاف في بيته ، ولكن ليس في الموصل وإنما في اربل ، حيث فيها أسرته وأولاده وأمواله ، ويوم أن عقد العزم على ذلك ، تنازل عن جميع اقطاعاته لقطب الدين مودود صاحب الموصل ، ما عدا مدينة اربل التي قرر أن يجعلها دار اقامته (١) .
وقد تنازل عن اقطاعاته كلها لأنه لم يكن له من الأبناء من يصلح لحكم هذه الاقطاعات ، فانه لم يكن له سوى ولدين أكبرهما ، وهو مظفر الدين كوكبوري كان يبلغ من العمر أربع عشرة سنة ، وهو سن يعجز فيه صاحبه عن حكم هذه الاقطاعات الكثيرة ، وقدّر زين الدين أنه لو تركها لولديه ، فسوف ينتهز نوابه فرصة موته ، فيستقل كل منهم بما في يده وينفصل عن الموصل ، فقد سبق أن قلنا أن ذلك العصر وما قبله وما بعده كان الشعار فيه «الحكم للغالب» ، وقد تحقق ظنه في نوابه في حياته ، فانه حين عزم على التنازل عن اقطاعاته لصاحب الموصل أرسل الى نائبين له في تكريت وشهرزور في تسليم المدينتين اليه قرفضا ، وقال له نائب تكريت : أن المولى أتاك (أى صاحب الموصل) لا يقيم بتكريت ولا بد له من نائب فيها ، وأنا أكون ذلك النائب

(١) التاريخ الباهر ، ص ١٣٥ .

فليس له مثلى ، فما أمكن ارغامه على تسليمها بالقوة خوفاً من أن يسلمها للخليفة ، وحذا حذوه نائب شهرزور ، فأبقى نائباً فيها (١) .

وانتقل زين الدين من الموصل الى اربل ليستريح بقية عمره في هدوء وراحة ، ولكن لم تطل به الأيام ، حيث توفي في شهر ذي الحجة من نفس السنة ، سنة ٥٦٣ (٢) .

وقبل أن نترك زين الدين عليا نتحدث عن ابنه زين الدين يوسف ، نذكر بعض ما امتاز به الرجل من أخلاق طيبة وصفات ممتازة ، فقد انعكست أخلاقه وصفاته على ابنه مظفر الدين ، فكان مظفر الدين صورة طبق الأصل من أبيه في سجايه .

كان زين الدين رجل حرب وقاتل ، شجاعاً لا يخاف من قتال ولا يتهيب من معركة ، وتاريخه الحربى يشهد له بذلك ، وكان لانغماسه في الحياة العسكرية مستعداً لتلبية نداء الحرب أينما كان ، ولذلك قضى معظم حياته وهو لابس لباس الحرب الخشن ، ويشد على وسطه ما يحتاج اليه الجندى في ميدان القتال ، من : سكين ، ودرفش (٣) ومطرفة ، ومسلة ، وخيوط ، ودسترك (٤) . وكان « خيراً ، عادلاً ، حسن السيرة ، جواداً ، محافظاً على

(١) التاريخ الباهر ، ص ١٣٥ .

(٢) التاريخ الباهر ، ص ١٣٥ .

(٣) درفش : كلمة فارسية ، معناها : مخراز . (المعجم فى اللغة الفارسية) .

(٤) دسترك : كلمة فارسية معناها ، منشار . (المعجم فى اللغة الفارسية) .

حسن العهد وأداء الأمانة ، قليل الغدر بل عديمه ، وكان اذا وعد بشيء لا يبد له من أن يفعله وان كان فعله خطيرا » (١) .

وكان كريما ، معطاء ، محسنا ، يبر الفقراء ويجزل لهم العطاء ، فكان يتصدق بحيث لا يبقى في خزائنه شيئا من المال برغم كثرة إيراداته من اقطاعه (٢) .

ويروى أسامة بن منقذ خبرا عن انسانية زين الدين فيقول :
« حدثني القائد الحاج أبو علي في شهر رمضان سنة ثمان وستين وخمسائة بحسن كيفا ، قال : كنت بالموصل جالسا في دكان محمد بن علي بن محمد بن مامة ، فاجتاز بنا رجل فقاعي ضخيم غليظ الساقين ، فدعاه محمد ، وقال : يا عبد ، علي ، بالله حدث فلانا (يعني أبا علي) حديثك . قال : أنا رجل أبيع الفقاع (٣) كما ترى ، فبت ليلة أربعاء وأنا صحيح ، فاتبته وقد انحل وسطى فلا أقدر على الحركة ، وييست رجلاي ودقتا حتى بقيت الجلد والعظم ، فكنت أزحف الى وراء لأن رجلى ما كانت تتبعني ولا كان فيها حركة بالجملة ، فقعدت في طريق زين الدين علي كجك رحمه الله ، فأمر بحملي الى داره فحملت ، وأحضر الأطباء ، وقال : أريد أن تداووا هذا ، فقالوا : نعم ، نداويه ان شاء الله . ثم أخذوا مسمارا فأحموه ثم كروا به رجلى فما حسست به ، فقالوا لزين الدين : ما تقدر على دواء هذا ولا فيه حيلة ، فوهب

(١) التاريخ الباهر ، ص ١٣٥ .

(٢) التاريخ الباهر ، ص ١٣٥ .

(٣) الفقاع ، شراب يصنع من الشعير .

لى دينارين وحمارا ، فبقى الحمار عندى نحووا من شهر ومات ، فعدت قعدت فى طريقه ، فوهب لى حمارا آخر ، فمات ؛ فوهب لى حمارا ثالثا ، فمات ؛ فعدت الى سؤاله ، فقال لواحد من أصحابه : اخرج بهذا فارمه فى الخندق ، فقلت له : بالله ارمى على وركى ، فانى ما أحس فيها بما يكون . فقال : ما أرمىك الا على رأسك ؛ فاذا رسول زين الدين — رحمه الله — قد جاءنى فردنى اليه — وكان الذى قاله من رمى مزاحا ، فلما أحضرونى بين يديه أعطانى أربعة دنائير وحمارا ، فبقيت على ما أنا عليه ، الى ليلة رأيت فيما يرى النائم ، كأن رجلا وقف علىّ ، وقال : قم . فقلت : من أنت ؟ قال : أنا على بن أبى طالب ، فقممت ووقفت ، فأنبهت امرأتى ، وقلت : ويحك اقد أبصرت كذا وكذا ، فقالت : ها أنت قائم . فمشيت على رجلى وزال ما كان بى ورجعت كما ترانى . فمضيت الى عند زين الدين الأمير على كوجك — رحمه الله — فقصصت عليه منامى ، ورآنى وقد زال ما رآه بى فأعطانى عشرة دنائير « (١) .

وكان زين الدين مفرط الذكاء ، رقيق الاحساس والشعور ، وكان من رقة احساسه أنه كان يتظاهر بالغفلة لئلا يخرج أحدا . يذكر ابن الأثير عنه : « وكان حاله من أعجب الأحوال ، اذ بينما يبدو منه ما يدل على سلامة صدره وغفلته ، حتى يبدو منه ما يدل على افراط الذكاء وغلبة الدهاء » . ثم يذكر الحادثة التالية :

(١) الاعتبار ، ص ١٥٧ .

جاءه نفر من جنده ويده ذنب فرس ، وقال له ، ان فرسه قد نفق ، فأمر له زين الدين بفرس غيره ، ثم جاءه آخر ومعه نفس الذنب وقال له ، ان فرسه قد نفق ، فأمر له بفرس غيره ، ثم جاءه ثالث ورابع حتى جاء اثنا عشر جنديا ومع كل جندي نفس الذنب وكل منهم يدعى أن فرسه نفق ، ثم جاءه جندي ويده الذنب وادعى أن فرسه نفق وهنا نفذ صبر الرجل فقال للجندي : أما تستحيون مني كما أستحي منكم ، قد أحضر هذا الذنب عندي اثنا عشر رجلا وأنا أتغافل لئلا يخجل أحدكم ، أتظنون أني لا أعرفه ؟ بلى والله ، انما أردت أن يصلكم عطائي بغير منّ ولا تكدير فلم تتركوني . ثم أمر له بفرس (١) .

وكان زين الدين نزاعا الى الاصلاح ، واذا كان أثره الاصلاحى غير معروف في مدينة اربل وغيرها من اقطاعاته ، الا أن أثره في الموصل واضح في الناحية الزراعية . فقد كانت الطرق الزراعية تقطعها الأنهار والمجارى المائية ، فعمل على ربط هذه الطرق بانشاء الجسور عليها ، فتيسر بذلك نقل المحاصيل الزراعية في سهولة ونفقات قليلة ، كذلك بنى القناطر على الأنهار لخبز المياه أيام التحاريق ، فتيسر بذلك رى الأراضى ربا دائما (٢) .

وقد شارك زين الدين ملوك الموصل في نشر العلم بها ، فبنى عدة مدارس في الموصل ، أشهرها المدرسة التى سميت باسمه

(١) التاريخ الباهر ، ص ١٢٥ .

(٢) مرآة الزمان ، ج ٨ / ص ٢٧٣ .

وهي المدرسة الزينية ، وأوقف عليها وعلى غيرها الأوقاف الكثيرة ،
كذلك بنى جامعا في الموصل (١) .

زين الدين يوسف :

وهو الأخ الأصغر لمظفر الدين ، وقد أهمل المؤرخون
وأصحاب التراجم التأريخ له والترجمة لحياته ترجمة مفصلة ، حتى
أنهم أهملوا تاريخ مولده ونشأته . وكل ما نعرفه عنه أنه كان قاصرا
حين توفي أبوه ، حيث يذكر المؤرخون ، أن أخاه الأكبر
مظفر الدين كان يبلغ من العمر أربعة عشر عاما حين توفي أبوهما
في سنة ٥٦٣ هـ ، كذلك أغفلوا أخباره في اربل التي كان أميرها
وحاكمها بعد والده نحو ست عشرة سنة ، ولا ندرى سببا لذلك ،
الا أنه لم يكن له من المآثر ما يستحق التسجيل ، أو أن تكون
سيرة أبيه وأخيه مظفر الدين قد طغت على سيرته ، وكل ما ذكره
عنه هو بعض صفاته وسجاياه ، فقالوا : انه كان أميرا كبيرا ،
شجاعا ، مقداما ، مدبرا ، أريحا ، كريما ، سخيا (٢) ، فان هذه
الصفات والسجايا هي نفس صفات وسجايا والده ، وهي أيضا
نفس الصفات والسجايا التي كان يتحلى بها أخوه مظفر الدين ،
مما يدل على طيب عنصر هذه الأسرة وأصلتها .

وطبقا لتقاليد الوراثة ، ورث مظفر الدين حكم اربل بعد

(١) وفيات الأعيان ، ج ٣/ص ٢٧٠ ، مرآة الزمان ، ج ٨ /
ص ٢٧٣ ، الموصل في العهد الاتابكي ، ص ١٣٧ .
(٢) الروضتين ، ج ٢/ص ١٦٤ ، مفرج الكروب ، ج ٢ /
ص ٣٣٩ ، النجوم الزاهرة ، ج ٦/ص ١١٢ .

وفاة أبيه ، ولكن مظفر الدين لم يكن هو الذى يحكم بنفسه ، وإنما كان الذى يقوم بالحكم وإدارة شؤون الإمارة وقيادة الجيش وصيه مجاهد الدين قايمارز النائب على اربل منذ أن تسلمها من صاحبها زين الدين على ، وذلك لصغر سن مظفر الدين ، فظل مظفر الدين بضع سنين أميراً ، ثم خلعه مجاهد الدين عن الإمارة لخلاف حدث بينهما ، وولى عليها أخاه زين الدين يوسف ، وذلك حوالى سنة ٥٦٩ هـ (١١٧٣ م) ، فلجأ مظفر الدين الى سيف الدين غازى (الثانى) بن قطب الدين مودود صاحب الموصل ، فأقطعه سيف الدين مدينة حران فأقام بها ، وسوف نتعرض لموضوع عزل مظفر الدين بالتفصيل فى الفصل الثالث من الكتاب .

استقر زين الدين يوسف اذن أميراً على اربل ، ولكن لم يكن له من الإمارة الا اسمها ، فقد كان الأمر كله لمجاهد الدين ، بيده الحل والعقد وقيادة الجيش ، أو على حد تعبير المؤرخ ابن الأثير ، « وكان البلد لولد زين الدين — أى ليوسف بن زين الدين على — اسماً لا معنى تحته ، ولمجاهد الدين صورة ومعنى » (١) . الأمر الذى لم يرض به زين الدين يوسف بعد أن شب عن الطوق وتعدى مرحلة الوصاية ، وأحسب أن الخلاف وقع بين يوسف ومجاهد الدين كما وقع بين مظفر الدين ومجاهد الدين ، إلا أن زين الدين لم يستطع التحرر من مجاهد الدين والتخلص من

(١) التاريخ الباهر ، ص ١٧٧ .

قبضته الا بعد أن ترك مجاهد الدين اربل ، والتحق بخدمة سيف الدين غازى الثانى صاحب الموصل سنة ٥٧١ هـ (١١٧٥ م) ، وذلك حين استدعاه سيف الدين ليعاونه فى الحرب ضد صلاح الدين الأيوبى ، عندئذ لم يستعد يوسف سلطته فقط ، وانما أخرج تبعيته لصاحب الموصل ، وانتمى الى صلاح الدين ودخل فى طاعته .

ويبان ذلك ، أن صلاح الدين كان نائبا لنور الدين محمود ابن عماد الدين زنكى على مصر ، فلما توفى نور الدين فى سنة ٥٦٩ هـ (١١٧٣ م) لم يخلف سوى ولد صغير يبلغ من العمر أحد عشر عاما ، هو الصالح اسماعيل ، فنشب صراع بين الرجال المسئولين فى حكومة نور الدين فى كل من دمشق وحلب على الوصاية على الصالح اسماعيل ، كل فريق يدعى أحقيته بالوصاية عليه ، وأحقيته فى ادارة شؤون الدولة ، كذلك انتهز سيف الدين غازى (الثانى) فرصة وفاة عمه نور الدين فاستولى على الموصل وبعض بلاد الجزيرة التابعة لها (١) ، وبذلك انشقت الدولة على نفسها .

وكان صلاح الدين الأيوبى فى ذلك الوقت فى مصر ، فانتهاز فرصة هذا الانشقاق ، وأدخل نفسه طرفا فى النزاع بحجة أنه المسئول عن سلامة دولة الصالح اسماعيل وحفظها بصفته النائب عنه على أكبر أقاليم الدولة وأعظمها ، وهو اقليم

(١) التاريخ الباهر ، ص ١٧٥ .

مصر ، فهو لهذه الصفة ، مسئول عن الدفاع عن الدولة ، وعلى حماية حقوق الصالح اسماعيل الحاكم الشرعى للدولة .

وقد ساعدت الظروف صلاح الدين على أن يصبح الرجل الأول فى الدولة ثم وارثها فيما بعد . وذلك أنه عندما تأزمت الأمور بين الرجال المسئولين فى كل من دمشق وحلب ومال الميزان الى جانب رجال حلب باتفاقهم مع سيف الدين غازى ضد رجال دمشق ، خاف هؤلاء من أن يتغلب عليهم منافسوه فى حلب ويخرجوهم من دمشق ، فراسلوا عندئذ صلاح الدين يعرضون عليه تسليم دمشق اليه فى مقابل أن يخصهم بالمناصب الكبيرة فيها ، ومن ثم خرج صلاح الدين من مصر وسار الى دمشق ودخلها فى آخر شهر ربيع الآخر سنة ٥٧٠ هـ .

غير أن صلاح الدين كان فى حقيقة الأمر يهدف الى احلال نفسه محل نور الدين محمود فى الملك ، ذلك أنه ما كاد يستقر فى دمشق حتى أخذ يستولى على بلاد الشام التابعة لدولة نور الدين ، بعضها بالحرب وبعضها بالاتفاق مع نوابها ، وذلك بدخولهم فى طاعته وحكم البلاد التى بأيديهم باسمه ، وكان أهم ما يحرص عليه صلاح الدين هو الاستيلاء على مدينة حلب — العاصمة الثانية للشام — فسار اليها فى نفس السنة — سنة ٥٧٠ — وحاصرها ، وأنشبت مع جيشها القتال ، ولكنه لم يستطع فتحها ، فعاد عنها وفى عزمه الاستيلاء عليها حين تواتيه الفرصة .

وكان لظهور صلاح الدين المفاجيء بهذه القوة أثر كبير عند

سيف الدين صاحب الموصل ، خاصة عندما ظهرت مطامع صلاح الدين في حلب ومحاولته الاستيلاء عليها ، فعزم على الحيلولة بينه وبين سقوطها في يده ، لأن سقوطها في يده يشكل خطرا كبيرا على الموصل ذاتها ويهددها تهديدا مباشرا ، فان نجاح صلاح الدين في الاستيلاء على حلب سوف يشجعه على الطمع في الموصل ، فما أن انتهى الى هذه النتيجة حتى قرر اعلان الحرب على صلاح الدين ، ولكنه كان يحس في نفسه العجز في مقاومة صلاح الدين وحده ، وأن همته تقصر عن مجابهته ، وتنقصه أيضا مقدرة الحاكم الادارى وشجاعة القائد المحارب ، ولذلك فهو يفتقر الى رجل يجمع بين هاتين الميزتين لكي يقف الى جانبه في خصومته مع صلاح الدين ، وكان ما يطلبه يتوفر في مجاهد الدين قايمار الوصى على امارة اربل ، فأرسل اليه واستدعاه الى الموصل ، استنادا الى أن مدينة اربل تعتبر من الناحية القانونية من أملاك الموصل ، وأن أميرها وموظفيها من أتباعه ومواليه ، فلبى مجاهد الدين أمر سيف الدين وغادر مدينة اربل ، وفي تقديره أنه سيوالى حكمها من الموصل ، وأن يوسف لن يجرؤ على التعدى على حقوقه كوصى والخروج عليه ، ولكن يوسف خيب تقديره ، فانتهاز فرصة بعده عن اربل فرفع يده عن حكمها ، وبأشر أمورها بنفسه .

غير أن هناك اختلافا عند المؤرخين في السنة التي تحرر فيها زين الدين من قبضة مجاهد الدين . وهذا الاختلاف يتمثل في خبرين ، أما أحدهما فيذكر أنه لما سار صلاح الدين الى حلب

— في المرة الثانية — سنة ٥٧١ هـ للاستيلاء عليها ، سار اليه زين الدين يوسف بجيش اربل ، متضامنا معه ضد حلب والموصل ، فرحب به صلاح الدين وولاه ميسرة جيشه . واذا صحت هذه الرواية فمعنى ذلك ، أن الأخوين زين الدين ومظفر الدين قاتل كل منهما الآخر ، لأنه عندما علم سيف الدين غازي بمسير صلاح الدين الى حلب ، سار بجيش الموصل ومعه مظفر الدين بجند حران اليها ليساعد ابن عمه الصالح اسماعيل في الدفاع عنها ، ولما اصطفت الجيوش للقتال ، كان مظفر الدين يقود ميمنة جيش سيف الدين ، ومعنى هذا أنه كان عليه أن يقاتل ميسرة جيش صلاح الدين التي يقودها أخوه زين الدين ، وحين تحركت الجيوش للقتال تصادمت ميسرة جيش صلاح الدين مع ميمنة جيش الموصل ، ودار بينهما قتال عنيف ، كادت فيه ميمنة جيش الموصل « تطحن ميسرة صلاح الدين طحنا » ، أي أن مظفر الدين كاد يورد أخاه مورد الهلاك ، لولا أن تدخل صلاح الدين بنفسه في المعركة ، فأخذ ميسرة جيشه من الفناء ، ولم يستطع صلاح الدين الظفر بحلب هذه المرة أيضا ، فعقد الصلح مع سيف الدين والصالح اسماعيل ورحل عنها (١) . فاذا صح خبر اشتراك زين الدين يوسف في هذه الحرب ، فانه لا يعنى فقط تحرر زين الدين من سيطرة مجاهد الدين ، وانما يعنى شيئا أخطر من هذا ، انه يعنى أيضا انفصال زين الدين عن الموصل ،

(١) مرآة الزمان ، ج ٨ / ص ٣٣٤ ، سيرة صلاح الدين الأيوبي ،

وهذا أمر شديد الخطورة عليها ، لأنه سوف يزيد من قوة صلاح الدين ، عدوها اللدود .

أما الخبر الآخر ، ويقول به ابن الأثير ، ان زين الدين انفصل عن الموصل في سنة ٥٧٩ هـ (١١٨٣ م) وذلك في خبره الذي ذكره عن أثر قبض عز الدين مسعود صاحب الموصل على مجاهد الدين وحبسه ، حيث يقول ، انه في تلك السنة ، قبض عز الدين على مجاهد الدين وصادره ، « وكان تحت حكم مجاهد الدين حينئذ اربل وأعمالها ، ومعه فيها زين الدين يوسف (في الأصل : زين الدين على) وهو صبي صغير ليس له من الحكم شيء ، والحكم والعسكر الى مجاهد الدين .. » فلما قبض عز الدين على مجاهد الدين « امتنع صاحب اربل عن طاعة عز الدين واستبد » أي استبد باربل ، ثم أرسل زين الدين الى صلاح الدين بالطاعة له والدخول في خدمته (١) . ونحن نختلف مع ابن الأثير في تقدير عمر زين الدين ، لأن زين الدين قد تجاوز في تلك السنة العشرين من عمره ، ثم انه كيف يستطيع صبي صغير أن يضاد من هو أكبر منه قوة ومكانة وهو صاحب الموصل . غير أن ابن الأثير يذكر خبرا آخر يستفاد منه أن انفصال زين الدين عن الموصل كان قبل سنة ٥٧٩ هـ ، وذلك في خبره الذي ذكره عن مفاوضات الصلح التي دارت في تلك السنة بين صلاح الدين وعز الدين مسعود ، وكان الواسطة بينهما مندوبا

(١) الكامل ، ج ٩ / ص ١٦٣ .

من الخليفة ، فقد ذكر ابن الأثير ان المفاوضات فشلت بسبب اربل والجزيرة ، فقد أصر صاحب الموصل ، أن يكونا معه ، وأصر صلاح الدين بدوره أن يترك لأصحابها الخيار في الجهة التي يريدون الانتماء اليها ، ثم أصر على أن يكونوا معه (١) . فهذا الخبر يشير بصراحة الى أن انفصال زين الدين عن الموصل كان قبل سنة ٥٧٩ ، أما متى كان ذلك على التحديد ، فهذا الذي لا نستطيع تحديده .

غير أنه من الثابت أن زين الدين كان في سنة ٥٨٠ (١١٨٤م) منفصلا عن الموصل وداخلا في طاعة صلاح الدين ومنتبيا اليه رسميا ، ونحن نعلل تصرف زين الدين هذا بأحد سببين أو بكليهما . فأما السبب الأول ، فلعل زين الدين رأى أن صلاح الدين قد بلغ حدا كبيرا من القوة في تلك السنة ، حيث استولى على ما كان لبيت بنى زنكى من البلاد بالشام ومنها حلب ذاتها — وقد استولى عليها في سنة ٥٧٩ — وكذلك استولى على مالهم باقليم الجزيرة ، ثم هو ما زال طامعا بالموصل نفسها ، فلذلك قدر زين الدين انه اذا استولى صلاح الدين على الموصل سوف يمتد طمعه الى اربل أيضا ، فاذا هاجمها ، فلن يستطيع مقاومته والدفاع عن مدينته طويلا ، فاذا ما استولى عليها صلاح الدين بالقوة ، فسوف يقصيه عنها ، أما اذا اتى اليه ودخل في طاعته واعتبر نفسه تابعا له ويحكم اربل باسمه ، فانه يضمن بذلك بقاء المدينة

(١) الكامل ، ج ٩/ص ١٦٤ .

في يده ، لذلك آثر زين الدين السلامة وحفظ بلده عليه ، فأرسل الى صلاح الدين يعلن انتماءه اليه ودخوله في طاعته .
 وأما السبب الآخر ، فلعله كان بسبب تهديد صلاح الدين للأمرء الصغار ودعوتهم الى الدخول في طاعته لكي يوحد قوة المسلمين جميعا ضد عدوهم الصليبي ، وهدد من يمتنع عن الاجابة اليه بغزوه وطرده من ملكه ، يؤكد هذا ما ذكره العماد الأصفهاني بأن صلاح الدين « كاتب الملوك بالوفود للاتفاق ، فمن جاء مستسلما سلمت بلاده ، على أن يكون من أجناد السلطان وأتباعه في جهاد الكفار »^(١) ، ويؤكدده أيضا ما جاء في المنشور التالي الذي أذاعه على جميع الأمرء الصغار سواء المستقلين منهم ، أو الذين ينتمون الى الموصل ، فقد جاء في المنشور :

« ان الله لما مكن لنا في الأرض ، ووقفنا في اعزاز الحق واطهاره لأداء الفرض ، رأينا أن تقدم فرض الجهاد في سبيل الله فنوضح سبيله ، ونقبل على اعلاء الدين وننصر قبيله ، وندعو أولياء الله من بلاد الاسلام الى غزو أعدائه ، ونجمع كلمتهم في رفع كلمته العليا في أرضه ، على استنزال نصره من سمائه ، فمن ساعدنا على أداء هذه الفريضة ، واقتناء هذه الفضيلة ، يحظى من عوارفنا الجزيلة بحسن الصنيعة ونجح الوسيلة ، ومن أخلد الى الأرض واتبع هواه ، وأعرض عن حق دينه بالاقبال على باطل دنياه ، فان تاب ورجع قبلناه ، وان أصر على غوايته

(١) الروضتين ، ج ٢ / ص ٣٢ .

أزلنا يده وعزلناه» (١) . ومن هذا نرى أن الخوف من صلاح الدين قد يكون أحد البواعث التي دفعت زين الدين الى الدخول في طاعته .

وباتت زين الدين يوسف الى صلاح الدين ، تغير وضعه ووضع اربل من ناحية التبعية ، فقد أصبحت اربل من أملاك صلاح الدين لا من أملاك الموصل ، وأصبحت المدينة اقطاعا من صلاح الدين لزين الدين ، وبالتالي أصبح زين الدين تابعا لصلاح الدين ، ملزما بتنفيذ شروط التبعية التي كان يدين بها لصاحب الموصل ، أى أن زين الدين أصبح عدوا لأعداء صلاح الدين ، وان كانوا ملوك الموصل أنفسهم .

لم يرض عز الدين مسعود صاحب الموصل بطبيعة الحال عن نقل زين الدين تبعيته الى عدوه صلاح الدين ، وفي الوقت نفسه شعر مسعود بأن خطر صلاح الدين يزداد قوة واقترابا منه ، فعزم على استرداد اربل على أى وجه من الوجوه ، فهو قد علم بخطئه في قبضه على مجاهد الدين واعتقاله ، فمئذ أن اعتقله وأموره قد ساءت الى حد كبير ، فأطلقه من الاعتقال وأرسله الى شمس الدين البهلوان صاحب همذان وبلاد الجبل ، والى أخيه قزل أرسلان صاحب أذربيجان يطلب معوتتهما ، فسار مجاهد الدين الى قزل أرسلان أولا ، وأبلغه رسالة عز الدين مسعود ، فاستجاب له قزل ووعد بالالتصاف له بجيشه ، ثم منعه

(١) مفرج الكروب ، ج ٢ / ص ١٦٣ .

من المسير الى أخيه لثلا يشاركه فيما يحصل عليه من المنافع من صاحب الموصل في مقابل معوقته له ، وجهاز قزل أرسلان في الحال جيشا وسيره مع مجاهد الدين الى الموصل ، وفي أثناء عودة مجاهد الدين مع الجيش عزم على الاستيلاء على اربل ، فلما قاربها بجيش قزل ، أفسد الجيش قراها فسادا شديدا ، وخربوها ونهبوها وسبوا من نساءها ، وحاول مجاهد الدين منعهم من الافساد ليستولى على المدينة سليمة من غير تخريب ، ولكنه لم يستطع السيطرة عليهم ، فلما علم زين الدين بهذه الغارة المفاجئة على بلاده ، جمع جيشه وخرج به لرد عادية المعتدين ، وكان الجند المغير قد توزعوا جماعات في قرى اربل ونواحيها ، كل جماعة منهم تفسد في قرية وناحية ، فانتهم زين الدين فرصة تشتتهم ، فأطلق رجاله عليهم ، فأخذوا يتصيدونهم من كل مكان ، وتصدى هو لأكبر جماعاتهم فهزمها هزيمة منكرة ، فتركت الميدان هاربة ، فتبعها من نجا من الجند ، تاركين وراءهم أسلحتهم وذخائرهم ودوابهم وأموالهم ، فاستولى عليها زين الدين ، وعاد مجاهد الدين الى الموصل ، بعد أن فشل في الاستيلاء على المدينة (١) . ولكن زين الدين لم يغتر بهذا الانتصار ، وانما نيهته هذه الغارة الى خطر جديد يتهده ، فقد أصبح مهددا من الغرب من صاحب الموصل ومن الشرق بحليفه قزل أرسلان ،

(١) الكامل ، ج ٩/ص ١٦٥ .

فأرسل الى صلاح الدين ينبئه بما كان من صاحب الموصل ومن حليفه صاحب أذربيجان^(١) .

لم يرض صلاح الدين بطبيعة الحال عن اعتداء صاحب الموصل على ولى من أوليائه . وكان صلاح الدين يتلمس المعاذير للاستيلاء على الموصل ، فانتهاز فرصة اعتداء مسعود على اربل وشكوى زين الدين منه ، فعزم على الاستيلاء عليها لتعديده على أحد المنتهين اليه ، بالإضافة الى أن مظفر الدين كوكبوري كان دائم التحريض له على الاستيلاء عليها ، ووعده الانضمام اليه ضد الموصل ، فسار صلاح الدين اليها بجيش ضخم وضرب عليها الحصار فانضم اليه زين الدين بجيش اربل ، فعجز عز الدين مسعود ومجاهد الدين قايماز عن الدفاع عنها ومنع سقوطها في يده ، فاضطر مسعود الى الاستسلام وعقد الصلح مع صلاح الدين ، وكان صلحا قاسيا ، أصبح مسعود بموجب شروطه تابعا لصلاح الدين ، مثله في ذلك مثل زين الدين يوسف ، فقد نصت شروط الصلح على أن يخطب مسعود لصلاح الدين على منابرهم ، وأن يضرب اسمه على السكة^(٢) ، وأن يتنازل لصلاح الدين عن شهوروزور وأعمالها وولاية القرابلى وجميع ما يقع ما وراء نهر دجلة من البلاد التابعة للموصل ، وأن يمدد بالعون العسكرى كلما طلب منه ذلك^(٣) . ولما تسلم صلاح الدين

(١) سيرة صلاح الدين الأيوبي ، ص ٥٤ ، مفرج الكروب ،

ج ٢/ص ١٦٤ .

(٢) أى على النقود .

(٣) الكامل ، ج ٩/ص ١٧٠ .

البلاد التي تنازل له عنها مسعود ، سلمها صلاح الدين الى زين الدين ، فامتدت بذلك امارته اتساعا كبيرا ، وأصبحت في مصاف الدويلات التي يطلق على أصحابها لقب الملك وان كان لم يؤثر أن زين الدين تلقب به ، وانما الذي تلقب به أخوه مظفر الدين ، فكان لقبه الملك المعظم . وبدخول مسعود في طاعة صلاح الدين ، اطمأن زين الدين يوسف على نفسه وعلى امارته من أن يغير عليه مسعود في يوم من الأيام ، الا باذن من صلاح الدين .

وأدلى زين الدين دلوه في الحروب الصليبية ، ولكن دوره فيها حسب ما جاء عند المؤرخين كان دورا قصيرا ، فانهم لم يذكروا الا اشتراكه في معركة عكا سنة ٥٨٦ (١١٩٠ م) ، فلقصر دوره ، ولصلته بأخيه مظفر الدين في هذه المعركة ، نرجىء الكلام عنه الى الفصل السادس ، الخاص بدور مظفر الدين في هذه الحروب .

غير أننا نذكر هنا ، أن زين الدين توفي في معسكره في عكا في الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ٥٨٦ (١) ، فخلفه أخوه مظفر الدين على اربل .

(١) سيرة صلاح الدين الأيوبي ، ص ١٢٩ .

الفصل الثالث نشأة مظفر الدين

اسمه ولقبه :

لسبب نجهله لم يثعن من اهتم بمظفر الدين من المؤرخين وأصحاب التراجم بذكر اسمه العربى أسوة بأبيه زين الدين على وأخيه زين الدين يوسف الذى يحمل كل منهما اسما عربيا ، وانما اكنفوا جميعا — وكأنهم كانوا على اتفاق على ذلك — بذكر لقبه العربى وهو مظفر الدين وصفة الشجاعة التى اشتهر بها باللغة التركية وهى كوكبورى ، ومعناها « الذئب الأزرق » . والتسمية الكاملة لمظفر الدين التى ذكرها معاصره المؤرخ ابن خلكان ، وهى : أبو سعيد كوكبورى بن أبى الحسن على بن بكتكين بن محمد الملقب بالملك المعظم مظفر الدين (١) .

مولده :

وقد ولد مظفر الدين فى ليلة الثلاثاء السابع والعشرين من شهر المحرم سنة تسع وأربعين وخمسمائة من الهجرة (١٣ أبريل

(١) وفيات الاعيان ، ج ٣/ص ٢٧٠ .

سنة ١١٥٤ م) بقلعة الموصل ، حيث كان يعمل والده في خدمة ملوكها (١) .

نشأته وتعليمه :

نشأ مظفر الدين في كنف والده وتحت رعايته ، وقد اختار له والده ، مملوكه مجاهد الدين قايماز للاشراف على تربيته وتعليمه ، وكان مجاهد الدين خليفاً بأن يقوم بمهمة المؤدب والمربي ، لأنه هو نفسه كان مملوكاً لزين الدين عليّ ، فعلمه زين الدين ورباه ، وأحسن تربيته وتعليمه ، كذلك علمه الفروسية وفن القتال ثم أعنته من الرق ، فجمع مجاهد الدين بين نشأة العرب في الخلق والثقافة ، ونشأة الترك في الحرب والقتال ، ولذلك نجح في غرس حب العلم في مظفر الدين ، حيث تشهد له ثقافته بأنه تثقف ثقافة عربية خالصة تتبين في طلاقة لسانه في العربية ، وفي فهمه لما يقرأ بلغة العرب ، كذلك غرس فيه حب الفروسية ، فان معاركه في ميادين القتال تشهد له بالجرأة والبطولة .

ظل مجاهد الدين يشرف على تربية مظفر الدين وتعليمه حتى سنة ٥٦٣ هـ ، أي حتى سنة وفاة والده ، وكان مظفر الدين يبلغ من العمر أربع عشرة سنة ، أما ما بعد هذه السنة حتى سنة ٥٦٩ ، فلا نعلم مدى اشراف مجاهد الدين عليه ، فقد كان مظفر الدين في هذه الفترة أميراً على اربل ، ثم حدث خلاف بينه وبين

(١) وفيات الاعيان ، ج ٣/ص ٢٧٦ .

مجاهد الدين فعمل مجاهد الدين على خلعه من الامارة واخراجه من اربل فسار مظفر الدين منها وأقام في حران . ومعنى هذا أن مظفر الدين أخذ يكون نفسه بنفسه ثقافيا وعسكريا ، لأن ما عرف عنه بعد أن عاد الى امرة اربل ، من اهتمامه بالعلماء من فقهاء ومحدثين وحضور مجالسهم واحاطته بالتاريخ يشهد له بمواصلة الدراسة والتحصيل بعد خلعه عن الامارة ، وأن اهتمامه كان منصبا على العلوم الدينية ، كالفقه والحديث .

وقد أثرت ثقافته الدينية على حياته الخاصة والعامة ، فقد كان يعيش عيشة بسيطة ليس فيها من مظاهر الملك شيئا ، بل كانت حياته أقرب الى حياة المتصوفة منها الى حياة أمير وحاكم ، حتى ذاع صيته في البلاد المجاورة له ، فكان موضع احترام وتقدير جيرانه ، كما كان مقصد العلماء ، فكان يرحب بكل وافد عليه منهم ، ويلازمه ويبره بالأموال .

زواجه :

وقد تزوج مظفر الدين ، ولكن لا نعرف عدد زوجاته ، كذلك لا نعرف ما اذا كان له سراى أو جوارى ، فقد كانت التقاليد المتبعة عند الولاة والأثرياء أن يكون لأحدهم أكثر من زوجة وأكثر من سرية أو جارية . أما مظفر الدين ، فلم تذكر المصادر التى بين أيدينا الا زيجة واحدة له . أما زوجته فهى ربيعة خاتون أخت صلاح الدين الأيوبي ، ولم يذكرها دواعى هذه الزيجة الا أن يكون صلاح الدين قد أعجب بمظفر الدين وشجاعته فى

الحروب التي اشترك معه فيها ضد الصليبيين . وكانت ربيعة خاتون زوجة لسعد الدين مسعود بن معين الدين أنر ، فتوفى سعد الدين سنة ٥٨١ ، فزوجها صلاح الدين بعد وفاة زوجها من مظفر الدين (١) .

ويبدو أن ربيعة خاتون كانت محبة لزوجها مظفر الدين عطوفة عليه ، يروى سبط ابن الجوزي ، أن مظفر الدين كان يلبس الخشن من الثياب ، وكان جسمه رقيقا — ولعل ذلك كان في أخريات أيامه أو كان مريضا — فقالت له زوجته : لو لبست ألين من هذا ، فإن بدنك ما يحتمل الخشن ؟ فقال لها : أيهما أصلح وأكثر أجرا ، أن ألبس ثوبا بعشرة دراهم أو ألبس ثوبا بخمسة دراهم وأتصدق بخمسة على فقير أو مسكين ؟ (٢) فهذا الخبر يشير الى حقيقتين ، الأولى ، أن ربيعة كانت أمينة حفيظة على زوجها بارة به حتى أنها خشيت على جسد زوجها من خشونة الملابس . والحقيقة الثانية ، أن مظفر الدين وزوجته كانا متجاوبين تجاوبا تاما في الحياة والتفكير ، فإن الأخبار متواترة ومتفقة على أن ربيعة كانت مثال السيدة الصالحة التقية التي تتجه بكل قلبها وجوارحها الى الله . وظلت ربيعة مع زوجها حتى توفى ، فانتقلت بعد وفاته الى دمشق وماتت بها في شهر شعبان سنة ٦٤٣ ، أي بعد وفاة زوجها بثلاث عشرة سنة ، وقد تجاوزت من العمر الثمانين ، وهي تقارب في عمرها زوجها الذي توفى عن واحد

(١) مفرج الكروب ، ج ٢/لوحه ٢٨٨ - ب (مخطوط) .

(٢) مرآة الزمان ، ج ٨/ص ٦٨٢ .

وثمانين سنة ، ودفنت في المدرسة التي بنتها للفقهاء الحنابلة
بسفح قاسيون^(١) .

أولاده :

وقد أنجب مظفر الدين — كما يذكر المؤرخون — ابنتين
من زوجته ربيعة خاتون^(٢) ، ولم يذكروا أنه أنجب ذكورا ، الا أن
ابن خلكان يكنيه بأبى سعيد ، ومن هنا يأتى التساؤل ، هل
كان لمظفر الدين ولد اسمه سعيد ثم توفى ؟ هذا ما لا يمكن
الجزم به ، غير أنه من المقطوع به بأنه توفى ولم يكن له ولد ذكر ،
وذلك لأنه في أخريات سنواته ، أوصى بأن تؤول اربل الى الخليفة
العباسى بعد وفاته ، ولا يمكن أن يتصرف مظفر الدين هذا
التصرف الا لعدم وجود وريث له يرث امارته .

وقد زوج مظفر الدين ابنتيه من ابنى نور الدين أرسلان
شاه صاحب الموصل سنة ٦٠٦ هـ ، هما عز الدين مسعود الذى
خلف أباه على حكم الموصل وتلقب بالملك القاهر ، وعماد الدين
زنكى ، وقد سبب هذا الزواج لمظفر الدين صداعا سياسيا
حادا ، سوف نعرض له فيما يلى من الكتاب .

اخلاقه وسجاياه :

وكان مظفر الدين يتحلى بأطيب الخلق وأكرم السجايا ، وقد
أجمع المؤرخون وأصحاب التراجم على مدحه والاشادة به ، يقول

(١) وفيات الأعيان ، ج ٣/ص ٢٧٧ .

(٢) مفرج الكروب ، ج ٢/لوحة ٢٨٨ - ب (مخطوط) .

معاصره ابن خلكان بأن مظفر الدين « كان كريم الأخلاق ، كثير التواضع ، حسن العقيدة ، سليم الباطن ، شديد الميل الى أهل السنة والجماعة » (١) .

وكان يميل الى حياة البساطة والزهد ، عزوفا عن البذخ والاسراف ، بل كان يؤثر الفقراء والمحتاجين على نفسه ، فكان يحرم نفسه من طيبات الحياة من مأكّل وملبس ومسكن ، ليوفر للمحتاجين من أبناء شعبه المال يبذله لهم عن طيب خاطر . يروى عن زوجته ربيعة خاتون — أخت صلاح الدين الأيوبي — أنها قالت : كان قميصه لا يساوي خمسة دراهم فعاتبته في ذلك ، فقال لها : لبسى ثوبا بخمسة دراهم وأتصدق بالباقي ، خير من أن ألبس ثوبا مثمانا وأدع الفقير المسكين (٢) . وقد استمر مظفر الدين يلبس الخشن والرخيص من الثياب حتى كبر سنه ورق جلده ووهن منه العظم لا يستبدلها بأرق منها .

وكان مظفر الدين محبا لفعل الخير والتصدق على الفقراء ، يقول ابن خلكان : « وأما سيرته ، فلقد كان له في فعل الخيرات غرائب لم يسمع أن أحدا فعل في ذلك ما فعله ، لم يكن في الدنيا شيء أحب اليه من الصدقة » (٣) . ويقول سبط ابن الجوزي ، « وكان كثير الصدقات ، غزير البر والصلات » (٤) .

(١) وفيات الأعيان ، ج ٣/ص ٢٧٥

(٢) البداية والنهاية ، ج ١٣/ص ١٣٧ .

(٣) وفيات الأعيان ، ج ٣/ص ٢٧٢

(٤) مرآة الزمان ، ج ٨/ص ٦٠٠ .

وكان لفرط حبه للصلحاء والصالحات ، أنه كان يجب أن يشركهم معه في كل طعام يستطيه . يقول ابن خلكان : « وكان — رحمه الله — متى أكل شيئا واستطابه لا يختص به ، بل كان إذا أكل من زبديّة لقمة طيبة ، قال لبعض مَنْ بين يديه من أجناده : احمل هذا الى الشيخ فلان أو فلانة ممن هم عنده مشهورون بالصلاح ، وكذلك يعمل في الحلوى والفاكهة وغير ذلك من المطاعم والمشارب والكساء » (١) .

وكان مظفر الدين شجاعا جريئا مقداما ، يقول عنه ابن واصل ، « وكان مظفر الدين ملكا جليلا شجاعا مقداما ، ذا همة عالية وبأس شديد » (٢) . وأحسب أنه لفرط جرأته واقدامه اشتهر بالذئب الأزرق . كذلك كان محاربا ممتازا ومقاتلا بطلا ، يقول عنه ابن خلكان : « ولم يزل — رحمه الله تعالى — مؤيدا في مواقفه ومصافاته مع كثرتها ، ولم ينقل أنه انكسر في مصاف قط » (٣) .

وكان الى جانب شجاعته وبسالته ، رقيق الشعور مرهف الحس ، ويبدو منه هذا الشعور الانساني الكريم في رعايته للأرامل واللقطاء وتفقدته أحوالهم بنفسه (٤) .

(١) وفيات الاعيان ، ج ٣ / ص ٢٧٦ .

(٢) ابن واصل ، ج ٢ / لوحة ٢٨٩ (مخطوط) .

(٣) وفيات الاعيان ، ج ٣ / ص ٢٧٦ .

(٤) انظر الفصل السابع .

الفصل الرابع

مظفر الدين في حَرَّانَ

ذكرنا في الفصل الثاني ، في حديثنا عن أسرة مظفر الدين ، أن مظفر الدين ولى امارة اربل بعد وفاة والده مباشرة ، وأنه كان قاصرا ، لذلك كان يحكم تحت وصاية مجاهد الدين قايماز الذى كان نائبا عن والده زين الدين على بن بكتكين ، وذكرنا أيضا أن مجاهد الدين أقصى مظفر الدين عن الامارة بسبب خلاف حدث بينهما ، وولى عليها أخاه الأصغر زين الدين يوسف ، ونفصل في هذا الفصل ما أجملناه في الفصل السابق .

توفى زين الدين على — والد مظفر الدين — فى سنة ٥٦٣ كما سبق أن ذكرنا ، وكان مظفر الدين يبلغ من العمر أربعة عشر سنة ، فهو بحكم هذه السن يعتبر قاصرا عن الحكم والادارة ، وقد جرت التقاليد فى مثل هذه الظروف ، أن يكون النائب هو الوصى على الحاكم الجديد ، ومن ثم ، وطبقا لهذا التقليد ، أصبح مجاهد الدين وصيا على مظفر الدين ، فكان بحكم هذه الوصاية هو القائم بالحكم والادارة وقيادة الجيش ، أما مظفر الدين فلم يكن له سوى اسم الملك ومظاهره .

وقد اعتقد مجاهد الدين ، أن مظفر الدين سوف يضع حق تربيته له موضع الاعتبار — كما يقول ابن الأثير (١) — فيظل تحت وصايته لا يعارضه في ادارة شؤون الامارة ، ولكنه خاب فيما أمله منه ، فان الخلاف لم يلبث أن نشب بينهما ، فأقصاه مجاهد الدين عن الامارة ، بما له من قوة ونفوذ ، وولى أخاه زين الدين يوسف مكانه .

ولما عزم مجاهد الدين على اقصاء مظفر الدين عن ملكه ، لم يستعمل معه القوة أو العنف ، فلكى يجد مبررا شرعيا لاقصائه أمام الخليفة العباسي ، جمع من يشق بهم من رجاله : وأمرهم بأن يكتبوا محضرا بأن مظفر الدين غير أهل للملك ، ثم أرسل المحضر الى ديوان الخليفة في بغداد مع رسول وزوده بالتعليمات بأن يعزز محضر العزل برسالة شفوية ، ويطلب من المسؤولين الموافقة على عزله واقامة أخيه زين الدين يوسف مكانه ، فأجابوا طلبه ، عندئذ اعتقل مجاهد الدين ، مظفر الدين وأقام أخاه مكانه . ولما استقر الأمر له وليوسف ، أطلق سراخ مظفر الدين وأخرجه من اربل ، فسار مظفر الدين الى بغداد يشكر للمسؤولين فيها اعتداء مجاهد الدين على حقه الشرعي ولكنهم لم يستمعوا اليه ، فاتجه نحو الموصل لعله يجد من صاحبها سيف الدين غازي (الثاني) استجابة له فيعاونه على اعادته الى امارته ، ولكن سيف الدين لم يحقق له رغبته ، وانما عوضه عن اربل ، بأن

(١) الكامل ، ج ٩ / ص ٩٧

ألحقه في خدمته ، وأقطعه مدينة حران ، فانتقل مظفر الدين إليها وأقام بها (١) .

وقد أهمل المؤرخون تحديد السنة التي حدث فيها اقضاء مظفر الدين عن امارته ، كذلك أهملوا ذكر سبب الخلاف .

وقد حاولنا تحديد السنة التي أقصى فيها مظفر الدين ، فتيين لنا أن ذلك كان بين شهر ذى القعدة سنة ٥٦٩ (١١٧٣ م) وشهر شوال سنة ٥٧١ (١١٧٥ م) ؛ ذلك لأن قطب الدين مودود كان أميراً على الموصل حتى شهر ذى الحجة سنة ٥٦٥ (١١٦٩ م) ، فلما مات خلفه ابنه سيف الدين غازي (الثاني) ولكنه لم يستمتع بالحكم المستقل طويلاً ، حيث استولى عمه نور الدين محمود على الموصل منه في جمادى الأولى سنة ٥٦٦ ، وأصبح سيف الدين نائباً لعمه في الموصل ولكنه كان محدد السلطة ، لأن نور الدين كان يخشى غدر سيف الدين به ، فعين على قلعة الموصل نائباً من قبله يقال له سعد الدين كمشتكين ، وكان الرأي الأول والأخير في ادارة شئون الموصل لسعد الدين هذا ، فقد أمر نور الدين ، سيف الدين « بأن لا ينفرد عنه (عن سعد الدين) بقليل من الأمور ولا بكثير » (٢) وظل سيف الدين تابعاً لعمه نور الدين حتى وفاة نور الدين في شوال سنة ٥٦٩ ، وعندئذ استقل بالموصل استقلالاً تاماً ، فلزم أن التجأ مظفر الدين الى سيف الدين كان قبل شهر شوال سنة ٥٦٩ ، لما استطاع سيف الدين أن يفعل له

(١) وفيات الأعيان ، ج ٣/ص ٢٧١ .

(٢) الكامل ، ج ٩/ص ١١٠ .

شيئا ، لأنه لا يملك التصرف في الموصل وبالتالي لا يملك اقطاع أحد شيئا من ممتلكاتها . أما شهر شوال سنة ٥٧١ ، فهو الشهر الذي نجد فيه مجاهد الدين في مدينة الموصل ، حيث التحق بخدمة صاحبها سيف الدين غازي (الثاني) باستدعاء منه (١) .

وإذا كان المؤرخون لم يذكروا أيضا سبب الخلاف الذي حدث بين مظفر الدين ومجاهد الدين ، فإتانا نرجح أنه كان خلافا على أحقية كل من مظفر الدين ومجاهد الدين في الحكم وفي أيهما تكون له الكلمة العليا في تصريف شؤون الامارة وادارتها ، وبمعنى أوضح ان مظفر الدين أراد أن يسترجع حقه في حكم الامارة بعد أن أصبح أهلا للحكم ، الأمر الذي أغضب مجاهد الدين وأثاره ، فعمل على اقصائه عن الملك ، واقامة أخيه الأصغر يوسف مكانه ، لكي يجد المبرر لجمع السلطة كلها في يده ، ويظل هو الحاكم الفعلي للامارة . نستنتج هذا على ضوء ما عرفناه عن مجاهد الدين أثناء دراستنا لمظفر الدين وأسرته وبالشخصيات التي اتصلت بهم ، فقد تبين لنا أن مجاهد الدين كان حريصا على أن يؤثر نفسه بالسلطة كلها لا ينازعه فيها أحد ، سواء حين كان يحكم اربل باسم صاحبها زين الدين على ، أو حين دخل في خدمة ملوك الموصل فيما بعد .

فقد كان مجاهد الدين هو المنفرد في حكم اربل لا يشاركه في الحكم شريك منذ أن سلمه زين الدين على المدينة ليحكمها بالنيابة عنه أثناء أن كان يقيم هو بالموصل ، فاعتاد مجاهد الدين

(١) الكامل ، ج ٩/ص ١٣٦ .

على الحكم المنفرد واستمرأه ، ومن ثم تأصلت فيه نزعة السيادة والتسلط ، فلما رأى أن مظفر الدين يريد أن يسلبه سلطانه انزعج ولم يطق هذا التحدى منه فأخذ يكيد له ليتخلص منه حتى أقصاه عن الامارة وأقام أخاه الأصغر يوسف مكانه ، ليضمن بذلك بقاء السلطة في يده والنفوذ عليه وعلى الامارة ، وقد نجح مجاهد الدين في الحجز على يوسف نجاحا كبيرا ، حتى أن المؤرخ ابن الأثير يقول عن مكانة كل من مجاهد الدين ويوسف في إحدى المناسبات : « وكان البلد (اربل) لولد زين الدين اسما لا معنى تحته ، ولمجاهد الدين صورة ومعنى » (١) .

أما في غير اربل ، فان مجاهد الدين استبد بملوك الموصل أنفسهم حين ألحقوه في خدمتهم ، فقد اشتهر عن مجاهد الدين بأنه رجل حرب وادارة ، وأنه يمتاز في هذين المجالين امتيازا كبيرا . وكان سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود ملك الموصل يعرف هذا عن مجاهد الدين حق المعرفة ، فعزم على إلحاقه بخدمته حين تآزمت الأمور بينه وبين صلاح الدين الأيوبي الطامع في بلاده ، وعرف في نفسه العجز عن الوقوف وحده ضده ، فاستدعى مجاهد الدين من اربل في سنة ٥٧١ ليستعين به وعينه في أخطر الوظائف الحربية ، وهي وظيفة مستحفظ (محافظ) قلعة الموصل ، لأن حفظ المدينة من السقوط في يد المغير متعلق بقوة القلعة وكفاءة محافظها الحربية ، وما أن تسلم

(١) التاريخ الباهر ، ص ١٧٧ .

مجاهد الدين وظيفته حتى أخذ يفرض شخصيته على سيف الدين نفسه ، حتى أنه أرغمه على القبض على وزيره جلال الدين ابن علي واعتقاله لخلاف حدث بينهما (١) ، ولعل سببه أن سيف الدين كان قد عهد الى الوزير بمهمة تدير شؤون الدولة وادارتها ، فكان الوزير لذلك أقرب الى سيف الدين من مجاهد الدين ، فلم يرق هذا لمجاهد الدين وكره أن يلمع اسم من الأسماء دون اسمه ، فعمل على ازاحة الوزير من طريقه . وما زال مجاهد الدين يتدخل في شؤون الدولة ويفرض نفسه على صاحبها ، حتى أصبح في سنة ٥٧٦ هـ ، هو المدبر الوحيد لدولة سيف الدين والحاكم على جميع نوابه في البلاد التابعة للموصل (٢) .

أما في عهد عز الدين مسعود ، الذي خلف أخاه سيف الدين على الموصل ، فقد بلغ مجاهد الدين من قوة النفوذ والسلطان ما فاق نفوذه وسلطانه على عز الدين ، فيذكر المؤرخ ابن الأثير ، أن عماد زكي صاحب مدينة سنجار طلب من أخيه عز الدين مدينة حلب في مقابل أن يتنازل له عن مدينة سنجار ، فرفض عز الدين طلب أخيه ، ولكن مجاهد الدين أرغم عز الدين على تسليم حلب الى أخيه ، « فلم يمكن عز الدين مخالفته لتمكنه في الدولة وكثرة عساكره » ، ثم يذكر ابن الأثير سبب هذا التصرف من مجاهد الدين ، « أن الذي حمل مجاهد الدين على ذلك خوفه من عز الدين لأنه عظم في نفسه وكثر معه

(١) الكامل ، ج ٩/ص ١٤٤ .

(٢) الكامل ، ج ٩/ص ١٥٠ .

العسكر « بالاضافة الى أن أمراء حلب كانوا « لا يلتفتون الى مجاهد الدين ، ولا يسلكون معه من الأدب ما يفعله عسكر الموصل » (١) ، فواضح من هذا أن مجاهد الدين أراد أن يظل صاحب الموصل ضعيفا ليظل هو متمكنا منه ومن الدولة ، وأنه كان مغرما بالتعظيم والتفخيم ، بحيث أنه لما رأى أن قواد جيش حلب لا يضعونه في المكانة التي ترضيها نفسه المتعاطمة والتي يضعه فيها قواد جيش الموصل ، كره حلب وأكره صاحبها على التنازل عنها لأخيه . ويقارن ابن الأثير بين نفوذ مجاهد الدين ونفوذ عز الدين ، فيقول : ان « مجاهد الدين على الحقيقة هو الملك ، والاسم لعز الدين » (٢) . والواقع أن مجاهد الدين بلغ من القوة والسيطرة في عهد عز الدين الى حد أنه حين عزم عز الدين على التخلص منه بعد أن بلغ منه الضيق غايته ، لم يتمكن من القبض عليه الا بحيلة دبرها له خوفا من قوته ، فادعى المرض ، فلما جاءه مجاهد الدين ليعوده ، قبض عليه عز الدين واعتقله وصادر أمواله (٣) . ينضاف الى ذلك ، أن نواب عز الدين على بلاده ، كانوا يطيعونه خوفا من مجاهد الدين لا خوفا منه ، فلما قبض عليه عصاه نوابه واستقلوا بولاياتهم عنه ، فاضطر عز الدين الى اطلاق سراحه ، وان كان قد حد من نفوذه بعد ذلك ليجد من طغيانه (٤) .

- (١) الكامل ، ج ٩/ص ١٥٤ .
- (٢) الكامل ، ج ٩/ص ١٦٣ .
- (٣) الكامل ، ج ٩/ص ١٦٣ .
- (٤) الكامل ، ج ٩/ص ١٦٣ .

فهذه الأخبار تشير بوضوح ، الى أن مجاهد الدين كان نزاعا الى الانفرادية في الحكم والاستبداد به ، ويؤيد أيضا استنتاجنا بأن مجاهد الدين أقصى مظفر الدين عن امارته ، لأن مظفر الدين كان يريد أن يقف في طريقه وأن يحد من سلطانه ، وهو الشيء الذي لم يتعوده ولم يرض به .

ثم نعود الى مظفر الدين لنقول ، انه بقبوله الاقطاع من سيف الدين واقامته في حران ، أصبح تابعا من أتباعه ، تسرى عليه شروط التبعية الاقطاعية ، فعليه أن يسادر الى خدمة سيف الدين كلما طلب منه سيف الدين ذلك ، وأن يمدد بالجنود أو يحارب معه بنفسه كلما استدعاه للاشتراك معه في الحرب ، كما حدث في سنة ٥٧١ ، حين اشتبك سيف الدين مع صلاح الدين في حرب عند مدينة حلب ، فاشترك فيها مظفر الدين وكان يقود فيها ميمنة جيش الموصل بينما كان أخوه زين الدين يقود ميسرة جيش صلاح الدين ، وهي المعركة التي ذكرناها في الفصل الثاني .

ولكن وان كان مظفر الدين خرج من سيطرة مجاهد الدين في اربل ، الا أنه وقع تحت سيطرته مرة أخرى في سنة ٥٧١ حين دخل مجاهد الدين في خدمة سيف الدين غازي صاحب الموصل في تلك السنة ، مع فاروق كبير بين مركز مظفر الدين عندما كان في اربل ومركزه في حران . فقد كان مظفر الدين في اربل أميرا وكان مجاهد الدين موظفا من موظفي الامارة ، ولما كان مجاهد الدين يدير شؤون اربل كان يعرف موضعه من مظفر الدين ويعترف

فيما بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس ، بأنه مجرد عامل من عمال مظفر الدين أى يعترف بسيادته عليه ، ولكن حين أصبح مظفر الدين تابعا لصاحب الموصل ، والتحق مجاهد الدين فى خدمة صاحب الموصل أيضا ، أصبح مظفر الدين تحت نفوذ مجاهد الدين أى أن مجاهد الدين أصبح هو السيد على مظفر الدين ، لأن صاحب الموصل فوض لمجاهد الدين أمور دولته كلها : فأصبح نواب صاحب الموصل ومقطعيه على البلاد تحت اشراف مجاهد الدين مباشرة ، الأمر الذى أزعج مظفر الدين ، ولكنه لم يستطع أن يفعل شيئا لقصر يده ، وقلة حيلته .

وعلى كل حال ، لا نعرف على الحقيقة كيف كانت العلاقة بين مظفر الدين ومجاهد الدين فى وضعهما الجديد فيما بين سنتى ٥٧١ و ٥٧٧ ، لأن مظفر الدين يختفى عن مسرح الحوادث ، أو على الأصح يخفيه المؤرخون فلم يذكروا عنه شيئا ، حتى اذا كانت سنة ٥٧٧ ، عاد الى الظهور والمشاركة فى الأحداث .

ففى سنة ٥٧٧ هـ (١١٨١ م) ، مرض الصالح اسماعيل بن نور الدين محمود صاحب حلب المرض الذى مات به فى نفس السنة ، وكان الصالح اسماعيل قد أوصى أثناء مرضه بأن تؤول حلب بعد وفاته الى ابن عمه عز الدين مسعود صاحب الموصل ، فلما مات اسماعيل ، أسرع عز الدين وأرسل مظفر الدين الى حلب خوفا من أن يسبقه اليها صلاح الدين الأيوبي ويستولى عليها ، وأرسل معه من يحلف له أمراء حلب وقواد جيشها بالطاعة له ، فدخلها مظفر الدين فى الثالث من شهر

شعبان من السنة ، ثم لحقه عز الدين مسعود ومعه ابنه وفي صحبته مجاهد الدين قايماز ، ودخلها في العشرين من نفس الشهر^(١) ، ثم عين مسعود ، مظفر الدين واليا على حلب ، ورئيسا لديوانها^(٢) .

ولكن عز الدين مسعودا كره الإقامة في حلب ، لأن أمراءها وقواد جيشها تغالوا في مطالبهم منه بزيادة اقطاعاتهم وطلب الأموال ، وأكثروا من الادلال عليه لموافقتهم على امتلاكه مدينتهم ، بالاضافة الى أن بعده عن الموصل يعرضها للسقوط في يد صلاح الدين الطامع فيها ، فقد ينتهز صلاح الدين فرصة غيابه عنها فيسرع اليها ويستولى عليها ، ومن ثم عزم على الرحيل عن حلب الى الموصل فأبقى بها ولده نور الدين محمودا — وهو طفل صغير ، ورد أمره الى والي القلعة شهاب الدين اسحاق ، وسلم البلد والجيش الى مظفر الدين^(٣) .

وارسال عز الدين مسعود ، مظفر الدين ليحفظ له حلب ، ثم تسليمه المدينة والجيش اليه ، له دلالاته على أن مظفر الدين كان موضع ثقة عز الدين ، بحيث استأمنه على المدينة ، واطمأن الى أنه فوض أمرها الى رجل مؤتمن ، ولكن سوف نرى أن

(١) الكامل ، ج ٩/ص ٩٧ .

(٢) زبدة الحلب ، ج ٢/لوحة ١٩٢ (مخطوط) .

(٣) زبدة الحلب ، ج ٢/لوحة ٢٠٠ (مخطوط) .

مظفر الدين يحاول أن يستولى على حلب لنفسه ، فلماذا أقدم على ذلك ؟

هناك روايتان مختلفتان يمكن أن نستنتج منهما أو من احدهما سبب اقدم مظفر الدين على الاستيلاء على حلب : فأما الرواية الأولى — ويقول بها ابن الأثير مؤرخ العصر — أن عماد الدين زنكى صاحب مدينة سنجار طمع في مدينة حلب ووجد أنها أصلح له من مدينة سنجار ، فعرض على أخيه عز الدين مسعود أن يتبادلا المدينتين ، فيتنازل له عماد الدين عن سنجار ، في مقابل أن يتنازل له عز الدين عن حلب ، فرفض عز الدين عرض أخيه ، ولكن عماد الدين أصر على أخذ حلب ، فاضطر عز الدين الى المبادلة تحت ضغط عاملين لم يستطع لهما دفعا . فأما أولهما ، فإن عماد الدين هدّد أخاه بالانتماء الى صلاح الدين الأيوبي وتسليم مدينة سنجار اليه اذا هو رفض تسليمه حلب . وأما ثانيهما ، فإن مجاهد الدين وقف الى جانب عماد الدين وأيد طلبه ، فأخذ يلح على عز الدين في التنازل عن حلب لأخيه ، فنزل عز الدين على رأيه لخوفه منه للأسباب التي ذكرناها من قبل ، ثم تم الاتفاق بين الأخوين على المبادلة (١) .

أما غير ابن الأثير ، كابن واصل (٢) ، وابن شداد (٣) ، وابن أبي طى (٤) ، وابن العديم مؤرخ حلب ، فيذكرون أن

(١) الكامل ، ج ٩ / ص ١٥٤

(٢) مفرج الكروب ، ج ٢ / ص ١٠٩

(٣) سيرة صلاح الدين الأيوبي ، ص ٤٥

(٤) الروضتين ، ج ٢ / ص ٣٠

التبادل تم بين الأخوين عن رضا وبدون ضغط من أحد ، بل أن ابن العديم يذكر أن الذى اقترح التبادل هو عز الدين مسعود حيث يقول — ابن العديم — انه بعد أن غادر عز الدين مسعود مدينة حلب ، سار الى مدينة الرقة وأقام بها فصل الربيع ، « وراسل أخاه عماد الدين فى المقايضة بسنجان ليتوفر على حفظ بلاده ويضم بعضها الى بعض ، ولعلمه أنه يحتاج الى الإقامة بالشام لتعلق أطماع الملك الناصر (صلاح الدين) بحلب ، وقدم عليه أخوه ، واستقرت المقايضة على ذلك » (١) .

على كل حال ، وأيا كان سبب المقايضة والدافع لها ، يمكن القول ، بأن الدافع الذى دفع مظفر الدين على الاستيلاء على حلب ، هو خوفه من خروج حلب من يده حين علم بالمفاوضات الدائرة بين الأخوين ، وأن النية متجهة الى تسليم المدينة الى عماد الدين ، فقد قدر مظفر الدين أنه لو تسلم عماد الدين المدينة ، فإن عماد الدين سوف يقصيه عنها ويستعين فى حكمها برجاله وخواصه ، فلذلك عزم على الاستيلاء عليها قبل أن يتم الاتفاق بين الأخوين فيضعهما أمام الأمر الواقع ، دون النظر الى عز الدين مسعود سيده الاقطاعى ، والذى يدين له بالطاعة والولاء .

وأما ابن أبى طى ، وهو أيضا مؤرخ معاصر ، فإنه يقول ، أن مظفر الدين أقدم على محاولة الاستيلاء على حلب قبل أن

(١) زبدة الحلب ، ج ٢ / لوحة ٢٠٠ (مخطوط) .

تبرز المفاوضات الى الوجود ، وانما أقدم مظفر الدين على ذلك بعد رحيل عز الدين مسعود عنها ، فلما بلغ عز الدين محاولة مظفر الدين قرر أن يسلم المدينة الى أخيه عماد الدين لعلمه بأنه لن يتمكن من الاشراف عليها لبعدها عن الموصل . ونص خبر ابن أبي طى : « فى أول السنة (سنة ٥٧٨) أراد مظفر الدين ابن زين الدين — وكان اليه شحنة حلب — الاستيلاء على قلعة حلب بأن يهاجمها فلم يتمكن وظهر أمره . وبعد هذه الواقعة اجتمع الأخوان عز الدين وعماد الدين على « الرقة » وتحالفا على بساط واحد ، وسلم عماد الدين ما كان بيده من سنجار وغيرها الى عز الدين ، وسلم عز الدين اليه حلب .. » (١) ، فبحسب رواية ابن أبي طى ، أن فكرة التبادل نبئت عند الأخوين بسبب محاولة مظفر الدين الاستئثار بحلب ، فأثر الأخوان ، أن يتسلمها عماد الدين ليقوم بها اقامة دائمة ويحفظها لبيتهما .

وكيفما كان الأمر ، فان مظفر الدين أقدم على الاستيلاء على قلعة المدينة ليضمن بقاء المدينة فى يده وليستطيع الدفاع عنها اذا أعلن عز الدين الحرب عليه ، لأن من بيده القلعة يستطيع أن يسيطر على المدينة بأكملها ، لأن القلعة هى فى الواقع الحصن الحصين للمدينة ، وأما ربض المدينة ، أى سهلها ، فانه عرضة للاغارة عليه فى أى وقت ، ومع ذلك لن يستفيد المغير من السهل ما دامت القلعة ليست فى يده ، وأن حاميتها ستواصل قتاله ، لذلك أقدم مظفر الدين على الاستيلاء على قلعة حلب بالرغم من

(١) الروضتين ، ج ٢/ص ٣٠ .

وجود المدينة في يده . وكانت القلعة تقع في وسط المدينة على
تل مستدير الشكل ، وحولها خندق عميق يصعب اجتيازه
أو تخطيه ، وإنما يصل القلعة بالخارج قنطرة متحركة ترفع وتخفض
عند اللزوم ، وترايط فيها قوة مسلحة مهيأة ومستعدة للقتال
في أي وقت ، لذلك حين عزم مظفر الدين على الاستيلاء على
القلعة لم يحاول أن يستولى عليها بالقوة لأن هذا فوق استطاعته ،
ولذلك لجأ الى الحيلة والخداع . فقرر أن يصعد الى القلعة بنفر
قليل من الجند لثلاثين شكوك والى القلعة ، وعندما يدخلها
برجاله يقبض على الوالى ويمتقله أو يقتله ، فتخضع الحامية له
وتصبح القلعة عندئذ في قبضته ، ولن يستطيع عز الدين أو غيره
بعد ذلك اخراجه منها ، وبذلك تصفى له البلد كلها ، ويصبح
هو سيدها وأميرها .

ويصف مؤرخ حلب ابن العديم ، حيلة مظفر الدين التى
اتباعها للاستيلاء على القلعة ، فيقول ، ان مظفر الدين ، اتفق
مع جماعة من جند حلب على الاستيلاء على القلعة ، فلبسوا
الزرد تحت ثيابهم ، وحمل كل واحد منهم سيفاً ، وساروا
جميعاً اليها ، فلما وصلوا القنطرة وقفوا عندها ، وأرسل
مظفر الدين الى والى القلعة يقول له : انى وصلنى كتاب من
أتابك عز الدين وأمرنى أن أطلع فى جماعة اليك . ولكن الوالى
شك فى مظفر الدين عندما رأى ما معه من الرجال ، فأرسل
اليه بأنه يسمح له بدخول القلعة وحده دون ما معه من الرجال ،
فأسقط فى يد مظفر الدين وعرف أن حيلته قد انكشفت فأحجم

عن الدخول وعاد مع رجاله من حيث أتوا . عند ذلك تأكد شك
والى القلعة فى نوايا مظفر الدين ، فأرسل الى عز الدين مسعود
وأخبره بما كان من مظفر الدين ، فلما علم مظفر الدين بأن
عز الدين عرف أمره خاف منه ، فأرسل اليه ينهى عن نفسه سوء
النية فى مسيره الى القلعة ، ويعتذر بأنه انما لجأ اليها لكى يحتمى
بها من الاسماعيلية (ويقال لهم أيضا الباطنية) الذين هددوه
بالقتل (١) .

ولم يشأ عز الدين أن يستعمل العنف مع مظفر الدين لما علم
بما حدث منه ، فقد خاف عز الدين أن يلجأ مظفر الدين الى
صلاح الدين — عدو عز الدين اللدود — وينضم اليه فتدخل
حلب ضمن دولته ، وانما أسرع بالاتفاق مع أخيه عماد الدين
وتنازل له عن المدينة ، فسار اليها عماد الدين ، فلما علم
مظفر الدين بمسيره اليها ، خرج منها وعاد الى مدينته حران ،
بعد أن وضع اسفينا فى العلاقة بينه وبين عز الدين ومجاهد الدين ،
وبعد أن بذر بذور العداوة بينه وبينهما ، ولذلك أحس بخرج
مركزه ، وقدر — وقد أصاب فى تقديره — أن عز الدين
ومجاهد الدين لن يغفرا له عمله ، وأنهما سوف يتحيانان الفرص
للايقاع به ، ولذلك أسرع بالعمل لالتقاذ نفسه ، فلم يجد بدا من
أن ينفصل عن الموصل ويحتمى بصلاح الدين — الخصم العنيف
للموصل — وأن ينضم اليه .

وإذا كان مظفر الدين التجأ الى صلاح الدين وانضم اليه

(١) زبدة الحلب ، ج ٢ / لوحة ٢٠٠ (مخطوط) .

خوفا من عز الدين ومجاهد الدين ، فان هناك سببا آخر وجيها دفعه الى ذلك ، وهو الانتقام من مجاهد الدين بصفته الحاكم الفعلى لدولة الموصل ، بسبب اقصائه عن امانة اربل ، فأراد أن يثار منه بانضمامه الى عدو الموصل ، صلاح الدين الذى يعتبر فى نفس الوقت عدوا شخصيا لمجاهد الدين .

ولم يكتف مظفر الدين بالانضمام الى صلاح الدين ، وانما أخذ يحرّضه ويدفعه الى الاغارات على الموصل وملحقاتها والاستيلاء عليها ، ويعدّه النصره والاشترارك معه فى الحروب التى يثيرها ضد صاحب الموصل ، حتى استجاب له صلاح الدين . ففى سنة ٥٧٨ هـ ، كان صلاح الدين يحاصر مدينة بيروت للاستيلاء عليها من الصليبيين ، فأرسل مظفر الدين اليه « انه معه ، ومحب لدولته ، ووعدّه النصره له اذا عبر الفرات ، ويطمعه فى البلاد (بلاد بنى زنكى فى الجزيرة والموصل) ويحثه على الوصول اليها ، فسار صلاح الدين عن بيروت ، ورسّل مظفر الدين تترى اليه يحثه على المجيء ، فجدّ صلاح الدين فى السير اليها » (١) . ويورد العماد الأصفهاني بأسلوبه المسجوع نص تحريض مظفر الدين لصلاح الدين على الاستيلاء على بلاد عز الدين ، ومنها الموصل ، فيقول : وقال مظفر الدين للسلطان ، أى لصلاح الدين : « ما زلت شوقا اليك فى « حران » حران ، والى الرى من ورد خدمتك ظمآن ، وهى لك مبذولة ، وبأولياك من أهل الدين والدنيا مأهولة ، و « الرها » لا يعسر أمرها ،

(١) الكامل ، ج ٩ / ١٥٦ .

و « الرقة » لرقك وبعض حقلك ، و « الخابور » في انتظار خبرك ، و « دارا » دارك ، و « نصيين » نصيبك ، وملك « الموصل » موصلك الى الملك ، وما هذا أوان الوثا ..» (١) وقد ذكر العماد في نصه هذا ، بلاد الزنكيين في الجزيرة التي حرض مظفر الدين ، صلاح الدين للاستيلاء عليها ، وهي : حران ، والرها ، والرقة ، والخابور ، ودارا ، ونصيين فضلا عن الموصل . ولما تكرر الحاح مظفر الدين على صلاح الدين بفتح بلاد الزنكيين ، واطمأن صلاح الدين الى مساندة مظفر الدين له ، سار عن بيروت الى الجزيرة ، فلما عبر نهر الفرات اجتمع به مظفر الدين واتمى اليه ودخل في طاعته ، وبذلك انقلب مظفر الدين عدوا للموصل ، ثم بدأ صلاح الدين يستولى على مدن الجزيرة التي تدخل في ملك بنى زنكى وغيرهم من أمراء الجزيرة ، ومظفر الدين يحارب الى جانبه وفي صفوف جيشه ، ولما استولى صلاح الدين على مدينة الرها أقطعها الى مظفر الدين الى جانب ما بيده من مدينة حران ، فازدادت بذلك اقطاعاته ، وارتفعت تبعا لذلك مكائته . وبعد أن استولى صلاح الدين على : الرقة ، والخابور ، ونصيين ، استشار أصحابه في أى البلاد يبدأ في الاستيلاء عليها من بلاد بنى زنكى الكبرى ، هل يبدأ بالموصل ، أو بسنجار ، أو بجزيرة ابن عمر ، فاختلقت الآراء في ذلك : الا أن مظفر الدين أخذ يقنع صلاح الدين بضرورة البدء بالموصل وأخذ يهون عليه فتحها ، لأن في تقديره أن صاحبها

(١) الروضتين ، ج ٢ / ص ٣٠ .

عز الدين ومجاهد الدين قايماز في حالة من الضعف بحيث
لن يستطيعا الصمود لقتاله ، وانهما سوف يفران أو يستسلمان
بمجرد ضرب الحصار على الموصل ، أو حتى بمجرد أن يسمعا
بمسير الجيوش اليها ، وأيد ناصر الدين محمود بن شيركوه
— ابن عم صلاح الدين — رأى مظفر الدين ، فإنه كان قد تم
اتفاق سابق بين صلاح الدين وناصر الدين ، على أنه إذا استولى
صلاح الدين على الموصل أن يقطعها لناصر الدين في مقابل مبلغ
من المال يدفعه له سنويا ، فلما رأى صلاح الدين حماس
مظفر الدين وناصر الدين لفتح الموصل ، سار اليها وفي رفقته
مظفر الدين وحاصرها ، ولكنها استعصت عليه لحصاتها ومناعتها
فعاد عنها (١) .

غير أن العلاقة ساءت بين صلاح الدين ومظفر الدين في
سنة ٥٨١ ، بحيث أقدم صلاح الدين على القبض عليه واعتقاله
برغم الحماس الذي كان يديه مظفر الدين للاتصار له ضد
بنى زنكى ، ومع ذلك فإن صلاح الدين لم يتوان في اعتقاله عدة
شهور لشك داخله فيه . ذلك أن مظفر الدين ما زال ناقما على
صاحب الموصل وعلى مجاهد الدين ، ويود بجذع الأتف أن
يزيل دولة الموصل من الوجود ، فمنذ أن فشل صلاح الدين في
حملته على الموصل سنة ٥٧٨ ، ومظفر الدين دائم التحريض له
لمعاودة الكرة مرة ومرات لامتلاكها . وفي سنة ٥٨١ ، أرسل
مظفر الدين الى صلاح الدين رسالة على يد رسول له يحرضه

(١) الروضتين ، ج ٢ / ص ٣٠ .

فيها على اعادة المحاولة للاستيلاء على الموصل ، فأبلغ الرسول
 صلاح الدين رسالة مظفر الدين ، وأضاف الرسول أن مظفر الدين
 يتعهد لصلاح الدين بالقيام بما يحتاج اليه من النفقات والأزواد
 له ولجيشه متى عبر الفرات ، وأنه مستعد أيضا ، أن يدفع له
 خمسين ألف دينار حين يصل الى حران ، فتحسس صلاح الدين
 عند ذلك لفتح الموصل وبخاصة وأن شكوى زين الدين يوسف
 كانت قد وصلتته عن تعدى مجاهد الدين على بلاده ، فجهز
 جيشه وخرج به من دمشق يريد الموصل وهو مطمئن الى وعود
 مظفر الدين ، ولكنه حين وصل حران ، لم يجد من مظفر الدين
 شيئا مما وعد به على لسان رسوله ، فداخلته الريبة فيه وشك
 في نواياه ، واعتقد أنه مال مع صاحب الموصل فهو يغرر به ،
 وانتهاز أعداء مظفر الدين فرصة شك صلاح الدين فيه ، فأخذوا
 يوقعون به عنده ، حتى أوغروا صدره عليه ، كل هذا ومظفر الدين
 يحلف لصلاح الدين أنه ما زال قائما على العهد ، مواليا له ،
 معاديا للموصل وصاحبها ، أما ما التزمه رسوله له ، فإنه لم يكن
 بأمره ولا يعلم عنه شيئا ، ولكن صلاح الدين لم يقتنع ، فقبض
 عليه واعتقله حتى تتبين له حقيقة أمره . وقد أشار بعض المقرين
 من صلاح الدين عليه بقتله ، ولكنه لم يفعل ، خيفة أن ينحرف
 عنه المواليون له من أمراء الجزيرة ، لأنهم يعلمون الخدمات التي
 أداها مظفر الدين لصلاح الدين في استيلائه على ما استولى عليه
 من بلاد الجزيرة ، غير أن صلاح الدين لم يطل اعتقال مظفر الدين ،
 إذ سرعان ما أظهرت الأيام صدق ولاء مظفر الدين له ، فأطلق

سراجه وأرضاه رضاء جميلا ، وخلع عليه وطيب قلبه « وأعادته الى قانونه في الاكرام والاحترام » (١) .

وسار صلاح الدين بجيشه من حران الى الموصل لحصارها ، وفي ركابه مظفر الدين وأخيه زين الدين يوسف ، فحرب صلاح الدين الحصار على المدينة ، ونزل مظفر الدين وأخوه بمعسكرهما في الجانب الشرقي من الموصل مع بعض القواد الآخرين ، ولكن صلاح الدين لم يستطع فتح المدينة برغم القتال الشديد عليها ، فعزم على الرحيل عنها ، فقد جد ما جعله يتحول عنها مؤقتا (٢) .

فقد حدث أن توفي شاه أرمن بن سكرمان صاحب ولاية « خلاط » وصلاح الدين على حصار الموصل ، ولم يخلف صاحب خلاط من يرث حكم الولاية ، فطمع فيها شمس الدين محمد ابن ايلدكز صاحب بلاد همذان ، وعزم على الاستيلاء عليها ؛ فلما بلغ المسئولين في خلاط ما اعتزمه شمس الدين ، أرسلوا الى صلاح الدين يستنجدون به ويعرضون عليه تسليم البلاد اليه ، ويلحون عليه في الاسراع قبل أن يسبقه شمس الدين ، عندئذ عزم صلاح الدين على الرحيل عن الموصل ، وسار بجيشه الى خلاط ، وأرسل مظفر الدين وناصر الدين محمد بن شيركوه على رأس جماعة من الجيش ، وأمرهما أن يسيرا اليها من أقرب الطرق ليسبقا شمس الدين ؛ ولكن حين اقتربا من خلاط ، منعهما

(١) الكامل ، ج ٩ / ص ١٦٧ .

(٢) سيرة صلاح الدين الأيوبي ، ص ٥٤ .

المستولون فيها من تخطى حدودها ، وطلبوا منها الإقامة في مكان يقال له « قرن » ، في الوقت الذي كان شمس الدين قد اقترب من المدينة أيضا ، فلما وجد أن جيش صلاح الدين قد سبقه إليها ، ضرب معسكره بعيدا عنها ، ولم يقربها .

وكان المستولون في خلاط في حقيقة الأمر ، قد راسلوا صلاح الدين خديعة منهم ومكرا ، وذلك لكي يرهبوا شمس الدين بن ايلدكز ويضعوا أمامه منافسا قويا له هو صلاح الدين ، لأنهم يعلمون سلفا ، أنهم لن يستطيعوا الوقوف أمامه في القتال ، وأن بلادهم لا شك واقعة في يده سهما دافعوا عنها وقاتلوا دونها ، فوجدوا أن خير ما يعملونه في هذه الحالة ، هو أن يتفقوا معه بشروط لا تجحفهم ، ولن يتأتى لهم ذلك ، الا اذا وضعوا أمامه صلاح الدين ، وهو منافس خطير له ، وقد نجحت خطتهم ، فان شمس الدين سرعان ما اتفق معهم على شروط ارتضوها ، ومن ثم أعلنوا طاعتهم له دون صلاح الدين ، فاضطر صلاح الدين الى العودة عن خلاط بعد مفاوضات جرت بينه وبين شمس الدين لم يذكر المؤرخون كنهها (١) .

ويبدو أن فشل صلاح الدين في خلاط قوى عزمه على فتح الموصل بأى ثمن ، ويبدو أيضا — لحسن حظه — أن عز الدين مسعود يئس من الاحتفاظ بمدينته وهو يرى صلاح الدين مصرا على الاستيلاء عليها ، فما ان رأى أن صلاح الدين قد عاد اليها

(١) الكامل ، ج ٩ / ص ١٦٧ .

لمحاصرتها حتى عقد معه صلحا أصبح بموجب شروطه تابعا من أتباعه (١) ، وبذلك فقدت الموصل كيانها كدولة مستقلة ، الأمر الذي طبأت له نفس مظفر الدين وهدأت له ثأرته ، فقد شفى غليله من خصمه مجاهد الدين قايماز الذي أقصاه عن امارته بغير وجه حق .

(١) الكامل ، ج ٩ / ص ١٧٠ .

الفصل الخامس

مظفر الدين أمير اربل

ذكرنا في الفصل الثاني في حديثنا عن زين الدين يوسف أنه توفي سنة ٥٨٦ على أثر مرض وهو في معسكر صلاح الدين في عكا ، ويذكر المؤرخون أن أخاه مظفر الدين كان يقوم على خدمته أثناء مرضه . فلما مات زين الدين ، طلب مظفر الدين من صلاح الدين أن يوليه امارة اربل وما لأخيه من البلاد ، على أن يتنازل له عما بيده من البلاد في الجزيرة : حران ، والرها ، وسمسيط ، وأن يدفع له خمسين ألف دينار كل عام ، فأجاب صلاح الدين سؤاله ، وأصدر منشورا بولايته على اربل وما يتبعها من البلاد ، وأذاع المنشور في كافة البلاد الاسلامية ، ليعلم المجاورون لاربيل أن مظفر الدين هو من أمرائه ، وأن اربل ما زالت جزءا من دولته ، وأرسل صلاح الدين نسخة من المنشور الى عز الدين مسعود صاحب الموصل ليحيط به خبرا ، ولا يبعد أن عز الدين طلب اربل من صلاح الدين عندما علم بوفاة زين الدين ، ولكن صلاح الدين رفض اجابته الى ما طلب ، ومما جاء في المنشور :

« لا شك احاطة العلم بانتقال زين الدين الى جوار الله ومقر

رحمته ، مجاهدا في سبيله ، شاكرا لنعمته ، وهو من السعداء الذين أنزل الله فيهم ، (ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله) (١) ، فما أفجع القلوب بمصابه ، وما ألكى في النفوس أقول شيا به . ولقد كانت الهمة متوفرة على تربيته واعلاء درجته ، ولكن الله تعالى استأثر به قبل ظهور حسن الآثار في ايثاره ، وبلى بدره التتم بسراره ، وأصبح في ضمير البلى من أسراره . وهذه اربل من انعام البيت الكريم الأتابكى على البيت الزينى مذ سبعين عاما ، لم يحلوا لعقد انعامهم بها نظاما ، ولم يزيدوا أحكامه الا احكاما و ابراما : وما رأى أن يخرج هذا الموضوع منهم ، وأن يصدف به عنهم . والامير الأجل مظفر الدين كبير البيت وحاميه ، والمقدم في الولاية بمقتضى وصية أبيه ، وقد أنهض ليسد مسد أخيه « (٢) وما أن صدر المنشور حتى سار مظفر الدين الى اربل ، ودخلها في ذى الحجة سنة ٥٨٦ (٣) .

وقد أشيع أن مظفر الدين قتل أخاه بالسهم وهو يمرضه ، وأنه أظهر الفرح بموته ، والذي يحكى هذه الرواية وينفرد بها سبط ابن الجوزى ، حيث يقول عن وفاة زين الدين في ترجمته له : « .. وكان عنده أخوه يمرضه ، فيقال انه سقاه سما فمات ، وظهرت على مظفر الدين أمارات ذلك ، فانه لم يكثر بموته

(١) سورة النساء : آية : ٩٩ .

(٢) الروضتين ، ج ٢ / ص ١٦٤ .

(٣) مرآة الزمان ، ج ٨ / ص ٤٠٦ .

ولا تأسف عليه « (١) . ويؤيد عدم تكرار مظفر الدين بموت أخيه مؤرخ معاصر وله صلة وثيقة بمظفر الدين وأخيه ، هو العماد الأصفهاني ، ولكنه لم يتهم مظفر الدين بقتله أخيه بالسهم ، ولا ذكرها كإشاعة ، ولو كانت هذه الواقعة صحيحة لما أهمل ذكرها ، يقول العماد في معرض كلامه عن وفاة زين الدين : « .. وبكرنا الى مظفر الدين لتعزيه في أخيه ، وظننا به الحزن فقلنا نعظه ونسليه ، فاذا هو في شغل شاغل عن العزاء ، مهتم بالاحتياط على ما خلفه أخوه وتركه من الأشياع والأشياء ، وهو جالس في مخيم أخيه المتوفى ، وقد أشرف على حفظه وأوفى ، وقد قبض على جماعة من أمرائه واعتقلهم ، وعجل عليهم وما أغفلهم ، منهم صارم الدين بن بلداجي متولى (قلعة) خفتيد ، وكذلك كل حاضر له حصن ، ليحصل له من طاعته أمن « (٢) . وكذلك لم يذكر هذا الاتهام معاصر آخر للحادث وهو ابن الأثير الجزري ، ونحن اذا أردنا أن نقف موقف المحايد من اتهام مظفر الدين بدس السم لأخيه ، فلا ننفيه ولا تؤيده ، وانما نقف حياله صامتين .

وإذا أردنا أن تؤيده فيمكننا ذلك ، لأن أمثال هذه الجريمة تكررت في الأسر الحاكمة ، فكثيرا ما قتل الأخ أخاه ، والوالد ولده ، والابن والده من أجل الملك والسلطان .

أما اذا أردنا أن ننفي الاتهام فيمكننا أيضا نفيه بأدلة يمكن

(١) الروضتين ، ج ٢ / ص ١٦٤ .

(٢) الكامل ، ج ٩ / ص ٣٢٠ .

وضعها موضع الاعتبار ، وأولها صيغة الشك التي بدأ بها سبط ابن الجوزي خبره ، وهي لفظة ، « فيقال » ؛ ومنها ما هو معروف عن تدين مظفر الدين فنزعته الدينية تزعه عن أن يقترب مثل هذه الجريمة البشعة ؛ ومنها أيضا أن مظفر الدين لو أراد قتل أخيه لقتله حين رافقه مع صلاح الدين في حرب الموصل سنة ٥٨١ ، فقد كان في استطاعة مظفر الدين حينذاك أن يطلق عليه سهما أو نبلا فيرده قتيلا من حيث لا يراه أحد في زحمة القتال ، ولما انتظر عليه هذه السنين الخمس .

ونحن نميل الى تكذيب هذه الشائعة التي ألصقت التهمة بمظفر الدين والتي تستند على أنه هو الذي كان يقوم على خدمة أخيه وتمريضه ، ففي رأينا أن وجود مظفر الدين مع أخيه لا يعنى أنه قتله ، وإنما نعتبر أن موته كان نتيجة مرض مستعص وفي مكان لا يتيسر فيه العلاج الكافي ، وهو ميدان الحرب ؛ كذلك نميل الى أن الشائعة خرجت من أفواه بعض الحاسدين لمظفر الدين ومن أعدائه ، حيث استغلوا ما هو معروف عن عزل مظفر الدين عن امارة اربل وولاية أخيه عليها وأثر هذا على مظفر الدين ، فسب القطيعة بينه وبين أخيه .

ولكى نتعرف على موقف مظفر الدين وفهم تصرفاته على وجهها الصحيح ، فنقد هذه التصرفات لتتمكن من الحكم له أو عليه حكما صحيحا .

وتصرفات مظفر الدين كما وردت في خبر سبط ابن الجوزي وغيره من المؤرخين :

عدم اكترائه بوفاة أخيه .
وانشغاله بالاحتياط على ما في معسكر أخيه من الأشياء .
وقبضه على جماعة من أمراء أخيه ، ومنهم صارم الدين
ابن بلداجى متولى قلعة خفتيد .
فاذا أردنا الحق ، فيجب علينا أن ننصف الرجل الذى أصبح
في ذمة التاريخ ، وذلك بأن نوضح أسباب هذه التصرفات التى
نعجب لقصور فهم المؤرخين المعاصرين لطابع عصرهم الواضح .
ففيما يختص بعدم اكتراث مظفر الدين بموت أخيه ، فإنا
نرجىء الكلام عليه حتى تنتهى من توضيح التصرفين الثانى
والثالث .

وأما فيما يختص بانشغاله بالاحتياط على ما في معسكر أخيه
من الأشياء فإن مرجع ذلك ، أن الذى يحدث فى مثل هذه
المناسبة — والمعاصرون يعلمون هذا — أن رجال الجيش والعلماء
يتتهزون فرصة موت ملكهم أو أميرهم أو قائدهم فى ميادين
القتال ، فيعتبرون كل ما يملك سيدهم حقا لهم مباحا لهم سلبه ونهبه
حتى لا يبقون على شىء منه ، فأراد مظفر الدين أن ينقذ أموال
أخيه وذخائره لكى يستفيد بها هو ، بدلا من أن يأكلها النهابون
من الجند والعلماء ، وليس من شك فى أن تصرفه هذا ، ليس
فيه ما يعيبه أو يشينه .

وأما قبضه على كبار رجال دولة أخيه ونوابه على القلاع
والحصون ممن كانوا معه ، فإنه احتياط لا بد أن يقدم عليه
مظفر الدين ، وذلك خشية أن تحدث أحدهم نفسه بالاستقلال

بقلعته أو بحصنه ، أو خشية أن ينضم أحدهم الى صاحب الموصل — عدوه الألد — وفي هذا أو ذاك ما فيه اضعاف له ، فقبض عليهم حتى يضمن ولاءهم له بتحليفهم على طاعته حسب العرف الجارى فى ذلك الوقت ثم يطلقهم بعد أن يأمنهم على نفسه ، وقد ذكر العماد الأصفهاني نفسه أن ما فعله مظفر الدين من قبضه على صارم الدين — ولعله كان أقوى أتباع أخيه يوسف — وعلى كل من له حصن هو « ليحصل له من طاعته أمن » أى ليضمن طاعتهم له .

فاذا ما عرفنا أسباب اهتمام مظفر الدين بالمحافظة على ما فى معسكر أخيه من أموال وعتاد وبقبضه على بعض أمراء أخيه ، عرفنا لماذا لم يبد عليه الاكتراث بوفاة أخيه ومع ذلك ، فإن تصرفه هذا لا يعتبر عدم اكتراث ، وإنما هو اشتغال عنه بالاهتمام بحفظ حقوقه قبل أن تضيع . هذا فى الوقت الذى لا نكر فيه أن مظفر الدين كان يتطلع دائما الى امارته التى أقصى عنها ظلما وعدوانا من مجاهد الدين ، وأنها كثيرا ما كانت ترد على خاطره بحيث كان يقول لخلصائه ، انه اذا عاد الى أمارته ، فانه سوف يقسم مغلها (أى ايرادها) ثلاثة أقسام ، قسم ينفقه على أوجه البر فيها ، وقسم لنفقاته الخاصة ، وقسم للتسليح للدفاع عن المدينة اذا أغار عليها مغير .

وقد تحققت مخاوف مظفر الدين من المؤامرات ضده ، فانه ما كاد يصل خبر وفاة أخيه الى اربيل حتى أرسل بعض سكانها الى مجاهد الدين — وهو بالموصل — يستدعونه لتسليم البلد

اليه لهواهم فيه — ولحسن سيرته السابقة فيهم ، فرفض مجاهد الدين الاستجابة لهم ، كذلك لم يشجعه عز الدين مسعود على ذلك بسبب الظروف المحيطة بهما ، فأما مسعود فإنه ابتعد عن أمور أربل خوفاً من صلاح الدين من أن يعتبره معتدياً على ولاية تحت حمايته وثبوته ، وأما مجاهد الدين ، فإننا ذكرنا من قبل ، أن عز الدين مسعود كان قد قبض على مجاهد الدين واعتقله ثم أطلقه من الاعتقال وأعادته إلى وظيفته ، غير أنه لم يفرد به هذا المنصب ولم يطلق يده في العمل كما كان الحال قبل القبض عليه ، وإنما جعل معه انساناً يراقب أعماله وتصرفاته ، ولكن الرقيب اشتد في رقابته حتى أنه كان يشاركه في الحكم ، ويحل عليه ما يعقد من أمور ، فكان مجاهد الدين يفتاظ من ذلك أشد العيظ ، ولكنه لا يستطيع الحد من تدخل الرقيب ، لضعف مكاتته عند صاحب الموصل ، لذلك حين استدعى إلى أربل رفض الدعوة ، وحين سأله بعض خواصه عن سبب رفضه ، أجابه بمرارة : لا أفعل لئلا يحكم فيها فلان (أي الرقيب) ويكف يدي عنها (١) .

وكان رفض عز الدين مسعود ومجاهد الدين الاستجابة لدعوة أربل خطأً كبيراً حيث ذاق ملوك الموصل بعد ذلك مرارة نتيجته بعد أن استقر مظفر الدين فيها ، فقد كان مظفر الدين العدو الألد للموصل ، حيث يقول المؤرخ ابن الأثير المعاصر

(١) الكامل ، ج ٩ / ص ٢١٠ .

للحوادث ، ان مظفر الدين « بقى غصة فى حلق البيت الأتابكى
(الزنكى) لا يقدرّون على اساغته » (١) وقد كان الأمر كذلك
كما سنين ذلك بعد .

وترك مظفر الدين عكا وسار الى اربل ليتسلمها ويثبت
أقدامه فيها ، وظل بها حتى استدعاه صلاح الدين ليواصل معه
حرب الصليبيين ، فظل مظفر الدين معه حتى وفاته (وفاة
صلاح الدين — فى سنة ٥٨٩) ثم عاد الى اربل ليدخل فى
اشكالات عديدة مع ملوك الموصل وحلفائهم من الأيوبيين ،
خلفاء صلاح الدين .

ذلك أن مدينة اربل كانت فى الأصل تابعة للموصل — كما
سبق أن ذكرنا — منذ أن استولى عليها عماد الدين زنكى من
الملك مسعود بن محمد السلجوقى ، واذا كان عماد الدين قد
أقطعها لزين الدين على ، فإن هذا الاقطاع ليس معناه أن المدينة
خرجت عن ملكه ، وأن مقطوعها حرّ التصرف يعطى ولاءه
لمن يشاء أو أن يستقل بها استقلالاً كاملاً ، وانما معناه ، ان
المدينة ما زالت من بلاد دولة الموصل ، وأن مقطوعها ملزم بالانتماء
الى ملوكها واحدا بعد الآخر ، فاذا ما استقل بها ، أو حول
ولاءه لغير ملك الموصل ، يعتبر خارجا على الدولة ، ومن حق
صاحب الدولة حينئذ قتاله واسترداد البلد منه واقطاعها لغيره .
فمظفر الدين ، ومن قبله أخوه زين الدين يوسف قد حولوا

(١) الكامل ، ج ٩/ص ٢٢٨ .

ولاءهما الى صلاح الدين ، فأصبحا بذلك من الخوارج على صاحب الموصل ، وأصبح من حقه اذن اخضاعهما ، ولكن ملوك الموصل لم يستطيعوا التحرش بهما لوجود صلاح الدين ، ولأنهم هم أنفسهم كانوا خاضعين لصلاح الدين . فلما مات صلاح الدين سنة ٥٨٩ هـ (١١٩٣ م) استعاد كل من صاحب الموصل ومظفر الدين استقلاله ، وأصبح كل منهما حر التصرف في دولته ، لذلك كان مظفر الدين يخشى ازدياد قوة صاحب الموصل ، لثلاث يعمل على استرداد اربل وشهرزور التي كانت هي أيضا من أملاك الموصل والتي تنازل عنها مسعود لصلاح الدين سنة ٥٨١ بموجب شروط الصلح التي عقدت بينهما ثم أقطعها صلاح الدين لزين الدين يوسف ، لذلك وقف مظفر الدين موقف العداء من أصحاب الموصل وعمل على الحد من توسعهم لثلاث تزداد قوتهم فيصبحون خطرا عليه ، وأول موقف عدائي لمظفر الدين من ملوك الموصل ، كان مع عز الدين مسعود عقب وفاة صلاح الدين مباشرة ، فقد أراد عز الدين مسعود أن ينتهز فرصة وفاة صلاح الدين فيعمل على استرداد ما أخذه صلاح الدين من بلاده بالجزيرة ، فأشار عليه مجاهد الدين بأن يكاتب ملوك الأطراف — ومنهم مظفر الدين — ويستميلهم الى جانبه لكي يمدوه بالقوات اللازمة له لقتال خلفاء صلاح الدين ، أو ليضمن على الأقل وقوفهم على الجهاد أثناء اشتباكه مع الأيوبيين في القتال ، قبل الاقدام على مثل هذه المغامرة الخطيرة ، لأنه وان كان صلاح الدين قد مات ، الا أن خلفاءه سيدافع كل منهم

عما يبيده ، ولعلمهم يتحالفون ضده فتجتمع قوة لا يستطيع محاربتها ، فلما كاتب عز الدين مسعود ملوك الأطراف ، جاءته اجاباتهم برفض طلبه ، فقد خافوا على أنفسهم منه اذا عاد الى قوته ، وكان في مقدمة الراضين مظفر الدين فانه خشى أن يسترده منه اربل وشهرزور وقلاعها متى عاد الى قوته ، وبذلك فشل مشروع عز الدين مسعود (١) . ثم تعددت المواقف العدائية بين مظفر الدين والموصل ، ويبدو لنا أنه كان هناك صراع بين مظفر الدين وملوك الموصل أشد وأكثر حوادث مما ذكره ابن الأثير مؤرخ الموصل والبيت الزنكي ، لأننا نحس بأن أخباره عن اربل والموصل مهزوزة وفيها كثير من الضغط والاختصار ، بحيث نجد فترة طويلة من سنة ٥٨٩ (١١٩٣ م) حتى سنة ٦٠٠ (١٢٠٣ م) لم يذكر خلالها أى أخبار عن مظفر الدين وملوك الموصل ، فلما كانت سنة ٦٠٠ ، ظهر مظفر الدين مرة أخرى كعدو أيضا للموصل .

وبيان ذلك ، أن الخلاف كان مستمرا بين أبناء البيت الزنكي ، وبخاصة بين نور الدين أرسلان شاه صاحب الموصل وبين عمه قطب الدين محمد صاحب مدينة سنجار ، غير أنهما اصطلحا في تلك السنة ، فأزعج هذا الصلح الملك العادل الأيوبي ، الذي كان يحكم في ذلك الوقت مصر ، ودمشق ، وبلاد الجزيرة ، لأن اتفاقهما معناه خلق قوة كبيرة موحدة تستطيع تهديد ماله في الجزيرة من بلاد ، فعزم على فسخ عرى هذا الصلح ، فأرسل اني

(١) الكامل ، ج ٩ / ص ٢٦٤

قطب الدين محمد يستميله اليه ، فغدر قطب الدين بابن أخيه
 واستجاب للملك العادل وخطب له في بلاده ، الأمر الذي
 استعظمه نور الدين أرسلان شاه ، فان اتفقا يهدده تهديدا
 خطيرا ، ومن ثم خرج بجيشه وسار الى نصيبين - وهي لعمه
 قطب الدين محمد - لينتقم منه بالاستيلاء عليها ، فحرب عليها
 الحصار ، وظل يقاتلها حتى أشرف على أخذها ، ولكن حدث
 ما اضطره الى رفع الحصار عنها والعودة الى الموصل ، ذلك أن
 مظفر الدين انتهم فرصة غياب نور الدين عن الموصل ، وانشغاله
 بقتال عمه في نصيبين ، فخرج بجيشه من اربيل وأغار على مدينة
 نينوى التابعة للموصل ، فخربها ونهبها وأحرق غلاتها ، وكادت
 تبلغ غارته الموصل ذاتها ، فأسرع نائب نور الدين على الموصل
 وأرسل يندر نور الدين بالخطر فترك نور الدين نصيبين وقتالها ،
 وأسرع بالعودة الى الموصل خشية أن يستولي مظفر الدين عليها ،
 ولما عاد اليها ، كان في عزمه أن يزحف على مدينة اربيل ويخربها
 انتقاما من مظفر الدين لاغارته على أعمال الموصل ، ولكنه
 لما وجد أن مظفر الدين قد عاد الى بلاده لما علم بعودته من نصيبين
 ظل في الموصل لم يحرك ساكنا (١) . فكان دور مظفر الدين في
 هذا الحادث أنه عرقل مساعي ملك الموصل في انهاء نزاع بينه
 وبين خصمه ، كذلك حال دون اتساع مملكة الموصل . وخبر
 اعتداء مظفر الدين على الموصل بعد عشر سنوات يدعو الى
 التساؤل عن سبب اختفاء الأخبار عن مظفر الدين وملوك الموصل

(١) الكامل : ج ٦ ص ٣٠١ ، مرآة الزمان ج ٨ ص ٥٤٥ .

طيلة هذه المدة ، ونحن نرجح أنه حدثت أحداث فيما بينهم لم يذكرها ابن الأثير ، ودليل هذا ، الخبر الذي ذكره ابن الأثير في سنة ٦٠٠ والذي ذكرناه آنفا . وسبب ترديدنا للمؤرخ ابن الأثير بالذات ، لأنه هو مؤرخ الزنكيين من ناحية ، ولأنه المؤرخ الوحيد الذي اهتم بتدوين أخبار هذه الفترة وحوادثها .

وبعد هذا الحادث بسنوات ، وفي سنة ٦٠٦ (١٢٠٩ م) بالذات ، اضطرت الحوادث مظفر الدين الى مهادنة نور الدين أرسلان شاه صاحب الموصل ، بل الى الانتصار له ضد الملك العادل الأيوبي ، ففي سنة ٦٠٥ عقدت مصاهرة بين نور الدين وبين الملك العادل فقد زوج العادل ابنه من ابنة نور الدين ، فحسّن بعض أمراء نور الدين له أن يتفق مع الملك العادل ضد عمه قطب الدين محمد صاحب سنجار وضد معز الدين محمود بن سنجر شاه صاحب جزيرة ابن عمر ، وذلك بأن يقسما بلادهما فيما بينهما ، فأرسل نور الدين الى الملك العادل يعرض عليه هذا الاقتراح ، على أن يكون لنور الدين جزيرة ابن عمر ، وأن يكون للعادل بلاد قطب الدين ، وهي منطقة الخابور ونصيبين وسنجار ، فرحب الملك العادل بهذا الاقتراح واغتنب له ، لأن هذا المشروع سوف يمهد له السبيل للاستيلاء على الموصل ذاتها ، مطمح أنظار البيت الأيوبي منذ أيام صلاح الدين الأولى ، فسار بجيشه من دمشق الى الجزيرة لينفذ المشروع المقترح ، وقصد بلاد قطب الدين ، فاستولى أولا على منطقة الخابور كلها ، ثم استولى بعدها على مدينة نصيبين ، ففرغ بذلك لمدينة سنجار ،

أهم بلاد قطب الدين ، فسار إليها لحصارها ، وكله أمل في الاستيلاء عليها ، ولكنه ما ان ضرب الحصار عليها ، حتى وجد منها ما خيب أمله ، فقد وجد الدفاع عنها قويا ، وأن جيشها مصمم على قتاله والصمود له ؛ غير أنه لم ييأس من فتحها ، فظل محاصرا لها نحو سبعة شهور ، الأمر الذي أزعج قطب الدين وأيأسه من مواصلة الدفاع عن المدينة ، فقد خاف أن يضعف جنده عن مواصلة القتال بعد هذا الجهد الكبير الذي بذلوه في الدفاع عن المدينة ، وعندئذ تسقط المدينة في يد الملك العادل فيفقدونها الى الأبد ، فراودته نفسه على عقد الصلح مع العادل ، وتسليم البلد اليه في مقابل بلدة أخرى يأخذها منه عوضا عن بلده ، فاستشار في ذلك سماركه أحمد بن يرتقش ، وكان مملوكه شجاعا قويا القلب ثابت الجنان فرده عن عزمه ، ونصحه بالثبات في المقاومة ، لعل الملك العادل ييأس من فتحها بعد هذا الحصار الطويل فيرحل عنها ، فترك قطب الدين فكرة تسليم المدينة الى العادل ، ولكننا أخذ في الوقت نفسه يبعث عن وسيلة تخرجه من المأزق الذي وضعه فيه الملك العادل ، حتى وجدها عند مظفر الدين كوكبوري صاحب اربل .

فقد كان قطب الدين على علم بالصلة الوثيقة التي بين مظفر الدين والملك العادل ، هذه الصلة التي انعقدت بالمصاهرة أولا ، وذلك من زواج مظفر الدين بريعة خاتون أخت الملك العادل ، ولخدمات أداها له مظفر الدين ثانيا ، وللصداقة التي بينهما من ناحية نائلة ، لهذا كله ، قدر قطب الدين أن شفاعة

مظفر الدين عند العادل -قبوثة لا يداخلها الشك ، واعتمادا على هذا التقدير ، أرسل قطب الدين ولده عماد الدين شاهنشاه الى مظفر الدين برسالة ، يطلب منه فيها أن يكون الواسطة بينه وبين العادل ، وأن يشفع له عنده بالرحيل عن مدينته وإبقائها عليه .

ولم يخيب مظفر الدين رجاء قطب الدين ، وعزم على التدخل في الصلح بين الخصمين ؛ ولكن لماذا قبل مظفر الدين أن يتدخل في النزاع بين قطب الدين والملك العادل ؟ هل كان ذلك محبة لقطب الدين وغيره عليه ؟ أم أن هناك سببا آخر دفع مظفر الدين الى هذا التدخل ؟ نحن نرجح أن عامل الخوف من الملك العادل وازدياد قوته في منطقة الجزيرة هو الذى دفع مظفر الدين الى التدخل بين الخصمين والحيلولة بين الملك العادل وبين استيلائه على سنجار . ولعل مظفر الدين تخوف من الملك العادل منذ أن اتفق معه نور الدين أرسلان شاه ؛ لأن في هذا الاتفاق قوة لنور الدين ، وسوف تشجعه هذه القوة الجديدة — قوة تحالفه مع العادل — على محاربته واستخلاص مدينة اربل منه اعتمادا على مساعدة الملك العادل له ، فكان من مصلحة مظفر الدين اذن أن ينقض الاتفاق بين نور الدين والملك العادل ؛ كذلك كان من مصلحته أن لا يستولى العادل على سنجار ، خوفا من أن يستمد طمعه بعدها الى اربل فيعمل على أخذها منه برغم ما بينهما من علاقات طيبة ، لأنه يعلم أنه يعيش في « عصر الغلبة » وتقاليد عصره لا تقييم وزنا لمثل هذه العلاقات أمام المصالح الخاصة .

وعلى كل حال فإن الخطر على اربل محقق : سواء من نور الدين أو من الملك العادل ، فلا بد أن يطمع أحدهما بها ويسانده الآخر ، لذلك أقدم على التدخل في عملية الصلح بين قطب الدين والعادل بارتياح كبير عندما طلب منه قطب الدين ذلك .

وكان تدخل مظفر الدين محكما اختبر به مظفر الدين ، الملك العادل ومبلغ احترامه للعلاقات الطيبة التي تربط بينهما ، وقد كانت نتيجة هذا الاختبار ، تأكيد مخاوف مظفر الدين منه . فقد أرسل مظفر الدين وزيره برسالة الى الملك العادل يشفع فيها لقطب الدين ، ويطلب منه رفع الحصار عن سنجار وتركها لصاحبها ، فكان رد الملك العادل الرفض التام لشفاعته ، وأضاف أمام الوزير ، أنه لا يبالي بمظفر الدين بعد أن اتفق مع نور الدين ، وهكذا كشف الملك العادل عن حقيقة مكانة مظفر الدين عنده ، كما تبين لمظفر الدين أن العادل ، فضلا عن تنكره لعلاقات المودة التي بينهما ، فإنه لن يتورع عن الطمع في اربل ان عاجلا أو آجلا ، ومن ثم اعتبر مظفر الدين ، الملك العادل عدوا له تجب محاربتة ، وأخذ يعد جيشه لنجدة سنجار ، وأرسل الى قطب الدين يقوى من عزيمته ، ويطلب منه الثبات على المقاومة ، فإنه سوف ينجده بعسكره .

ثم حدث ما لم يكن في الحسبان بالنسبة للعادل ولمظفر الدين ، ذلك أن نور الدين أرسلان شاه قرر نقض الاتفاق الذي عقده مع الملك العادل ، وسبب ذلك ، أنه بعد أن استولى العادل على منطقة الخابور ونصيبين ، تنبه نور الدين الى الخطأ الذي وقع

فيه عن جهالة وحق ، وهو أنه باتفاقه مع العادل ، قد وضع عنقه بين فكي الأسد ، حيث تذكر طمع الأيوبيين في مدينة الموصل منذ أيام صلاح الدين ورغبتهم الشديدة في الاستيلاء عليها ، وقد تنبه نور الدين الى الخطر المحدق به حين رأى الملك العادل يحاصر سنجار التي لا تبعد عن مدينته أكثر من مسير يومين ، فدب الخوف في قلبه من غدر العادل به ، بأن يطمع في الاستيلاء على الموصل حين ينجح في الاستيلاء على سنجار ، لذلك لم يجد نور الدين بدا من أن ينقض اتفاقه مع العادل ، وأن يمنع سقوط سنجار في يده ، ومن ثم أخذ يعد جيشا ليرسله الى سنجار نجدة لها .

وبلغ مظفر الدين تقضى نور الدين الاتفاق بينه وبين العادل وعزمه على نجدة سنجار فاغتبط لذلك ، وبادر بارسال وزيره الى نور الدين ، يخبره بأنه قرر مساعدة قطب الدين عسكريا ، ويعرض عليه المحالفة ضد العادل ومنعه بالقوة من الاستيلاء على سنجار ، وأنه متفق معه ضد عدوهما المشترك ، فوصل الوزير الى نور الدين ليلا وأبلغه الرسالة ، فقبلها نور الدين بفرح وارتياح ، فقد جاءه العون من عدو له جمعت بينهما خصومة مشتركة للملك العادل ، فأبلغ الوزير موافقته على اقتراح مظفر الدين ، وحلف أمام الوزير — طبقا لتقاليد ذلك العصر — بالوفاء لمظفر الدين ، فعاد الوزير الى مظفر الدين وأبلغه ترحيب نور الدين باقتراحه وأنه أكد موافقته باليمين الذي حلفه أمامه .

أخذ مظفر الدين عندئذ يعد جيشه ويجهزه بالآلات الحرب ، حتى اذا اطمان الى قوته خرج بالجيش الى الموصل ليرافق جيشها

الى سنجار ، وما أن علم نور الدين بمسير مظفر الدين اليه ، حتى أخذ يستعد لاستقباله من حدود مدينته تكريما له وتعظيما لشأنه ، ولما وصل مظفر الدين ، استقبله نور الدين استقبالا حافلا ، ودعاه للإقامة في قلعة الموصل ، بينما أقام نور الدين في معسكر جيشه خارج القلعة ، وذلك لكي يثبت لمظفر الدين شدة ثقته به ، وتأكيدا منه برغبته في ازالة ما بينهما من خلافات سابقة ، والدخول في علاقة جديدة تقوم على الاتفاق والائتلاف (١) .

ولم يكتف مظفر الدين بتعزيد قطب الدين ونور الدين ضد الملك العادل ، وانما أراد أن يزيد في النكاية بالعادل ، وذلك بأن يكون حلفا كبيرا من أعداء العادل وغيرهم ، فاتفق مع نور الدين على ضم الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي صاحب حلب اليهما ، فقد كان العداء مستحكما بين الظاهر غازي وبين عمه العادل في ذلك الوقت ، وأن يضم اليهما أيضا كيخسرو ابن قلعج أرسلان سلطان سلاجقة الروم ، وأخاه مغيث الدين طغرل شاه صاحب أرزن الروم فاستجاب هؤلاء اليهما ، وأبدوا استعدادهم لسحق عدوهم المشترك ، وأخذ كل منهم يعد جيشه لمعركة فاصلة بينهم وبين العادل .

واتفق الحلفاء فيما بينهم ، على أن يسلكوا الطريق السلمى أولا لاقتناع العادل بالصلح مع قطب الدين والرحيل عن سنجار ، فان استجاب للمصلح كفوا جميعا شر الحرب وضحاياها ، وحفظوا

(١) الكامل ، ج ٩/ص ٣٠١ .

على صاحب سنجار مدينته ، أمّا اذا رفض ، استعدوا عليه الخليفة
لكى يأمره بالرحيل عن سنجار ، وكف عاديته عن صاحبها ، فاذا
بفض وساطة الخليفة أيضا أعذروا فيه ، وأرغموه على الرحيل
عن سنجار بالقوة .

وأخذت الرسل تتردد بين الحلفاء وبين العادل ، والعادل
يماطل في الرد ويطول على أمل الاستيلاء على المدينة قبل انتهاء
المفاوضات ، ولما وجد الحلفاء أن العادل يماطلهم ويطولهم
وتأكد لهم أنه غير مستعد للرحيل عن سنجار ، أرسلوا الى
الخليفة يشكون اليه اعتداء العادل على قطب الدين ، ويطلبون
منه أن يتدخل بما له من نفوذ وروحي فيأمر العادل بالرحيل عن
سنجار فاستجاب الخليفة لما طلبوا ، وأرسل رسولين من أكبر
رجالها ، هما هبة الله بن المبارك بن الضحك الاستدار (١) ،
والأمير آق باش ، وهو كبير خواص ممالك الخليفة .

وسار الرسولان من بغداد الى الموصل أولا ، واجتمعا
بالحلفاء واستعرضا معهم أسباب الخلاف بين العادل وقطب الدين ،
ثم سارا الى سنجار وتقابلا مع الملك العادل وأبلغاه أمر الخليفة
بوجوب الصلح مع قطب الدين وعدم التعرض لسنجار ،
فاستجاب لهما العادل وأبدى استعداداه لعقد الصلح مع
قطب الدين وحلفائه ، وترك سنجار ، ولكنه اشترط أن تظل
البلاد التي استولى عليها من قطب الدين في يده ، وهي منطقة

(١) الاستدار : نطق فارسي معناه : الشخص الذي يتولى قبض
مال السلطان أو الأمير و صرفه . (صبح الأعشى ، ج ٥ / ص ٤٥٧) .

الخابور ونصيبين . فلما تم الصلح على ذلك ، انقرط عقد الخلفاء وعاد كل منهم الى بلاده^(١) . وهكذا حطم مظفر الدين قوة جديدة كادت تظهر وتصبح خطرا عليه ، فحال دون استيلاء الملك العادل على سنجار ، كذلك فصم عرى الحلف بين الملك العادل وبين نور الدين صاحب الموصل .

والواقع أن الملك العادل لم يقبل الصلح استجابة لوساطة الخليفة ، لأنه لم يكن لدى الخليفة قوة عسكرية يرغب بها الملك العادل على احترام وساطته ، وانما اضطر العادل الى قبول الصلح اضطرارا لعدة أسباب ، منها : اصرار الحلفاء على موقفهم منه ومنعه من الاستيلاء على سنجار ، ومنها — على ما يبدو — أن الحلفاء استطاعوا أن يضموا أسد الدين شيركوه الى جانبهم — وأسد الدين هو ابن عم العادل وكان حاضرا معه في الحصار — وذلك أن العادل كان قد عهد اليه مهمة قطع التموين عن المدينة ، من الجهة التي يحاصرها ، ولكن أسد الدين كان يتغاضى عن دخول التموين اليها من الخارج ، فقد كان يرى الأغنام والأقوات وغير ذلك مما يحتاج اليه المحاصرون تدخل الى المدينة ولا يمنعها ، ومنها أيضا ، أن جيش العادل بدأ يتذمر ويفتر عن القتال بسبب ما ناله من التعب^(٢) فأقلقت هذه العوامل الملك العادل وأياسته من فتح المدينة ، ولذلك يمكن القول بأن العادل كان يريد فعلا عقد الصلح حتى قبل وصول رسل الخليفة ،

(١) الكامل ، ج ٩ / ص ٣٠١ .

(٢) الكامل ، ج ٩ / ص ٣٠٢ .

ولكنه لم يفعل ذلك كراهة شماتة أعدائه به ، وخشية أن يظهر ضعفه لهم فيطمعون فيه ، فلما جاءت الرسل بوساطة الخليفة أسرع بعقد الصلح متظاهرا بالطاعة للخليفة ، والاحترام لوساطته .

وقد أسفرت العلاقة الجديدة بين مظفر الدين ونور الدين أرسلان شاه عن مصاهرة عقدت بين الرجلين ، فحين كان مظفر الدين مع نور الدين بالموصل ، زوج مظفر الدين ابنتيه — من زوجته ربيعة خاتون أخت صلاح الدين والعاذل — بولدين لنور الدين هما : عز الدين مسعود الذي خلف أباه على الموصل سنة ٦٠٧ (١٢١٠ م) ، وتلقب بالملك القاهر والآخر عماد الدين زنكى ^(١) وقد أدخلت هذه المصاهرة مظفر الدين في مشكلة مع الموصل بشكل آخر ، بعد وفاة الملك القاهر سنة ٦١٥ (١٢١٨ م) . ذلك أن نور الدين أرسلان شاه توفي سنة ٦٠٧ ، وكان قد أوصى قبل وفاته بأن يخلفه ابنه عز الدين مسعود من بعده ، أما ابنه الآخر عماد الدين زنكى ، فقد أعطاه بعض القلاع ، منها قلعتى العقر وشوش ، المجاورتين للموصل ، كذلك أوصى بأن يقوم بدر الدين لؤلؤ — وهو أكبر مماليكه — على تدبير شئون الموصل باسم ولده عز الدين مسعود ^(٢) فلما خلف عز الدين مسعود أباه على الموصل ، عقدت بينه وبين مظفر الدين محادثات وعهود ، تعهد فيها كل من الطرفين بأن لا يعتدى

(١) الكامل ، ج ٩/ص ٣٠١ ، مفرج الكروب ، ج ٢/ص ١٩٥ .

(٢) الكامل ، ج ٩/ص ٣٠٤ .

أحدهما على بلاد الآخر ، ويبدو أن هذه المحالفات والعهود قد احترسها كل من الجانبين طيلة حكم عز الدين مسعود الذى توفى سنة ٦١٥ .

ظل بدر الدين لؤلؤ يحكم الموصل باسم صاحبها عز الدين مسعود الذى تلقب بالملك القاهر وكان بدر الدين طيلة هذه السنوات هو الحاكم الفعلى للدولة لا ينازعه فيها منازع ، ولكن لما توفى الملك القاهر بدأت المشاكل بين اربل والموصل ، أى بين مظفر الدين وبدر الدين لؤلؤ ، ذلك أن الملك القاهر خلف ولدين صغيرين قاصرين ، هما نور الدين أرسلان شاه ، والناصر محمود ، وكان عماد الدين زنكى — أخو الملك القاهر — يحدث نفسه بأن يملك بعد أخيه بصفته كبير البيت الزنكى ، ولكن بدر الدين لؤلؤ خيب ظنه ، حيث أجلس نور الدين أرسلان شاه مكان أبيه فى الملك ، وأرسل الى الخليفة العباسى الناصر لدين الله يطلب منه التقليد والتشريف لنور الدين ، كذلك أرسل الى الملوك وأمراء الأطراف المجاورين للموصل وغيرهم ممن كان بينهم وبين الملك القاهر محالفات وعهود — ومنهم مظفر الدين — يطلب منهم تجديدها لنور الدين على القاعدة التى كانت بينهم وبين أبيه ، كذلك حث قواد الجند والجيش وكبار رجال الدولة على طاعته (١) وبذلك اطمأن بدر الدين على أن المثلث من الناحية الفعلية له ، ومن الناحية الاسمية لنور الدين .

وإذا كان مظفر الدين حلف لبدر الدين باحترام المحالفات

(١) الكامل ، ج ٩/ص ٣٢٠ .

والعهود التي كانت مبرمة بينه وبين الملك القاهر بعدم التعرض للموصل وأعمالها ، إلا أن الحوادث أثبتت أنه لم يكن مستعدا لاحترامها ، أو أن الظروف أجبرته على عدم احترامها انتصارا لزوج ابنته عماد الدين زنكى ، فقد كان عماد الدين يرى أنه أحق من ابن أخيه القاصر بملك الموصل طبقا للتقاليد الأسرية التي تنص على أن تكون وراثته الملك لأرشد أبناء الأسرة ، فإذا ضاع منه الملك ، فلا أقل من أن يكون هو الوصى على ابن أخيه ، ولكن بدر الدين لم يتقيد بالتقاليد الأسرية اعتمادا على أن هذه التقاليد قد أهمل العمل بها في كثير من الأسرات ومنذ عهد طویل ، فجعل الملك لنور الدين أرسلان شاه بن الملك القاهر ، وفرض نفسه وصيا على الملك الصغير ليظل هو الحاكم الفعلى للبلاد ، الأمر الذى أغضب عماد الدين فقرر أن ينال حقه بالسيف .

وبدأ عماد الدين فى الكيد لبدر الدين ، فانتهمز فرصة تلاحق المرض بابن أخيه نور الدين واعتكافه عن الناس ، فأشاع أن نور الدين قد مات ، وأرسل الى حامية قلعة العمادية التابعة للموصل ، يقول : ان ابن أخى قد توفى ، ويريد بدر الدين أن يملك البلاد ، وأنا أحق بملك آبائى وأجدادى ، فأرسلت اليه حامية القلعة تستدعيه لتسلم له القلعة ، فسار عماد الدين اليها وتسلمها فى ١٨ رمضان سنة ٦١٥ ، وقبض على نائب الموصل بها وعلى من معه (١) .

(١) الكامل ، ج ٩ / ص ٣٢٠ .

ومنذ ذلك بدأ العداء بين بدر الدين من ناحية ، وبين عماد الدين ومظفر الدين من ناحية أخرى ؛ ذلك أن بدر الدين لم يقف مكتوف اليدين ازاء استيلاء عماد الدين على القلعة ، وانما أسرع بجيشه اليها ليستردها ، فضرب عليها الحصار ، ولكنه عجز عن قتالها لأن الزمن كان شتاء والبرد شديدا والثلج يغطي الأرض ، فأقام عليها جيشه يحاصرها حتى ينتهي فصل الشتاء ، وعاد هو الى الموصل ، فلما بلغ مظفر الدين خبر حصار بدر الدين لزوج ابنته عماد الدين بالقلعة عزم على نصرته ، وأخذ يعد جيشه لقتال بدر الدين ورفع الحصار عن القلعة .

وصلت أخبار استعداد مظفر الدين الى بدر الدين ، فأرسل اليه يذكره بالأيمان التي حلفها والعهود التي تعهد بها ، ومن جملتها أنه لا يتعرض الى شيء من أعمال الموصل ، ومنها قلاع الهكارية والزوزان بالذات ، وأنه متى تعرض لها أحد من الناس ، كائنا من كان ، منعه بنفسه وعساكره ، وأعان نور الدين وبدر الدين على منعه ، وطالبه بدر الدين بالوفاء بهذا الحلف وهذه العهود ، ولكن مظفر الدين أصمّ أذنيه ، وأصر على الانتصار لعماد الدين ، فأرسل بدر الدين اليه - مرة أخرى - يسأله الوقوف على الحياد في خلافه مع عماد الدين ، ولكن مظفر الدين أبى عليه هذا أيضا ، بل خرج بجيشه من اربل ، ورابط بالقرب من القلعة ، حيث لم يستطع الوصول اليها ، بسبب حصار عسكر بدر الدين لها ، فانتظر الى أن ينشب القتال بينهم

وبين عماد الدين ، فيفاجئهم هو من وراء فيضعهم بين شقى
الرحى .

ولما طال على عسكر بدر الدين الانتظار وهم يحاصرون
القلعة ، استعجل أحد قواد الجيش القتال ، بالرغم من أنه كان
ينقصه العلم بالحرب والخبرة بفن القتال ، غير أنه كان شجاعا
مقداما ، وكان قريب العهد بالتحاقه بجيش الموصل ، فأراد أن
يقوم بعمل حربى كبير ليتقدم به عند بدر الدين فيرفع من مرتبته ،
فأخذ الجند الذين تحت امرته ، وتقدم بهم الى القلعة تحت جنح
الظلام لينشب القتال مع حاسيتها ، فلما رأى بقية الجيش تقدمه ،
خافوا عليه وعلى من معه الهلاك ، فلحقوا به وساروا على غير
ترتيب لضيق المسالك الى القلعة ، فلما رأى عماد الدين مقدمة
الجيش تتقدم نحوهم ، خرج اليهم بجيشه ، وفرق جنده في الشعاب ،
وانقضوا عليهم من كل مكان فهزموهم هزيمة منكرة فر المغيرون
على أثرها ، ثم انهزم الجيش كله وارتد على أعقابه ثم عاد الى
الموصل ، وذلك قبل أن يتدخل مظفر الدين في القتال ، وبذلك
خلصت القلعة من الحصار ، ولما عاد جيش الموصل ، راسل
عماد الدين باقى قلاع الهكارية والزوزان — وكلها تابعة للموصل
— ودعاهم الى طاعته ، فاستجابوا له وسلموها اليه ، فقبض
على نواب بدر الدين ، وأقام فيها نوابه (١) .

كان لسقوط القلاع التابعة للموصل في يد عماد الدين أثر
بالغ عند بدر الدين ، وقدّر بدر الدين أن عماد الدين — يظاھر

(١) الكامل ، ج ٩ / ص ٣٢٠ .

مظفر الدين ، أصبح من القوة بحيث يشكل خطرا كبيرا على الموصل ، وأنه لن يلبث أن يطمع في الاستيلاء عليها ، وشعر بدر الدين في الوقت نفسه بضعفه عن ردع عماد الدين ومظفر الدين بمفرده ، فقرر أن يلتجئ الى سند قوى يستعين به ضدهما ، وان كان هذا الالتجاء سوف يضعه موضع المتبوع من التابع ، ولكنه فضل هذا الوضع على ضياع الموصل منه ، ووجد بدر الدين هذا السند في الملك الأشرف موسى الأيوبي ، الذي يملك كثيرا من بلاد الجزيرة وخراسان ، فأرسل اليه يعرض عليه الانتماء اليه والدخول في طاعته لكي يحميه من مظفر الدين وزوج ابنته عماد الدين ، فأجابته الأشرف بالقبول والارتياح ، لأن دخوله في طاعته قوة له ، يستعين به عند الحاجة بعد استقرار أمور الموصل وابعاد الخطر عنها ، كذلك كان من مصلحة الملك الأشرف أن لا تظهر قوة جديدة في منطقة الجزيرة وما حولها فتهدد أملاكه بالخطر ، ولذلك وعد بدر الدين بمساعدته ومعاوضته والمحاربة دونه لاستعادة ما أخذ منه من القلاع ، ومنذ ذلك اعتبر مظفر الدين ، الملك الأشرف عدوا له ، لانتصاره لبدر الدين الذي يبغضه لتحكمه في حفيديه ولدى الملك القاهر ، وسوف نرى أن مظفر الدين سيقف ضد الأشرف موسى الى النهاية .

وباتمام بدر الدين الى الأشرف ، موسى ، أصبح الأشرف ملزما بالدفاع عن تابعه ، ويبدو أن بدر الدين كان قد لجأ الى الأشرف موسى قبل أن ينتمى اليه ليكون واسطة بينه وبين

مظفر الدين لعقد الصلح بينهما وأن الأشرف نجح في ذلك ، وان كان المؤرخون أغفلوا هذا الخبر ، لأن الأشرف أرسل الى مظفر الدين — بعد أن اتقى بدر الدين اليه ودخل في طاعته — يلومه لانتصاره لعماد الدين وتشجيعه اياه على اعتدائه على أملاك الموصل ، ويقول له مهددا : « ان هذه القاعدة قد تقررت بيننا جميعا بحضور رسلك ، وأنا نكون على الناكث الى أن يرجع الى الحق ، ولا بد من اعادة ما أخذ من بلد الموصل لندوم على اليمين التي استقرت بيننا (١) ، فان امتنعت وأصررت على معاضدة زككى ونصرته ، فأنا أجيء بنفسى وعساكرى وأقصد بلادك وغيرها ، وأسترد ما أخذتموه وأعيده الى أصحابه ، والمصلحة أنك توافق وتعود الى الحق ، لنجعل شغلنا جمع العساكر وقصد الديار المصرية واجلاء الفرنج عنها قبل أن يعظم خطبهم ويستطير شرهم (٢) .

وكان الملك الأشرف يعتقد أن تهديده سوف يحدث أثره عند مظفر الدين ، ولكن مظفر الدين في الواقع لم يرهبه التهديد ، كذلك أصم أذنيه عن النصيحة وأصرّ على مناصرة عماد الدين ضد بدر الدين لاقصائه عن الموصل ، لعلمه أن الأشرف لن يستطيع تنفيذ تهديده لمشغولته بالصليبيين وخوفه على بلاده منهم ، فقد كان الصليبيون في ذلك الوقت (سنة ٦١٥) في أشد

(١) لم يذكر المرجع الذى نقل عنه متى تقررت القاعدة ، كذلك لم يذكره غيره من المراجع .

(٢) الكامل ، ج ٩ / ص ٣٢١ .

قوتهم ، وكانت اغارتهم على الشام مستمرة ، حتى أنهم بلغوا من اشتداد القوة بحيث عزموا على فتح مصر ، فساروا الى دمياط واستولوا عليها ، فأرسل الأشرف الى أخيه الملك الكامل صاحب مصر معظم جيشه نجدة لجيش مصر ، فضلا عن أنه كان مشغولا بمراقبة الصليبيين بالشام ، خوفا من اغاراتهم المفاجئة على البلاد التي بيد المسلمين . فلما رأى الملك الأشرف اصرار مظفر الدين على موقفه ، أخذ يستعدى عليه أمراء الأطراف ويستميلهم الى جانبه ، ومن الذين راسلهم الملك الأشرف ، ناصر الدين محمود الأرتقى صاحب حصن كيفا وآمد ، ولكن ناصر الدين أبى الاستجابة له ، وانما انضم الى مظفر الدين وأخذ يغير على بعض البلاد التي للأشرف وينهبها ، وكذلك انضم الى مظفر الدين ، صاحب ماردين الأرتقى وانفقوا جميعا ضد الأشرف ، وسبب انضمام هذين الأرتقين الى مظفر الدين ، هو العداوة المتأصلة بين البيت الأرتقى والبيت الأيوبي منذ أيام صلاح الدين ، فقد كان صلاح الدين قد استولى على كثير من بلادهم ، وأرغم بعض أمراء الأسرة على الدخول في طاعته ، فلما رأى الأشرف ازدياد قوة مظفر الدين خاف على بدر الدين منه ولكنه لم يستطع أن يفعل له شيئا للظروف المحيطة به ، غير أنه أرسل اليه فرقة من جيشه رابطة في مدينة نصيبين القريبة من الموصل ، ليستعين بها بدر الدين اذا دهمه خطر من مظفر الدين (١) .

(١) الكامل ، ج ٩ / ص ٣٢٦ .

ولم يكتف عماد الدين زنكى بتحريض نواب بدر الدين على القلاع لخلع طاعتهم له وتسليم القلاع اليه ، وانما طمع في الموصل نفسها ، فانه ما كاد جيش بدر الدين يعود الى الموصل من العمادية مهزوما ، حتى قويت نفسه ، فترك العمادية وسار الى قلعة العقر المجاورة للموصل — وهى له — ليتسلط منها على أعمال الموصل ، وأمدّه مظفر الدين بطائفة كبيرة من الجند ، فأخذ عماد الدين يشن الغارات على حدود المدينة ليختبر قوتها ، ثم يعود الى القلعة يحتمى بها ، فلما رأى بدر الدين ذلك ، أرسل جزءا من جيشه ليرد عماد الدين عن حدود الموصل . وكان الأمر الذى أصدره بدر الدين للجيش أن يقيم على حدودها ليمنع غارات عماد الدين عنها ، ولكن قواد الجيش عزموا على قتال عماد الدين فى قلعته دون اذن من بدر الدين ، فساقوا الجيش اليها ليلا وصبحوا القلعة صباح اليوم التالى ، فدار قتال شديد بين الفريقين ، صبر الفريقان فيه صبرا عجيبا ، وكانت نهايته انتصار جيش بدر الدين وهزيمة عماد الدين ، فترك القلعة وسار بجيشه الى اربل لكى يحتمى بوالد زوجته ، فعاد جيش الموصل ورابط على حدود المدينة ، كذلك حضرت رسل الخليفة الناصر لدين الله ورسل الملك الأشرف وجددوا الصلح بين مظفر الدين وعماد الدين من ناحية وبين بدر الدين لؤلؤ^(١) من ناحية أخرى .

وفى نفس السنة التى تم فيها الصلح (سنة ٦١٥) توفى نور

(١) الكامل ، ج ٩ / ص ٣٢١ .

الدين أرسلان شاه صاحب الموصل ، فرتب بدر الدين في الملك بعده ، أخاه ناصر الدين محمودا ، وكان له من العمر ثلاث سنين (١) . وبوفاة نور الدين تجددت همّة مظفر الدين وعماد الدين للاستيلاء على الموصل ، فان ناصر الدين طفل ليس له من الأمر شيء في حكم الموصل ، وأن بدر الدين هو كل شيء ، فتجاهل كل من مظفر الدين وعماد الدين الصلح الذي عقد بينهما وبين بدر الدين والأشرف موسى وأخذوا يعملان على اقضاء بدر الدين عن الموصل ، فجمعوا الجند وتجهزوا للحركة ، ثم أرسلوا بعض العسكر الى حدود الموصل ، فأغاروا عليها وأعملوا يد السلب والنهب والافساد فيها.

وكان بدر الدين في قلعة من العسكر ، وسببه آله لما أرسل الملك الأشرف معظم جيشه الى أخيه الملك الكامل نجدة له على الصليبيين في دمياط كما ذكرنا ، استدعى الأشرف معظم جيش الموصل اليه ليسد الفراغ الذي أوجده مسير جيشه الى دمياط ، فأصبح بدر الدين في قلعة من الجند ، فلما رأى بدر الدين تحرش مظفر الدين وعماد الدين به ، وافساد جندهما بأطراف الموصل ، وأنه لن يستطيع حماية مدينته بما عنده من الجند ، استدعى جند الملك الأشرف المرابط في نصيبين ، والذين كان الأشرف قد أرسلهم اليها ليكونوا تحت طلب بدر الدين حين يشاء .

(١) الكامل ، ج ٩ / ص ٣٢١ .

وكان قائد جند الأشرف يدعى عز الدين أيبك ، وكان عدد الجند الذين معه قليلا لن يسدوا مسدّ جند بدر الدين الذين أرسلهم الى الشام ، وكان أيبك عجولا للقتال ، فما ان وصل بجنده الى بدر الدين حتى عزم على عبور نهر دجلة والمسير الى اربل مباشرة لقتال مظفر الدين وعماد الدين ، فمنعه بدر الدين من ذلك — وكان بدر الدين أكثر خبرة من أيبك بالفن الحربى وبالمنطقة التى يقاتلون عليها — وطلب منه أن يستريح ويريح جنده أولا من مشقة الطريق ، فأذعن أيبك كارها ، وأقام بجنده بظاهر الموصل بضعة أيام ، ألح بعدها على بدر الدين بالأسراع بالمسير الى اربل ، فوافقته بدر الدين كارها لئلا يلاحظ الجند خلافه فى الرأى مع أيبك فتقوم فتنة بينهم ، وعبروا جميعا نهر دجلة وأقاموا على بعد فرسخين من الموصل شرقى النهر ، فلما علم مظفر الدين بخبر عزمهم المسير اليه ، خرج بعسكره وسار اليهم ومعه عماد الدين ، وعبر نهر الزاب ليلتقى ببدر الدين وجيشه قبل أن يفاجئه بدر الدين ، وأخذ كل من مظفر الدين وبدر الدين يعبىء جيشه ويرتبه للمعركة ، فجعل مظفر الدين على مسيرة جيشه عماد الدين زنكى ، وعلى الميمنة أحد قواده بينما قاد هو قلب الجيش ، وأما بدر الدين فجعل عز الدين أيبك على الجاليشية (١) ، وجعل على الميسرة أحد كبار قواده ، الا أن بدر الدين كان ضعيف السيطرة على جند الملك الأشرف ، الأمر الذى أدى الى هزيمته فى المعركة ، فقد أصر أيبك على المسير

(١) الجاليش : لفظ تركى معناه : طليعة الجيش .

الى معسكر مظفر الدين ليلا برغم محاولات بدر الدين في اقناعه بتأجيل المسير الى الصباح لوعورة الطريق وخطورته ، ولكن أيك أبى الانتظار وتحرك بعساكره ، فاضطر بدر الدين الى المسير معه ، ولما نشب القتال ، هزمت ميمنة جيش بدر الدين مسيرة جيش مظفر الدين ، وهزمت ميمنة جيش مظفر الدين مسيرة جيش بدر الدين ، ولما التحم القلبان ، وكان بدر الدين يقود قلب جيشه ، هزم مظفر الدين ، بدر الدين الذى لم يستطع الثبات أمام خصمه ، ففر هاربا الى الموصل ، وصعد الى القلعة ليحتمى بها ، ومظفر الدين يطارده حتى نزل على نينوى بالقرب من الموصل ، وأقام بها ثلاثة أيام ، فلما علم أن بدر الدين يجمع جنده من جديد ليعبر اليه ، رحل عن نينوى ، وعبر نهر الزاب وأقام على ضفته ليرى ما يكون من أمره ، ولكن بدر الدين بدلا من أن يأتيه بجيشه للقتال ، أرسل له رسلا يعرضون عليه الصلح ، على أن يحتفظ كل منهم بما فى يده من البلاد ، فوافق مظفر الدين على الصلح ، وتقررت بينهما العهود ، وحلف كل منهما للآخر على الوفاء بها (١) .

ولكن الصلح لم يستمر بين مظفر الدين وبدر الدين طويلا ، فانه سرعان ما نقض ، فان حامية قلعة كواشى — وهى من أحصن قلاع الموصل وأمنعها — لما رأت أن حامية قلعة العمادية قد سلمت القلعة الى عماد الدين ، حذت هى أيضا حذوها ، فقبضت على نائب بدر الدين وعماله بها ، وأرسلت الى عماد الدين

(١) الكامل ، ج ٩/ص ٣٢٢ ، ابن العبرى ، ص ٤٠٥/٤٠٦ .

تدعوه لاستلام القلعة ، فسار عماد الدين اليها وتسلمها ، فأرسل بدر الدين الى مظفر الدين يحتج عليه فيما فعل عماد الدين ، ويذكره بالصلح والعهود التي قطعها على نفسه والأيمان التي حلفها بالأمس ، وطلب منه إعادة قلعة كواشي ، ولكن مظفر الدين رفض طلبه ، عندئذ أرسل بدر الدين الى الملك الأشرف — وكان يحلب — يستنجده ، فسار اليه الأشرف وعبر نهر الفرات الى حران ، ولكن حدث للأشرف ما اضطره الى التمهّل في مسيره الى الموصل .

ذلك ، أنه لما علم مظفر الدين باستنجد بدر الدين بالملك الأشرف ، أخذ يعمل على عرقلة أمور الأشرف ليعوقه عن نجدة بدر الدين ، فأخذ يرسل نواب الأشرف على بلاده ويحرضهم على الخروج عن طاعته ، كذلك راسل الملوك المجاورين للملك الأشرف وأصحاب الأطراف ، يثير فيهم الخوف من الملك الأشرف ، على اعتبار أنه اذا فرغ من مشاكله فانه سوف يطمع في بلادهم ويقاثلهم عليها ، فاستجاب له : عز الدين كيكافوس صاحب بلاد الروم وكذلك صاحب آمد وحصن كيفا ، وناصر الدين أرتق ابن ايلغازى صاحب ماردين ، واتفقوا جميعا على أن يجعلوا كيكافوس زعيما للحلف وخطبوا له في بلادهم .

ولم يكتف مظفر الدين باثارة الملوك والأمراء على الملك الأشرف وانما عمل على جلب بعض قواده الى صفه ، وقد نجح في ضم أحمد بن علي المشطوب وعز الدين محمد بن بدر الحميدى وغيرهما اليه ، ففارقوا الملك الأشرف ونزلوا بدنيسر بالقرب من

ماردين ليجتمعوا مع صاحب آمد ويمنعوا الأشرف من مواصلة السير الى الموصل لمساعدة بدر الدين .

ولكن قدر لهذا الحلف الكبير أن يفشل ، وأن ينجو كل من الملك الأشرف وبدر . لدين من خطره المحقق . ذلك أن كيكائوس صاحب بلاد الروم سار الى ملطية وهي من بلاد الملك الأشرف للاستيلاء عليها ، وفي ظنه أن الأشرف سيسرع اليها لتجديتها ، وبذلك يتحول عن نجدة بدر الدين ، فتنهياً الفرصة لمظفر الدين للاستيلاء على الموصل ، ولكن المشروع لم يتم ، فقد كان كيكائوس مريضاً بالسل ، فاشتد به المرض وهو على حصار ملطية ، فاضطر الى رفع الحصار عنها والعودة الى بلاده ، ثم ما لبث أن مات ، فخلفه أخوه كيقباز فاتبع كيقباز سياسة تخالف سياسة أخيه ، فقد رأى أن من مصلحته أن تكون العلاقة بينه وبين الملك الأشرف علاقة طيبة ، فعقد معه الصلح ، وتأكد هذا الصلح بعقد مصاهرة بينهما (١) .

فكان هذا أول وهن أصاب الحلف ، ثم لما اجتمع باقى الحلفاء في دنيسر ، غدر صاحب آمد بحلفائه وانضم الى الأشرف ، فضعفت بذلك قوة الحلفاء ثم انحل أمر الحلف كله بعودة قواد الأشرف الذين انضموا الى الحلف اليه ، ما عدا ابن المشطوب ، فإنه ظل على عهده فسار من دنيسر الى نصيبين ليسيير منها الى اربل لينضم الى مظفر الدين ، فخرج اليه صاحب نصيبين فيمنع عنده من الجند ليقبض عليه فدار بينهما القتال ، فانهزم

(١) الكامل ، ج ٩ / ص ٣٢٢ - ٣٢٨ .

ابن المشطوب وتفرق عنه معظم جنده فواصل سيره الى اربيل ،
ولكن لما اجتاز بمدينة سنجار ، سير اليه صاحبها فروخ شاه بن
عماد الدين زنكى بن مودود عسكريا ، فدار بينهم وبين ابن
المشطوب قتال فهزموه وقبضوا عليه وحملوه الى سنجار ، وكان
فروخ شاه متحالفا مع الأشرف وبدر الدين ، فلما اجتمع
ابن المشطوب بفروخ شاه ، أغراه ابن المشطوب بالخروج على
الأشرف وبدر الدين والانضمام الى مظفر الدين فأجابه الى
ذلك ، فجمع ابن المشطوب بعض الجند المرتزقة وكوّن منهم
جيشا وأخذ يغير به على منطقة البقعاء ، وهى من أملاك الموصل ،
ونهبوا منها عدة قرى وعادوا الى سنجار ، فلما رأى بدر الدين
افساد ابن المشطوب وعسكره ، سير اليه عسكريا فقاتلوه فانهمز
وفر الى تل يعفر ، وهى لصاحب سنجار ، واحتفى بها ، فلحقه
جند الموصل وحاصروه بها ، ثم خرج بدر الدين بجيش الموصل
اليها ، وأخذ يقاتله حتى هزمه وقبض عليه واستولى على المدينة ،
ثم عاد الى الموصل ومعه أسيره ، فسلمه الى الملك الأشرف ،
فحبسه الأشرف بمدينة حران ، وظل في الحبس الى أن توفى في
سنة ٦١٩ (١) .

وأما الملك الأشرف ، فانه لما أطاعه ناصر الدين أرتق صاحب
حصن كيفا وآمد ، وانحل عقد حلف مظفر الدين ، عزم على
المسير الى الموصل فى زيارة لصاحبها ، وأثناء أن كان فى طريقه

(١) الكامل ، ج ٩ / ص ٣٢٣ .

اليها ، استولى على مدينة ماردين فصالحه صاحبها صلحا أرضاه ، ثم سار من ماردين الى نصيبين يريد الموصل ، فبينما هو في الطريق ، أتته رسل فروخ شاه صاحب سنجار يجذ له تسليم سنجار اليه في مقابل أن يعوضه عنها بمدينة الرقة ، وقد دفعت فروخ شاه عدة أسباب لتسليم سنجار الى الملك الأشرف ، منها : سقوط تل يعفر في يد بدر الدين حليف الأشرف ، ومنها اتفاهه السابق مع ابن المشطوب ضد الأشرف ، يضاف الى ذلك أن بعض كبار رجال دولته خوفوه من وصول الأشرف الى الموصل ، وعللوا وصوله اليها بأنه تمهيد للاستيلاء على سنجار ذاتها ، فرأى فروخ شاه أن خير ما يفعله هو أن يسلمها الى الأشرف بدون قتال ، وأن يأخذ مدينة الرقة عوضا عنها ، وكان هذا العرض مما يرحب به الملك الأشرف أجمل ترحيب نظرا لموقع سنجار وأهميتها في منطقة الجزيرة ، فسرعان ما تم بينهما تبادل المدينتين (١)

وقد أزعج استيلاء الأشرف على سنجار مظفر الدين ازعاجا شديدا ، فقد علم مظفر الدين أنه لن يقوى على الوقوف في وجه الأشرف ، لأنه أصبح سيد الجزيرة كلها فلذلك فضل أن يعقد معه الصلح اتقاء لخطره . فما ان وصل الأشرف الى الموصل — وقد استقبله بدر الدين استقبالا حافلا — حتى أرسل مظفر الدين رسله اليه يعرض عليه الصلح ، وأبدى استعداداه لرد جميع القلاع التي استولى عليها عماد الدين لبدر الدين ما عدا قلعة

(١) الكامل ، ج ٩ / ص ٣٢٤ .

العمادية ، فقد أصر مظفر الدين على أن تبقى لعماد الدين ، وقال مظفر الدين للأشرف لكي يحمله بقبول الصلح : ان من المصلحة قبول هذا الصلح لتزول الفتن ، ويقع الاشتغال بجهاد الفرنج (١) . ولكن الأشرف كان يطمع في الاستيلاء على اربل ذاتها ، فقد أخذ يمد في مفاوضات الصلح حتى استمرت شهرين ، ثم ظهرت حقيقة نواياه ، فقد خرج من الموصل يريد اربل ، فوصل الى قرية السلامية بالقرب من نهر الزاب ، وكان مظفر الدين قد ضرب معسكره على شاطئه من ناحية اربل ، وكأنه كان يتوقع مفاجأة من الأشرف ، ولكنه لم يتعجل بقتاله ، وانما آثر دفع خطرهم بالطريق السلمى ، فعاود ارسال رسله اليه لاقناعه بعقد الصلح فقبل الأشرف الصلح هذه المرة ، وانما قبله تحت ظروف قاهرة ، فان جيشه بدأ يتذمر لطول انتظارهم ، ثم ان ناصر الدين ارتق صاحب آمد — وكان في صحبته — أخذ ميله الى مظفر الدين يظهر بوضوح ، فخشى الملك الأشرف من ثورة الجيش عليه ، ومن غدر ناصر الدين به ، فاستجاب لما دعاه اليه مظفر الدين وقبل الاقتراح الذى عرضه بتسليم القلاع الى بدر الدين ما عدا قلعة العمادية ، ولكنه اشترط أن يأخذ عماد الدين زكى رهينة عنده ، وأن يضع يده على قلعتى العقر وشوش — وهما لعماد الدين — حتى يتم تسليم القلاع الى بدر الدين ، فسار عماد الدين الى الأشرف ، ووضع نفسه رهينة عنده ، ثم أصدر أوامره الى نوابه فى القلاع يأمرهم بتسليم ما فى أيديهم الى نواب

(١) الكامل ، ج ٩ / ص ٣٢٤ .

الملك الأشرف ، ولكن حاميات القلاع رفضت تنفيذ أوامر عماد الدين ، ما عدا قلعة « جل صورا » فانها وحدها التي أطاعت وسلمها نائبها الى نائب الملك الأشرف ، الأمر الذي أزعج عماد الدين ، فقد طال اعتقاله وانتهى الأجل المضروب لتسليم القلاع ، فلجأ عندئذ الى شهاب الدين غازى — أخى الملك الأشرف — ليكون واسطة بينه وبين أخيه لاطلاق سراحه ، فاستجاب الملك الأشرف لوساطة أخيه ، فأطلق سراح عماد الدين ، وسحب نوابه من قلعتى العقر وشوش ، وأعادهما اليه وأغفاه من تسليم القلاع الى بدر الدين (١) .

ولا بد من كلمة هنا عن عماد الدين ، فانواقع أن عماد الدين كان ينقصه الكثير من مميزات الحاكم ومميزات المحارب معا ، فانه كان — كما يبدو — فاطر الهمة ، ضعيف العزيمة ، فتخبط في أعماله وتصرفاته ، فقد كان يريد أن يستولى على الموصل وملحقاتها ، وأن يرث ملك أمرته ، ولكنه لم يرسم لنفسه خطة يسير على نهجها لتحقيق هدفه ، ولم يعد نفسه لمعارك حاسمة بينه وبين بدر الدين ، وانما كان يشتبك معه في مناوشات لا توصله الى هدفه برغم تأييد مظفر الدين له ومساندته ، وأحسب أنه ورط مظفر الدين بسوء تصرفه ، ولعله لو سلمت قياده الى مظفر الدين وأبدى من الحماس والرغبة الصادقة بطرد بدر الدين من الموصل ، لنجح الاثنان في اقصاء بدر الدين عن الموصل والاستئثار بها دونه . كذلك كان تفكير عماد الدين

(١) الكامل ، ج ٩ / ص ٣٢٤ .

الإدارى محدودا ، حتى أنه لم يحسن حكم قلاعهم حكما يرضى نوابه فيها لكي يخلصوا له ، فقد كان يبخل عليهم بالمال والعطاء ، بخلاف بدر الدين الذي كان يبرهم ويرغبهم بالعطاء والهبات حين كانت القلاع في يده ، لذلك نجد أهل قلاع الهكارية والزوزان يتشوقون لحكم بدر الدين من جديد ، فأخذوا يرأسونه ليسلموا إليه القلاع فسار بدر الدين إليها وتسلمها (١) وبذلك خرجت من يد عماد الدين الذي كافح من أجلها .

وبسبب سياسة عماد الدين العوجاء ، ضاعت منه أيضا قلعة شوش وانتقلت إلى بدر الدين في سنة ٦١٩ (١٢٢٢ م) ، فقد كان عماد الدين قد سار في تلك السنة إلى أذربيجان في زيارة لصاحبها أوزبك بن البهلوان ، فضيفه أوزبك وأقطع بعض الأقطاعات في بلاده ، فأطال عماد الدين إقامته هناك ، فسار بدر الدين إلى القلعة وحاصرها ، وما زال يقاتلها حتى سقطت في يده (٢) .

ويبدو أنه حدث فتور بين مظفر الدين وعماد الدين ، ولهذا نرى أن مظفر الدين لم يتحرك للدفاع عن أملاك زوج ابنته ، وإنما ترك القلعة تسقط في يد بدر الدين .

ولم يطل أمد الصلح بين مظفر الدين والملك الأشرف ، فقد تغيرت الظروف في سنة ٦٢١ (١٢٢٤ م) ، بالنسبة للأشرف ، وذلك حين دب الخلاف بينه وبين أخويه شهاب الدين غازي

(١) الكامل ، ج ٩ / ص ٣٢٤ .

(٢) الكامل ، ج ٩ / ص ٣٤٩ .

والمعظم عيسى صاحب دمشق ، فان الأشرف كان قد وليّ أخاه شهاب الدين ولاية عهده من بعده ، ثم أقطعه بعض بلاده ، مثل : خلاط وأرمينية وغيرها . ولكن شهاب الدين طمع في هذه البلاد لنفسه ، فأعلن استقلاله بها ، واتفق مع أخيه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق ضد أخيهما الأشرف ، وكان الملك المعظم يعرف لمظفر الدين صاحب اربل قدره ، ويعلم أن في انضمامه اليهما قوة ومندا ، فأرسل اليه ابنه الناصر داود في رسالة يعرض عليه فيها الانضمام اليهما ضد أخيهما الأشرف ، فاستجاب له مظفر الدين لما فيه من المصلحة له باضعاف الأشرف ، فلما وجد المعظم الاستجابة من مظفر الدين ، سار بجيشه الى بلاد الأشرف بالجزيرة ليستولي عليها حتى وصل « داريا » ، فلما علم الملك الأشرف بذلك ، أرسل الى أخيه الملك الكامل ، صاحب مصر ، يستنجاهه على أخويه وحليفهما (١) .

وكان الأخوة الثلاثة ، الملك الكامل والملك المعظم ، والملك الأشرف ، على خلاف مستمر فيما بينهم على تقسيم دولة أبيهم العادل ، فكانت مصر للكامل ، ودمشق للمعظم ، والجزيرة للأشرف ، ومع ذلك فان كلامهم كان غير راض بنصيبه ، فالكامل طامع بدمشق ويريد أن تكون له الزعامة على اخوته جميعا وأن يكون هو الحاكم على الجميع ، والمعظم طامع بمصر ويريد أن يكون هو المرجع اليه ، والأشرف غير قانع بما في يده من البلاد

(١) مفرج الكروب ، ج ٢/لوحه ٢٢٤ (مخطوط) .

فهو يريد أن يحكم على ما في أيدي أبناء عمومته من بلاد الشام ، كحلب وحمص وحماء وغيرها ، ولكن الظروف كانت تضطر الملك الكامل والأشرف الى الاتفاق ضد أخيهما المظفر لقوته ، وان كان اتفاقهما على دخن ، لذلك أسرع الكامل الى نجدة أخيه الأشرف ، فأرسل الى أخيه المعظم يأمره بعدم التعرض لبلاد أخيهما الأشرف والعودة الى دمشق ، ثم هدده بالمسير الى دمشق والاستيلاء عليها ان هو أصر على الاستمرار في التعدي على أملاك أخيه ، فخاف المعظم أن ينفذ الكامل وعيده ، فعاد الى دمشق (١) .

وأما الأشرف فانه سار بجيشه الى خلاط ليستردها من أخيه شهاب الدين غازي ، ولم يجد الأشرف كثير مقاومة في استردادها ، فقد فتر أهلها عن قتاله لأنه كان أحب اليهم من أخيه غازي ، ولما رأى غازي أنه أضعف من أن يناوئ أخاه ، اصطاح معه (٢) .

وأما مظفر الدين ، فانه خرج بجيشه الى الموصل وحاصرها ، وذلك قبل أن تصل حوادث الاخوة الأيوبيين الى نهايتها التي ذكرناها . وكان في تقدير مظفر الدين ، أن الملك الأشرف حين يعلم بخبر محاصرته الموصل ، يرحل عن خلاط ، أثناء حصاره لها لينجد بدر الدين فيخرج أخوه شهاب الدين غازي في طلبه ، فيقع الأشرف بين أخيه وبين مظفر الدين فيهزمه ، ثم يصل الملك المعظم بجيشه الى الموصل فيعمل الجميع على أخذها .

(١) الكامل ، ج ٩ / ص ٣٥٤ .

(٢) الكامل ، ج ٩ / ص ٣٥٣ .

ولكن اختلف تقدير مظفر الدين منذ نزوله على الموصل ، فقد كان يحسب أن الموصل لن تستطيع المقاومة طويلا لما تعانيه من المجاعة ولقلة ما بها من الجند ، ولكن ما ان وصل اليها حتى وجد أن بدر الدين قد أحكم الدفاع عنها ، فجهزها بالجند المسلح وبآلات الدفاع المضادة لآلات الحصار ، فظل عليها مظفر الدين عشرة أيام دون أن ينال منها غرضا ، فلما بلغه ما كان من أمر المعظم وتوقفه عن المسير الى الموصل بسبب تهديد أخيه الكامل له ، وما كان أيضا من استرداد الأشرف مدينة خلاط وصلحه مع أخيه غازي ، اضطر الى رفع الحصار عن الموصل ، وعاد عنها ، وعبر نهر الزاب وأقام على ضفته ينتظر ما تأتي به الأيام من أحداث^(١) ولكن لم يشبط هذا الفشل همة المعظم عيسى ومظفر الدين ، وانما ظلا يتحيانان الفرص للإيقاع بالملك الأشرف والملك الكامل ، وقد واتتهما الفرصة عندما ظهر جلال الدين خوارزم شاه (وسوف نتحدث عنه فيما بعد) على المسرح السياسي بالقرب من المنطقة التي نتحدث عنها . ففي نفس السنة ، سنة ٦٢١ ، وصل جلال الدين الى أذربيجان واستولى عليها ، فأصبح قريبا من بلاد الأشرف ، فأرسل الملك المعظم رسولا منه الى جلال الدين يعرض عليه عقد محالفة بينهما ضد أخويه الأشرف والكامل ، فاستجاب له جلال الدين ، ثم أرسل المعظم الى مظفر الدين يعرفه بالمحالفة التي عقدها مع جلال الدين ، فأرسل مظفر الدين وعقد هو

(١) الكامل ، ج ٩ / ص ٣٥٤ .

الآخر حلفا معه ، وهكذا اجتمعت ثلاث قوى كبيرة ، لو تم اجتماعها ، لكان فيها الخطر كل الخطر على الملك الأشرف والملك الكامل معا (١) غير أن انشغال جلال الدين بحروبه ضد الخارجين عليه من نوابه على بلاده حال بين الحلفاء وبين التعدي على أملاك الأشرف .

ثم مضى نحو سنتين ، كان مظفر الدين فيهما في شبه هدنة مع بدر الدين ، فلما كانت سنة ٦٢٣ ، أعلن بدر الدين وفاة ناصر الدين محمود — الحفيد الثاني لمظفر الدين — واستقلاله بالموصل ، وحصوله على موافقة الخليفة بذلك ، عندئذ تحرك مظفر الدين للاستيلاء على الموصل ، فقد راجت شائعة بأن بدر الدين قتل ناصر الدين ليخلو له الجو ، فأخذ يعمل على احياء الحلف الذي بينه وبين جلال الدين والملك المعظم ، ثم عمل على تقوية الحلف بضم صاحب آمد ، وناصر الدين ارتق صاحب ماردين اليه ، واتفقوا جميعا على أن يقصد مظفر الدين الموصل ويضرب عليها الحصار ، ويقصد جلال الدين مدينة خلاط — وهي للملك الأشرف — ويقصد المعظم عيسى حمص وحماء ، ليشغلوا أصحاب هذه البلاد فلا يستطيع أحدهم أن ينجذ الآخر ، فقد كان بدر الدين صاحب الموصل ، والأشرف موسى صاحب الجزيرة وخالط ، وأصحاب حمص وحماء يدا واحدة يجمعهم حلف ضد المعظم عيسى ومظفر الدين ، ولكن حدث ما قسم عرى حلف

(١) الكامل ، ج ٩/ص ٣٦٧ ، مفرج الكروب ، ج ٢/لوحة ٢٣٩ (مخطوط) .

مظفر الدين وجلال الدين والمعظم عيسى ، ذلك أن نائب جلال الدين على « كرمان » عصى عليه ليستقل بالاقليم دونه ، فسار جلال الدين اليه ليرده الى الطاعة ، فضعف بمسيره أمر الحلفاء ، غير أن مظفر الدين سار بجيشه الى الموصل وحاصرها ، كذلك خرج المعظم الى حمص وحماة وحاصرها ، الا أن الملك الأشرف لم يقف مكتوف اليدين ، فسار بجيشه الى الموصل لينجد بدر الدين ، ومرّ في طريقه على ماردين فحاصرها وخربها ، عندئذ خاف المعظم أن يستولى الأشرف عليها ، فأرسل اليه يقترح أن يترك ماردين على أن يرحل هو عن حمص وحماة ، وأن يرسل الى مظفر الدين بالرحيل عن الموصل ، فقبل الأشرف ما عرضه عليه المعظم ، ورحل عن ماردين ، فرحل المعظم عن حمص وحماة ، ورحل مظفر الدين عن الموصل وعاد الى اربيل ، بعد أن خربت أعمال الموصل وأعمال ماردين بسبب ما وقع فيهما من قتال (١)

وفي سنة ٦٢٧ (١٢٢٩ م) ، عظم شأن الملك الكامل وازدادت قوته وقويت شوكته ، فقد أصبح صاحب مصر والشام معاً ، فعزم على فتح البلاد الشرقية ، أي بلاد الجزيرة والاستيلاء عليها ، فخرج بجيشه من دمشق وعبر نهر الفرات وأقام بالركة ، فخافه ملوك وأمرآء المنطقة ، فأرسلوا اليه يخطبون وده ، ويدخلون في طاعته فلما رأى مظفر الدين ذلك ، وجد أن من مصلحته أن

(١) الكامل ، ج ٩ / ص ٣٦٧ .

يقعد مع الملك الكامل معاهدة صداقة وحسن جوار ، فأرسل
رسله اليه ، فعقدت المعاهدة بينهما (١) ، وكانت هذه المعاهدة ،
ختم الصراع بين مظفر الدين وبين بدر الدين صاحب الموصل
وكذلك بينه وبين الأيوبيين .

وقد تعرض مظفر الدين لخطرین كبيرین كادا أن يطيحاً
بإمارته ، هما خطر جلال الدين خوارزم شاه ، وخطر التتار .

ففى سنة ٦١٥ (١٢١٨ م) ، خرج التتار من بلادهم فى الصين
لغزو العالم الاسلامى بقيادة جنكيزخان ، وكانت الدولة
الخوارزمية هى صاحبة الصولة فى مشرق العالم الاسلامى المتاخمة
لحدود الصين ، الا أنها كانت محاطة بأعداء كثيرين هم الملوك
والأمراء المسلمون الذين استولت الدولة على ممالكهم وإماراتهم ،
فلما فاجأها التتار بزحفهم السريع ، لم تجد الدولة من يقف الى
جانبها ضد الغزاة ، كذلك لم تستطع حماية ممتلكاتها الواسعة
بمفردها ، فاكسح التتار ما أمامهم من أقاليم ومدن ، وأخذ
جلال الدين خوارزم شاه يفر من أمامهم حتى وصل الى آذربيجان
واتخذها قاعدة لصد الزحف التتارى .

وكانت حروب جلال الدين ضد انغزاة التتار مائة ، فهو
ينتصر أحيانا وينهزم أحيين ، وفى سنة ٦٢٢ (١٢٢٥ م) ، شعر
جلال الدين فى نفسه بشيء من القوة ، وفى الوقت نفسه كف
التتار عنه الى حين ، فانتهاز الفرصة ، واستأنف عملياته الحربية ،

(١) السلوك ، ج ١/ ص ٢٢٦ .

ولكن بدلا من أن يوجهها الى أعدائه التتار فيستخلص منهم ما استولوا عليه من بلاد دولته ، وجهها الى الامارات الاسلامية ، فأغار على دقوقا واستولى عليها ثم على البوازيج وهي لصاحب الموصل ، فخشى مظفر الدين على بلاده من جلال الدين فأرسل رسلا يعرض عليه الدخول في طاعته ، فاستجاب جلال الدين له ، عندئذ سار مظفر الدين اليه ، وقرر معه قواعد الصلح والائتماء اليه .

ولما علم الملك المعظم عيسى صاحب دمشق بوصول جلال الدين الى البوازيج ، أرسل اليه وعقد معه محالفة ضد أخويه الملك الكامل والملك الأشرف واشترك فيها مظفر الدين ، وهي المحالفة التي تحدثنا عنها من قبل .

غير أن جلال الدين عاود التفكير في الاستيلاء على اربل سنة ٦٢٨ (١٢٣٠ م) ، ولكن مظفر الدين استطاع أن يشبهه عن عزمه ، فجدد معه الصلح (١) ثم زال خطر جلال الدين عنه نهائيا ، فقد قتل في سنة ٦٢٨ أو ٦٢٩ ، على خلاف في ذلك (٢) .

مظفر الدين والتتار

أما خطر التتار على اربل فكان أشد وأقوى من خطر جلال الدين خوارزم شاه . فقد ذكرنا أنهم ظلوا يزحفون ويكتسحون قوات جلال الدين ، حتى اذا كانت سنة ٦١٧ (١٢٢٠ م) ، وصلوا الى سراغة واحتلوها ثم ساروا نحو اربل ،

(١) مرآة الزمان ، ج ٨ / ص ٦٦٩ .

(٢) مرآة الزمان ، ج ٨ / ص ٦٦٩ / ٦٧٠ .

فأسرع مظفر الدين يطلب النجدة من عدوه بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ، فلم يتوان بدر الدين في الاستجابة له وأسرع بإرسال نجدة عسكرية له خوفا على الموصل نفسها ، فقد وصلت أخبار الزحف التتري إليها ، فاضطرب أهلها اضطرابا شديدا ، يقول ابن الأثير مؤرخ العصر ، وكان مقيما في الموصل في ذلك الوقت : « ووصل الخبر إلينا بالموصل فحطنا ، حتى أن بعض الناس همّ بالجلاء خوفا من السيف » ، ثم خرج بدر الدين بباقي جيشه إلى حدود بلاده التي يحتمل أن يدخل التتار منها (١) .

ولما وصلت نجدة الموصل إلى مظفر الدين ، خرج الجيش كله إلى أطراف ولايته لحمايتها ولتلقى التتار عند زحفهم نحو المدينة ، وكانت ولاية مظفر الدين تقع في منطقة جبلية وعرة المسالك ، وكلها مضائق يعسر على الجيش الكبير المرور فيها ، ولا يقدر أن يجوزها إلا الفارس بعد الفارس ، فوزع مظفر الدين جيشه في هذه المضائق ليكبسوا العدو حين يزحف إلى المدينة ، ولكن لسبب لم يوضحه المؤرخون ، توقف التتار عن التقدم نحو أربل

ولما علم الخليفة الناصر لدين الله ببغداد بوصول التتار إلى مراغة ، وأنهم على عزم المسير نحو أربل القريبة من بغداد ، قدر أن التتار لن يستطيعوا التوغل في ولايتها لصعوبة مسالكها وطرقها ، فتحدثهم أنفسهم عندئذ أن يتركوا العراق ويغيروا على بغداد ، ومن ثم أرسل إلى بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ،

(١) الكامل ، ج ٩ / ص ٣٣٧ .

والى مظفر الدين يأمرهما بالاجتماع مع عساكره بمدينة دقوقا
ليمنعوا التتار عن بغداد اذا حدثتهم أنفسهم بالاغارة عليها ، كذلك
أرسل الى الملك الأشرف موسى الأيوبي ، يأمره بالحضور بنفسه
وعساكره لدفع التتار عن بغداد ، فاعتذر الأشرف الى الخليفة ،
بأنه يجهز معظم جيشه ليرسله الى أخيه الملك الكامل بمصر ،
حيث يدور القتال بينه وبين الصليبيين الذين استولوا على دمياط ،
وأما ما عنده من الجند فانه يحتفظ بهم لحفظ الشام من الصليبيين
المقيمين بها ، أو ارسالهم الى أخيه اذا تأزمت به الأمور .

وأما بدر الدين ، فانه أرسل الى مظفر الدين جزءا من
جيشه ، وظل هو بالموصل للدفاع عنها اذا دهمها العدو .

فلما وصل عسكر الموصل الى مظفر الدين ، خرج بهم
وبجيشه ، ونزل دقوقا ، منتظرا جند الخليفة .

فلما علم الخليفة بوصول مظفر الدين الى دقوقا ، أرسل
اليه أكبر أمراءه بالعراق ، وهو قشتمر ، ومعه غيره من الأمراء
في نحو ثمانمائة فارس كدفعة أولى من جيش كبير ينوي الخليفة
تجميعه .

وانتظر مظفر الدين وصول باقي عسكر الخليفة حتى يقدم
على حرب التتار ، ولكن الخليفة ، لم يرسل له سوى الثمانمائة
فارس ، فوجد أنه لا يستطيع مواجهة التتار بجيشه الذي يفوقه
جيش التتار كثيرا في العدد والعتاد ، فأحجم عن التحرش بهم
خوفا على الجند من أن يبيدهم العدو . ويحكى مظفر الدين
خبره مع الخليفة ، فيقول « لما أرسل الى الخليفة في معنى التتار

قلت له : ان العدو قوى وليس لى من العسكر ما ألقاد به ،
فان اجتمع معى عشرة آلاف فارس استتقت ما أخذ من البلاد ،
فأمرنى بالمسير ووعدنى بوصول العسكر ، فلما سرت ، لم يحضر
عندى غير عدد لم يبلغوا ثمانمائة طواشى ، فأقمت وما رأيت
المخاطرة بنفسى وبالمسلمين « (١) .

ولكن على كل حال ، قد أفاد خروج مظفر الدين بجيشه
الصغير الى دقوقا فائدة كبيرة ، ذلك أن التتار حين سمعوا
باجتماع العسكر الاسلامى فى دقوقا ، ظنوا أن العسكر سوف
يهاجمهم ، فتهقروا وأقاموا بعيدا ، ولما وجد مظفر الدين أن
التتار لم يحركوا ساكنا ، وأن الخليفة لم يرسل له ما وعده به
من الجند ، عاد بجيشه الى اربل ، وعاد عسكر بدر الدين الى
الموصل (٢) .

غير أن التتار عادوا الى اربل فى سنة ٦٢٨ . ففى شهر
ذى الحجة من تلك السنة زحف التتار من أذربيجان الى اربل ،
وأخذوا وهم فى طريقهم اليها ينهبون ويخربون ويقتلون كل من
يصادفهم من رجال ونساء وأطفال ، حتى تعذر على المعاصرين
احصاء عددهم ، ثم وصلوا الى ولاية اربل ، فنهبوا قراها ،
وقتلوا كل من ظفروا به من أهلها ، واقترفوا من الفظائع ما يشيب
لها الوليد .

ولما علم مظفر الدين بهذه الغارة المفاجئة ، أرسل الى

(١) الكامل ، ج ٩ / ص ٣٣٧ .

(٢) الكامل ، ج ٩ / ص ٣٣٧ .

بدر الدين لؤلؤ ينذره بالخطر المحقق هذه المرة ، ويحثه على إرسال نجدة عسكرية قبل أن يتوغل التتار في الولاية ثم ما بعدها إلا الموصل ، فأسرع بدر الدين بإرسال جزء كبير من جيشه ، فلما وصل جيش الموصل إلى مظفر الدين خرج به وبجيشه لقتالهم ، ولكنه لم يجد أحدا من التتار ، فقد اكتفوا بنهب القرى وسلب أهلها ، ثم عادوا من حيث أتوا (١) .

وينفرد ابن الفوطى بذكر الخبر التالى فى سنة ٦٢٩ ، حيث يقول ، انه فى هذه السنة وردت الأخبار الى بغداد بانتشار عسكر المغول فى بلاد أذربيجان ، وتطرقهم الى ما يقاربها من البلاد والقرى حتى بلغوا شهرزور ، فخشى الخليفة المستنصر بالله أن يغيروا على بغداد ، فأخذ يستعد للدفاع عنها ، وأرسل الى سائر البلاد يأمرها بجمع الجيوش لمواجهة الخطر عن بغداد . ثم أرسل مظفر الدين الى الخليفة يطلب انجاده بالعسكر لصد الزحف التتارى ، فأمر الخليفة بعض جنده بالمسير الى مظفر الدين وعلى رأسهم جمال الدين قشتمر الناصرى ومعه من الأمراء شمس الدين قيران ، وعلاء الدين ايلدكز ، وبهاء الدين أرغش ، وفلك الدين زعيم البيات ، فساروا قاصدين مظفر الدين ، والتقوا به فى موضع قريب من قلعة الكرخيتا .

وكادت أن تحدث مأساة بين جند الخليفة وبين جند مظفر الدين ، ففقد تشاجر جندى من جند الخليفة مع بيطرى فى جيش

(١) الكامل ، ج ٩ / ص ٣٨٥ .

مظفر الدين ، فانتصر كل فريق لصاحبه ودار بينهم القتال ، فأخذت مظفر الدين الحمية لجنده ، فركب بسلاحه وأخذ يحرضهم على قتال جند الخليفة ، ولما بلغ قشتمر ما حدث ، أسرع الى مظفر الدين فلاطفه ، ثم لامه وقبح له فعله ، فهدأ مظفر الدين ، وأمر جنده بالكف عن القتال ، وكذلك أمر قشتمر جنده بالقاء السلاح فسكنت الفتنة .

ثم اتفق قواد جيش الخليفة ومظفر الدين على المسير الى مدينة شهرزور ، فقد بلغهم أن التتر وصلوا ساميان — أو سامين — وهى من قرى همذان ، وحاصروها وصاحبها خاصبك ، فأرسل قشتمر طليعة من الجند اليها ، ثم رحل الجيش الى موضع يعرف بالأكراد .

وقبض بعض جند الخليفة على ثلاثة نفر وامرأة من المغول ، وأحضرهم الى قشتمر ، فسألهم قشتمر عن أخبار المغول ، فذكروا له أنهم تركوهم فى مراغة ، فعرض قشتمر عليهم الاسلام ، فأسلموا ، فضمهم اليه .

ثم سار الجيش حتى عبر الدربند ، فوصل اليهم ايلدكز مخبراً أنهم صادفوا يزكا (طليعة) من المغول على غرة ، فجرت بينه وبينهم مناوشة كان النصر فيها للمغول لكثرتهم ولعزفتهم بالأرض التى يحاربون عليها ، فقتلوا مقدم الطلائع وجماعة من العسكر ، فعند ذلك جدّ الجيش فى السير حتى وصلوا شهرزور ونزلوا فى قرية يقال لها « موغان » غربى شهرزور ،

ولكن لم يمكنهم المقام بها لعدم وجود الماء العذب فيها ، فمات
في هذه القرية عدد كبير من الجند لهذا السبب .

ويبدو أن مظفر الدين وجد أن ما يقومون به من المخاطرة
هو العبث بعينه فان عددهم قليل ومؤوتتهم قليلة ، وعدوهم
يفوقهم عددا وعدة ، فعزم على العودة الى اربل ، ولكنه لم يصرح
برغبته هذه لقواد جيش الخليفة لئلا يمنعوه من العودة ، فادعى
المرض وأتقن التظاهر بالاعياء ، بحيث لما جاءه قشتمر ليعوده ،
اعتقد بأنه مريض حقا فأشفق عليه ، ولكى لا يثير مظفر الدين
أية شبهة لرحيله ، طلب من قشتمر أن يسيّر معه ابنه شرف الدين
عليا ليكون معه في اربل ، فاذا مات يتسلم علىّ البلد ، وطلب
منه أيضا أن يسيّر معه الأمير سعد الدين حسن بن الحاجب
ليسلم اليه والى علىّ قلعة خفتيد ، فأجابه قشتمر الى ذلك ،
فتوجه مظفر الدين الى بلده ، وسار قشتمر الى قلعة الكرخيتا .
ولما وصل مظفر الدين الى اربل ، أقام شرف الدين على
وسعد الدين حسن عنده أياما ، ثم أمرهما مظفر الدين بعد ذلك
بمغادرة اربل فانه في أتم عافية ، وان ادعاه المرض حيلة منه
ليعود الى بلاده ، فعادا الى الكرخيتا ، وأخبرا قشتمر بما كان من
مظفر الدين .

وأما قشتمر ، فانه وجد أن معظم الجند الذين معه قد
تركوه ، ولم يبق معه الا جنده الذين جاء بهم من بغداد وبعض
الجند المتطوعين ، ووجد كذلك ، أن المغول قد أصبحوا قريبين
منه ، حتى انهم نهبوا خيام أميرين من أمرائه ، فاتفق مع من معه

من القواد على الانسحاب ليلا دون ضجة أو جلبة — لئلا يشيروا
اتجاه العدو فيطاردهم — الى مكان يقال له « شهر كرد » حيث
المجال فيه أصلح للقتال لاتساع الأرض ، عندئذ فارقه الجند
المتطوعون وعاد كل منهم الى بلاده ، فأصبح قشتمر في قوة
ضئيلة ، فأرسل الى بغداد يشرح للمسئولين فيها حرج مركزه
وانصراف الجند عنه ، فأذنوا له بالعودة بجنده الى بغداد ،
فعاد (١) . ولم يعد التتار الى الاغارة على اربل الا بعد وفاة
مظفر الدين .

مظفر الدين ومحاولته التوسعية

وقد حاول مظفر الدين أن يجرب حظه في التوسع على
حساب جيرانه أسوة بأمراء عصره ، فقد سبق أن وصفنا عصر
مظفر الدين بأنه « عصر الغلبة » ، وأن الحكم فيه كان للذي
يملك من القوة والامكانيات أكثر مما يملك غيره من الحكام .
ولكن في الحقيقة أن مظفر الدين لم ينغمس في هذه الحروب الى
ذقنه ولم يحاول أن يجرب حظه في توسيع رقعة امارته على
حساب جيرانه الا مرة واحدة — بحسب ما وجدنا عند المؤرخين
— ومع ذلك ، فان محاولته هذه لم تكن بدافع من نفسه ، وانما
كانت بتأثير دعوة تلقاها من الخارج فاستجاب لها ، ومع ذلك
لم ينجح في محاولته ، وكانت هذه المحاولة في سنة ٦٠٢ هـ
(١٢٠٥ م) .

(١) الحوادث الجامعة ، ص ٢٧ .

أما حروبه ضد الموصل أيام ملوكها ، فقد كان الغرض منها حماية امارته من طمعهم فيها ، وأما حروبه ضد بدر الدين لؤلؤ فكانت حروب وراثة ، غرضه منها ، حفظ حقوق حفيديه وزوج ابنته عماد الدين زنكى في ملك الموصل . أما محاولته التوسعية في سنة ٦٠٢ ، فقد كان سببها ، أن أبا بكر بن البهلوان صاحب أذربيجان كان مضرب المثل للحاكم السيئ ، فقد كان مدمن خمر لا يفيق منها لا ليلا ولا نهارا ، كما يقول المؤرخ ابن الأثير ، مهملأ أحوال مملكته ورعيته حتى طمع فيه جيرانه ، فأخذ كل منهم يقطع جزءا من مملكته ، حتى أن مملوكه ايتغمش — وكان نائبه على بعض بلاده — استبد بما في يده من البلاد واستقل بها دونه ، وهو سادر في لهوه وخمره . .

وكان علاء الدين قراسنقر صاحب مراغة (١) من المجاورين لأبى بكر بن البهلوان وأحد الطامعين بمملكته ، فانتهاز فرصة اهمال أبى بكر لشئون بلاده ، واستولى على قلعة من قلاع الحصينة ، ثم شجعه هذا الاستيلاء على أن يستحوذ على مملكته كلها ، ولكنه قدر أنه لن يستطيع تحقيق هذا الغرض بمفرده ، فأخذ يبحث له عن حليف يعاونه في الحرب ، فوجد ضالته في مظفر الدين قاستجاب له . وإذا كان ابن الأثير — الذى تنقل عنه هذا الخبر — لم يذكر نصيب مظفر الدين من الغنيمة اذا

(١) مدينة في اقليم اذربيجان ، وهى مدينة نزهة جدا ، وخصبة .
كثيرة البساتين والرساتيق والزروع .

تجح المشروع ، الا أنه من الممكن القول ، بأن نصيبه لم يكن أقل من نصيب علاء الدين من بلاد أبي بكر .

على كل حال ، خرج مظفر الدين من اربل بجيشه الى مراغة وانضم الى صاحبها علاء الدين ، ثم خرج الاثنان بجيوشهما الى « تبريز » من بلاد أبي بكر للاستيلاء عليها ، فلما علم أبو بكر بذلك ، استبد به الخوف لعجزه عن محاربتهما ، فأرسل الى مملوكه ايتغمش يستعين به ويطلب منه مساعدته على رد عدوان المغيرين عن المدينة ، فلبى مملوكه طلبه ، وسار اليه بعسكره ، ثم أرسل الى مظفر الدين رسالة فيها لوم وعتاب وتهديد ، وهذه الرسالة تبين لنا مكانة مظفر الدين خارج اربل ، وما كان يحمله الناس له من اعجاب وتقدير لسيرته الطيبة ، قال ايتغمش لمظفر الدين في رسالته : « اننا كنا نسمع عنك أنك تحب أهل العلم والخير وتحسن اليهم ، فكنا نعتقد فيك الخير والدين ، فلما كان الآن ظهر لنا ضد ذلك لقصدك بلاد الاسلام وقتال المسلمين ونهب أموالهم واثارة الفتنة ، فاذا كنت كذلك فما لك عقل ، تجيء الينا وأنت صاحب قرية ونحن لنا من باب خراسان الى خلاط والى اربل ، وأحسب أنك هزمت هذا (يعنى أبا بكر) ، أما تعلم أن له ممالك أنا أحدهم ، ولو أخذ من كل قرية شحنة ، أو من كل مدينة عشرة رجال ، لاجتمع له أضعاف عسكرك ، فالمصلحة أنك ترجع الى بلدك ، وانما أقول لك هذا «ابقاء عليك» ونلاحظ هنا أن ايتغمش يعيب على مظفر الدين ما فعله هو نفسه من اغتصاب بلاد سيده واستبداده بها .

وعلى كل حال ، فإن ايتغمش أتبع رسالته بالتحرك الى تبريز بجيشه ، فلما وصلت رسالة ايتغمش الى مظفر الدين وبلغه مسيره الى تبريز لنجدتها ، قرر أن ينقض اتفاه مع علاء الدين وأن يعود الى اربل ، بالرغم من الحاح علاء الدين عليه بالبقاء ، وبالرغم من أنه أبدى استعداداه بأن يلقي اليه قيادة الجيوش كلها فيكون هو صاحب الأمر والنهى فيها ، وبالرغم أيضا من أنه أكد له أن الكثير من أمراء أبى بكر راسلوه وأبدوا له استعدادهم للانضمام اليه بعساكرهم ، برغم كل هذا ، فان مظفر الدين رفض الاستمرار في الاتفاق مع علاء الدين وفضل العودة الى اربل (١) .

ويعزو ابن الأثير ، أن عودة مظفر الدين الى اربل سببها خوفه من ايتغمش ، ولكن فى رأينا ، أن هناك سببا آخر دفع مظفر الدين الى تقض اتفاه مع علاء الدين ، وهو حرصه على سمعته الطيبة التى يعرفها الناس عنه من التجريح ، ففضل الابقاء على تقدير الناس له من أن يمتلك بلادا يزيد بهارقة امارته .

ومرة أخرى يشترك مظفر الدين فى أحداث عصره ، ولكن اشتراكه فى هذه المرة كان لحساب الخليفة وبدعوة منه لا لحسابه ، وكان ذلك فى سنة ٦١٢ هـ (١٢١٥ م) .

ففى سنة ٦٠٨ هـ ، عصى قائد — يقال له منكلى — سيده ايتغمش صاحب بلاد الجبل ، وايتغمش هذا هو الذى كان مملوكا

(١) الكامل ، ج ٩ / ص ٢٨٢ .

لأبي بكر البهلوان صاحب أذربيجان الذي ذكرناه من قبل وقلنا انه استبد بالبلاد التي كان يحكمها نيابة عن أبي بكر ، فحارب منكلي ، ايتغش واستولى على بلاده ، ففر ايتغش ولجأ الى الخليفة الناصر لدين الله مستنصرا به ، فأنجده الخليفة بالجند والسلاح والمال ، فخرج ايتغش لاسترداد بلاده ، ولكنه وقع أسيرا في قبضة بعض رجال منكلي ، فقتله منكلي وصفت له البلاد ، فأرسل الخليفة الى منكلي ينكر عليه تعديه على ايتغش وقتله واستصفاه بلاده ، ويأمره برد البلاد اليه ، (أى الى الخليفة) ، واستمرت المراسلات بين الخليفة وبين منكلي حتى سنة ٦١٢ ، دون أن تنتهي الى شيء ، فيما عدا اصرار منكلي على موقفه واحتفاظه بالبلاد لنفسه ، عندئذ عزم الخليفة على حربه واسترداد البلاد منه ، ولكن الخليفة لا يستطيع الصبر على حربه بمفرده ، فاتفق مع أوزبك بن البهلوان صاحب بلاد أذربيجان ومع جلال الدين زعيم طائفة الاسماعيلية على أن ينضموا اليه لقتال منكلي ، مقابل تقسيم بلاده فيما بينهم في حالة ما اذا انتصروا عليه . فلما أن استقرت القواعد بينهم ، أخذ الخليفة يجهز جيشه ، ثم أرسل الى مظفر الدين كوكبوري يأمره بالحضور بعساكره للاشتراك معهم في الحرب ، وأن يكون هو القائد العام للحملة كلها ، كذلك أرسل الى أصحاب الموصل والجزيرة وحلب يأمرهم بامداد مظفر الدين بالجند ، فلبى الجميع أمر الخليفة ، وأرسل كل منهم ما استطاع أن يرسله

م - ١٠ - أعلام العرب

من جند الى مظفر الدين ، فلما اجتمع الجند عنده ، سار بالجيش كله الى همذان ، حيث سبقه اليها جيش الخليفة وحفاظؤه فاجتمع بهم ، وتسلم قيادة الجيوش كلها ، فلما رأى منكلى هذه القوات الضخمة المجتمعة على حربه ، لم يجرؤ على مواجهتها ، فأمر قواته بأن يتقهقروا الى الجبال والتحصن بها ، واعتلى هو جبلا قريبا من مدينة « كرج » ، فوزع مظفر الدين الجيوش لحصار منكلى وعساكره ، وخصص لكل قائد منطقة وألقى عليه مسئوليتها ، وخص نفسه بحصار منكلى ، واستمر الحصار عشرة أيام ، ومظفر الدين لا يستطيع الصعود الى منكلى والاشتباك معه في قتال ، وكذلك منكلى لا يجرؤ على النزول اليه وقتاله ، الأمر الذى أدى الى نقص الميرة والأقوات عند مظفر الدين ، وابتدأت الجيوش تتذمر حتى هم مظفر الدين برفع الحصار ، وكذلك كانت الحال بالنسبة لمنكلى وقواته ، فان جنده حل بهم الضيق من الحصار ، عندئذ أراد منكلى أن يجرب حظه بالاشتباك مع بعض قواد مظفر الدين ، فنزل من الجبل ببعض جيشه من الجهة التى كان يحاصرها أوزبك ، فاشتبك معه في قتال فلم يصمد له أوزبك وانهزم منه ، فاكتفى منكلى بذلك مطمئنا الى قوته وضعف القوات المحاصرة له ، وعاد الى مكانه من الجبل برجاله وقد قرر أن يثير مع الجيوش المحاصرة معركة مكشوفة فى اليوم التالى . فلما كان اليوم التالى ، اصطفت العساكر جميعها للحرب ، ودار قتال لم يستطع منكلى له صبرا ، فارتد على أعقابيه منهزما الى

الجيل يعتصم به ، ثم تخيل أنه لن يستطيع مواصلة القتال والتغلب على خصومه ، مع أن هزيمته لم تكن كبيرة ، ولذلك آثر الفرار تحت جناح الظلام ، فاستولى عندئذ جند الخليفة على بلاده ، وقسمت بين الحلفاء حسب الاتفاق ، ثم عاد مظفر الدين الى اربيل ، ولا نعلم ماذا كان نصيبه من الغنيمة ، حيث لم يتعرض المؤرخون لذلك (١) .

(١) الكامل ، ج ٩/ص ٣٠٥/٣٠٩ .

الفصل السادس

مظفر الدين وأحروب الصليبية

كان أخطر حادث عاصره مظفر الدين واستقبل به شبابيه — وكان في نفس الوقت يشغل المسلمين جميعا — هو الحروب الصليبية التي كانت تدور رحاها في بلاد الشام بين المسلمين والصليبيين ، وقد وعاهها مظفر الدين وعيا تاما منذ أن أقام في حران بعد اخراجه من اربل وكان عمره في ذلك الوقت نحو احدى وعشرين سنة ، ولكنه لم يدخل مضارها ويشترك في حروبها الا بعد أن بلغ من العمر نحو الثلاثين سنة ، أي في سنة ٥٨٠ هـ . وذلك لأن حران كما سبق أن ذكرنا ، كانت تابعة لامارة الموصل ، وكان أمراء الموصل قد كفوا شر الصليبيين منذ أن أجلاهم عماد الدين زنكي عن الجزيرة في سنة ٥٣٩ بعد استيلائه على مدينة الرها وتصفية المراكز الصليبية المحيطة بها . ولما أقام مظفر الدين في حران منذ سنة ٥٦٩ أو ٥٧٠ ، حتى سنة ٥٧٨ ، كان أمراء الموصل في هذه الفترة مشغولين بمشاكلهم الداخلية من ناحية ، وكانوا يرفضون التعاون مع صلاح الدين في حروبه ضد الصليبيين من ناحية أخرى للنزاع الذي نشب فيما بينهم وبينه

بسبب منافسته لهم على بلادهم ، وتبعاً لذلك كان الأمراء المنتمون إليهم يقفون موقف العداء منه أيضاً ، ولذلك لم يتعاونوا معه في الحرب ، ومنهم بطبيعة الحال مظفر الدين لأنه كان مقيدا بعجلة سياستهم .

ولكن بعد أن انفصل مظفر الدين عن الموصل ودخل في طاعة صلاح الدين وحكمه ، انفتح له المجال الصليبي ، وأصبح من العاملين مع صلاح الدين في الجهاد ، وكان دوره فيه أكبر وأخطر من دور أبيه وأخيه ، فقد ظل يخوض المعارك مع صلاح الدين حتى وفاة صلاح الدين سنة ٥٨٩ (١١٩٢ م) . وإذا كان المؤرخون لم يذكروا اسمه صراحة إلا في بعض المعارك الهامة ، إلا أننا نرجح ترجيحاً يكاد أن يصل حد اليقين ، أنه اشترك فعلاً في معظم المعارك التي دارت بين صلاح الدين والصليبيين . وسبب ترجيحنا أن المؤرخين كثيراً ما يذكرون أن صلاح الدين كان يستدعى « عساكر الشرق » كلما عزم على القيام بحرب طويلة أو إثارة معارك هامة ليشاركوا معه في القتال ، والمؤرخون يعنون بالشرق إقليم الموصل والجزيرة التي تقع فيه حران والرها اللتان يملكهما مظفر الدين .

وأول خبر عن اشتراك مظفر الدين في الحروب الصليبية بصفة عامة ومع صلاح الدين بصفة خاصة ، كان في سنة ٥٨٠ هـ (١١٨٤ م) . ففي تلك السنة ، عزم صلاح الدين على فتح حصن الكرك من الصليبيين لوقوعه على طريق دمشق - مصر البرى ، وكان صاحب الحصن « أرناط » الصليبي كثيراً ما يتعرض للقوافل

التجارية وغير التجارية التي تنتقل بين البلدين وبنهما ، مما عطل طريق المواصلات بينهما ، فقرر صلاح الدين الاستيلاء على الحصن وتأمين الطريق من خطره .

وكان صلاح الدين يعلم حصانة الحصن ومناعته من ناحية ، كذلك كان يعلم شدة حرص الصليبيين على الاحتفاظ به وعدم سقوطه في يده من ناحية أخرى ، لذلك قدر صلاح الدين أن الصليبيين سوف يتكثرون للدفاع عن الحصن حين يحاصره ، ولذلك أخذ يستدعى الأمراء المسلمين في الشام والجزيرة لكي يشتركوا معه في فتحه ، حتى أنه أرسل إلى مصر يستدعى بعض جيشها للاشتراك معه في عملية الفتح .

وجاء مظفر الدين بجيشه إلى صلاح الدين مع من جاء من الأمراء ، فخرج صلاح الدين بالجيش من دمشق وتجمعت الجيوش كلها عند الحصن ، فحضر صلاح الدين الحصار عليه ، وكان من اليسير على صلاح الدين الاستيلاء على ريبض الحصن ، وأما الحصن نفسه فكان من المناعة بمكان ، حيث يفصل بينه وبين الريبض خندق عميق يبلغ نحو ستين ذراعا ، فأمر صلاح الدين الجند بطمه بكل ما يجدونه من تراب وأحجار وغيرها ، فلما أخذ الجند يقتربون من الخندق ، انهالت عليهم سهام حامية الحصن ، وقذفتهم المناجيق بالأحجار فارتدوا على أعقابهم نجاة بأنفسهم ، فأمر صلاح الدين بعمل سقائف من الخشب واللبن لتحمي الجند عند اقترابهم من الخندق ، ولكن لم تؤد السقائف الغرض

المطلوب ، بالرغم من أن مجانيق صلاح الدين كانت دائمة الرمي على حامية الحصن .

ولما طال أمر الحصار على الصليبيين ، أرسلوا الى ملك بيت المقدس والى الأمراء الصليبيين يطلبون انجادهم ، فأسرعوا اليهم فأسسهم وراجلهم ، فلما علم صلاح الدين بذلك ، رحل عن الحصن ليلاقي النجدات الصليبية في الطريق ليحاربهم وليحول بينهم وبين الوصول الى الحصن ، ثم يعود بعد أن يهزمهم اليه . فعلم صلاح الدين أن النجدات الصليبية قد عسكرت بمكان يقال له « الواله » فعسكر هو بالقرب منهم ولم يستطع الدنو منهم لخشونة الأرض وبصعوبة المسالك اليهم وضيقها ، ولم يجرؤ الصليبيون بدورهم أن يقتربوا منه ويشتبكوا معه في قتال ، فأقام صلاح الدين أياما ينتظر خروجهم اليه ، فلما طال بصلاح الدين الانتظار أراد أن يخرجهم بمكيذة ، فتراجع عنهم بضعة فراسخ لكي يلحقوا به ، وترك في معسكره من يخبره بخروجهم ، ولكن الصليبيين فهموا مكر صلاح الدين فلم يتبعوه ، وظلوا في مكانهم الى المساء فغافلوا عيون صلاح الدين وتسللوا تحت جناح الظلام الى الحصن ، فلما علم صلاح الدين بذلك ، تأكد له استحالة الاستيلاء عليه بعد وصول النجدات اليه ، فأجل فتحه الى فرصة أخرى ، ثم اتجه الى نابلس ، فأغار عليها وخرّبها وأحرقها ، ثم سار منها الى سبسطية فخرّبها أيضا ، وكان بها بعض الأسرى المسلمين فاستنقذهم منها ، ثم سار منها الى جنين فنهبها وأخرّبها ، ثم عاد الى دمشق ، وسح

للجيوش المساعدة له أن يعود كل منها الى بلده ، فعاد مظفر الدين بجنده الى حران بعد أن أدى دوره في هذه الحروب (١) .

ثم انشغل صلاح الدين في سنتي ٥٨١ و ٥٨٢ ، بمشاكله مع صاحب الموصل ، كذلك انشغل بتوزيع بلاده بين أفراد أسرته ليقوموا على حكمها نيابة عنه ، حتى اذا كانت سنة ٥٨٣ ، عزم صلاح الدين على التفرغ للصليبيين واسترداد بيت المقدس وغيره منهم .

وكان صلاح الدين يعلم خطورة ما هو مقدم عليه ، فان الصليبيين لن يتركوه يستولى على بيت المقدس مهما كلفهم الأمر ، وأنهم سوف يدافعون عنه دفاع المستميت ، وسوف يعبثون قواهم جميعا للدفاع عنه ، لذلك أخذ يستدعى الأمراء بجيوشهم من جديد لكي يشاركوه في عملية الفتح .

وخرج صلاح الدين بجيش دمشق في أواخر السنة ، ونزل في مكان يقال له « رأس الماء » ، ثم ترك معظم الجيش مع ابنه الملك الأفضل على ، وسار هو الى حصن الكرك مرة أخرى ، فقد بلغه أن صاحبه « أرناط » على عزم التعرض لقافلة الحجاج القادمة الى دمشق وأنه بعد أن ينتهي من أخذ الحجاج ونهبهم ، سيقف في طريق العسكر المصرى القادم الى صلاح الدين من مصر لينعهم من الوصول اليه ، فسار صلاح الدين ونزل على بصرى المجاورة للحصن ، فلما رأى أرناط ذلك ، قبع في حصنه ولم

(١) الكامل ، ج ٩/ص ١٦٥ ، سيرة صلاح الدين ، ص ٥٢ ؛
مرآة الزمان ، ج ٨/ص ٣٨٢ .

يجرؤ على الخروج منه ، حتى مرت القافلة بسلام ودخلت دمشق (١) .

وحين كان صلاح الدين في « بصرى » أخذت الجيوش الإسلامية تصل بأمرائها تباعا الى الملك الأفضل في « رأس الماء » ، وكان مظفر الدين ممن لبي نداء صلاح الدين ، فوصل بجيشه مع من وصل ، وكان الملك الأفضل يبلغ والده تتابع وصول الجيوش اليه ، فأرسل صلاح الدين اليه يأمره بإرسال جيش من عنده الى مدينة عكا للاغارة عليها واستطلاع أمرها واختبار قوتها تمهيدا لفتحها ، فسير الأفضل ، مظفر الدين وعضده يالقائدتين الكبيرين : قايماز النجمي ودلدرم الياقوتي ، فساروا ليلا تحت جنح الظلام ونزلوا على « صفورية » — وهي من أعمال عكا — في الصباح .

وما إن علم الصليبيون المقيمون في عكا بوصول المسلمين الى مشارف المدينة ، حتى خرجوا اليهم ، لردهم عنها وكان أكثرهم من فرسان الداوية والاسبتارية ، وهؤلاء الداوية والاسبتارية أقوى المحاربين الصليبيين وأصبرهم على القتال ، فالتقوا وجها لوجه مع مظفر الدين وجنده ، ودارت بين الفريقين معركة « تشيب لها المفارق السود » على حد تعبير المؤرخ ابن الأثير ، وما زال المسلمون والصليبيون في كر وفر ، وضرب وطعن ، حتى تفوق المسلمون على عدوهم ، وأنزلوا بهم هزيمة منكرة ، فضلا عن أنهم جندلوا عددا من قوادهم ، فسقطوا صرعى بين أيديهم ، ولم تكن

(١) الكامل ، ج ٩ / ص ١٧٥ .

فرحة المسلمين بالنصر ، بقدر فرحهم لقتل زعماء الداوية والاسبتارية ، فقد كان فرسانهم « جرة الفرنج » ، وطالما وجد المسلمون منهم النكاية والجهد . ثم عاد مظفر الدين برجاله الى معسكره في « رأس الماء » يرفع مع رجاله راية النصر^(١) .

ثم عاد صلاح الدين الى « رأس الماء » بعد أن وصلت قافلة الحجاج الى دمشق بسلام ، فأخذ يستعد لمعركة حطين ، المعركة الخالدة على التاريخ ، والتي حشد لها صلاح الدين ثمانين ألف من المقاتلة المسلمين بين فارس وراجل ومتطوعة ، وكان لمظفر الدين دوره الهام فيها ، فقد ولاء صلاح الدين فيها قيادة الجيوش الشرقية ، أى جيوش الموصل والجزيرة .

ولما اطمأن صلاح الدين على حسن استعداده للمعركة ، أمر الجيوش بالتحرك الى طبرية ، فتحركت بمعداتها وأثقالها وآلات الحصار ، ونزلت على ساحل البحيرة ، وأخذ صلاح الدين يستعد لمنازلة طبرية ذاتها وفتحها .

وتقدم صلاح الدين الى مدينة طبرية ، وساق أمامه آلات الحصار الهدامة ، ووزع صلاح الدين آلات الحصار حول أسوار المدينة ، وأخذ يضرب بها الأسوار والحامية ، بينما أخذ النقبون المسلمون يتقبون أسوارها حتى خربوها ، فلما رأى الصليبيون أنهم يكادون أن يؤخذوا بأيدي المسلمين ، خرجوا من المدينة ليخوضوا مع المسلمين معركة مكشوفة ، فاجتمعوا في مكان يقال له « لوية » فملك المسلمون عليهم موارد الماء ، فوجد

(١) الكامل ج ٩/ص ١٧٥/١٧٦ .

الصليبيون لذلك العطش الشديد ، فقد كان الزمان صيفا شديدا
الحر ، ولم يتمكنوا من الوصول الى الماء ، فهموا بالعودة الى
المدينة بعد أن فقدوا الأمل فى الحصول على الماء ، ولكنهم خافوا
أن يأخذ المسلمون أقيمتهم ، فظلوا فى مكانهم لا يتحركون الى
اليوم التالى .

وفى اليوم التالى ، كان صلاح الدين قد عبأ جيشه تعبئة
الحرب ، ثم أمر الجيش بالبدء فى القتال ، فتقدم الجند نحو العدو ،
وتقدم العدو نحوهم ، والتقوا وجها لوجه ، ودارت معركة
طاحنة اشتد فيها القتال ، وصبر الفريقان ، وكانت نبال المسلمين
تطلق على الصليبيين كأنها الجراد ، فكان يسقط بسببها من
الصليبيين المئات .

وهجمت جماعة كبيرة من الصليبيين على جيش يقوده تقي الدين
عمر — ابن أخى صلاح الدين — وكان الهجوم عنيفا ، بحيث
كاد الصليبيون يطحنونه وجيشه طحنا ، وهنا برز مظفر الدين
ليؤدى دوره فى المعركة ، ففحص المنطقة التى يقاتل عليها تقي الدين ،
فاذا المنطقة تحيط بها الحشائش ، واذا الريح فى مواجهة الصليبيين
تسفع وجوههم ، فخطرت له فكرة رائعة ، فلو أنه أطلق النار فى
هذه الحشائش ، فان الريح سوف تحمل الى وجوه الصليبيين
الدخان واللهب والحرارة ، فتشل حركتهم عن القتال ، وتحل بهم
الهزيمة المؤكدة ، ووضع الفكرة موضع التنفيذ ، فأشعل النار
فى الحشائش ، وكانت الريح شديدة ، « فصلت حر النار والدخان
عليهم ، فاجتمع عليهم العطش ، وحر الزمان ، وجر النار والدخان ،

وحر القتال « ، فوق الاضطراب في صفوف الصليبيين وثلت حركتهم فحلت بهم الهزيمة ، فر على اثرها القمص صاحب طبرية الى مدينة صور يحتوى بها .

وكاد الصليبيون جميعا يستسلمون بعد أن رأوا فرار صاحب طبرية ، بعد هزيمته الشائنة ، ولكنهم علموا أنهم مقتولون اذا ما استسلموا ، فدفعهم الخوف من القتل الى مواصلة القتال والاستبسال فيه ، « فحملوا حملات متداركة كادوا يزيلون المسلمين — على كثرتهم — عن مواقعهم لولا لطف الله بهم » ، ذلك أن الصليبيين كلما حملوا حملة يرجعون منها وقد سقط منهم العدد العديد قتلى ، حتى ضعفوا ودخلهم الوهن ، ولاح عليهم الخذلان وعدم القدرة على مواصلة القتال ، « فأحاط بهم المسلمون احاطة الدائرة بقطرها » ، وأخذوا يعملون فيهم السيف كيف شاءوا ، ويأسرون منهم المئات من الفرسان والمشاة في سهولة ويسر ، واستولوا منهم على صليب الصلבות — وهو صليبيهم الأعظم — فقد كان لفقده أكبر الأثر في اضعاف همتهم وخصود حماسهم .

واستطاع ملك بيت المقدس أن يفر في جمع كثير من الصليبيين الى تل حطين ، وأراد من نجا من الصليبيين أن ينصبوا خيامهم على التل ويحموا أنفسهم ، الا أن المسلمين لحقوا بهم وأخذوا يرمونهم بالنشاب من أسفل التل حتى أعجزوهم عن نصب خيامهم سوى خيمة الملك ، وظل المسلمون يقاتلونهم والصليبيون ينحدرون من أعلى التل ويحملون على المسلمين حملات عنيفة ،

ولكن حملاتهم كانت تذهب هباء ، فقد كانوا يحملون على المسلمين وهم مئات ، فيعودون الى التل وهم عشرات ، وما زالوا يكررون هذه الحملات فتتقص أعدادهم حتى تأكد لهم فشل حملاتهم ، ففر عندئذ من استطاع الفرار ، حتى أنه لم يبق مع الملك سوى مائة وخمسين فارسا من أشجع فرسانهم ، وقد ظنوا أنهم يستطيعون الصمود في وجه المسلمين وقتالهم ، ولكن العطش كان قد أحرق حلوقهم حتى أنهم لا يستطيعون الحركة ، فنزلوا عن خيولهم وجلسوا على الأرض ، معلنين استسلامهم للمسلمين ، فلما رأى المسلمون ذلك ، اندفعوا نحو التل ، فألقوا خيمة الملك وقبضوا عليه وعلى من معه من الفرسان ، ونزلوا بهم الى معسكرهم .

وكان انتصار المسلمين في هذه المعركة انتصارا رائعا وانتصارا مزدوجا ، فقد فئت فيها قوة كبيرة من جيش العدو ، وأسر كل من اشترك من عظماء الصليبيين وأمرائهم : ملك بيت المقدس ، والبرنس أرفاط صاحب الكرك ، وصاحب جبيل ، وابن هنفري ، ورئيس الداوية . وكثر في الصليبيين القتل والأسر ، « فكان من يرى القتلى لا يظن أنهم (أى المسلمين) أسروا واحدا ، ومن يرى الأسرى لا يظن أنهم قتلوا أحدا » (١) . أما الانتصار الآخر ، فهو ما تبع هذه المعركة من وهن للصليبيين وضعفهم ، فقد فتح الانتصار الطريق للمسلمين الى البلاد الساحلية التي للصليبيين ، ففتحوا : طبرية ، وعكا ، ومجدل يابا ، وقيسارية ، والناصرية ،

(١) الكامل ، ج ٩ / ص ١٧٨ .

وحيفا ، وصفورية ، والشقيف ، ويافا ، وعسقلان ، أى جميع
البلاد الساحلية القريبة والمحيطة ببيت المقدس — مملكة
الصلبيين العتيدة — ففرض صلاح الدين ضربته الكبرى على
بيت المقدس ، فاستولى عليه ، فكانت النكبة التى ولول منها
الصليبيون فى الشام والمسيحيون فى أوروبا على السواء ، فجردوا
على صلاح الدين الحملة الصليبية الثالثة .

فانه بعد أن فرغ صلاح الدين من عسقلان ، سار عنها الى
بيت المقدس ، وكان فيه من عظماء الصليبيين : البطرك ، وصاحب
الرملة ، وبه أيضا من نجا من فرسانهم من معركة حطين ، فلما
علموا أن صلاح الدين على عزم فتحه ، أعدوا ما استطاعوا من
معدات الحرب ، وحشدوا ما أمكنهم أن يحشدوا من المقاتلة ،
وتكثرت عدد عظيم من الصليبيين داخل بيت المقدس للدفاع عنه ،
« وكلهم يرى الموت أيسر عليه من أن يملك المسلمون البيت
المقدس ويأخذونه منهم ، ويرى أن بذل نفسه وماله وأولاده
بعض ما يجب عليه من حفظه »^(١) . وانتشر المقاتلة الصليبيون على
أسوار المدينة يرمون المسلمين بمجانيقهم ، ولكن مجانيق المسلمين
كانت أقوى وأشد ، فكانت تكيل لهم الصاع ضاعين ، فكان
القتال « أشد قتال رآه أحد من الناس ، كل واحد من الفريقين
يرى ذلك ذينا وحتما واجبا ، فلا يحتاج فيه الى باعث سلطانى ،
بل كانوا يمتنعون ولا يمتنعون ، ويترجون (عن القتال)

(١) الكامل ، ج ٩ / ص ١٨٢ .

ولا ينزجرون» (١) . ولكن كفة المسلمين كانت هي الراجحة ، فقد استطاعت مجانيقهم أن تشل حركة مجانيق الصليبيين ، وأن ترغم مقاتلة الأسوار على الفرار ، بل ترغم الصليبيين على عرض الصلح والاستسلام ، فرضى صلاح الدين بالصلح معهم ، فأمنهم على أرواحهم وأموالهم ، وخيرهم بين الإقامة في بيت المقدس أو الرحيل عنه ، فأقام به من أراد المقام ، ورحل عنه من أراد الرحيل (٢) ، ومن ثم ارتفعت الأعلام الإسلامية على أسوار المدينة تعلن رجوع المدينة الى أصحابها المسلمين ، بعد أن خرجت من أيديهم نحو قرن من الزمان .

أخذ صلاح الدين بعد ذلك في تصفية الساحل الشامي من الصليبيين ، ومظفر الدين يرافقه في كل حملة ويشترك معه في كل معركة . وكان الصليبيون يعتمدون في حفظ ما بأيديهم من البلاد على كل من عكا وبيت المقدس ، فلما سقطت عكا وسقط بيت المقدس في يد صلاح الدين ، أصبح من اليسير عليه تصفية القسم الشمالي من الساحل ، فسار بجيشه يريد ثغر جبلة ، وجعل قيادة مسيرة جيشه الى مظفر الدين .

ومرّ صلاح الدين وهو في طريقه الى جبلة بمدينة أنطربوس ، وأنطربوس مدينة حصينة راكبة على البحر ، ولها برجان عظيمان عن يمين وعن شمال ، كالقلعتين يدفعان عنها عادية المغير ، فأنزل

(١) الكامل ، ج ٩ / ص ١٨٢ .

(٢) الكامل ، ج ٩ / ص ١٨٣ .

صلاح الدين كل من ميمنة الجيش وميسرته على البرجين ،
ورابط هو ببقية الجيش أمام المدينة .

وبدأ القتال بين المسلمين وبين حامية المدينة ، ولكن لم يلبث
المسلمون أن تغلبوا على الحامية واعتلوا أسوار المدينة ونشروا
أعلامهم عليها ، ففرت الحامية الى البرجين وانضموا الى من فيهما
من المقاتلة ، وثبتوا جميعا للمقاومة .

وكان يقع على عاتق مظفر الدين فتح أحد البرجين ، فظل
يقاثل من به من الصليبيين دون هوادة ، ويدك أركانه بالآلات
الحصار حتى هدمه عن آخره ، فاستسلم بعض من كان فيه من
المقاتلة ، وفر بعضهم الآخر الى البرج الآخر ، فازدادت حاميته
قوة ، الا أن القائد المباشر لقتاله استطاع أن يقتحمه أيضا بعد
قتال مرير (١) ، فخلصت المدينة بذلك للمسلمين وعادت اليهم
كما كانت سيرتها الأولى .

وبعد أن تم فتح انطربوس ، واصل صلاح الدين السير
بجيشه الى جيلة ففتحها ، وفتح اللاذقية ، وصهيون وبلادا كثيرة
غيرها .

غير أن الصليبيين لم يقفوا مكتوفي الأيدي ولم يسكتوا على
خروج عكا من أيديهم ، فقد حرمهم خروجها من أيديهم من ميناء
عظيم ، تصلهم عن طريقه الامدادات من مقاتلة وسلاح من الغرب ،
فضلا عن أنه ميناء تجارى هام ، ومن ثم عزموا على استرداد

(١) سيرة صلاح الدين ، ص ٧٠ ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ /
ص ٣٩ .

المدينة في سنة ٥٨٥ هـ (١١٨٩ م) مهما كلفهم الأمر ، ولما تمكث في أيدي المسلمين غير سنتين .

وأخذ الصليبيون يعثون قواتهم ويعدون أنفسهم لمعركة الاسترداد ، حتى تهيأوا لها واستعدوا لها الاستعداد الكامل ، وبينما كان صلاح الدين يفتح بلادهم في الشمال ، كانت جيوشهم في طريقها الى عكا لاستردادها ، حتى وصلوها وضربوا عليها الحصار .

ولما علم صلاح الدين بما عزم عليه الصليبيون من استرداد عكا ، أرسل يستدعى الأمراء الذين لم يشتركوا معه في المعارك السابقة ، فلبوا نداءه سراعا ، ولكن ما أن وصلوا اليه ، حتى كان الصليبيون قد ضربوا الحصار على المدينة قبل أن يتمكن صلاح الدين من الوصول اليها لدفع عاديتهم عنها . وكان ممن قدم على صلاح الدين ، زين الدين يوسف — أخو مظفر الدين — فجاء بجيشه من اربل ، وان كان قد تأخر وصوله الى سنة ٥٨٦ هـ . ويصف ابن شداد — المرافق لصلاح الدين — جيش زين الدين واستقبال صلاح الدين لزين الدين بقوله : « وقدم زين الدين بعسكر حسن وتجميل جميل ، فاحترمه السلطان وأكرمه ، وأنزله في خيمته وأكرم ضيافته ، وأمر بضرب خيمته الى جانب خيمة أخيه مظفر الدين » (١) .

قلنا ان الصليبيين كانوا أسبق من صلاح الدين في النزول على عكا ، فضربوا عليها الحصار ، ونصبوا حول أسوارها آلات

(١) سيرة صلاح الدين ، ص ١٠٦/٩٨ .

التدمير من مناجيق وعرادات (١) ودبابات (٢) وكباش (٣) ،
وحاصروها حصارا مستحكما ، وضايقوها مضايقة عظيمة وسدوا
عليها المنافذ فمنعوا الدخول اليها والخروج منها ، فأصبحت حامية
المدينة ، تعتمد على امكانياتها المحلية في الدفاع عن المدينة وعن
أنفسهم .

ولما وصل صلاح الدين بجيشه الى عكا ، ووجد أن الصليبيين
محاصرين لها ، ضرب معسكره وراءهم ، وكان من المنتظر أن
يُتقضى على الصليبيين في أسرع من رد الطرف لانحصارهم بين
حامية المدينة من أمام وبين جيش صلاح الدين من وراء ، ولكن
الذي حدث ، أن الصليبيين صمدوا للقتال مدة سنتين كاملتين ،
انتهى الأمر بعدها بهزيمة المسلمين بصلح عقده مع الصليبيين ،
كان من شروطه أن تنازل صلاح الدين عن كثير من البلاد التي
استولى عليها للصليبيين .

(١) سبق أن وصفنا المنجنيق ، والعرادة تشبه المنجنيق ، الا
أنها أصغر منه ، والجمع عرادات .

(٢) الدبابة : آلة عظيمة ، يدخل تحتها من المقاتلة خلق عظيم ،
ملبسة بصفائح الحديد ، ولها من تحتها عجل تحرك به من داخل ،
وفيها المقاتلة . والدبابة الكبيرة تتكون من أربع طبقات : الطبقة
الأولى من الخشب ، والثانية من الرصاص ، والثالثة من الحديد ،
والرابعة من النحاس ، فهي تعلو على السور المراد مهاجمته ، وكان
يركب فيها المقاتلة . أما طريقة تدمير الدبابة فهو حرقها بالنار .
(سيرة صلاح الدين ، ص ١٢٦ ، ١٤٩) .

(٣) الكباش : جمع كبش . وهو رأس من حديد يكون في مقدمة
الدبابة المعدة لهدم الأسوار ، ينطح به السور بشدة عظيمة فيهدمه
بتكرار النطح (سيرة صلاح الدين ، ص ١٢٦) .

ولا نريد التأريخ هنا لمعركة عكا من حيث هي ، وإنما نتعرض لها لاشتراك مظفر الدين وأخيه زين الدين في معاركها ، إلا أننا نقول ، أنه دارت خلال هاتين السنتين عشرات المعارك بين صلاح الدين والصليبيين تختلف في شدتها وعنفتها ، ونحن نذكر هنا معركتين ، ذكر في كل معركة منهما دور أحد الأخوين ، مظفر الدين وزين الدين ، ولكي نعطي القارئ صورة واضحة عن الجهود التي كان يبذلها المسلمون في صراعهم ضد الصليبيين ، ولكي نعطي كذلك وصفا لطرق القتال بين المسلمين والصليبيين في ذلك الوقت .

فأما المعركة الأولى ، فكانت عقب نزول الصليبيين على عكا مباشرة ، واشترك فيها مظفر الدين ، وكان مكانه من الجيش في مسيرته . ونحن نترك لشاهد عيان حضر المعركة بنفسه : هو بهاء الدين بن شداد ، مؤرخ صلاح الدين ، ليصف لنا المعركة كما شاهدها بنفسه وبأسلوبه ، حيث يقول تحت عنوان :

(ذكر المصاف الأعظم على عكا)

« لما كان يوم الأربعاء الحادي والعشرون (من شعبان سنة ٥٨٥) تحركت عساكر الافرنج حركة لم تكن لهم بمثلها عادة ، فخرج فارسهم وراجلهم ، وكبيرهم وصغيرهم ، فاصطفوا خارج خيمهم قلبا وميمنة وميسرة ، وفي القلب الملك ، وبين يديه الانجيل محمولا مستورا بثوب أطلس مغطى ، يمسكه أربعة أنفس بأربعة أطراف ، وهم يسرون بين يدي الملك . وامتدت الميمنة في مقابلة الميسرة التي لعسكر الاسلام من أولها الى آخرها ، وكذلك ميسرة

العدو في مقابلة ميمنتنا الى آخرها ، وملكوا رءوس التلال ،
وكان طرف ميمنتهم الى النهر ، وطرف ميسرتهم الى البحر .
« وأما العسكر الاسلامى المنصور ، فان السلطان (صلاح الدين)
أمر الجاليش أن نادى في الناس : يا للاسلام وعساكر الموحدين ؛
فركب الناس (أى الجند) وقد باعوا أنفسهم بالجنة ، ووقفوا
بين أيدي خيامهم ، وامتدت الميمنة الى البحر ، والميسرة الى النهر
كذلك .

« وكان (صلاح الدين) رحمه الله ، قد أنزل الناس (أى
الجند) فى الخيم ميمنة وميسرة وقلبا تعبئة الحرب ، حتى اذا
وقعت الصيحة لا يحتاجون الى تجديد ترتيب ، وكان هو فى القلب ،
وفى ميمنة القلب ولده الملك الأفضل ، ثم عسكر المواصلة (عسكر
الموصل) يقدمهم ظهير الدين بن البلنكرى ، ثم عسكر ديار بكر
فى خدمة قطب الدين بن نور الدين صاحب الحصن (حصن كيفا) ،
ثم حسام الدين بن لاجين صاحب نابلس ، ثم الطواشى قايماز
النجمى ، وجموع عظيمة متصلين بطرف الميمنة ، وكان طرفها الملك
المظفر تقى الدين عمر (صاحب حلب) بجحفله وعساكره ، وهو
مطل على البحر ؛ وأما أوائل الميسرة ، فكان مما يلي القلب :
سيف الدين على المشطوب ، وعلى بن أحمد من كبار ملوك
الأكراد ومقدميهم ، والأمير مجلى وجماعة المهرانية والهكارية ،
ومجاهد الدين يرتقى مقدم عسكر سنجار ، ثم مظفر الدين بن
زين الدين بجحافله وعساكره ؛ وأواخر الميسرة كبار المماليك
الأسدية (نسبة الى أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين)

كسيف الدين يازكج ، ورسلان بغا ، وجماعة الأسدية الذين يضرب بهم المثل ، ومقدم القلب عيسى (الهكارى) وجَمَعِهِ .
« هذا والسلطان يطوف على الأطلاب (١) بنفسه ، يحثهم على القتال ، ويدعوهم الى النزال ، ويرغبهم في نصر دين الله .

« ولم يزل القوم (أى الصليبيون) يتقدمون ، والمسلمون يقدمون ، حتى علا النهار ومضى منه أربع ساعات ، وعند ذلك تحركت ميسرة العدو على ميمنة المسلمين ، فأخرج لهم الملك المظفر الجاليش ، وجرى بينهم قلبات كثيرة ، وتكاثروا على الملك المظفر — وكان في طرف الميمنة على البحر — فتراجع عنهم شيئا اطماعا لهم لعلهم يبعدون عن أصحابهم فينال منهم غرضا ؛ فلما رأى السلطان ذلك ، ظن بهم ضعفا وأمدده بأطلاب (١) عدة من القلب حتى قوى جانبه ، وتراجعت ميسرة العدو واجتمعت على تل مشرف على البحر .

« ولما رأى (الصليبيون) الذين في مقابلة القلب ، ضعف القلب ، ومن خرج منه من الأطلاب ، داخلهم الطمع ، وتحركوا نحو ميمنة القلب ، وحملوا حملة الرجل الواحد ، راجلهم وفارسهم .
« ولقد رأيت الرجالة (رجالة الصليبيين) تسير سير الخيالة ، وهم يسبقون حيناً ، وجاءت الحملة على الديار بكريّة — كما شاء الله تعالى — وكان بهم غرة عن الحرب ، فتحركوا بين يدي العدو وانكسروا كسرة عظيمة ، وسرى الأمر حتى انكسر معظم

(١) الأطلاب : جمع طلب ، فرقه من الفرسان عددها خمسمائة فارس . (مرآة الزمان ، ج ٨ ص ٦٩٥) .

الميمنة ، واتبع العدو المنهزمين الى «تل العياضية» ، فانهم استداروا حول التل ، وصعدت طائفة من العدو الى خيمة السلطان فقتلوا طست دار (١) كان هناك ؛ وفي ذلك اليوم استشهد اسماعيل المكبس وابن رواحة ، رحمهما الله .

« وأما الميسرة ، فانها ثبتت لأن الحملة لم تصادفها .

« وأما السلطان ، فأخذ يطوف على الأطلاب فينهضهم ويعددهم الوعود الجميلة ، ويحثهم على الجهاد ، وينادى فيهم : يا للإسلام . ولم يبق معه الا خمسة أتقس ، وهو يطوف على الأطلاب ويخرق الصفوف ، ويأوى تحت التل الذي كان عليه الخيام .

« وأما المنهزمون من العسكر ، فانه بلغت هزيمتهم الى « الفخوانة » — قاطع جسر طبرية — ، وأمّ منهم قوم محروسة دمشق . وأما المتبعون لهم (أى الصليبيين) فانهم اتبعوهم الى العياضية ، فلما رأوهم قد سعدوا الى الجبل رجعوا عنهم ، وجاؤا عائدين الى عسكرهم ، فلقبهم جماعة من الغلمان (٢) والخريندية (٣)

(١) طست دار : لقب فارسي مركب من لفظين ، أحدهما طست : وهو اناء يغسل فيه ، والثاني دار : ومعناه ممسك (صبيح الأعشى ، ج ٥ / ص ٤٦٩) والمقصود هنا ، الخادم الذي يقوم على غسل يدي السلطان .

(٢) الغلمان : مفردة غلام . وقد أطلق هذا اللفظ على من يقوم بخدمة الخيل . (السلوك ، ج ١ / ص ٤٤٠ / حاشية ٣) .

(٣) الخريندية : مفردة خرينده . وهو لفظ فارسي معناه : مكارى . (المعجم فى اللغة الفارسية) .

والساسة منهزمين على بغال الحمل ، فقتلوا منهم جماعة ، فان السوق كان عظيما ولهم سلاح .

« وأما الذين صعّدوا الى الخيام السلطانية ، فانهم لم يمسوا منها شيئا أصلا ، سوى أنهم قتلوا من ذكرنا ، وهم ثلاثة نفر ، رأوا ميسرة الاسلام ثابتة ، فعلموا أن الكسرة لا تتم ، فعادوا منحدرين من التل يطلبون عسكرهم .

« وأما السلطان ، فانه كان واقفا تحت التل ومعه نفر يسير ، وهو يجمع الناس ليعودوا الى الحملة على العدو ، فلما رأوا الفرنج نازلين من التل ، أرادوا لقاءهم ، فأمرهم بالصبر الى أن ولوا ظهورهم ، واشتدوا يطلبون أصحابهم ، فصاح في الناس (أى فى الجند) فحملوا عليهم فطرحوا منهم جماعة ، فاشتد الطمع فيهم ، وتكاثر الناس وراءهم فى عدد كثير ، ظنوا أن من حمل منهم قد قتل ، وأنهم انما نجا منهم هذا نفر فقط ، وأن الهزيمة قد عادت عليهم ، فاشتدوا فى الهرب والهزيمة ، وتحركت الميسرة عليهم ، وعاد الملك المظفر بجمعه من الميمنة ، وتجمعت الرجال وتداعت ، وتراجع الناس من كل جانب ، وكذب الله الشيطان ، ونصر الايمان ، وظل الناس فى قتل ووطرح وضرب وجرح ، الى أن وصل المنهزمون السالمون الى معسكرهم ، فهجم عليهم فى الخيام ، فخرج منهم أطلاب كانوا قد أعدوها خشية من مثل هذا الأمر مستريحة ، فردوا المسلمين ، وكان التعب قد أخذ من الناس (أى الجند) والعرق قد ألجمهم ، فرجع الناس عنهم بعد صلاة العصر يخوضون فى القتلى ودمائهم الى خيامهم فرحين مسرورين .

« وعاد السلطان في ذلك اليوم الى خيمته فرحا مسرورا ،
وجلسوا في خيمته يتداركون من فقد من العلمان ، وكان مقدار
من فقد من العلمان المجهولين مائة وخمسين تقرا ، ومن المعروفين ،
استشهد : ظهير الدين أخو الفقيه عيسى . ولقد رأيتهُ وهو جالس
يضحك والناس يعزونه وهو ينكر عليهم ويقول : هذا يوم الهناء
لا يوم العزاء ، وكان هو قد وقع عن فرسه وركبه ، فرأيتهُ وقد
قتل عليه جماعة من أقاربه ؛ وقتل في ذلك اليوم الأمير مجلى .
هذا الذى قتل من المسلمين .

« وأما من العدو المخدول ، فحزر قتلاهم بسبعة آلاف نفر ،
ورأيتهم وقد حملوهم الى شاطئ النهر ليلقوا فيه ، فحزرتهم
يزيدون عن سبعة آلاف ... » (١) . هذا أهم ما ذكره ابن شداد
عن أولى المعارك الكبرى التى دارت بين المسلمين والصليبيين ،
وكان لمظفر الدين نصيبه فيها .

أما المعركة الأخرى التى اشترك فيها زين الدين ، أخو مظفر
الدين ، فقد كانت فى سنة ٥٨٦ ، وقبل وفاته بقليل . وتترك المؤرخ
ابن الأثير يصفها بقلمه وأسلوبه ، حيث يقول تحت عنوان :

(ذكر احراق الأبراج ووقعة الأسطول)

« كان الفرنج فى مدة مقامهم على عكا ، قد عملوا ثلاثة أبراج
من الخشب عالية جدا ، طول كل برج منها خمس طبقات ، كل
طبقة مملوءة من المقاتلة ، وقد جمع أخشابها من الجزائر ، فان

(١) سيرة صلاح الدين ، ص ٩٢ وما بعدها ؛ مفرج الكروب ،
ج ٢/ص ٢٩٢ وما بعدها .

مثل هذه الأبراج العظيمة لا يصلح لها من الخشب الا القليل النادر ، وغشوها بالجلود والخل والطين والأدوية (أى المواد الكيميائية) التى تمنع النار من احراقها ، وأصلحوا الطرق لها ، وقدموها نحو مدينة عكا من ثلاث جهات ، وزحفوا بها فى العشرين من ربيع الأول ، فأشرفت على السور ، وقاتل من بها من عليه ، فانكشفوا وشرعوا فى طم خندقها ، فأشرف البلد على أن يملك عنوة وقهرا ، فأرسل أهله الى صلاح الدين انسانا سبج فى البحر ، فأعلمه ما هم فيه من الضيق ، وما قد أشرفوا عليه من أخذهم وقتلهم ، فركب هو وعساكره ، وتقدموا الى الفرنج وقاتلهم من جميع جهاتهم قتالا عظيما دائما ليشتغلهم عن مكائفة البلد ، فافترق الفرنج فرقتين ، فرقة تقاتل صلاح الدين ، وفرقة تقاتل أهل عكا ، الا أن الأمر قد خف عمن بالبلد ، ودام القتال ثمانية أيام متتابعة آخرها الثامن والعشرون من الشهر ، وسئم الفريقان القتال ، وملوا منه لما لزمته ليلا ونهارا ، والمسلمون قد تيقنوا استيلاء الفرنج على البلد لما رأوا من عجز من فيه عن دفع الأبراج ، فانهم لم يتركوا حيلة الا عملوها فلم يقد ذلك ولم يغن عنهم شيئا ، وتابعوا رمى النفط الطيار عليها فلم يَؤثر فيها ، فأيقنوا بالبوار والهلاك ، فأتاهم الله بنصر من عنده ، وأذن فى احراق الأبراج .

« وكان سبب ذلك ، أن انسانا من أهل دمشق كان مولعا بجمع آلات النفاطين وتحصيل عقاقير تقوى عمل النار ، فكان من يعرفه يلومه على ذلك وينكره عليه ، وهو يقول : هذه حالة لم أباشرها بنفسى ، وانما أشتهى معرفتها . وكان بعكا لأمر يريد الله ؛

فلما رأى الأبراج قد نصبت على عكا ، شرع فى عمل ما يعرفه من الأدوية المقوية للنار بحيث لا يمنعها شىء من الطين والخل وغيرهما ؛ فلما فرغ منها ، حضر عند الأمير قراقوش — وهو المتولى الأمور بعكا والحاكم فيها — وقال له أن يأمر المنجنيقى أن يرمى فى المنجنيق المحاذى لبرج من هذه الأبراج ما أعطيه حتى أحرقه ؛ وكان عند قراقوش من الغيظ والخوف على البلد ومن فيه ما يكاد يقتله ، فازداد غيظا بقوله وحرد عليه ، وقال له : قد بالغ أهل هذه الصناعة فى الرمى بالنفط وغيره فلم يفلحوا . فقال له من حضر : لعل الله تعالى قد جعل الفرج على يد هذا ، ولا يضرنا أن نوافقه على قوله : فأجابه الى ذلك وأمر المنجنيقى بامتثال أمره ، فرمى عدة قدور نفطا وأدوية ليس فيها نار ، فكان الفرنج اذا رأوا القدر لا يحرق شيئا يصيحون ويرقصون ويلعبون على سطح البرج ، حتى اذا علم أن الذى ألقاه قد تمكن من البرج ، ألقى قدرا مملوءة وجعل فيها النار ، فاشتعل البرج ، وألقى قدرا ثانية وثالثة فاضطربت النار فى نواحي البرج ، وأعجزت من فى طبقاته الخمس عن الهرب والخلص فاحترق هو ومن فيه ؛ وكان فيه من الزرديات والسلاح شىء كثير ؛ وكان طمع الفرنج بما رأوا أن القدور الأولى لا تعمل يحملهم على الطمأنينة وترك السعى فى الخلاص حتى عجل الله لهم النار فى الدنيا قبل الآخرة .

« فلما احترق البرج الأول ، انتقل الى الثانى — وقد هرب من فيه لخوفهم — فأحرقه ، وكذلك الثالث ؛ وكان يوما مشهودا لم ير الناس مثله ، والمسلمون ينظرون ويفرحون ، وقد أسفرت

وجوههم بعد الكآبة فرحا بالنصر وخلص المسلمين من القتل ،
لأنهم ليس فيهم أحد الا وله في البلد امانا نسيب واما صديق .
« وحمل ذلك الرجل الى صلاح الدين ، فبذل له الأموال
الجزيلة والاقطاع الكثيرة فلم يقبل منه الحبة الفرد ، وقال : انما
عملته لله تعالى ، ولا أريد الجزاء الا منه .

« وسيّرت الكتب الى البلاد بالبشائر ، وأرسل يطلب
العساكر الشرقية ، فأول من أتاه عماد الدين مودود بن زنكى
— وهو صاحب سنجار وديار الجزيرة — ، ثم أتاه علاء الدين
ولد عز الدين مسعود بن مودود بن زنكى ، سيّره أبوه
مقدما على عسكره ، وهو صاحب الموصل ؛ ثم وصل زين الدين
يوسف صاحب اربل ؛ وكان كل منهم اذا وصل ، يتقدم الى
الفرنج بعسكره وينضم اليهم غيرهم ويقاثلونهم ، ثم ينزلون»^(١).
أما موقعة الأسطول ، فاننا نغفل أمرها هنا ، فانها موقعة أخرى ،
لم يشترك مظفر الدين أو زين الدين فيها .

وفي شهر شعبان أى في الشهر الرابع من وصول زين الدين
يوسف الى عكا ، مرض زين الدين ومات كما سبق أن ذكرنا ،
فألت اربل بعده الى أخيه مظفر الدين بتقليد من صلاح الدين .
وبولاية مظفر الدين على اربل ، توقف نشاطه في الميدان
الصليبي وقتا ما ، فانه بعد أن توفي زين الدين ، ترك مظفر الدين
عكا وسار الى اربل ليتسلمها ، وكان مسيره اليها في شهر
ذى الحجة من السنة (سنة ٥٨٦) ؛ فظل مظفر الدين في اربل

(١) الكامل ، ج ٩/ص ٢٠٥ .

يدبر أمورها ويقرر قواعدها ، ويرعى مصالح الناس فيها ، حتى
جدء في الميدان الصليبي ما اضطر صلاح الدين الى استدعائه
بجنده ليعاود الاشتراك في معركة عكا من جديد ، اذ قذفت أوروبا
بحملتها الصليبية الثالثة بقيادة ريتشارد قلب الأسد ملك انجلترا
لاستعادة بيت المقدس الذي استرده صلاح الدين من الصليبيين
في سنة ٥٨٣ ، فتكاثرت القوى على صلاح الدين ، فقد اجتمع
عليه ريتشارد بحملته وكذلك الصليبيون المقيمون بالشام ، ومعركة
عكا لم تنته بعد ، فأخذ صلاح الدين يستنجد بالملوك والأمراء
المسلمين الذين لم يشتركوا معه في حروبه ، ويرسل لهم الرسائل
يعرض لهم فيها حرج موقفه وضغط الصليبيين عليه ، ويحثهم على
الاسراع بالحضور اليه ليعاونوه على دفع الخطر الصليبي الجديد
عن عكا ، وكان مما كتبه صلاح الدين الى مظفر الدين في
سنة ٥٨٧ ، الكتاب التالي يشرح له فيه ما هو عليه من الضيق ،
وما عليه الصليبيون من القوة وشدة البأس ، حتى دب الخوف
في قلوب كثير من مقاتلة عكا فأثروا الفرار ، الأمر الذي زاد
من خوف من بقى في المدينة فعرضوا الصلح على الصليبيين ،
فاشتط الصليبيون في الشروط ، فترجع المسلمون عن التسليم ،
وصمدوا للدفاع والمقاومة . كتب صلاح الدين الى مظفر الدين يقول:
« قد سبقت مكاتبتنا اليه^(١) بشرح الأحوال وما نحن عليه من

(١) الخطاب موجه الى مظفر الدين . ولم يذكر المرجع الذي
ننقل عنه هذا الكتاب ولا غيره من المراجع ، الكتاب السابق الذي
أرسله صلاح الدين الى مظفر الدين .

رجاء النصر الذى هو متعلق الآمال ، وأن ملوك الفرنج وجموعهم
 قد وصلوا ونازلوا الثغر واحتلوا ، والآن فإن منجنيقاتهم هدته
 بكثرة الضرب ، وكثرت ثلم السور فى مواضع النقب ، وعظم
 الخطب واشتدت الحرب ، وأشفى البلد وأشرف ، واشتقى العدو
 بما فيه وأسرف ، ولما لجج العدو فى الزحف ، واستسهل فى التطرق
 الى البلد طريق الحنف ، ركبنا فى العسكر اليه ، وهجمنا عليه ،
 لكن بسوره وخندقه محتم ، والى مطعمه البعيد من أمره مرتهم ؛
 ولما عاين أصحابنا بالبلد ما عليه من الخطر ، وأنهم قد أشفوا على
 الغر ، فر من جماعة الأمراء من قل بالله وثوقه ، وأعمى قلبه
 فجوره وقسوته ، ولقد خانوا المسلمين فى ثغرهم ، وباؤا
 بوبال غدرهم ، وما قوى طمع العدو فى البلد الا رهيبهم ،
 وما أرب قلب الباقيين من مقاتلته الا رهيبهم ، والمقيمون
 من أصحابنا الكرام ، استحلوا من الحمام ، وأجمعوا أنهم
 لا يسلمون حتى يقتلوا من الأعداء أضعاف أعدادهم ، وأنهم
 يذلون فى صون ثغرهم غاية اجتهادهم ، وكانوا قد تحدثوا مع
 الفرنج فى التسليم فاشتطوا واشترطوا ، فصبروا بعد ذلك
 وصابروا ، ومدوا أيديهم فى القوم وبسطوا ، فتارة يخرجونهم
 من الباشورة وتارة من النقب ، والله تعالى سهل ما هم فيه من
 الكروب . ونحن — وان كنا للقوم مضايقين ، وبهم محذقين ،
 وعلى جموعهم من الجوانب متفرقين — فانهم يقاتلوننا من وراء
 جدار ، ويعلمون أنهم ان خرجوا إلينا فى تبار ، والهجوم على
 جمعهم مستصعب ممتنع ، والعسكر على مركزهم متألف مجتمع ،

ولله قدر لا يرد ، وقضاء لا يصد ، وسر لا يشارك في علمه ، وأمر لا يغالب في حكمه ، وعلى الله قصد السبيل ، ونجح التأميل ، وتدقيق أطفاه في دفع الخطب الجليل ، وما توفيقنا إلا بالله ، عليه توكلنا وهو نعم الوكيل « (١) .

وكان من المفروض أن يسرع مظفر الدين الى صلاح الدين ليواصل معه عمليات الدفاع عن عكا ، ولكن — لأمر ما — ظل في اربل ، ولعله كان هناك ما اضطره الى البقاء في امارته ، كأن يكون مشغولا بتأمين حدود امارته ، أو أن يكون هناك بعض المشاكل قد اعترضته ، ولذلك نرى صلاح الدين يرسل له كتابا آخر يستعجله فيه الحضور اليه ، فقد سقطت عكا في يد العدو بعد الكفاح الطويل والدفاع المستميت ضد هجمات العدو الهائلة ، فقد كان سقوطها بفعل خيانة بعض النقايبين الذين مع حامية المدينة ، كتب صلاح الدين الى مظفر الدين :

« قد علم ما دهم المسلمين من العدو الكافر ، والطاغية الحاشد الحاشر ، وأنه ورد في البحر بكل من للكفر في البلاد والجزائر ، وما قصده الا بيضة الاسلام وحوزته ، وأن الله تعالى هو الذي تكفل بذلة أعدائه وعزته ، ولا شك أنه عرف ما تبم منه على عكاه بعد ذبنا عنها في هاتين السنتين ، والمضايقة للفرنج ممن بعكاه ومنا بين الحصارين ، وأنهم كلما دبروا أمرا دمرناه ، وكلما حققوا كيذا أبطلناه ، وكلما قدموا منجنيقا أخرناه وعطلناه ، وكلما ركبوا برجا أحرقناه ، وكلما كتفوا حجابا خرقناه ، وكلما أوقدوا

(١) الفتح القسى ، ص ٢٧٩ .

نارا للحرب أطفأها الله ، حتى لم يبق لكرهم مكر ، ولا لكيدهم مجال ، ولم يتسق في هذه المدة لهم حال ، وقتل منهم في عدة دفعات زهاء خمسين ألف مقاتل ، من فارس وراجل ، ولا تشك في استياعهم بالردى ، وأن حزب الضلال قد أفناه حزب الهدى ، وحسبنا أنهم بائدون ، فاذا هم زائدون ، وظننا أنهم هالكون ، فاذا هم في نهج القتال سالكون ، وهم حطب نار الحرب ، وطعم الطعن والضرب ، وكم بذلوا أرواحهم على حب المقبرة ، وحصلوا تحت العجز لزعيمهم أنهم يأتون بما فوق المقدرة . ولما دخلت هذه السنة ، أشفقنا على من في عكا من الأصحاب والأجناد ، وقلنا هؤلاء قد بذلوا في الجهاد ما كان في وسعهم من الاجتهاد ، ورأينا أن نجدد للبلد البدل ، وأن نسد ونسدد بما نستأنفه الخلة والخلل ، وكان فيه أكثر من عشرة آلاف رجل ، من كل ذم مشيح^(١) وكمى بطل ، فخرج هؤلاء ولم يدخل اليه مثل تلك العدة ، ولم يكن أيضا من دخل بذلك الجدد وبذلك الشدة ، فإن البحر قبل استكمالها منع راكبه ، وحمى جانبه ، ووصل العدو وعجل مراكبه ، فاكتفى البلد بمن فيه وما فيه كفاية ، واتكل على الله الذي عصمته من كل واقعة وقاية ، وجاءت ملوك الفرنج خلاف كل عام ، في جد واعتزام ، وجد واهتمام ، وجمع لها^(٢) ، ونار تعجلها العدو من جهنمة^(٣) وضرام ، وغرام بالواقعة وغرام ، واحتداد للحادثة

(١) ذم مشيح : الذم ، اللوم والحض معا . (لسان العرب).

(٢) اللهام : الجيش الكثير وكأنه يلتهم كل شيء . (لسان

العرب) *
(٣) جهنمة : الجهنام ، القعر البعيد . (لسان العرب) *

واحتدام ، ورأس واقدام ، وناس وأقوام ، وحشد ملأت بها سفنها ، وأخلت منها مدنها ، ووصل ملكا افرنسيس (فرنسا) وانكتير (انجلترا) وقد أحكما التدبير ، وأجلبا بخيلهما ورجلتهما ، وأناخا بكلكهما ، وبركا بثقلهما ، وزحفا بجهدهما وجهلتهما ، ووافوا بكل برج وثيق ، وكل منجنيق كنيق^(١) . وكل آلة هائلة ، ودبابة للبلايا حاملة ، ونصبوا ثلاثة عشر منجنيقا على موضع واحد ، وأهبطوا حجارات السور بكل حجر صاعد ، وبأشروا الباشورة بالهدم ، والخندق بالصم ، والسور بالنقب والثلم ، وخرج من تقابى البلد من ارتد عن الدين ، وأعان تقابى الملاعين ، حتى وقعت أبدان السور وأبراجه ، وتبادر الى الثلم أعلام الكفر وأعلامه ، وأصحابنا مع ذلك ثابتون ، ناكبون كابتون ، قد سدوا تلك الثغر بنفوسهم ، وجعلوا حجارات الفرنج وجراحاتها مغافر رعوسهم ، وكشفوا وجوههم لقبيل السهام ، وتلفعوا من وقع بيضا بحمر اللثام ، ترشف شفاه الشفار دماءهم ، وتشكر ملائكة السماء سماحهم بالمهيج وسخاءهم ، كلما انتظموا مع العدو اتثر ، وكلما نهضوا لتلقيه عثر ، وكلما طلع اليهم ردوه بضربهم ، وكلما اجتمع به فرقوه بطعنهم وضربهم ، وهم يواقعون ويواقحون ، ويكافحون ويلافحون ، وكل قد وقف في موقف الكرام وسل نصله ، وأثبت في مستنقع الموت رجله ، وودع للجنة في لقاء أهل النار أهله ، فخانهم بعض الأمراء الجبناء ، وأخذ للحياة بترك

(١) النيق : أرفع موضع فى الجبل ، والجمع ، نياق . (لسان العرب) .

الحياء ، وفرّ من البلاء الى البلاء ، وحسب النجاة فى النجاء ،
وهرب فى بركوس^(١) قد أعدّه لذلك اليوم ، وآثر على جراح
السيف جراح السب واللوم ، واستصحب أمثاله واستتبع ، وأبعد
فى فراره وأبدع ، وأضعف بضعف قلبه قلوب الباقين ، وأطمع أفاعى
الكفر فى نهش الرقين ؛ على أن الأصحاب ، ما آذنوا بالأصحاب ،
ولم يقابلوا الضراب بالاضراب ، وما زالوا يواصلون بالقواطع ،
ولا يرتاعون للروائع ، ولا يريمون مقام المقامع ، ويطالبون من
الأرواح بالودائع ، حتى اقتتل القتال من السور الى الدور ، ومن
القوارع الى الشوارع ، ودخل العدو المدينة على سلم بالحرب
شبيهة ، وأمن أخوف وأخطر من كربهة وقطيعة فطيعة ، كل منة
لها غير مستطبعة ، ولولا ما اتفق بعد قضاء الله من الأسباب
الموهنة ، لم تكن عكاء بالممكنة للعدو ولا المدعنة ، وان ذهبت
المدينة فالدين لم يذهب ، وان عطبت فالاسلام لم يعطب ، وان
ملكحت واحتلت فما اختل الملك ، وان سلكت ووهنت فما وهى
السلك ، وانما نبه الله بها العزائم الراقدة ، وأجرى مياه الهمم
الراكدة ، وبعث الحميات الناعسة ، وحرك النخوات المتنافسة ،
وكما أظهر عجزنا عن قدرته وقدره ، سيظهر عزنا بنصرته وظفره ،
ونحن الى الآن كما كنا محذقون بخنادقهم ، آخذون بمخائقتهم ،
نوسعهم بالردى فى مضايقتهم ، ونجذبهم فى كل يوم الى مصارعهم ،

(١) البركوس : مركب صغير يستعمل فى الاغارة على السفن
الكبيرة فى البحر . (سيرة صلاح الدين ، ص ١٤٠ / ١٤١ / ١٤٤) .

ونكدر بعلق نجييعهم صفو مشاربهم ومشارعهم^(١) ، فما خرج منهم من دخل ، وما اقطع الا من وصل ، وما أصحرا الا من نديه عريسه وعرسه ، وما يرز الا من وراه من بطون الخوامع رسمه ، فهم مقيمون لا يريمون مخيمهم ، ولا يرومون أن يهجروا مجثمهم ، وما أنسوا بمرابض المضارب الا لتفرتهم من مضارب القواضب^(٢) ، وهم مع ذلك يرجفون تارة بالخروج الى المصاف ، وآونة بالنهوض الى بعض الأطراف ، وفي كلا القصدين ان شاء الله دمارهم المعجل ، وبوارهم المؤمل ، فانا نعترضهم أين واجهوا ، ونواجههم أين اعترضوا ، ونعثرهم أين نهضوا ، ونثيرهم للموت أين ربضوا ، وربما غرتهم عكاء فطمحوا وطبعوا ، واتفقوا على المصاف واجتمعوا ، ووقعوا على نار الحرب وقوع الفراش ، وتعوضوا مصارع أمثالهم والثرى لهم وثير الفراش ، فان برز العدو فالمنون له بارزة ، والعزائم له مناجزة ، والعساكر الاسلامية اليه وعليه زاحفة حافزة ، والمجلس^(٣) أولى من يتخى ويحتمى ، والى هذا المرام من قهر الكفر يرتقى وينتمى ، ويصل بجمعه اللهام الملتهم ، وبجمره الملتهب المضطرم ، وبمجره

(١) المشارع : المواضع التي ينحدر الماء منها . والمشرعة ، مورد الشاربة التي يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون . (لسان العرب) .

(٢) القواضب : القضيبي من السيف ، اللطيف الدقيق . (لسان العرب)

(٣) المجلس : لفظ يقصد به تعظيم المخاطب ، وهو هنا يعنى مظفر الدين (انظر عن معنى اللفظ وأصله وتطور استعماله ، صبح الأعشى ، ج ٥ / ص ٤٩٦)

المحتد المحتدم ، وبفيلقه الفالق ، ترائك العدا السافك السابق ،
في نار الوغى سبائك الظبا ، الحاص الحاصد بحدود الشفار
سنابل الطلى ، وهو لا شك ينهض ويستنهض من وراءه ،
ويستدعى من اذا ناداه أجابه وجاءه » (١) .

ومرة أخرى يتقاعس مظفر الدين عن تلبية نداء صلاح الدين ،
فأرسل إليه رسالة ثالثة يحثه فيها على سرعة الحضور إليه ، فانه
بعد أن سقطت عكا في أيدي الصليبيين استفحل خطرهم ، فقد
بعث سقوطها في أيديهم الحماس لاسترداد جميع البلاد التي كانت
لهم وأخذها منهم ، بل انهم تطلعوا الى أكثر من هذا ، انهم على
عزم الاستيلاء على ما لم يكن لهم من البلاد . قال صلاح الدين
لمظفر الدين في رسالته له :

« ولما فرغ العدو من شغل عكاء حسب أن كل بيضاء شحمة ،
وأن كل سواد فحمة ، فرحل على صوب حيفا واقعا في حيفه ،
باحثا عن حنقه بظلفه ، زاعما أنه على قصد عسقلان خذله الله
وخيبه في قصده وزعمه ، وهو حاصل منا على صدره ورغمه ؛
وكان رحيلهم مستهل شعبان وملك انكتير (انجلترا) قائدهم الى
البوار ، ووافد أهل النار الى النار ، ولقيناهم من بواترنا بواتر
التبار ، وقد رحلنا في عراضهم لاعتراضهم ، وتعشيرهم في طريق
اتتهاضهم ، ولقوا يوم رحيلهم من اليزكية (٢) كل نكاية فيهم
شديدة ، وكل روعة لهم مبيدة ، فانهم قطعوا ساقه العدو عن

(١) الفتح القسى ، ص ٢٨٧ - ٢٩٠ .
(٢) اليزك : لفظ فارسي معناه : الطلائع .

اللاحق بمقدمته ، وفلوا عن الحدة في الحركة حد عزمته ، وقتلوا خيلا وخيالة ، وفوارس ورجالة ، وقدروا وتمكنوا ، وجرحوا فأثخنوا ، ونهبوا وسلبوا ، وأخذوا رعوسا قطعوها ، ووقدوا نفوسا قلعوها ، وغنموا أقمشة وأسلحة ، وحصلوا من اللاحقين بهم قوادم وأجنحة ، ونزلوا على نهر حيفا وقد تم عليهم الحيف ، وتحكم في فلهم السيف ، فأقاموا الى هذه الغاية لمداواة جريحهم ومواراة طريحهم ، واراحة طليحهم (١) ، واثارة ماركد من ريحهم ، وقد رحلنا وسبقناهم الى طريقهم ، عازمين على تبديدهم وتثريتهم ، وتشتيتهم أيدي سبا وتمزيقهم ، فقد تمكنت بتأييد الله الأيدي من سيهم وقتلهم ، والله يجمع شملنا لتفريق شملهم ، وما يجدده الله لنا بعد هذا اليوم من غبطة ، ولأعدائنا من عبطة ، الا ونبادر بيسراه الى المجلس لتقوى في نصرتنا عزيزته ، وتشميم بارق التوفيق في موافقنا شيمته ، وتروض مواحل الآمال مع أوان الديمة (٢) الربيعية ديمته ، ويغلو في سوق رواجه من الدين ما ظن أنه رخصت قيمته ، وكيف لا يأخذ ذلك الكريم بشأرا الاسلام وقد سببت من عكاء كريمته ، واذا تأمل عرف أن الخطب العظيم ، وما لدفعه الا العظيم ، والهم مقيم وما لرفعه الا بأسه المقعد المقيم ، وسيقتضى دين هذا الدين الفريم (٣) الزعيم « (٤) .

-
- (١) الطليح : الطلح ، الاعياء والسقوط (لسان العرب) .
(٢) الديمة : المطر الذي ليس فيه رعد ولا برق . ويقال ، انه المطر الدائم . (لسان العرب) .
(٣) الفريم : المفرم من الحياض ، المملوء بالماء . (لسان العرب) .
(٤) الفتح القسي : ص ٢٩٧ - ٢٩٨ .

وهنا لم يجد مظفر الدين بدا من أن يترك ولايته ، ويغذ السير مجدا بجيشه الى صلاح الدين ، فان الموقف أصبح من الخطر بمكان ، وان بلاد الشام يكاد أن يلتهمها الصليبيون من جديد ، فقد اتتبتهم حمى من الحماس بحيث أصبحوا يهددون الشام كله ، فالواجب يقتضيه اذن ، أن يهمل كل شيء الا أمر الجهاد ، فجمع جيشه وأعدده للقتال ، ثم خرج به من اربل الى صلاح الدين وانضم اليه ، واشترك معه في جميع المعارك التي خاضها مع العدو ، حتى تم الصلح بين صلاح الدين وريتشارد ملك انجلترا في شهر شعبان سنة ٥٨٨ هـ (١١٩٢ م) . واذا كانت أخبار المعارك لا تشير صراحة الى اسم مظفر الدين ، الا أنه من المؤكد أنه اشترك فيها ، بدليل قول ابن شداد ، انه بعد أن تم الصلح ، سمح صلاح الدين للجيوش المساعدة له بالعودة الى بلادها ، فكان أول من عاد الى بلاده من الجيوش جيش اربل ، فانه عاد في مستهل شهر رمضان من السنة (١) .

وكانت عودة مظفر الدين الى بلاده آخر عهده بالحروب الصليبية ، فان صلاح الدين قدم مات في شهر صفر سنة ٥٨٩ ، فخلفه أولاده واخوته وأبناء أسرته ، فكانوا أقل حماسة من صلاح الدين في جهاد الصليبيين ، فقد جرفتهم المنازعات الأسرية من أجل الملك والزعامة ، فلم يجد مظفر الدين مجالا للجهاد ، ومن ناحية أخرى ، دخل مظفر الدين في مشاكل مع الموصل ومع الأيوبيين ، وهي المشاكل التي عرضنا تفاصيلها في الفصل السابق.

(١) سيرة صلاح الدين ، ص ٢٣٩ .

الفصل السابع ما أثر مظفر الدين

ذكرنا فيما سبق ، أن العالم الاسلامى فقد وحدته السياسية والادارية منذ العصر العباسى الثانى أى منذ أوائل القرن الثالث ، فأصبح عبارة عن وحدات اقليمية كبيرة لكل اقليم حكومته وسياسته وادارته . وذكرنا أيضا أن هذه الوحدات الاقليمية تفككت بدورها الى دويلات مدينية منذ وفاة السلطان ملكشاه السلجوقى فى أواخر القرن الخامس ، وان دل هذا التفكك على شىء فانما يدل على اضطراب سياسى كبير ، وهذا الاضطراب السياسى هو الذى يميز تاريخنا العربى ، وبالتالي هو وحده الذى يحظى باهتمام المهتمين بالدراسات الاسلامية العربية ، باعتباره شرا مستطيرا أصاب العالم الاسلامى حتى أودى به ، مهملين الى حد كبير دراسة الجوانب الأخرى من تاريخنا ، كالجوانب الاجتماعية ، والثقافية ، والاقتصادية ، كأن ليس فى تاريخنا على طوله ، الا الجانب السياسى وحده .

ذلك أنه بالرغم من هذا التجزئ السياسى ، وفوضى الحروب التى كان يشيرها الحكام فيما بينهم من أجل الغلبة وتوسيع رقعة

وحداتهم على حساب بعضهم البعض ، نجد هؤلاء الحكام أنفسهم يهتمون اهتماما يبلغ حد الروعة بمجتمعاتهم ، ويقدمون أجل الخدمات لشعوبهم ، هذه الخدمات التي تتمثل في الانشاء والتعمير ، واقامة المدارس ، وبناء المستشفيات والملاجيء ، ونشر العلم وتشجيع العلماء ، والاهتمام بالزراعة والتجارة والصناعة ، كل حاكم يقدم خدماته لشعبه بحسب فهمه لمهمته كحاكم ، وبحسب امكانيات دولته ، وهذه حقيقة يسجلها الواقع التاريخي ، ولكن هذه الحقيقة ضائعة في كتب القدماء بين خضم الأحداث السياسية والحربية التي اهتموا بتسجيلها أكثر مما اهتموا بغيرها ، ومع ذلك ، فانه من الممكن بشيء من الجهد ، استخلاص مادة طيبة عن الجوانب الأخرى من تاريخنا من بين أخبار السياسة والحروب .

ومظفر الدين كوكبوري ، صاحب هذه السيرة ، واحد من هؤلاء الحكام الذين انغمسوا الى حد كبير — كما رأينا في الفصل السابق — في السياسة والحروب ، ومع ذلك لم يهمل الشعب الذي كان يحكمه ، وانما تعرف على احتياجات الشعب فقدمها له ، ولم يهمل احتياجات مجتمعه ، فاهتم بالانشاء والتعمير ، كما اهتم بنشر العلم ، كذلك اهتم بالناحية الصحية ، فأنشأ مستشفى — أو كما كانت تسمى في ذلك العصر بيمارستانا — جعلها دورا وملاجيء للمرضى والأيتام واللقطاء والأرامل ورصد لهم الأموال الضخمة ، ومد يد المعونة لكل فقير ومحتاج ، بل تعدى بره الى المسلمين عامة ، فبنى دارا للضيافة في اربل ، وفتح أبوابها لكل وافد الى مدينته أو عابر سبيل ، يقيم فيها ما شاء له

أن يقيم يتناول فيها طعامه وشرايه بلا مقابل ، حتى كان عصره
أبهى عصور مدينة أربل وأزهاها .

ولم يكن مظفر الدين وحده من بين الحكام الصغار الذي قام
بهذه المآثر ، وانما كان هناك غيره كثيرون ، يستحق كل منهم أن
يؤلف له كتابا منفردا في هذه الناحية ، ونحن نذكر هنا — على
سبيل المثال — قرينا لمظفر الدين قدم من الخدمات الاجتماعية
لشعبه يقرب مما قدمه مظفر الدين ، هو بدر بن حسويه الكردي
المتوفى سنة ٤٠٥ هـ (١٠١٤ م) ، وكان حاكما على اقليم الجبل ،
فقد رصد هذا الرجل الأموال الطائلة ووضعها لخدمة شعبه
والتفريع عن ذوى الحاجة منهم . من ذلك أنه كان يوزع في كل
أسبوع ، عشرين ألف درهم على الفقراء والأرامل .

وعشرين ألف درهم كل شهر لتكفين الموتى من الفقراء .

وثلاثة آلاف دينار في كل سنة ، يدفعها الى الحدادين
والحدائين لاصلاح أحذية من يفدون على بلاده واصلاح نعال
دوابهم بلا مقابل .

وكان يرسل كل سنة مائة ألف دينار الى فقراء الحرمين
الشريفين : مكة والمدينة .

وعمر من المساجد والخانات ما ينيف على ألف مسجد وخان .
وكان اذا مرَّ في طريقه وأسفاره بمكان فيه عين ماء أقام
عنده قرية .

هذا فضلا عما كان يصرفه ويرتبه من الجرايات والنفقات

والصدقات والبر والصلوات على مختلف طبقاتهم ومشاربهم (١) .
فمن سير الحكام ، سواء كانوا خلفاء ، أو سلاطين ، أو ملوكا ،
أو أمراء ، يستطيع الباحث أن يستخرج منها مادة طيبة لجميع
الجوانب الانسانية والعمراية والعلمية وغيرها من الجوانب
وابرازها ، فتخفف الى حد كبير ، الظلام الدامس الذي يرين على
تاريخنا السياسى .

وقد تضافرت عدة عوامل على تكوين مظفر الدين تكويننا
طيبا كحاكم مستنير عرف احتياجات بلده وشعبه فنقدها ، وأهم
هذه العوامل ، ثلاثة :

أولا : ثقافته الدينية .

ثانيا : سيرة والده .

ثالثا : ما شاهده بنفسه من مظاهر الحضارة فى الموصل وحلب

ودمشق .

وفيما يختص بالعامل الأول ، وهو ثقافته الدينية ، فان مظفر
الدين — كما سبق أن ذكرنا أثناء حديثنا عن نشأته — نال قسطا
من التعليم الأولى تحت اشراف مجاهد الدين قايماز ، وأنه استمر
فى التحصيل بعد أن أصبح أميراً على اربل بعد وفاة والده ، كذلك
استمر فى التحصيل بعد عزله من الامارة واستقراره فى حران ،
وقد استنتجنا مواصلة تحصيله للعلم مما عرف عنه بعد عودته
الى الامارة على اربل من اهتمامه بمجالسة العلماء والفقهاء
والمحدثين ، وبما ذكره عنه ابن خلكان من أنه « كان يميل الى

(١) البداية والنهاية ، ج ١١ / ص ٣٥٣ .

علم التاريخ وأن على خاطره شيء منه» (١) . ومعنى هذا أن مظفر الدين نشأ نشأة دينية في إطارها العام ، وهذه النشأة جعلت مظفر الدين يفهم حقيقة مهمته كحاكم ، وفهم أن الحاكم ليس مجرد رجل متسلط يخضع الناس لحكمه ثم يستغلهم لمصلحته الخاصة ومنافعه الذاتية ، وإنما يجب أن يكون الحاكم كما أمر الله ورسوله أن يكون ، أن يكون خادما أميناً لمن يحكمهم ، يرمى شئونهم ، ويحكم بينهم بالعدل ، ويسر لهم سبل المعيشة الحرة الكريمة ، وقد تأثر مظفر الدين في هذا المفهوم الواضح بالقرآن الكريم والحديث الشريف اللذين يحضنان الحاكم على الرفق بالرعية ورعاية مصالحهم ، واجراء العدل بينهم .

وأما فيما يختص بالعامل الثاني ، وهو سيرة والده ، فإن مظفر الدين لاشك قد تأثر بالسيرة الطيبة التي تركها والده . فقد عرفنا من حديثنا عن والد مظفر الدين أنه فضلا عن أنه كان رجل حرب وقاتل ، كان أيضا رجل سياسة وإدارة ، وأن سيرته بين الناس — وبخاصة في الموصل — كانت طيبة عطرة . كذلك ذكرنا خدماته التي قدمها لشعب الموصل ، كاعتنائه بالزراعة بإقامته الجسور والقناطر على الأنهار ومجاري الماء ، ومساهمته في نشر العلم بإنشائه عدة مدارس وجوامع وربط وخانقاهات (٢) . فليس

(١) وفيات الأعيان ج ٣/ص ٢٧٥ .

(٢) خانقاهات : جمع خانقاه ، وهو لفظ فارسي معناه : البيت .

ثم خصص اللفظ للمكان الذي يقيم فيه الصوفية للعبادة . (السلوك ،

ج ١/ص ١٨٢/حاشية ٤ - تحقيق الدكتور زيادة) .

من شك في أن مظفر الدين كان يتردد على الموصل باستمرار حين كان مقيما في حران ، فشاهد بنفسه آثار والده فأعجب بها ، وليس من شك أيضا في أنه كان يسمع أهل الموصل وهم يتحدثون عن أبيه بالاطراء والحمد لحسن سيرته فيهم . وما من شك كذلك ، في أنه اجتمع بالعلماء والفقهاء الذين كانت لهم صلة بوالده ، وعرف منهم ما كان يقدمه لهم من تكريم وتقدير أدبي ومادى ، أقول ليس من شك في أن سيرة أبيه كما عرفها مظفر الدين ، كان لها الأثر الكبير في اعداده للحكم الصالح .

وأما العامل الثالث ، وهو ما شاهده من مظاهر الحضارة في الموصل والشام ، فالأمر المقطوع به أن مظفر الدين كان يتنقل بين الموصل وعواصم الشام وحلب ودمشق . وقد قلنا فيما سبق أن مظفر الدين تأثر بما خلفه والده من آثار وبما سمعه من سيرته الطيبة في الموصل ، وإذا كان مظفر الدين قد انعكست عليه أعمال والده وسيرته ، فقد انعكست عليه أيضا مظاهر الحضارة الشاملة في الموصل نتيجة تضافر ملوكها وأثريائها وكبار موظفيها في الخدمات التي أدوها للمدينة ولأهلها ، كذلك شاهد دور العلم من مدارس ومساجد يتطرق فيها الأساتذة والمدرسون من فقهاء ومحدثين ولغويين يلقون دروسهم على طلبة العلم . وليس من شك أيضا في أن مظفر الدين كان يرتاد المجالس العلمية والأدبية التي كانت تعقد في قصور ودور المثقفين من علماء وفقهاء ومحدثين وأدباء ، فيحضر مساجلاتهم ومناظراتهم ، فمن المعقول إذن ، القول

بأن مظفر الدين تأثر بما رآه بنفسه في الموصل ، فوجهه هذا التأثير
الوجهة الصالحة .

وما يقال عن أثر الموصل في مظفر الدين يقال أيضا عن أثر
حلب ودمشق فيه . فقد كانت حلب ودمشق يحكمهما الملك العادل
نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي حتى سنة ٥٦٩ هـ
(١١٧٣ م) . وكان نور الدين رجل حرب وقاتل وفي نفس الوقت
كان حاكما سياسيا مستتيرا ، وكان أيضا ذا ثقافة دينية عميقة ،
فكان يجالس العلماء والفقهاء والمحدثين ، وكان يهتم بالحديث
بصفة خاصة حتى أنه بنى أول دار للحديث في دمشق ويقال انها
أول دار حديث بنيت في الاسلام . وكان نور الدين مهتما أيضا
بنشر العلم بين أفراد شعبه حتى أنه اهتم بالأطفال الأيتام فأنشأ لهم
المكاتب ليتلقوا فيما علومهم الأولى ، كما أنشأ المدارس لطلاب
العلم في كل من دمشق وحلب ، كذلك اهتم نور الدين بالجوانب
الأخرى ، كالزراعة ، والتجارة وغيرها ، بالإضافة الى ما كان
ير به فقراء شعبه فكان لا يرضن عليهم بالمال . فكان مظفر الدين
حين ينتقل بين العاصمتين حلب ودمشق — بعد أن التحق بخدمة
صلاح الدين — يرى آثار نور الدين الانشائية ويسمع من الناس
ما كان عليه من حسن السيرة وعدالة الحكم فتعزه هذا وتحرك
عواطفه وتلقنه الدروس النافعة في حالة ما اذا عاد حاكما على بلاده.
ثم عاصر مظفر الدين ، صلاح الدين الأيوبي وعمل معه
واتصل به عن قرب ، ولمس بنفسه عدالة حكمه ، وحسن معاملته

للناس ، وبره بالفقراء ورعايته لهم ، وتشجيعه العلماء وتقريبهم اليه .

بكل هذا تأثر مظفر الدين عقلا وروحا ، فخلقت منه هذه المؤثرات حاكما مستنيرا مصلحا ، يعرف احتياجات شعبه بعد أن عاد الى امارته ، فلم يرضن عليهم بها ؛ وها نحن بسبيل تبيان مآثر مظفر الدين التي يتحدث عنها التاريخ الاجتماعى العربى لمدينة اربل .

وقبل أن نتحدث عن الخدمات التى أداها مظفر الدين لمدينته اربل وسكانها فى الانشاء والتعمير ، نذكر نبذة عن جغرافية اربل وتاريخها القديم .

فمدينة اربل قديمة قدم التاريخ ، واسمها القديم يرد فى دائرة المعارف البريطانية « أربلا » Arbla . ، وانها اتخذت هذا الاسم عن معركة حدثت سنة ٣٣١ قبل الميلاد بين الاسكندر الأكبر وداريوس كودومانوس (١) .

وأما فى دائرة المعارف الاسلامية ، فان اسمها القديم — كما هو مذكور فى النقوش البابلية الأشورية المكتوبة بالخط المسمارى — هو « أربيلو » ؛ أما اسمها فى النقوش الفارسية القديمة المكتوبة بالخط المسمارى أيضا ، فهو « أربيرا » ؛ وتتفق الدائرة مع دائرة المعارف البريطانية ، فى أن اسمها « أربلا » منذ أن حدثت وقعة الاسكندر الأكبر (٢) .

(١) Encyclopaedie Briannica. Vol ، II, p. 223.

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة : اربل .

أما في العصر الاسلامي ، فهي معروفة باسم « اربل » ، وقد وردت عند الجغرافيين والمؤرخين المسلمين بهذا الاسم والنطق . فقد جاء اسم المدينة في معجم البلدان لياقوت ، مشكولا هكذا : إِرْبِلْ ، ثم يضبط الاسم بالحروف فيقول : بالكسر ، ثم السكون ، وباء موحدة مكسورة ، ولام .

وقد جرت عادة المؤرخين والجغرافيين المسلمين في الحرص على ارجاع تسمية الأماكن والأشياء الى أصول وأسباب ، لذلك نرى ياقوتا يعرض رأى كل من الجغرافيين الأصمعي والفراء في سبب تسمية المدينة بهذا الاسم . فأما الأصمعي فانه يقول : اذا كان الاسم عربيا ، فهو مشتق من الربل ، وهو ضرب من الشجر اذا برد الزمان عليه وأدير الصيف تفتّر بورق أخضر من غير مطر ، يقال : تربلت الأرض ، أى لا يزال بهاربل ، وعلى هذا فيجوز أن تكون « اربل » مشتقة من ذلك . وأما الفراء فانه يقول : الريال ، النبات الكثير الملتف الطويل ، فيجوز أن تكون هذه الأرض ، اتفق فيها في بعض الأعوام من الخصب وسعة النبت ما دعاهم الى تسميتها بذلك ، ثم استمر ، كما فعلوا بأسماء الشهور ، فانهم سموا كل شهر بما اتفق فيه في فصله من حار أو برد ، فسقط (صقيع) جمادى في شدة البرد وجمود المياه ، والربيعان في أيام الصيف ، وصفر حيث صفرت الأرض من الخيرات ، وكان تسميتها لذلك في أزمنة متباعدة ولم يكن في عام واحد ، ولو كان في عام واحد ، كان من المحال أن يجيء جمادى — وهم يريدون به جمود

الماء وشدة البرد — بعد الربيع ، ثم تغيرت الأزمنة ولزمها ذلك الاسم (١) .

أما المؤرخون القدامى ، فقد ذكروها أيضا بهذا الاسم « اربل » ، ذكرها ابن الأثير في كتابه « الكامل في التاريخ » وابن كثير في كتابه « البداية والنهاية في التاريخ » ، وابن خلدون في تاريخه وغيرهم . وينطقها أهل العراق اليوم ، « اربيل » .

ويقوم اقليم اربل على هضبة صناعية خصبة شبه مستوية ، بينما تقوم مدينة اربل ذاتها على تل مرتفع واسع في الهضبة (٢) .

وتقع الهضبة بين نهري الزاب الصغير والكبير ، وهما نهران في الطريق الممتد من الموصل الى بغداد ، حيث ملتقى الطريقين الآتين من المرتفعات الإيرانية (٣) .

وتتوسط اربل كلا من مدينتي الموصل وبغداد ، ولكنها الى الموصل أقرب ، فهي تقع في الجنوب الشرقي منها ، وبينها وبين الموصل حسب التقدير العربي القديم مسيرة يومين ، أو ما يساوي ٨٠ كيلو مترا من مقاييسنا اليوم ، وبينها وبين بغداد مسيرة سبعة أيام للقوافل (٤) .

ويحد مدينة اربل من الشمال جبل الأكراد ، ومن غربيها جبل « دميرداغ » ويبلغ ارتفاعه ١٦٠٠ قدم ، ومن الشرق والشمال

-
- (١) معجم البلدان ، مادة اربل .
 - (٢) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة : اربل .
 - (٣) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة : اربل .
 - (٤) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة : اربل .

الشرقى « درددوان داغ » ، ومن الجنوب « زرجوان داغ » ،
ومن الجنوب الغربى سهل « شملك » المنخفض الذى يمتد الى
نهر الزاب الكبير (١) . فعلى ذلك كان اقليم اربل قديما عبارة عن
حوض خصيب تأتية المياه من الجبال الأربعة المحيطة به ، ويستتبع
ذلك وجود مياه كثيرة وأشجار وزروع ، وهذا ما يؤيد قول
الفراء ؛ ثم ان هذا الحوض ليس مقفلا بهذه الجبال ، لأنها تنخفض
فى بعض الجهات ، فاستخدمت هذه الانخفاضات كممرات الى
اربل ، ومن هنا لا بد أن تكون المدينة بحكم موقعها وخصبها ملتقى
لطرق كثيرة ، وأهمها السهل الذى يجعل المرور بينها وبين الموصل
أكثر تيسيرا .

ولهذا كانت مدينة اربل ملتقى لعدة طرق للقوافل ، فهى محطة
تجارية هامة ، فطريق القوافل القديم بدأ فى بغداد مارا بكركوك،
ومن « ألتن كوپرو » الى اربل فالموصل ، وهى أقرب الطرق بين
بغداد والموصل ، وكان نفس هذا الطريق فيما مضى يربط بابل
بمدينة نينوى مارا باربل ، ويتفرع من اربل طريقان يتجهان
نحو الشرق والشمال ، ويخترقان ممرات جبلية وعرة ، وينتهيان
الى أذربيجان ، ويمر الأول براوندوز فى الشمال الشرقى ، والآخر
بسنجق خوى فى الشرق (٢) .

وكانت اربل فى العصر الذى نتحدث فيه عنها ، أى عصر
مظفر الدين أو ما قبله ، كانت من الناحية الزراعية أقل خصبا مما

(١) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة : اربل .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة : اربل .

كانت في القديم ، فان الأشجار فيها منعدمة فهي محرومة من البساتين ، ولذلك تجلب فواكهها من البلاد المجاورة لها ؛ الا أن أرضها صالحة لزراعة الحنطة ، وتنجح فيها زراعة القطن وينزل في المدينة ، ولقد امتدح الجغرافي الفارسي حمد الله مستوفى القطن الذي يزرع فيها في مصنفه الجغرافي « نزهة القلوب » ، وهو — أي الكتاب — باللغة الفارسية ، وتعتمد الزراعة في الري على المياه الجوفية ، وذلك لأنه لا يوجد في اربل نهر يجري طول العام ، وانما الماء يأتيها عن طريق الأمطار في الشتاء فقط ، فينساق في السهل عدة نهيرات تملأ القنوات ، ثم تجف النهيرات بعد ذلك (١) .

* * *

وترجع أهمية اربل في تاريخها القديم — كما جاء في دائرة المعارف الاسلامية — الى أنها كانت في عصر الأكمينيين (٢) مقر معبد مشهور للاله عشروت ، وكان هذا المعبد بمثابة الكعبة الدينية لبلاد آشور ، وبمثابة مدينة « دلفى » بالنسبة لبلاد اليونان الوثنية ؛ على أنها اشتهرت كذلك آنئذ بأنها كانت ملتقى طرق القوافل ، ولم تنفرد دون مدن آشور المشهورة كلها ببقائها وبقاء اسمها محفوظا على مر العصور الى الآن ، الا بفضل موقعها الممتاز الذي جعلها مركزا ل طرق القوافل ،

(١) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة اربل ؛ معجم البلدان ،

مادة اربل .

(٢) بدأ حكم الاكمينيين في سنة ٥٥٣ ق.م . (ايران ماضيها

وحاضرها ، ص ٢٩) .

ومدينة اربيل ، التي تقع بين نهري الزاب ، هي منذ القدم
 قصبة هذا الاقليم الذي يحده من الشمال والجنوب هذان
 النهران . وكان هذا الاقليم يسمى قديما باسم العاصمة ، فكان
 يقال له « أربليتس » Arbilitis ، أى اقليم اربيل ، ثم أطلق
 عليه في العصر العربي اسم اقليم الزابين . وأصل هذه التسمية هي
 « أديابين » Adiabene (بالبدال المهملة التي انقلبت الى زاي
 معجمة) وهو نفس الاقليم الذي سماه الجغرافيون العرب ،
 أرض اربيل .

وفي النصف الأخير من القرن الثاني قبل الميلاد ، قامت هناك
 مملكة صغيرة استطاعت أن تحتفظ باستقلالها طيلة حكم
 الاشكانيين^(١) ، كما أنه حكمها ابان حكم الساسانيين^(٢) حكام
 استطاعوا أن يستقلوا بحكمها في فترات متفاوتة ،
 منهم « قروغ » الذي اتخذ حصن « ملقى » القريب من اربيل
 مقرا له ، والذي مات شهيدا عام ٣٥٨ م ، ابان حكم سابور
 الثاني^(٣) بسبب اعتناقه المسيحية^(٤) .

* * *

- (١) ويعرفون أيضا بالبارثيين ، وقد حكموا من سنة ٢٤٨ ق م
 الى سنة ٢١١ م . (إيران ماضيها وحاضرها ، ص ٣٨) .
 (٢) امتد حكمهم من سنة ٢١١ م حتى سنة ٦٣٦ م (إيران
 ماضيها وحاضرها ، ص ٤١) .
 (٣) اعتلى عرش فارس في سنة ٣١٠ م ، واستمر حكمه ٦٩ سنة .
 (إيران ماضيها وحاضرها ، ص ٤٢) .
 (٤) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة : اربيل .

وقد دخلت اربل في المسيحية منذ العصر المسيحي الأول ، ثم أصبحت مركزا لحركة تنصير اقليم أديابين والأقاليم المجاورة له ، فقد أسست بها أسقفية منذ عصر متقدم ، ولم تشمل هذه الأسقفية أول الأمر الا الاقليم المحصور بين الزابن ، ومن ثم أطلق عليه أهل الشام أسقفية (حِدْيَب) أو أسقفية اربل أو « حَزْرَة » (وهي قرية قرب الموصل) باعتبار أن هاتين المدينتين هما مقر الأسقفية^(١).

وفي بداية القرن الخامس الميلادي ، صارت اربل بطريركية ترجع اليها أشور الحقيقية بأكملها ، ولم تنفصل عن هذه البطريركية أسقفية نينوى أو أشور الا في عهد متأخر ، لتصبح بلورها أسقفية مستقلة (٢) .

* * *

ثم دخلت اربل تحت الحكم الاسلامي منذ أن فتح المسلمون العراق وفارس في فتوحاتهم الأولى ، وظلت على اسلاميتها وعروبتها الى اليوم .

* * *

وسكان هضبة اقليم اربل كلهم أكرد ، تنتشر قراهم على سطح الهضبة ، وقد استعربوا منذ أن اتخذوا الاسلام ديناً واتصلوا بالعرب ، وسكان اربل ذاتها أكثرهم من الأكراد من قبيلتي الهذبانة والحكمية بالذات ، وكانت هاتان القبيلتان

(١) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة اربل

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة اربل

تتازعان السيادة على المدينة منذ القرن العاشر الميلادي^(١) (القرن الرابع الهجري) .

ويمتاز الأكراد بصفة عامة بأنهم رجال حرب وأحلاس قتال ، ظهر منهم أبطال خدموا الاسلام خدمات جللى في ميادين الحرب وغيرها ، وما تزال سيرة صلاح الدين الأيوبي ، الكردي الأصل ، المستعرب ، يرددها الناس الى يومنا هذا .

وليس من شك في أن مظفر الدين اصطنع جيشه الذي حارب به الصليبيين من هؤلاء الأكراد .

غير أن الأكراد يتصفون بكثرة الشغب على الحكام ، أو على السلطان كما يقول مسعر بن مهلهل الأديب ، حيث ينقل ياقوت عنه عند تعريفه بمدينة شهر زور ، أن أهلها « عصاة قد استطعموا الخلف واستعذبوا العصيان » ، وكان مسعر يسبق ياقوت في الزمن ، ولذلك يقول ياقوت : « هذا آخر كلام مسعر وليس الآن على ما ذكر وانما نذكر هذا ليعرف قلب الزمان بأهله وما يصنع الحدثنان في ادارة حوادثه ونقله ، فان هذه البلاد اليوم في طاعة مظفر الدين كوكبوري بن على صاحب اربل على أحسن طاعة » (٢) ..

* * *

ومن آثار اربل الاسلامية القديمة ، مسجد يطلق عليه اسم مسجد « الكف » ، وقد أطلق هذا الاسم لوجود حجر فيه عليه

(١) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة اربل .

(٢) معجم البلدان : مادة ، شهرزور .

كف انسان ، ويقال ان هذا الكف هو كف الخليفة الرابع على بن
أبي طالب ، ولكن هذا التعليل باطل ، حيث توجد مساجد كثيرة
في العراق وفارس على أحجارها مثل هذا الكف (١) . ومع ذلك ،
فان المساجد التي تتبارك بالكف ليست كلها شيعة ، لأن مسجد
الكف القريب من بغداد ، كان مسجدا سنيا ، أنشئ لكى يضارع
مسجد براثا الشيعي .

* * *

ثم دخلت اربل تحت حكم أسرة بنى بكتكين : زين الدين
على — رأس الأسرة — وزين الدين يوسف ، ومظفر الدين
كوكبوري ، فماذا حدث للمدينة بعد أن دخلت في حكمهم ؟
أما أيام زين الدين على ، فليس هناك ما يشير الى أن له أثرا
في الانشاء والتعمير في المدينة ، ولعل يده لم تمتد بالاصلاح فيها
بسبب بعده عنها وقضاء حياته كلها في مدينة الموصل حيث كان
يقوم على خدمة ملوكها كما ذكرنا — ولذلك كان نشاطه
الاصلاحي في مدينة الموصل ذاتها ، وقد ذكرنا ذلك عندما تحدثنا
عنه في الفصل الثاني من الكتاب .

كذلك ليس هناك ما يدل على أن لزين الدين يوسف ، الذي
خلف والده على امارة المدينة ، أى أثر في الانشاء والتعمير في
المدينة .

أما مظفر الدين ، فقد كانت له اليد الطولى في هذا المضمار ،
وقد سجل له المؤرخون ما قام به من تعمير اربل وزيادة العمران

(١) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة اربل .

بها حتى نال اعجاب المعاصرين له وغير المعاصرين ، بحيث يقول القائلون بأن اربل وصلت الى أوج عظمتها حوالي عام ٦٠٠ هـ (١٢٠٣ م) ، وأن الانشاءات التي أقامها مظفر الدين على التل الذي تقوم عليه المدينة والقلعة أثارت اعجاب الجوابين ، فقد جعل التل من الضخامة بحيث كان الانسان يراه وهو على بعد ساعات منه ، أما القلعة فكانت لا تقل فخامة وعظمة عن قلعتي حمص وحلب المشهورتين ، وان كانت تفوقهما كثيرا في الضخامة (١) .

فقد ذكرنا أن المدينة تقع على تل مرتفع فسيح في الهضبة ، وكان الحكام السابقون لاربيل لا يهتمون الا بالجزء الأعلى من التل حيث تقع فيه القلعة والدور والأسواق والجامع ، أى أنه كان هو الجزء المعمور من التل كله ، أما الجزء الأسفل ، وهو سفح التل فقد كان مهجلا لا يعيره حكام اربيل أى التفات فلما كان مظفر الدين ، اهتم بهذا الجزء الأسفل اهتماما كبيرا ، واعتنى بتعميره اعتناء جميلا ، نتيجة لما اعترى المدينة من نشاط اجتماعي قام به مظفر الدين ، فازداد عدد سكانها بمن وفد اليها من الناس من البلاد المجاورة لها بعد أن أصبحت الحياة طيبة فيها ، لما عرف عن حسن سياسة مظفر الدين وعدالة حكمه وتشجيعه للعلماء ، فأقيمت في السفح المنازل والأسواق والقيساريات لنزول التجار الغرباء فيها ، حتى أصبح هذا الجزء مركزا لحركة تجارية كبيرة ، ثم أخذت حركة الانشاء والتعمير تمتد وتتسع حتى تحطت الأسوار القديمة للمدينة بمسافات واسعة طولا وعرضا ،

(١) دائرة المعارف الإسلامية ، مادة : اربل .

فعلت المدينة أهم مدينة في الاقليم ، ومن ثم أخذ كثير من سكان البلاد المجاورة لها يقدون اليها ويقيمون بها (١) .

وقد زار ياقوت صاحب كتاب معجم البلدان ، والمعاصر لمظفر الدين مدينة اربل فوصف ربض قلعتها — وهو الجزء الذي عمره مظفر الدين — بقوله : « وفي ربض هذه القلعة في عصرنا ، مدينة كبيرة عريضة طويلة ، قام بعمارتها وبناء سورها وعمارة أسواقها وقيساريتها الأمير مظفر الدين كوكبوري بن زين الدين كجك علي ، فأقام بها وقامت بمقامه ، وصار له هبة ، وقاوم الملوك ، ونابذهم بشهامة وكثرة تجربة حتى هابوه ، فانخفضت بذلك أطرافه ، وقصدها الغرباء وقطنها كثير منهم حتى صارت مصرا كبيرا من الأمصار (٢) » .

وأنشأ مظفر الدين في اربل مسجدا كبيرا ، له منارة رائعة يبلغ ارتفاعها ٥٠٣ أقدام ، أما محيطها فانه يبلغ ٤٨ قدما ، وقد نقش على مآذنها اسم مظفر الدين (٣) .

مجتمع مظفر الدين :

عرفنا مما سبق ، أن مظفر الدين نشأ نشأة دينية ، وقلنا أن نشأته الدينية أهلتة في حياته العامة لأن يكون حاكما صالحا . وقد أثرت نشأته الدينية أيضا في حياته الخاصة ، فكان بعيدا كل البعد عن مظاهر الامارة والملك التي أظهر مظاهرها ، الملبس

(١) دائرة المعارف الإسلامية ، مادة : اربل .

(٢) معجم البلدان ، مادة : اربل .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ، مادة : اربل .

الفاخر ، والمطعم الشهي ، والمسكن الفخم ، والمواكب الزاخرة
بالكبرياء والعظمة . بل ان معيشته كانت أقرب الى معيشة الزهاد
والمتصوفين . فقد كانت أطيب أوقاته ، هي تلك التي يقضيها بين
المتصوفين في حلقات الذكر ، وكان كثيرا ما يشترك معهم في
أذكارهم حتى يأخذه الوجد فيتمايل كما يتمايلون ويهتز كما
يهتزون ، منتشيا من انشاد المنشدين وصوت المزامير وضرب
الدقوف ، وكان كثيرا ما يهدى المنشد الذي يطرب من صوته
وانشاده بعض ملابسه مكافأة له ، يضاف الى ذلك ، اهتمامه
الشديد وولعه ولعا كبيرا بالنبي عليه الصلاة والسلام ، بحيث كان
يحتفل بمولده عليه السلام احتفالا بلغت روعته وعظمته مسامع
المسلمين المجاورين لاربل القريين منهم والبعيدين ، فكانوا
يفدون الى اربل زرافات ووحدا لمشاهدة هذا الاحتفال العظيم .
وكان مظفر الدين يحترم العلماء والفقهاء والمحدثين وبكرمهم
ويكثر الجلوس معهم ، ويجزل لهم العطاء .

وكان من الطبيعي وحال مظفر الدين على ما وصفنا أن يمنع
المنكرات من أن تجد طريقها في بلاده سرا أو علانية ، فحرم دخول
المنكر في بلاده ، وكان يعاقب من يقترفه .

فاذا كان مظفر الدين على هذا الخلق الطيب والسجايا المستحبة ،
فليس من شك في أن شعبه قد تأثر به وسار على خطاه في الصلاح
والتقوى ، فقد قيل : ان الناس على دين ملوكهم ، فاذا كان الملك
صالحا صلحت رعيته خاصتها وعامتها ، وبالتالي يصلح المجتمع
كله واذا كان فاسدا انكبت رعيته على الفساد مقتفين أثره فيفسد

المجتمع كله ، ولذلك فانه من المستطاع القول بأن مجتمع مظفر الدين كان مجتمعا سليما من الفساد الى حد كبير ، قائما على مبادئ أخلاقية ممتازة وسجايا حميدة .

يضاف الى هذا كله ، حسن سياسة مظفر الدين ، وتجنبه الانتقال على شعبه ، بل تيسيره على الناس معيشتهم وبره بهم ، فكان شعبه يعيش عيشة رغدة ، كل انسان مطمئن على عرضه وماله ودمه .

وكان مظفر الدين اشتراكيا بكل ما في الاشتراكية من معنى ، وقد استفاد مجتمعه من اشتراكيته فائدة كبيرة ، ذلك أنه وضع أموال الدولة وماله الخاص في خدمة شعبه ولم يضمن بها عليه . قال مظفر الدين لبعض خواصه : لما أخذت اربل ، آليت على نفسي أن أقسم مغلها (ايرادها) ثلاثة أقسام : قسم أنفقه في أبواب البر ، وقسم للجند وما يخصني ، وقسم أدخره لعدو يقصدني . وبذلك يكون قد عدل في هذه القسمة . وقد عدل في اتفاق القسم الأول عدلا تاما ، فكان ينفقه في أبواب البر حقا كما سنعرف ذلك بعد قليل ؛ وعدل في القسم الثالث ، فكان ينفقه في الدفاع عن بلاده اذا طرقها مغير ، وعدل في الشطر الأول من القسم الثاني ، فكان يعطى الجند حقوقهم أي مرتباتهم كاملة ، ولكنه لم يعدل في الشطر الثاني من القسم الثاني فانه حاف به على نفسه ، اذ أن الذي كان ينفقه على نفسه منه قليل ، وأما الكثير فانه كان ينفقه على أبواب البر مع القسم الأول ، لأنه وجد أن القسم الذي خصه لأبواب البر لا يكفي لاسعاد شعبه ، ودليل هذا ما يثري

عن زوجته ربيعة خاتون ، أنها قالت ، ان مظفر الدين كان يلبس ثوبا يساوي خمسة دراهم من خام ، فقالت له : لو لبست ألين من هذا ، فان بدنك ما يحتمل الخشن . فقال لها : أيهما أصلح وأكثر أجرا ، أن ألبس ثوبا بعشرة دراهم أو ألبس ثوبا بخمسة دراهم وأتصدق بخمسة على فقير أو مسكين^(١) ؟ وما يذكره عنه أيضا معاصره ابن خلكان بأنه « كان له في فعل الخيرات غرائب لم يسمع أن أحدا فعل في ذلك ما فعله ، لم يكن في الدنيا شيء أحب اليه من الصدقة^(٢) » . ويقول عنه معاصره الآخر سبط ابن الجوزي : « وكان كثير الصدقات ، غزير البر والصلات^(٣) » . أما معاصره الثالث ، ياقوت الحموي ، فانه يقول عنه « كان مفضل على الفقراء : كثير الصدقات على الغرباء^(٤) » .

فمن أنواع البر التي كان يضيفها على الفقراء والمحتاجين من أبناء شعبه ، توزيعه الخبز عليهم كل يوم ، يقول معاصره ابن خلكان : « وكان له كل يوم قناطير مقنطرة من الخبز يفرقها على المحاويج في عدة مواضع من البلد ، يجتمع في كل موضع خلق كثير ، يفرق عليهم في أول النهار^(٥) » .

ومنها أيضا توزيعه الأكسية ، فكان يعطى لكل فقير كسوة شتوية وأخرى صيفية في كل سنة ، وكان ينتهز فرصة عودته

-
- (١) مرآة الزمان ، ج ٨/ص ٦٨٢ .
 - (٢) وفيات الأعيان ، ج ٣/ص ٢٧٢ .
 - (٣) مرآة الزمان ، ج ٨/ص ٦٨٠ .
 - (٤) معجم البلدان ، مادة : اربل .
 - (٥) وفيات الأعيان ، ج ٣/ص ٢٧٢ .

من غزوة أو من سفرة أو من رحلة صيد ، حيث كان الفقراء يجتمعون حول داره لاستقباله وتهنئته بسلامة العودة ، فكان يكسو كل واحد منهم ومع الكسوة مبلغ من المال حسب حالة الشخص من الفقراء (١) .

وكان مظفر الدين يتخذ من المناسبات الدينية سبلا لبر شعبه وتخفيف ضيق المعيشة على الفقراء والمحتاجين وذوى العسرة ، كما يتخذها سبلا للترفيه عن الناس ، من ذلك احتفاله بالمولد النبوي الشريف ، فقد كان الاحتفال بمولد النبي عليه الصلاة والسلام من أهم المناسبات عنده وأحبها الى قلبه ، فقد كان حبه للنبي صلى الله عليه وسلم يملأ عليه نفسه ، ولذلك كان يحتفل بمولده كل سنة احتفالا عظيما ، ينفق فيه الأموال الطائلة حتى تصل الى كل يد ، فكان هذا الاحتفال يعتبر أعظم مواسم مدينة اربيل ، حيث يستمتع فيه الشعب بكل أنواع الاستمتاع الدنيوي البريء من مآكل ومشرب وملبس ، وترويح عن النفس بالاستماع الى الموسيقى والأغاني ، ومشاهدة الصور المتحركة (خيال الظل) الى جانب الاستمتاع الديني ، حيث تعقد حلقات للاستماع الى سيرة النبي الكريم ، وحلقات القراءة يرتلون آى الذكر الحكيم ويجودون ، وكذلك حلقات الوعاظ ، والى جانب هذه وتلك ، حلقات الذكر ، حيث يقوم الذاكرون بطريقتهم الصوفية في حلقات يذكرون الله بطريقتهم الخاصة ، تحت انشاد المنشدين ، وألحان الزامرين وضاربي الدفوف .

(١) وفيات الاعيان : ج ٣ / ص ٢٧٢ .

وقد انتشرت أخبار عظمة احتفال مظفر الدين بالمولد النبوى فى البلاد المجاورة لاربيل ، سواء القرية منها والبعيدة ، فكان المسلمون يقدون اليها للاستمتاع بهذا الاحتفال ، فكان يقد اليها الناس على اختلاف طبقاتهم ، الفقهاء والمحدثون والأدباء والشعراء والتجار ، حتى الفقراء كانوا يقدون اليها مع الوافدين ، لينالوا من بر مظفر الدين ، فكانت المدينة تمتلىء بالناس ، وتضيق بمن فيها طيلة أيام الاحتفال .

ومما كان يزيد من روعة الاحتفال وابتهاج الشعب ، أن مظفر الدين كان يشترك معهم فى جميع مظاهر الاحتفال الدنيوية والدينية فى بساطة ودون تكلف كأنه واحد منهم ، فكان يقف مع الشعب فى كل مكان يشاهد الألعاب وأنواع التسلية ، ويشترك مع المتصوفة والمتعبدين فى حلقات الذكر ، ويجلس فى الحلقات يستمع الى قصة السيرة وتلاوة القرآن الكريم .

وقد وصف المؤرخ ابن خلكان ، احتفال مظفر الدين بالمولد وصفا موجزا ، ولكن يتبين من هذا الايجاز روعة الاحتفال وعظمته ، فكيف تكون حقيقته لو أن ابن خلكان وصفه وصفا كاملا؟ يقول ابن خلكان ان الاستعداد للاحتفال يبدأ من شهر المحرم من كل سنة حيث يصدر مظفر الدين أمره بالبدا بنصب قبته الخاصة ، ثم يأخذ الأمراء والأعيان فى اقامة قبابهم ، كل أمير وعين من الأعيان يقيم له قبة خاصة به يقيمها على تفقته ، فيصل عدد القباب التى تقام الى أكثر من عشرين قبة ، تمتد على طول الطريق من باب قلعة المدينة حتى باب الجانقاه المجاور للميدان .

وتصنع القباب من الخشب ، وهى قباب ضخمة عالية ، حيث
تحتوى كل قبة على أربع أو خمس طبقات . ويستمر نصبها حتى
أوائل شهر صفر ، حتى اذا انتهوا من نصبها ، يبدأون بتزيينها
بالأقمشة الفاخرة ذات الألوان الجميلة المختلفة ، حتى اذا انتهوا
من ذلك ، تبدأ فرق الملامى تحتل أماكنها فى القباب ، فتتخذ كل
فرقة مجلسها فى طبقة من طبقات القبة ؛ فتشغل فرقة المغنين
— أو جوقة المغنين كما كانوا يسمونها فى ذلك العهد — إحدى
الطبقات ، وتشغل طبقة أخرى ، فرقة أصحاب (خيال الظل) ،
وتشغل طبقة ثالثة فرقة الموسيقين ، وتشغل طبقة رابعة فرقة
الملاعبين ، أى أن كل طبقة من طبقات القبة تشغلها فرقة تختلف عن
غيرها ، حتى تشمل القبة كل أنواع الملامى والمسليات ، وتكرر
الفرق فى القباب كلها ، وبذلك يتيسر للناس فرص كثيرة لمشاهدة
أكثر من فرقة لنوع واحد من الملامى فى كل قبة .

وما أن تستقر كل فرقة فى طبقته فى القبة ، حتى يبدأ الناس
بالاستمتاع بالاحتفال ، فيشغى المكان بالمتفرجين من أهل اربل
وغيرها ممن وفد من البلاد المجاورة لها .

وكان مظفر الدين يشارك الناس أفراحهم ويختلط بهم ؛ فكان
ينزل كل يوم بعد صلاة العصر الى مكان الاحتفال ويتنقل بين
القباب ، ويقف عند كل قبة ، فيسمع الغناء والموسيقى ، ويشاهد
أرباب الخيال وما يعرضونه من الصور والمشاهد ، ويظل يتنقل
من قبة الى أخرى حتى يأتى عليها كلها ، وذلك ارضاء للأمرء
والأعيان أصحاب القباب ، وترضية لمن فيها من أرباب الملامى ،

وليشعر الشعب أنه يشاركهم فرحهم في هذه المناسبة الكريمة ،
فاذا ما انتهى من المرور على القباب ، يتجه الى الخانقاه ، حيث
يكون المتصوفون مستعدين لاقامة حلقات الذكر التي كان مظفر
الدين شغوفا بها شغفا كبيرا ، فيشترك معهم في حلقاتهم ، وعندما
كان ينتشى ، كان يرقص ويتواجد ويتمايل معهم . ويظل في
الخانقاه حتى يؤدي صلاة الصبح ، ثم يخرج بعد الصلاة
الى الصيد — وهي رياضته المفضلة — فما يزال يتصيد الى
ما قبل الظهر ، ثم يعود الى القلعة . وكان يسير على هذا البرنامج
كل يوم الى أن تحين ليلة المولد .

ويستمر الناس في الفرجة والاستمتاع بالاحتفال منذ شهر
صفر الى ما قبل ليلة المولد بيومين ، وعندئذ تجتمع الابل والأبقار
والأغنام المعدة للذبح لاطعام الناس ، وهي أعداد ضخمة ، ثم
تخرج من حظائرها الى الميدان لذبحها في استعراض كبير ، حيث
تزفها الطبول والموسيقى والأغاني ، وحولها الجزائريون حتى
يؤتى بها الى المكان المعد لذبحها ، حيث يكون الاستعداد لنحرها
مهيأ ، وما أن تصل الى الميدان حتى يشمر الجزائريون عن سواعدهم
ويشرعون في نحرها ، ويكون الطباخون مستعدين بقدرهم
وأوانيهم لتلقى اللحوم لطبخها مع ألوان مختلفة من الأطعمة ،
وكذلك الشواءون لشى اللحوم والطيور .

ويستمر الذبح والطهو طيلة اليومين ، حتى اذا كانت ليلة
المولد ، يصلى مظفر الدين صلاة المغرب في القلعة ، ثم ينزل في

موكب كبير الى الخانقاه ، يحيط به حملة الشموع من أمام ومن وراء ، وعن يمينه وعن شماله ، ويتوسط حملة الشموع ، بغلان أو أربعة بغال ، على ظهر كل بغل شمعة ضخمة من شموع المواكب، مربوطة على ظهر البغل ومن ورائها رجل يسندها ؛ ويظل مظفر الدين سائراً في موكبه حتى يصل الى الخانقاه ، فيمكث فيها ليشارك في حلقات الذكر ، ثم يعود بعد ذلك الى القلعة .

فاذا كان صبيحة يوم المولد أنزلت الخلع (هدايا من الملابس) التي أعدها مظفر الدين للاهداء من القلعة الى الخانقاه على أيدي رجال من الصوفية ، على يد كل شخص منهم بقجة ، ويسرون في صف طويل ، كل واحد منهم وراء الآخر حتى يصلوا الى الخانقاه . ثم ينزل مظفر الدين بعد ذلك من القلعة الى الخانقاه ، حيث يكون أعيان الدولة والرؤساء مجتمعين ، وحيث يكون كرسى الوعظ قد نصب فيها . وينصب أيضا لمظفر الدين برج من خشب له شبايك تطل على الميدان ، ويوضع له فيه كرسى ليجلس عليه ويرى منه الناس واستعراض الجيش .

والميدان رقعة من الأرض غاية في الاتساع ، يكون معددا للاحتفال بالمولد احتفالاً عسكرياً ، حيث يجتمع الجيش بموسيقاه وطبوله ، ويبدأ استعراض الجيش على نغمات الموسيقى طول النهار .

ويتنقل مظفر الدين في البرج بين الشبايك فيجلس آناً في الناحية التي فيها الجيش ليشارك استعراضه ، ويجلس آناً في

الناحية الأخرى ليرى الناس وهم مجتمعون في حلقات حول الوعاظ .

وفي أثناء استعراض الجيش ، يوزع مظفر الدين هداياه على الحاضرين من الأعيان ورؤساء الدولة وقواد الجيش ، وعلى ذوى المكانة من الضيوف الوافدين من البلاد الأخرى ، وكذلك على الفقهاء والمحدثين والأدباء والشعراء والوعاظ والقراء .

حتى إذا انتهى عرض الجيش ، يكون مظفر الدين قد انتهى من الإهداء على جميع من عنده ، وفي الوقت نفسه يكون قد أعد سماطين كبيرين عظيمين ، أحدهما للعامة من أهل اربل والوافدين عليها من عامة الناس ومتوسطى الحال ، ويكون هذا السماط في الميدان ، ويبدأ من الخانقاه وينتهي عند القلعة ، والسماط الآخر في الخانقاه لمن عنده من ذوى المكانة من الضيوف وكبار رجال دولته .

أما سماط العامة ، « ففيه من الطعام والخبز شيء كثير لا يعد ولا يوصف » كما يقول ابن خلكان . وأما سبط ابن الجوزى ، فإنه يقدم لنا أسماء بعض الأطعمة التي يشتمل عليها السماط رواية عن شاهد عيان ، فيقول : « وحكى لى من حضر بعض السنين فقال : عددت على السماط مائة قرش قشلميش (١) ، وخمسة آلاف رأس مشوى ، وعشرة آلاف دجاجة ، ومائة ألف

(١) هكذا بالمرجع الذى نقلنا عنه ، ولعله نوع من الطعام ولم تقف على كنهه .

زبدية^(١) ، وثلاثين ألف صحن حلوى^(٢) » فيجتمع الناس على السماط فيأكل من شاء أن يأكل ، ويحمل من الطعام من شاء أن يحمل . أما السماط الآخر ، فإنه يحتوى على نفس أطعمة السماط الأول ، فيتخلق حوله الأعيان وكبار رجال الدولة وأعيان الضيوف الوافدين ، ويتناولون الطعام حتى ينتهوا منه .

ولا ينسى مظفر الدين — وهو في غمرة هذا الاحتفال — من لم يحضر الاحتفال أو السماط لسبب من الأسباب ، فكان يأمر بحمل طعامه الى داره ، لينال من بركة المناسبة ما نال غيره ، وليشترك جميع من في بلده في فرحة الموسم .

ويستمر الأمر كذلك الى ما بعد صلاة العصر ، ثم يبقى مظفر الدين في الخانقاه ، حيث تقام حلقات الذكر (وباصطلاح ذلك العصر : السماعات) حتى الصباح ، وبشروق الشمس تنتهى الاحتفالات بالمولد ، فيعود أهل اربل الى حياتهم العادية ، ويستعد الضيوف الى العودة كل الى بلده ، وحتى هؤلاء الضيوف لا يساهم مظفر الدين فقد كان يدفع لكل فقير منهم نفقات عودته تيسيراً له^(٣) .

(١) الزبدية ، اناء توضع فيه الأطعمة . ففي ذيل مرآة الزمان (ج ٢ / ص ٣٠١) في ترجمة الأمير لاجين بن عبد الله المتوفى سنة ٦٦٢ ، أنه كان على سماطه : مائة زبدية عادلية (نسبة للملك العادل الأيوبي) كبار في كل زبدية منها خروف صحيح رضيع ، وقريب ثلاثمائة زبدية دون تلك ، في كل زبدية ثلاثة طيور دجاج .

(٢) مرآة الزمان ، ج ٨ / ص ٦٨٠ .

(٣) وفيات الأعيان ، ج ٣ / ص ٢٧٣ ؛ مرآة الزمان ، ج ٨ / ص ٦٨٠ .

وكان مظفر الدين يحس بما يعاينه حجاج اربل من مشقة الطريق الى الحرمين مكة والمدينة فكان يعمل على تهيئة أسباب الراحة لهم في الطريق ، فكان يسير مع الحجاج سيلا من الماء ، ويسير معهم مندوبا من عنده ، مزودا بكل ما يحتاج اليه الحاج في الطريق (١) .

هذه بعض أنواع البر التي كان يقدمها مظفر الدين الى شعبه وهو بر عام يناله كل من يريد ويرغب فيه ، الا أن هناك فئات من الناس كان مظفر الدين يرى أنهم في حاجة الى بر خاص ورعاية خاصة ، هم المرضى ، والأرامل ، والأيتام ، واللقطاء ، والعميان ، فانشأ لهم المصحات والملاجئ ، ولم يبخل عليهم في الاتفاق وأضفى عليهم من انسانيته وعطفه ما كان ينسيهم آلامهم وتعاستهم ، الأمر الذي يذكرنا بعصر الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي (٨٦ - ٩٦ هـ) ، الذي كان يهتم بما اهتم به مظفر الدين في القرن السابع الهجري ، أي بعد مئة قرون .

دار الزمنى :

والزمنى هم المرضى بالجذام ، فجمع مظفر الدين المصابين بهذا المرض الخبيث وبنى لهم دارا يقيمون فيها ، وزودها بكل ما يحتاج اليه المريض من طعام وشراب وكساء وعلاج ، ثم جعل لكل مريض خادما خاصا به يقوم على رعايته وخدمته (٢) .

(١) وفيات الأعيان ، ج ٣ / ص ٢٧٣ .

(٢) مرآة الزمان ، ج ٨ / ص ٦٨١ .

دار العميان :

واهتم مظفر الدين بمكفوفى البصر من أبناء اربل وغيرها من بلادها ، فان أمثال هؤلاء المنكوبين تسد فى وجوههم أبواب الرزق لعجزهم عن العمل ، فلم يتركهم مظفر الدين يتخبطون فى حياتهم أو يبدلون ماء وجوههم ويهدرون انسانيتهم بسؤال الناس ، فأعفاهم مظفر الدين من هذا كله ، وبنى لهم دارا يقيسون فيها ، وجهها بكل ما يحتاجون اليه من مأكلا ومشرب وملبس ، وخصص لكل واحد منهم أيضا خادما يقوم على شأنه وخدمته (١).

وإذا كان مظفر الدين قد قام بما يجب عليه كحاكم ازاء هؤلاء المنكوبين من الناحية المادية ، فانه لم يكتف بهذا ، وإنما أمدهم بانسانيته وعطفه ما أنساهم بلواهم ، يزورهم يوم الاثنين والخميس من كل أسبوع ، فيدخل على كل واحد منهم ، ويسأله عن حاله ، ويباسطه ويمزح معه حتى يمر عليهم جميعا ، ثم يهب لهم ما تجود به يده من مال ، علاوة على ما هو مقرر لهم ، فكان النزلاء يجدون من هذا العطف الانسانى ما يثلج صدورهم ويجبر قلوبهم (٢) .

دار الأيتام :

واهتم مظفر الدين بالأطفال الأيتام ، بنات وبنين ، من الذين فقدوا آباءهم وأمهاتهم ومن لا عائل لهم ، وحفظهم من خطر

(١) وفيات الأعيان ، ج ٣ / ص ٢٧٢ ، مرآة الزمان ، ج ٨ /

ص ٦٨٢ .

(٢) وفيات الأعيان ، ج ٣ / ص ٢٧٢ .

التشرد ومفاسده ، فبنى لهم ملجأ جمعهم فيه ، وزوده بكل ما يحتاجون اليه من مقومات الحياة ، كما عيّن فيه المشرفات على تربيتهن .

ولم يقف مظفر الدين عند جمع الأيتام واليتيمات بين جدران أربعة ، وانما كانت انسانيته أوسع من ذلك وأكبر ، فقد كان يزورهم بين الحين والحين في فترات متقاربة ويضفي عليهم من عطفه وأبوته وبخاصة اليتيمات ، فكان حين يزورهن ، كان يجلس معهن ، ويثقف اليتيمة على فخذها ويداعبها ، ويسألها عما اذا كان لها مطلب أو حاجة ، فيقول لها : ايش تريدين تأكلين ؟ ايش تريدين تكتسين ؟ فكان يلبي طلبها ويأمر بتنفيذه مهما طلبت . وكانت اليتيمة اذا بلغت سن الزواج ، كان يختار لها الزوج الذي يناسبها ويزوجها منه ، وينفق على حفلة زواجها من ماله (١) . أما الأيتام الذكور ، فالغالب أن مظفر الدين كان يبسر لمن يكبر منهم العمل ، ويقدم لهم المساعدات لاستقبال حياتهم الجديدة .

دار اللقطاء :

وفي اربل — كما في غيرها من بلاد الدنيا — أطفال يولدون سفاحا ، نتيجة نزوة طائشة بين ذكر وأنثى ، ويكون مصيرهم القذف في الطرقات والأماكن الخربة فتكون نهايتهم الموت المحتم ، فكانت انسانية مظفر الدين أكبر من أن تترك هؤلاء الأبرياء الذين يتخلى عنهم أبواهم فيلقونهم الى حتفهم دون ذنب أو جريرة ،

(١) مرآة الزمان ج ٨ / ص ٦٨١ ؛ وفيات الأعيان ، ج ٣ / ص ٢٧٢ .

فبنى لهم ملجأً زوده بالمرضعات ، فكان كل لقيط يعثر عليه ، يحمل إلى هذا الملجأ ، فيسلم إلى إحدى المرضعات لتقوم على ارضاعه وتربيته (١) . وبهذا العمل الانساني الجليل ، حفظ مظفر الدين ارواحا كان مصيرها الهلاك والموت .

دار الأراامل :

وامتدت عناية مظفر الدين إلى الأراامل الفقيرات ، اللاتي يتوفى عنهن أزواجهن وليس لهن من يعولهن من أقارب ، فبنى لهن دارا يأوين اليها ، وأعدّها بكل ما يحتجن اليه من مأكّل ومشرب وملبس ، وكان يتعهدهن بنفسه ، فيزورهن ويسألهن عما يحتجن اليه ، فكان يأمر بتلبية رغباتهن واستكمال ما ينقصهن (٢) .
أما نفقات مظفر الدين على هذه الدور فكافت مائتي ألف دينار سنويا ، على ما يرويه سبط بن الجوزي ، المعاصر لمظفر الدين (٣) .

وكان لمظفر الدين أنواع أخرى من البر ينفقها على غير أهل بلاده ، من ذلك ، بناؤه دار الضيافة في اربل ، خصها لمن يقد إلى اربل سواء للتجارة أو لمصلحة من المصالح ، أو للمسافرين الذين يعبرون اربل وهم في طريقهم إلى البلاد التي يقصدونها ، فكان مظفر الدين يلمس ما يناله المسافر من تعب الطريق ومشقته ،

-
- (١) وفيات الأعيان ، ج ٣ ص ٢٧٢
 - (٢) وفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٧٢
 - (٣) مرآة الزمان ، ج ٨ ص ٦٨١

كذلك كان يعلم ما يتحملة التاجر من عناء حين يقصد بلده للتجارة، فأشفق على هؤلاء جميعا ، وعمل على التخفيف عنهم وتيسير سبل اقامتهم في بلده والترويح عن أنفسهم ، فبنى لهم دارا سماها دار الضيافة ، زودها بكل ما يحتاج اليه الضيف في اقامته من مآكل ومشرب وأماكن للنوم ، وألحق بالدار المطابخ لاعداد الأطعمة والأشربة للضيوف ، وخصص للدار مائة ألف دينار سنويا تنفق لهذا الغرض، فكان كل وافد يقيم في الدار ما شاء له أن يقيم ، فكان يجد الأمن والطمأنينة على نفسه وماله . ولم يكتف مظفر الدين بهذا ، وانما كان يدفع لكل ضيف فقير يعزم على مغادرة اربل تقفة لسفره ، كل على حسب احتياجاته (١) .

كذلك امتد بره الى فقراء المسلمين في الحرمين الشريفين مكة والمدينة ، فان فقراء هاتين المدينتين العزيزتين على المسلمين جميعا كانوا في حاجة الى معونة المسلمين لمحل أراضيهم وجذب بلادهم ، فكان الطعام والكساء يأتيان اليهم من مختلف البلاد الاسلامية تقريبا من المسلمين الى الله ، فالمسلمون في بقاع العالم الاسلامي المختلفة ، يكرمون أهل مكة اكراما لبيت الله الحرام ، ويبرون أهل المدينة محبة في رسول الله صلى الله عليه وسلم . لذلك كانت المدينتان المقدستان محل رعاية مظفر الدين وعنايته، فكان يرسل الى فقرائهما كل سنة غداء وكساء بما قيمته ثلاثون

(١) وفيات الاعيان ، ج ٣ / ص ٢٧٣ ؛ مرآة الزمان ، ج ٨ / ص ٦٨٣ .

ألف دينار توزع عليهم ، سوى ما كان يير به من أخنى عليه الدر بعد عز ونعمة ، فكان هؤلاء ييرهم سرا صونا لماء وجوهم من ذل السؤال ، وضنا بكرامتهم أن تمتهن (١) .

ولمظفر الدين مائة أخرى في مكة والمدينة ، وذلك أن الماء قليل في المدينتين ، وكان الماء يقل فيهما في موسم الحج لكثرة الحجاج وحاجتهم اليه ، فلمس مظفر الدين ما يقاسيه أهل المدينتين من مشقة حصولهم على الماء مع مزاحمة الحجاج لهم في موسم الحج ، فبنى في المدينتين خزانات لخزن ماء المطر ، حتى يتوفر لسكانهما الماء على مدار السنة (٢) . كذلك كان ينفق عشرة آلاف دينار على السيل ، وألف دينار برسم اجراء الماء الى البرك يعرفات (٣) .

وكان الأسرى المسلمون الذين يقعون في قبضة الصليبيين شغل مظفر الدين الشاغل ، وكان أمرهم يثيره ويزعجه . فقد عاش مظفر الدين — كما سبق أن ذكرنا — في عصر الحروب الصليبية، وخاض غمار كثير من معاركها بنفسه ، فكان يرى المسلمين يقعون أسرى في أيدي الصليبيين بالعشرات والمئات . وكان قبل أن يلى ملك اربل يعجز عن مساعدة الأسرى لضعف حيلته وقلة موارده المالية ، فلما أن ملك اربل ، لم يتوان في شراء حرية عدد كبير منهم في كل سنة ، فكان يرسل نوابه الى الصليبيين ، مرتين في

(١) مرآة الزمان ، ج ٨/ص ٦٨٣ .

(٢) وفيات الأعيان ، ج ٣/ص ٢٧٣ .

(٣) مرآة الزمان ، ج ٨/ص ٦٨٢ .

السنة لشراء حرية عدد من المسلمين المأسورين عندهم ، وقد أحصى ما كان يدفعه كل سنة من المال ثمنا لحرية اخوانه في الدين، فبلغ مائة ألف دينار ، أما الأسرى الذين خلصهم من الأسر مدة حكمه فبلغوا ستين ألف أسير ما بين رجل وامرأة . وكان اذا نفذ منه المال ، يبيع ما عنده من المجوهرات في دمشق ويشترى بها حرية الأسارى . وكان نوابه يخبرون الأسير بعد أن يطلق سراحه بين أن يعود الى بلده وأهله ، أو أن يسير معهم الى اربل والاقامة بها ، فمن كان يرغب منهم في العودة الى أهله وبلده ، كانوا يزودونه بالمال اللازم حتى يبلغ مأمنه ، وأما من كان يرغب الإقامة في اربل ، فكانوا يأخذونه معهم اليها ، فكان مظفر الدين ير هؤلاء الأسرى برا كريما ، ويقوم لهم بكل ما يحتاجون اليه من مسكن ومطعم وكساء (١) ، فحفظ هؤلاء المسلمين من التشرذم والضياع ، فكان منهم من فقد أهله ، ومنهم من فقد ماله ، ومنهم من احتل الصليبيون بلاده .

الجانب الثقافى :

والى جانب هذين الجانبين ، جانب الانشاء والتعمير والجانب الاجتماعى الانسانى ، وهما جانبان عظيمان كما قد رأينا ، كان هناك الجانب الثقافى .

وليس من السهولة تقييم الحركة الثقافية في اربل قبل عصر مظفر الدين ، وذلك لقلّة ما كتب عن اربل قبل عصره ، وانما على

(١) وفيات الأعيان ، ج ٣ / ص ٢٧٣ ؛ مرآة الزمان ، ج ٨ / ص ٦٨٢ .

ضوء التراجم القليلة التي مرت بنا لبعض الشخصيات الاربلية المولد ، يؤكد وجود مدارس في اربل ، وأن هذه الشخصيات تلقت علومها الأولى في مدارس اربل ، ثم رحلوا الى العواصم الاسلامية يستزيدون من مناهلها العلمية ، فكان منهم الفقهاء ، والقضاة ، ورجال الافتاء ، والأدباء ، والشعراء .

وقد سار مظفر الدين على سنة من سبقه في انشاء المدارس ، فأنشأ مدرسة باسمه لتدريس الفقهاء الشافعي والحنفي ، وكان يدرس فيها أيضا ، التفسير ، والحديث ، والنحو ، فالت من الشهرة ما فاقت به مدارس اربل كلها بسبب اهتمام مظفر الدين بها وشهرة شيوخها ومدرسيها ، فمن الذين درسوا بها :

محمد بن ابراهيم بن أبي بكر بن خلكان المتوفى سنة ٦١٠ ، وهو والد قاضي القضاة والمؤرخ المعروف ابن خلكان صاحب كتاب « وفيات الأعيان » (١) .

كذلك درس بها أخوه عمر بن ابراهيم ، المتوفى سنة ٦٠٩ ، وهو عم ابن خلكان المؤرخ (٢) .

وبعد وفاة والد ابن خلكان ، درس بها أبو الفضل أحمد بن موسى بن يونس بن منعة ، المتوفى سنة ٦٢٢ ، وقد درس ابن خلكان المؤرخ على ابن منعة هذا ، وكان يحضر دروسه وهو صغير . ويذكر ابن خلكان عن أبي الفضل ، أنه « كان اماما كبيرا

(١) وفيات الأعيان ، ج ١/ص ٩٠ . ترجمة أحمد بن موسى ابن منعة الاربلي .

(٢) طبقات الشافعية ، ج ٥/ص ١٣٠ .

فاضلا عاقلا حسن السميت جميل المنظر . وأنه « كان كثير المحفوظات غزير المادة » ، وكان ابن خلكان يعجب بالقائه ، فيقول : « وما سمعت أحدا يلقي الدروس مثله . وظل ابن منعة يلقي الدروس بمدرسة مظفر الدين حتى سنة ٦١٧ ، ثم سار الى الحج ، ولما عاد انتقل الى الموصل (١) .

كذلك درّس بها أبو العباس الخضر بن نصر الأربلي الشافعي المتوفى سنة ٦١٩ ، وكان أبو العباس متقنا في العلوم ، وله تصانيف حسنة في التفسير والفقهاء ، واتفق بعلمه خلق كثير (٢) .
وعبد اللطيف بن أبي النجيب السهروردي ، ومن تلاميذه الحافظ محمد بن عبد الغنى المعروف بابن تقطة (٣) .

ومحمد بن هبة الله النحوي ، ومن تلاميذه مجد الدين أحمد ابن علي بن أبي غالب الأربلي النحوي المعدل ، وقد توفي سنة ٦٥٧ (٤) .

وقد تخرج على مدرسة مظفر الدين عدد كبير من أبناء أربيل ، حصلوا علومهم الأولى فيها ، ثم رحلوا الى العواصم الاسلامية الكبرى يعترفون من ينابيعها العلمية حتى وصلوا الى أكبر المراتب العلمية والأدبية ، نذكر منهم على سبيل المثال :
فمن الفقهاء : أبو القاسم نصر بن عقيل بن نصر الأربلي ،

-
- (١) وفيات الأعيان ، ج ١ / ص ٩٠ .
 - (٢) شذرات الذهب ، ج ١٤ / ص ١٣٣ .
 - (٣) شذرات الذهب ، ج ٥ / ص ٨٦ .
 - (٤) البداية والنهاية ، ج ١٢ / ص ٢٨٧ .

المتوفى سنة ٦١٩ . وقد ولد أبو القاسم بإربل سنة ٥٣٤ ، وتفقّه بها على عمه أبي العباس الخضر ، ثم توجه إلى بغداد سنة ٦٠٠ ، ويبدو أنه شغل إحدى الوظائف بها ، ولعلها وظيفة التدريس . فاستاء منه مظفر الدين — لسبب لم يذكره المرجع (١) — فاستولى على أملاكه . وظل أبو القاسم في بغداد حتى سنة ٦٠٦ ، ثم غادرها إلى الموصل وأقام بها حتى مات .

ومن المفسرين : أبو العباس الخضر بن نصر الأربلي الشافعي ، المتوفى سنة ٦١٩ (وقد ذكرناه من قبل) (٢) .

ومن المفتين : كمال الدين سلار بن الحسن بن عمر بن سعيد الأربلي ، المتوفى سنة ٦٧٠ ، ويذكره العماد الحنبلي بأنه ، « مفتى الشام ومفيده » . ويقول عنه الشريف عز الدين ، انه « كان عليه مدار الفتوى بالشام في وقته ، ولم يكن في بلاد الشام مثله » (٣) .

ومن القراء : أبو الحسن علي بن عبد العزيز الأربلي ، ومن تلاميذه الامام شعلة بن محمد شارح الشاطبية ، والمتوفى سنة ٦٥٦ (٤) .

(١) نص المرجع : « ثم توجه إلى بغداد سنة ستمائة ، فأذاه بتوليها مظفر الدين واستولى على أملاكه ... » (شذرات الذهب ، ج ٦ / ص ٨٦) ويلاحظ أن هناك عبارة سقطت من النص ، وهي « الوظيفة التي وليها أبو القاسم » .

- (٢) شذرات الذهب ، ج ٥ / ص ٨٦ .
- (٣) شذرات الذهب ، ج ٥ / ص ٣٣١ .
- (٤) شذرات الذهب ، ج ٥ / ص ٦٦١ .

ومن القضاة : أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان ، المتوفى سنة ٦٨١ ، تفقه على والده بمدرسة اربل ، ثم انتقل بعد موت أبيه الى الموصل ، وحضر دروس الامام كمال الدين بن يونس ، ثم انتقل الى حلب وأقام عند الشيخ بهاء الدين أبي المحاسن يوسف ابن شداد وتفقه عليه ، وقرأ النحو على أبي البقاء يعيث بن علي النحوى . ثم قدم دمشق واشتغل على ابن الصلاح . ثم انتقل الى القاهرة وناب في الحكم ، ثم ولى قضاء المحلة ، ثم قضاء الشام . ومن مصنفاته فى التاريخ « وفيات الأعيان » ، وكان أدبياً شاعراً (١) .

ومن اللغويين : أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الهذبانى الاربلى اللغوى ، المتوفى سنة ٦٥٦ ، وكان يعرف اللغة ويقرئها ، وكان محدثاً أيضاً . وكان الملك المعظم عيسى الأيوبى صاحب دمشق ، قد أمر الجمال عبد الله بن الحافظ عبد الغنى أن يرتب مسند الامام أحمد بن حنبل على أبواب الفقه ، فاستعان بجماعة من المحدثين ، منهم الحسين بن إبراهيم (٢) .

ومن النحويين : شمس الدين بن الخباز النحوى ، وهو أبو عبد الله أحمد بن الحسين بن أحمد بن معالى الاربلى ، المتوفى سنة ٦٣٩ ، نشأ باربيل وتعلم بها ، ثم انتقل الى الموصل وأقام بها ، وله تصانيف فى الأدب (٣) .

(١) طبقات الشافعية ، ج ٥ / ص ١٤ .

(٢) شذرات الذهب ، ج ٥ / ص ٢٧٤ ، مرآة الزمان ، ج ٨ /

ص ٦٤٣ .

(٣) شذرات الذهب ، ج ٥ / ص ٢٠٢ .

ومن الأدباء : العلامة مجد الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن عمر الأربلي الحنفي الأديب . ولد بباربل سنة ٦٠٢ ونشأ بها ، وتلقى دروسه الأولى على مشايخها ، ثم استكمل دروسه على علماء بغداد ودمشق — ثم اشتغل بالتدريس بالمدرسة القيارية بدمشق — وله ديوان مشهور ، ونظمه رائق مع الجلالة والديانة التامة (١) .

ومن المؤرخين : المؤرخ المعروف ابن خلكان ، وقد ذكرناه من قبل في كلامنا عن القضاة .

والى جانب مدرسة مظفر الدين ، كانت هناك المجالس والندوات الدينية والأدبية . وكانت المجالس والندوات الدينية يعقدها مظفر الدين لتغلب نشأته الدينية عليه . يقول ابن خلكان ، ان مظفر الدين كان شديد الميل الى أهل السنة والجماعة ، لا ينفق عنده من أرباب العلوم سوى الفقهاء والمحدثين ، ومن عداهما لا يعطيه شيئاً الا تكلفاً ، وكذلك الشعراء لا يقول بهم ولا يعطيهم الا اذا قصدوه ، فما كان يضيع قصدهم ولا يخيب أمل من يطلب بره (٢) . وكان أحب علم من العلوم الدينية الى مظفر الدين هو « الحديث » ومحبه لأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام تتفق ومحبه للنبي ، ولذلك كان يكثر من مجالسة المحدثين والاستماع اليهم . يذكر سبط ابن الجوزي ، أن مظفر الدين سمع مسند الامام أحمد بن حنبل كله من المحدث حنبل بن عبد الله بن سعادة

(١) شذرات الذهب ، ج ٥ / ص ٣٥٩ .

(٢) وفيات الأعيان ، ج ٣ / ص ٢٧٦ .

المكبر المتوفى سنة ٦٠٤ (١) ، ولولعه بالحديث أنشأ مدرسة لتدريسه في مدينة الموصل (٢) ، وان كنا لا ندرى سبب انشائها في هذه المدينة ولم ينشئها في اربل ، اللهم الا أن يكون قد رأى أن الاستفادة منها في الموصل أكبر منها في اربل لاتساع الموصل وكثرة سكانها والمتريدين عليها .

وكان لفرط محبته للنبي ، يحتفل بذكرى مولده عليه الصلاة والسلام كل سنة الاحتفال الذي وصفناه من قبل . وقد حدث أن عجل أبو الخطاب عمر بن الحسين بن دحية مدينة اربل في سنة ٦٠٤ هـ ، وهو في طريقه من نيسابور الى خراسان ، وتصادف يوم دخوله اليها أن الاحتفال بالمولد النبوي كان قائما على قدم وساق ، فبهره ما رأى من عظمة الاحتفال وروعته ، فأقام بالمدينة أياما ، ألف خلالها كتابا في مولد النبي سماه « التنوير في مولد السراج المنير » وقدمه لمظفر الدين وقرأه عليه بنفسه ، ففرح به مظفر الدين فرحا شديدا ، وأجاز مؤلفه عليه ألف دينار ، وغمره بالهدايا اللطيفة والنفقات الجزيلة (٣) . وأصبح هذا الكتاب شغل مظفر الدين الشاغل ، فكان يكثر من قراءته ويسمعه الى كل صيف كبير يفد عليه وكان يقرأه عليه بنفسه . يقول ابن خلكان ،

(١) مرآة الزمان ، ج ٨ / ص ٥٣٧ ، ترجمة : حنبل بن عبد الله ابن الفرج الكبير .

(٢) الموصل في العهد الأتابكي ، ص ١٥٤ .

(٣) وفيات الأعيان ، ج ٣ / ص ٢٧٦ .

انه — آى ابن خلكان — سمع الكتاب على مظفر الدين فى ستة
مجالس فى جمادى الآخرة سنة ٦٣٦ (١) .

وكانت حياة مظفر الدين الخاصة ، كما سبق أن ذكرنا ، أقرب
الى حياة التصوف منها الى أية حياة أخرى ، فقد كان يكثّر من
الاجتماع بالمتصوفين فى المواسم وغير المواسم ، سواء فى الخاتاه
أو فى مدرسته التى أنشأها ، فكان يحضر معهم السماعات ، أى
حلقات الذكر ، وكان يشترك معهم فى هذه الحلقات ، وكان
يتواجد من الانفعال والحماس كما يتواجدون .

كذلك كان يجالس العلماء والفقهاء وكل مشغول بالعلوم
الدينية ، فقد كان فى اربل — فى أيامه — نخبة طيبة من هؤلاء
العظماء ، أمثال : محمد بن ابراهيم والد ابن خلكان المؤرخ ،
وأخيه عمر بن ابراهيم ، وأبى الفضل أحمد بن موسى بن منعة ،
وأبى الخير بدل التبريزى ، والحسن الغنوى ، وشرف الدين
الذى كان يشتغل بالحكميات .

وإذا كانت الصفة الغالبة لثقافة مظفر الدين ثقافة دينية ،
الا أنه كان يميل الى علم التاريخ ، فكان يطالع فيه ويستمع الى
رواته . يقول ابن خلكان ، ان مظفر الدين « كان يميل الى علم
التاريخ وعلى خاطره شىء منه » (٢) . ومعنى هذا أن مظفر الدين
كان يشترك فى بعض الندوات الأدبية التى كانت تعقد فى دور
الأدباء وكبار رجال الدولة ممن يتذوقون الأدب .

(١) وفيات الاعيان ، ج ٣/ص ١٢٢ .

(٢) وفيات الاعيان ، ج ٣/ص ٢٧٦ .

وقد كان الى جانب المجالس والندوات الدينية التي كان يعقدها مظفر الدين مع الفقهاء والمحدثين والصوفية ، كانت هناك ندوات أدبية تعقد في بيوت الأثرياء ورجال الدولة الذين لهم نصيب كبير من العلوم الأدبية ، أمثال : ابن المستوفى ، ومجد الدين أسعد الشيباني ، والحاجري الشاعر ، وغيرهم من الأدباء والشعراء .

وكان ابن المستوفى وهو أبو البركات المبارك بن أبي الفتح أحمد ، آخر وزراء اربل على عهد مظفر الدين ، وكان أدبيا كبيرا يتذوق الأدب والشعر وكان محدثا نحويا لغويا عروضيا شاعرا أيضا ، وكان يعقد الندوات الأدبية فيجتمع عنده الأدباء والشعراء والفقهاء . وابن المستوفى اربلى المولد والموطن ، ولد باربل في منتصف شهر شوال سنة ٥٦٤ هـ ، وهو من بيت كبير كان فيه جماعة من الرؤساء الأدباء . وتولى والده وعمه صفى الدين أبو الحسن على بن المبارك منصب الاستيفاء في اربل ، وكان عمه هذا يتقن اللغتين العربية والفارسية ، فنقل كتاب « نصيحة الملوك » لحجة الاسلام الغزالي الى اللغة العربية ، وكان الغزالي قد ألف الكتاب باللغة الفارسية . وقد شغل ابن المستوفى منصب الاستيفاء في اربل حتى سنة ٦٢٨ ، ثم عينه مظفر الدين وزيرا له . ويترجم له ابن خلكان ، فيقول : « وكان رئيسا جليل القدر ، كثير التواضع ، واسع الكرم ، لم يصل الى اربل أحد من الفضلاء الا بادر الى زيارته وحمل اليه ما يليق بحاله ويقرب الى قلبه بكل طريق ، وخصوصا أرباب الأدب ، فقد كانت سوقهم

لديه نافقة . وكان جهم الفضائل ، عارفا بعدة فنون ، منها : الحديث وعلومه وأسماء رجاله وجميع ما يتعلق به وكان اماما فيه ؛ وكان ماهرا في فنون الأدب من النحو واللغة والعروض والقوافي وعلم البيان ؛ وأشعار العرب وأخبارها وأيامها ووقائعها وأمثالها ؛ وكان بارعا في علم الديوان وحسابه وضبط قوانينه على الأوضاع المعتبرة عندهم» (١) .

وجمع ابن المستوفي تاريخا لمدينة اربل في أربعة مجلدات ، واستعان به ابن خلكان في تراجمه التي أوردها في كتابه « وفيات الأعيان » (٢) ، وكتاب ابن المستوفي ليس تاريخا بالمعنى المفهوم ، وإنما هو كتاب تراجم ، وهو مع ذلك مفقود .

وكان ابن المستوفي يعقد المجالس العلمية ، ويتحلق حوله المشايخ الواردين على اربل فكان يقرأ عليهم بنفسه ، وكثيرا ما حضر ابن خلكان مجالسه هذه وهو صغير وسمع منه (٣) .

وكان ابن المستوفي شاعرا ، وله ديوان شعر أجاد فيه ، ومن شعره بيتان فضل فيهما البياض على السمرة ، وهما :

لا تخذعنك سمرة غراره

ما الحسن الا للبياض وجسه

فالرمح يقتل بعضه من غيره

والسيف يقتل كله من نفسه (٤)

(١) وفيات الأعيان ، ج ٣ / ص ٢٩٤

(٢) وفيات الأعيان ، ج ٣ / ص ٢٩٤

(٣) وفيات الأعيان ، ج ٣ / ص ٢٩٤

(٤) وفيات الأعيان ، ج ٣ / ص ٢٩٤

وقد حدث أن اعتدى شخص على ابن المستوفى وهو عائد إلى داره ليلا فوثب عليه وضربه بسكين يريد أن يطعنه في قلبه ، فتلقى ابن المستوفى الضربة بعضده فجرحته جرحه متسعة ، فأحضر المزين وخاطها ومرخها (دهنها برهم) وقمطها باللفائف ، ثم كتب إلى مظفر الدين هذه الأبيات يخبره بما حدث له :

يا أيها الملك الذي سطواته من فعلها يتعجب المريخ
آيات جودك محكم تنزيلها لا ناسخ فيها ولا منسوخ
أشكو اليك وما بليت بمثلها شنعاء ذكر حديثها تاريخ
على ليلة ولدت فيها وشاهدي فيما ادعيت القمط والتاريخ^(١)

وحينما وفد الشرف عبد الرحمن بن أبي الحسن بن عيسى البوازيجي الشاعر على اربل في سنة ٦٢٨ ، وكان ابن المستوفى يوم ذلك وزيرا ، سير إلى الحسن مثلوما^(٢) على يد شخص كان في خدمته يقال له الكمال بن السعار الموصلى ، فجاء الكمال إلى الشاعر وقال له : الصاحب (أى ابن المستوفى) يسلم عليك ويقول لك : أتفق الساعة هذا حتى يجهز لك شيئا يصلحك ، فتوهم الشاعر أن يكون الكمال قد قرض القطعة من الدينار وأن شرف الدين ما سيره الا كاملا ، فأراد استعلام الحال من ابن المستوفى ، فكتب إليه :

(١) وفيات الأعيان ، ج ٣/ص ٢٩٤ .

(٢) المثلوم : عبارة عن دينار تقطع منه قطعة صغيرة ، وقد جرت بهذه القطع الصغيرة ويسمونها « القراضة » ، كذلك يتعاملون بهذه القطع الصغيرة ويسمونها « القراضة » ، كذلك يتعاملون بالدينار المثلوم . (وفيات الأعيان ، ج ٣/ص ٢٩٤) .

يا أيها المولى الوزير ومن به في الجود حقا تضرب الأمثال
أرسلت بدر التم عند كماله حسنا فوافى العبد وهو هلال
ما غاله النقصان الا أنه بلغ الكمال ، كذلك الآجال
فأعجب ابن المستوفى بهذا المعنى وحسن الاتفاق ، وأجاز
الشاعر وأحسن إليه (١) .

وكان دار ابن المستوفى بمثابة صالون الأدب في أيامنا هذه ،
يجتمع عنده العلماء والأدباء والشعراء يتناظرون ويتساجلون
الشعر . وقد حدث أن أهدى مجد الدين أسعد بن ابراهيم رئيس
ديوان انشاء مظفر الدين ، ابن المستوفى في بعض الليالي طبقا فيه
تفاح مخضب وسفرجل على يد غلام جميل الصورة ، وكان عند
ابن المستوفى جماعة من الشعراء ، منهم عيسى بن سنجر الحاجري ،
فقال كل واحد من الحاضرين في ذلك شعرا ، فقال الحاجري :
أهدى لنا المجد تفاحا وأحمره

من خد من حمل التفاح مسترق
وللسفرجل من أعلاه رائحة
يضوع منها لمهديه ثنى عبق
فظلت أعجب من حالين كيف حوى

وصف الغلام ووصف السيد الطبق (٢)

وكان من يعرف ابن المستوفى من الشعراء لا يخاطبه الا بالشعر ،
من ذلك ، أن علاء الدين بن صالح الاربلى حاجب مظفر الدين ،

(١) وفيات الأعيان ، ج ٣ / ص ٢٩٤ .

(٢) ذيل مرآة الزمان ، ج ١ / ص ١١٢ .

على كل حال ، لما حبس مظفر الدين ، يعقوب النصراني
وولى مكانه المختص ، هجا مجد الدين كلا من يعقوب والمختص ،
فقال :

فرحنا بيعقوب اللعين وحبسه

وقلنا آتانا ما يطيب به القلب

فلما ولى المختص فالشر واحد

إذا ما مضى كلب أتى بعذه كلب^(١)

وسوف نذكر هجاءه اللاذع للموظفين في مناسبة أخرى

ستأتى في موضعها .

ويذكر اليونيني^(٢) ، أن مظفر الدين صحب معه مجد الدين
في رحلته الى بغداد في سنة ٦٣٩^(٣) ، فلما دخل مظفر الدين ومعه
مجد الدين على الخليفة المستنصر بالله ، تقدم المجد بين يدي الخليفة
وحياه بقوله :

جلالة هية هذا المقام تحيّر عالم علم الكلام
كأن المناجى به قائما يناجى النبي عليه السلام
ثم قال ثرا : « ولو كشف الغطا لرأينا الملائكة بك حافة ،

ووجدنا الروح الأمين يجدد تلاوة الوحي المنزل ، على ابن عم النبي
المرسل ، ويقول هذا أكرم الخلفاء وأفضل ، وصلاة الله وسلامه
يخصان الأكرم الأفضل » .

(١) ذيل مرآة الزمان ، ج ١ / ص ١١٧

(٢) ذيل مرآة الزمان ، ج ١ / ص ١١٧

(٣) انظر الفصل الثامن من الكتاب

ولو جمع الأئمة في مكان

وأنت به لكنت لهم اماما

« فالله تعالى يؤيد هذه الدولة الشريفة بنصره ، ويرد كيد عدوها في نحره » غير أن ابن شاكر الكتبي ، يذكر أن مجد الدين حيا الخليفة بهذه التحية ، في سفارة له بعثه بها مظفر الدين اليه ، ولم يذكر الكتبي تاريخ هذه السفارة وسببها (١) .

وعلى الجملة ، كان على عهد مظفر الدين حركة ثقافية دينية وأدبية ، لا نستطيع أن نقول انها كانت حركة واسعة ، ولكنها على كل حال وصلت الى مسامع جيرانه من البلاد المجاورة فأثارت اعجاب أهلها ، كذلك أثار اعجابهم سيرة مظفر الدين نفسه ومحفته لأهل العلم . وقد سبق أن ذكرنا أنه لما اتفق مظفر الدين مع علاء الدين قراسنقر صاحب مراغة للاستيلاء على بلاد أبي بكر بن البهلوان ، أن أيتغمش مملوك أبي بكر ، عاتب مظفر الدين في الرسالة التي بعثها اليه ، وقال له فيها : « اتنا كنا نسمع عنك انك تحب أهل العلم والخير وتحسن اليهم ، فكنا نعتقد فيك الخير والدين .. » ، وهذا دليل على ما كان يتمتع به مظفر الدين من سمعة طيبة ، الأمر الذي دفع كثيرا من الناس الى قصد اربل والاقامة بها اقامة دائمة أو اقامة مؤقتة ، فمن العلماء الذين أقاموا في اربل اقامة مؤقتة ، ابن سراق الشاطبي (٢) . وقد ولد ابن سراق بمدينة شاطبة من بلاد الأندلس ،

(١) فوات الوفيات ، ج ١ / ص ١٧ .

(٢) هو أبو بكر محيي الدين محمد بن محمد بن ابن الحسين .

ثم رحل منها الى مدينة حلب وولى مشيخة دار الحديث البهائية بها ، ثم سار منها الى مصر فتولى دار الحديث الكاملية بها ، وفي سنة ٦٣٦ أو ما قبلها رحل الى بغداد فى طلب الحديث ، وأثناء عودته منها دخل مدينة اربل فى سنة ٦٢٦ وأقام بها مدة ، قرأ أثناءها على المحدث أبى الخير بدل التبريزى . ويقول عنه اليوينى المؤرخ ، انه كان أحد الأئمة المشهورين بغزارة الفضل ، وكثرة العلم والجلالة والنبيل ، وكان مجبولا على كرم الأخلاق وترك التكلف ورقة الطبع ولين الجانب ، بالإضافة الى أنه كان شاعرا (١) .

ومن الذين أقاموا باربل اقامة دائمة وتوفى بها ، أبو حفص (٢) قاضى خلاط ، وكان أبو حفص فقيها شافعيًا ، وعالما أصوليا ، وواعظا ، وشاعرا . وكان حسن الكلام فى الوعظ والتذكير ، وله مصنفات فى علم الأصول ، وكان من محاسن القضاة وظرافهم ، وكان ذا عفاف ونزاهة ودين . ومن شعره :

وقفت وربيع العمامرية دائر

ودمعى ووجدى سابق متواتر

وقفت وذكرها تجدد لوعتى

وأبكى كما تبكى العوادى البواكر

وقد أورد له اليوينى أبياتا كثيرة من هذه القصيدة (٣) .

(١) ذيل مرآة الزمان ، ج ٢ / ص ٣٠٤ .

(٢) هو اسحاق بن هبة الله بن صديق بن محمود بن صالح .

(٣) ذيل مرآة الزمان ، ج ٢ / ص ٤٠١ .

ولم يقتصر مظفر الدين في بره وفعله للخير على اربل وحدها،
وانما تعداها الى الموصل ودمشق .

فأما في الموصل ، فقد سبق أن ذكرنا أنه بنى فيها دارا
لتدريس علم الحديث ، لينتفع بها أكبر عدد من الراغبين في
هذا العلم من طلاب وشيوخ ، وقد اشتهرت هذه الدار باسم
« دار الحديث المظفرية » ، نسبة الى منشئها مظفر الدين .

وأما في دمشق ، فقد بلغه — في سنة ٥٨٩ — أن رجلا
يقال له أبو داود محاسن شرع في بناء جامع بسفح جبل قاسيون
من ماله الخاص ، ولكن بعد أن ارتفع البناء مقدار قامة رجل ،
تهد مال الرجل فتوقف العمل في البناء ، فلما بلغ مظفر الدين
ذلك أرسل الى الشيخ أبي عمر شيخ المدرسة الفارسية — وكان
هو الذي يشرف على عملية البناء — مالا لاتمام بناء الجامع
فأتمه ، ثم رأى مظفر الدين أن يسوق الماء الى الجامع من
مكان يقال له « برزة » ، تيسيرا على المصلين في استعماله
للموضوء والنظافة ، فأرسل الى أبي عمر ألف دينار لهذا الغرض،
ولكن الملك المعظم عيسى الأيوبي — ملك دمشق — اعترض
على المشروع ، لأن تنفيذه يستدعى نبش قبور المسلمين ، لأن
الطريق الذي ستمتد فيه مواسير الماء كله قبور ، واقترح المعظم
أن يشتري الشيخ أبو عمر بغلا وأن يعملوا له مدارا لتزويد
الجامع بالماء ، ثم يشتري بما يفضل من المال مكانا يوقفوه على
اليغل والمدار للاتفاق عليهما ، وبذلك لا يؤذى أحد من المسلمين،
ففعل الشيخ ما اقترحه الملك المعظم . وقد أوقف مظفر الدين

وقوفا كثيرة على الجامع ، للاتفاق منها على صيائه ، وللصرف
منها على المدرسين والطلاب ، وما يحتاجه الجامع من خدمات^(١) ،
وقد حمل الجامع اسم مظفر الدين ، فكان يعرف في دمشق
باسم « الجامع المظفرى »^(٢) .

غير أنه برغم الخدمات الجليلة التي قدمها مظفر الدين لبلده
وشعبه ، لم يعد أن وجد قادحا يهجو هجاء قبيحا مرا ، هو
ياقوت الحموى صاحب كتاب معجم البلدان ، الذي سبق أن
أبدى اعجاباه به وبالاصلاحات الكبيرة التي أنشأها باربل^(٣) ،
فبرغم هذا الاعجاب يصفه بقوله : « وطباع هذا الأمير مختلفة
متضادة ، فانه كثير الظلم ، عسوف بالرعية ، راغب في أخذ
الأموال من غير وجهها ، وهو مع ذلك مفضل على الفقراء ،
كثير الصدقات على الغرباء ، يسير الأموال الجملة الوافرة
يستفك بها الأسارى المسلمين من أيدي الكفار (الصليبيين) ،
وفي ذلك يقول الشاعر :

كساعية للخير من كسب فرجها

لها الويل لا تزنى ولا تتصدق^(٤)

ويتقل ابن واصل في كتابه « مفرج الكروب » عن ياقوت

(١) مرآة الزمان ، ج ٨ / ص ٥١٠ .

(٢) البداية والنهاية ، ج ١٣ / ص ١٣٧ .

(٣) انظر ما سبق ، ص ٢١٧ .

(٤) معجم البلدان : مادة أربل .

تجريحه لمظفر الدين ، فيقول : « كان مظفر الدين ملكا جليلا شجاعا مقداما ، ذا همة عالية وبأس شديد ، الا أنه كان فيه ظلم وعسف وانجحاح في استخراج الأموال ، ومع هذا ، فكانت له صدقات دارة ومعروف كثير » (١) .

وعجيب من ياقوت وابن واصل أن يصفنا مظفر الدين بالظلم والعسف لمصادرتة بعض الناس ، وأن يفوتها مغزى عمل مظفر الدين وسببه ، خاصة وأنهما قد عاشا في عصر كانت مصادرة الحكام لطبقة خاصة من الناس تقليدا أخذ حكم القانون لعقاب من يستحق العقاب . والأعجب من ذلك ، أنهما ردا على أنفسهما اتهامهما لمظفر الدين ، فبالرغم من أنهما يصفانه بالظلم والعسف واستخراج الأموال من بعض الناس ، يذكران أوجه صرفها ، وهي أوجه الخير والبر ، ومعنى هذا أن مظفر الدين لم يستحوذ على الأموال المصادرة لنفسه ، ولم يكتنزها في خزائنه ، أو ينفقها على ملذاته وشهواته ، وإنما كان — كما يقرران — ينفقها على أبواب الخير ، كان ينفقها على الفقراء والمحتاجين ، وشراء حرية الأسارى المسلمين من الصليبيين .

وإذا عرفنا أى نوع من الناس كان مظفر الدين يصادر أموالهم ، استطعنا تحديد سبب المصادرة ، فانه كان يصادر أموال المستغلين من موظفيه الذين كانوا يثرون على حساب الشعب عن طريق الرشاوى والسرقه والاعتداء على حقوق الضعفاء ، ولعله كان يصادر أيضا التجار الجشعين الذين كانوا يحتكرون

(١) مفرج الكروب ، ج ٢ / لوحة ٢٨٩ (مخطوط) .

باحتياجات الشعب من غذاء وكساء فيضيقون على الناس سبل معيشتهم ، فكان مظفر الدين يصادر أموال أمثال هؤلاء الناس ويردها الى الشعب ، أى أنه كان يعيد الى الشعب حقه المسلوب .

وقد قيض الله لمظفر الدين من يدافع عنه من معاصريه وأن يفهم حكمة المصادرة على وجهها الصحيح ، وأعنى به سبط ابن الجوزى المؤرخ المعاصر لمظفر الدين ، فقد فهم هذا المؤرخ معنى مصادرة مظفر الدين أموال بعض الناس ، بل انه يحدد الناس الذين كان يصادرهم ، حيث يقول بعد أن يذكر ما كان ينفقه مظفر الدين على أبواب البر : « قلت : ومع هذه المناقب فلا يسلم من ألسنة الناس ، ويقولون : هذا يصادر ديوانه ودواوينه وكتابه (أى موظفيه وعماله) ويستأصلهم ، ولعله اطلع منهم على جنایات (أى خيانات) فرأى أخذ الأموال واتفاقها فى البر والقربات أولى ، وذكروا أشياء أخر ، من ذا من ألسنة الناس يسلم ؟ اللهم غفرا » (١) .

ويمدنا اليونينى المؤرخ ببعض المعلومات عن سوء تصرف الموظفين واستغلالهم نفوذهم فيما أورده على لسان مجد الدين أسعد بن ابراهيم كاتب ديوان انشاء مظفر الدين ، وهو يعدد مساوئهم :

قد قسنا الديوان خمسة أقسا

م عليها لكل قول دليل

(١) مرآة الزمان ، ج ٨ / ص ٦٨٤ .

رب حق فلا يطاع ومنسو
ب الى الظلم قوله مقبول
ثم شخص كأنه الحرف في النحـ
وقلا فاعل ولا منفعول
ومصرّة على التحيف والظلم
بعيّد عن الصواب جهول
وأخو حاجة يمشى أحوا
لا لديه ان جاءه البرطيل
أتراهم لم يعلموا أن كلا

منهم عن فعالة مسؤل (١)
وحبس وزير اربل موظفى الديوان لتلاعبهم في حساب
الدولة ، فقال مجد الدين يهجوهم :

جماعة الديوان في ليلة شحط مظلمة
وقد غدت أيدي الوز ير منهم منتقمة
لا رحيم الله الذى يرحم قوما ظلمة
وقال أيضا :

جماعة ديواننا أصبحوا وهم في العذاب لسوء الحساب
فان يرجو الوزير الثواب فقتلهم من جزيل الثواب (٢)
ومجد الدين هذا ، وان كان قد هجا الموظفين وكشف عن
سوءهم ، فانه كان أيضا سييء السيرة ، ويبدو أنه كان يقترف

(١) ذيل مرآة الزمان ، ج ١/ص ١١٦

(٢) ذيل مرآة الزمان ، ج ١/ص ١١٧

من المساوىء ما كان يقترفه الموظفون من استغلال النفوذ ، فضلا عن أنه كان سىء المعاملة لمن يعرفه حتى كرهه الناس وهجاه بعضهم هجاء قبيحا ، مما جعل مظفر الدين يقدم على القبض عليه وحبسه فى احدى القلاع . يقول اليونينى المؤرخ عن مجد الدين : « وكان مجد الدين من الفضلاء الرؤساء والأعيان ، غير أنه كان مذموم المعاملة لأهل بلده ومعارفه ، لا ينصفهم فى الوداد ويتكبر عليهم ، فهجاه غير واحد بأهاجى قبيحة أضربنا عن ذكرها » (١) .

(١) ذيل مرآة الزمان ، ج ١ / ص ١٢٤ .

الفصل الثامن وفاء مظفر الدين

ظل مظفر الدين يحكم مدينة اربل مدة نصف قرن من الزمان حتى جاوز من العمر الثمانين عاما ، خدم فيه امارته وشعبه خدمات جليلة ، وكان أثناء حكمه مثال الحاكم المصلح المستنير الذي كرس حياته وبذل جهده لاسعاد الشعب الذي رضى به حاكما .

حتى اذا كان يوم الأربعاء الثامن عشر من شهر رمضان سنة ٦٣٠ هـ (١٢٣٢ م) فارق مظفر الدين الحياة^(١) ، بعد أن اطمأن الى أنه وضع امارته وشعبه في يد أمينة ، هي يد الخليفة المستنصر بالله العباسي .

ذلك ، أنه لم يقدر لمظفر الدين أن ينجب وريثا لدولته ، كذلك لم يكن هناك من يرثه من أسرته سوى عماد الدين زنكي زوج ابنته ، ولكن مظفر الدين يعلم أنه لا يصلح لحكم اربل وأعمالها ، فأثر أن يورثها للخليفة .

(١). وفيات الأعيان ، ج ٣/ص ٢٧٦ .

ويبدو أن وراثة أربل من بعده كانت تشغله قبل وفاته بسنوات ، وأنه انتهى في سنة ٦٢٧ الى أن يورثها للخليفة المستنصر وأنه جرت مفاوضات بينه وبين الخليفة انتهت بالاتفاق بينهما ، نستنتج هذا من خبر ذكره المؤرخ ابن الفوطى ، بأن الخليفة أرسل الى مظفر الدين في سنة ٦٢٧ ، رسولين هما : محيي الدين يوسف بن الجوزى ، وسعد الدين حسن بن الحاجب على ، دون أن يذكر ابن الفوطى سبب ارسالهما اليه . ثم يذكر ابن الفوطى أيضا ، أن مظفر الدين سار معهما الى بغداد في شهر المحرم سنة ٦٢٨ ، ونرجح هنا ، أن مهمة الرسولين كانت لتقرير قواعد الوراثة مع مظفر الدين ، فلما تقررت القواعد بينهم ، سار مظفر الدين الى بغداد بصحبة الرسولين لمقابلة الخليفة ، وابلأغه رسميا ما عزم عليه توريثه مدينة اربل .

ويصف ابن الفوطى مراسيم استقبال بغداد لمظفر الدين ، فيقول : ان مظفر الدين استقبل استقبالا رسميا ، فقد خرج نائب الوزارة فخر الدين أحمد بن مؤيد الدين القمى والأمراء والقضاة والمدرسون وجميع أرباب المناصب الكبيرة ، فاستقبلوه جميعا على بعد فرسخ من بغداد ، ثم سار الموكب حتى وصل سور المدينة ، حيث كان ينتظره الوزير لاستقباله ، فلما تقابل الوزير ومظفر الدين وجها لوجه تعانقا وكل منهما راكب فرسه ، وبعد أن تبادلوا التحية ترجل كل منهما ليقرأ الوزير على مظفر الدين تحية الخليفة له . قال الوزير : « لما انتهى الى مقار العز

والجلال ، ومعدن الرحمة والكرم والافضال — لا زالت
الأبواب الشريفة ملجأ للقاصدين ، والأعتاب المنيفة منهلا
للواردين — وصولك يا مظفر الدين ، رسم — أعلى الله المراسم
الشريفة وأسمائها ، وأنفذ أوامرها في مشارق الأرض ومغاربها
وأَمْضَاهَا — قصدك وتلقيك ، واحماد مساعيك ، اكراما لك
واحتراما لجنابك ، فتقابل ما شملك من الانعام بتقبيل الرغام ،
والدعاء الصالح الوافر الاتسام ، المفترض على كافة الأنام ،
والله ولى أمير المؤمنين .

ولما انتهى الوزير من ابلاغ مظفر الدين تحية الخليفة له ،
انحنى مظفر الدين وقبل الأرض مرارا (حسب مراسيم ذلك
العصر) ردا على تحية الخليفة له ، ثم انتظم الموكب ودخل
بغداد ، فلما وصل « باب النوبى » ترجل مظفر الدين ثانية ،
وانحنى يقبل الأرض تحية منه للخليفة عن بعد ، وهنا ترك
الوزير ، مظفر الدين وسار الى دار الوزارة ، لكي يكون في
استقباله هناك .

وأما مظفر الدين ، فانه ركب بعد أن أدى التحية للخليفة ،
وسار الى دار الوزارة برفقة أبى الفضل بن الناقد أحد حجاب
المناطق بالديوان ، فاستقبله الوزير ابن القمى استقبالا رسميا ،
ومكث معه بعض الوقت ، ثم تركه وسار وبصحبه ولده وجميع
أرباب الدولة والأمراء الى دار الخلافة ليكونوا في استقبال
مظفر الدين حين يأتى لمقابلة الخليفة .

ويصف ابن الفوطى دخول كبار رجال الدولة الى دار الخلافة على النحو التالى : دخل مؤيد الدين الوزير وابنه وخواصه من الباب القائى بالمشرفة . وأما الولاة والأمراء فانهم دخلوا من باب عليان وباب الحرم ، ثم انتهى الجميع الى تحت التاج على شاطيء دجلة ، ووقفوا تحت الدار الشاطئية ذات الشبايك .

أما مظفر الدين ، فان الوزير أرسل اليه الأمير ألب قرا الظاهرى وأحد خدم الخليفة الى دار الوزارة ليكونا فى صحبته الى دار الخلافة ، فسار مظفر الدين معهما فى موكب حتى وصل الى دار الخلافة ، فاستقبله من هناك من رجال الدولة ، ثم اتجهوا جميعا الى الشباك الأوسط ووقفوا أمامه ، فرفعت عندئذ الستارة عن الشباك ، فظهر الخليفة وهو جالس وراءه ، فانحنى الجميع يقبلون الأرض تحية له .

وكان قد نصب تحت الشباك الأوسط كرسى ذو درج ليصعد عليه من يريد أن يرى الخليفة من قرب أو يصادته ، فلما رفعت الستارة ، صعد الى الكرسى كل من مظفر الدين والوزير وابن الناقد استاذ الدار . فلما رأى مظفر الدين الخليفة ، سلم عليه — حسب المراسيم المتبعة — وذلك بأن أشار بيده الى الشباك ، ثم تلا الآية الكريمة ، (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى) ، فرد الخليفة عليه السلام ، فقبل مظفر الدين الأرض مرارا تحية له ، ثم اتبع الخليفة سلامه بشكر مظفر الدين

على زيارته ، فعاد مظفر الدين الانحناء وتقبيل الأرض ، ثم أسدلت الستارة على الشباك ، اعلانا بانتهاء المقابلة ، فأخذ مظفر الدين الى حجرة ، حيث تسلم خِلاَع (هدايا) الخليفة المعدة لمثل هذه المناسبة ، وكانت الخلعة عبارة عن سيفين وفرس بمركب ذهب . ثم عاد مظفر الدين الى دار الضيافة المعدة لنزوله بنفس الموكب ، وقد رفع وراءه صنجان مذهبان ، والناس تسير بين يديه حتى وصل دار الضيافة ، وأما حاشيته فقد نزلوا في عدة دور ، وأما عسكريه فقد أقاموا في مخيم أعد لهم بظاهر المدينة .

وكان مظفر الدين في مدة اقامته ببغداد ، موضع حفاوة كبار رجال الدولة فيها ، فأقاموا له عدة مآدب حافلة .

واتتهز مظفر الدين فرصة وجوده في بغداد ، فزار الأماكن الدينية فيها ، كالربط والخانقاهات ، واجتمع بالصوفية والمنقطعين للعبادة ، فكان كلما زار مكانا من هذه الأماكن ، احتفى به وأقيمت له المآدب الفاخرة .

ثم تحدد منتصف شهر المحرم لزيارة مظفر الدين للخليفة للمرة الثانية ، وجرت الزيارة على نفس مراسيم الزيارة الأولى وفي نفس المكان ، ولما ارتقى مظفر الدين الدرج ووقف أمام الخليفة ، خاطبه الخليفة بما طابت به نفسه ، فحصى مظفر الدين الخليفة بتقبيل الأرض ودعا له ، ثم قرأ الآية الكريمة . (يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) . ثم أسدلت الستارة بانتهاء المقابلة ، فأدخل مظفر الدين مرة أخرى

الى حجرة الخلع ، وأهدى له كوسات (١) وأعلام ، ومنحه الخليفة خمسين ألف دينار نفقة الطريق له ولحاشيته وعشرة آلاف دينار لجنده . ثم سار مظفر الدين بعد ذلك الى دار الوزارة ، فحضر أفراد حاشيته ، فأنعّم عليهم بالخلع والهدايا ، ثم عاد مظفر الدين بعد أيام الى اربل وبصحبه سعد الدين حسين ابن الحاجب علىّ ومحبي الدين يوسف بن الجوزى ليحضرا تحليف مظفر الدين أمراءه وأعيان اربل على طاعة الخليفة وتسليمه المدينة بعد وفاته (٢) . ومعنى هذا أن الاتفاق كان قد تم بين مظفر الدين والخليفة على وراثة اربل ، ويؤكد هذا ما ذكره سبط بن الجوزى ، بأن مظفر الدين عندما قدم بغداد ، كان معه مفاتيح اربل والقلاع ، وذلك لتسليمها الى الخليفة ، اعلانا منه بأن المدينة والقلاع أصبحت للخليفة بعد وفاته (٣) .

ولكن بعد أن توفي مظفر الدين ، حدثت أزمة تسببت عنها أضرار بليغة لمدينة اربل وأهلها ، ذلك أنه كان بقلعة اربل خادمان لمظفر الدين ، فلما اشتد بمظفر الدين المرض ، أرسل الى كل من الخليفة وعماد الدين زنكى — زوج ابنة مظفر الدين — والملك الصالح نجم الدين أيوب ، بقرب وفاة مظفر الدين ، وأنذرا كلا منهم بأنه « من سبق الينا كانت منتنا عليه » ، الا أن هوى

(١) الكوسات : صنوج من نحاس تشبه الترس الصغير ، يدق بأحدها على الآخر بايقاع مخصوص . (صبح الأعشى ، ج ٤ / ص ١٣/٩) .

(٢) الحوادث الجامعة ، ص ١٩ - ٢٣ .

(٣) مرآة الزمان ، ج ٨ / ص ٦٨٠ / ٦٨١ .

الخادمين كان مع نجم الدين أيوب ، فأخذا يخشانه على الإسراع
الى اربل لتسليمها اليه ، ولكن الخليفة كان أسرع من نجم الدين
وعماد الدين ، حيث أرسل جيشه للاستيلاء عليها ، ولكن
الخادمين رفضا تسليمها اليه ، وأوصدا أبواب المدينة لمنع دخول
نائب الخليفة اليها ، ف ضرب الجيش الحصار عليها ، فدار القتال
بينه وبين حامية القلعة ، انتهى بهزيمة الحامية ، واستيلاء الجيش
على المدينة ودخولها في ملك الخليفة (١) .

(١) الحوادث الجامعة ، ص ٤٤ ، مرآة الزمان، ج ٨/ ص ٦٨٣ .

المراجع

- ١ - ابن الأثير : على بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الجزرى .
- ١ - التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية (بالموصل) . (تحقيق : عبد القادر أحمد طليعات . نشر دار الكتب الحديثة بالقاهرة ، سنة ١٩٦٣) .
- ٢ - الكامل فى التاريخ . (مطبعة الاستقامة بالقاهرة) .
- ٢ - ابن خلكان : أحمد بن محمد بن أبى بكر .
- وفيات الأعيان وأبناء الزمان . (تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد . نشر مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٤٨) .
- ٣ - ابن شاکر الكتبى : محمد بن شاکر بن أحمد الكتبى .
- وفات الوفيات . (تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد . مطبعة السعادة سنة ١٩٥١) .
- ٤ - ابن شداد : يوسف بن رافع بن تميم الأسدى .
- سيرة صلاح الدين الأيوبى ، المسماة ، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية . (مطبعة الآداب والمؤيد بمصر . سنة ١٣١٧ هـ) .
- ٥ - ابن العديم : عمر بن أحمد بن هبة الله بن جرادة .
- زبدة الحلب من تاريخ حلب . (مصور : دار الكتب : ٢١٠٤ تاريخ تيمور) .
- ٦ - ابن العماد الحنبلى : أبو الفلاح عبد الحى .
- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب . (نشر : مكتبة القدسي بالقاهرة سنة ١٣٥٠ هـ) .
- ٧ - ابن الفوطى : كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق البغدادى .
- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابقة . (المكتبة العربية ، بغداد) .

- ٨ - ابن الفلانسى : حمزة بن أبى يعلى الأسدى .
ذيل تاريخ دمشق (تحقيق : آمدروز • بيروت سنة ١٩٠٨) .
- ٩ - ابن كثير : أبو الفدا اسماعيل بن عمر بن كثير القرشى .
البداية والنهاية فى التاريخ . (مطبعة السعادة ١٣٥١ هـ =
١٩٣٢ م) .
- ١٠ - ابن مسكويه : أحمد بن محمد بن يعقوب .
تجارب الأمم وتعاقب الهمم (القاهرة ١٣٣٣ هـ =
١٩١٥ م) .
- ١١ - ابن واصل : محمد بن سالم .
مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب (تحقيق : الدكتور جمال
الدين الشيال • سنة ١٩٥٣) • ومصور بدار الكتب برقم :
٥٣١٩ تاريخ) .
- ١٢ - أبو شامة : عبد الرحمن بن اسماعيل بن إبراهيم المقدسى .
الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية • (مطبعة
وادي النيل بمصر - سنة ١٢٨٧ هـ) .
- ١٣ - أبو المحاسن : يوسف بن تغرى بردى الأتابكى .
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة • (مطبعة دار الكتب
سنة ١٩٣٥) .
- ١٤ - أسامة بن منقذ .
كتاب الاعتبار • (نشر فيليب حتى • مطبعة جامعة برنستون .
الولايات المتحدة • سنة ١٩٣٠) .
- ١٥ - دائرة المعارف الاسلامية : (الترجمة العربية) .
- ١٦ - ولبر : دونالد .
ايران ماضيها وحاضرها • (ترجمة الدكتور عبد النعيم
حسنين • القاهرة سنة ١٩٥٨) .
- ١٧ - الديوهجى : سعيد .
الموصل فى العهد الأتابكى • (مطبعة شفيق • بغداد
سنة ١٩٥٨) .

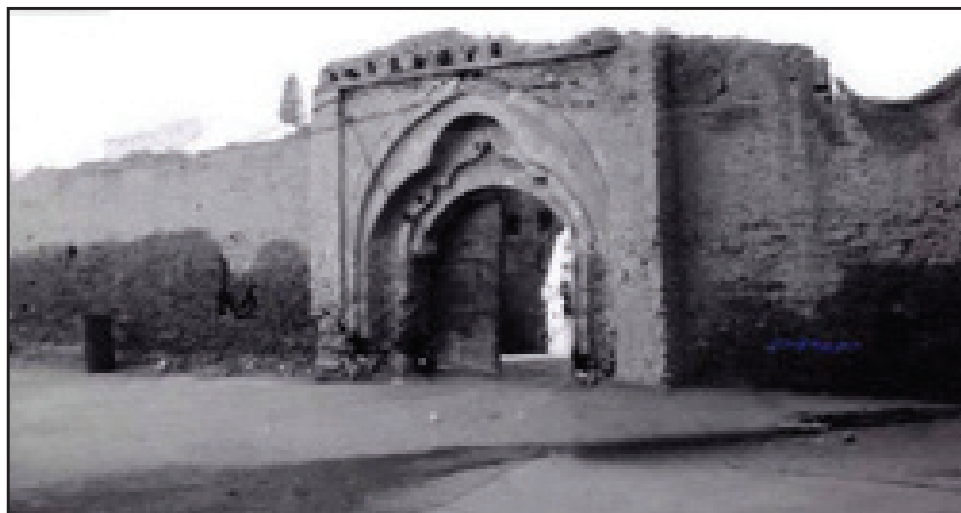
- ١٨ - السبكي : عبد الوهاب بن تقي الدين .
طبقات الشافعية الكبرى . (المطبعة الحسينية - القاهرة ،
١٣٢٤ هـ) .
- ١٩ - العراقي : عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن .
القرب في محبة العرب . (تحقيق : ابراهيم حلمي القادري .
الاسكندرية ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م) .
- ٢٠ - العماد الأصفهاني : عماد الدين محمد بن محمد بن حامد
الكاتب .
- ١ - الفتح القسي في الفتح القدسي . المطبعة الخيرية
١٣٢٢ القاهرة .
- ٢ - خريدة القصر وجريدة العصر . (تحقيق : شكري
فيصل . دمشق ، سنة ١٩٥٩) .
- ٢١ - الفافشندي : أبو العباس أحمد .
صبح الأعشى في صناعة الانشاء . (المطبعة الأميرية . القاهرة
سنة ١٩١٣ - ١٩١٥) .
- ٢٢ - الأقريزي : تقي الدين أحمد بن علي .
السلوك لمعرفة دول الملوك . (تحقيق : الدكتور مصطفى
زيادة . مطبعة دار الكتب ١٩٣٤) .
- ٢٣ - هندباوي : محمد موسى (الدكتور) .
المعجم في اللغة الفارسية . (نشر مكتبة مطبعة مصر) .
- ٢٤ - ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي .
معجم البلدان . (نشر الخانجي . مطبعة دار السعادة) .
- ٢٥ - يوسف بن قزويني التركي ، المعروف ببسيط ابن الجوزي .
مرآة الزمان في تاريخ الأعيان (طبعة الهند سنة ١٩٥١) .
- ٢٦ - الفيونيني : قطب الدين موسى بن محمد .
ذيل مرآة الزمان . (طبعة الهند سنة ١٣٧٥ = ١٩٥٥ م) .
- ٢٧ - Encyclopaedia Britannica. vol. II (Ohio, 1907)

فهرس

صفحة

٣	:	مقدمة
٩	:	الفصل الأول : مولد امارة
١٥	:	الفصل الثاني : أسرة مظفر الدين كوكبورى
٦١	:	الفصل الثالث : نشأة مظفر الدين
٦٨	:	الفصل الرابع : مظفر الدين فى حران
٩٠	:	الفصل الخامس : مظفر الدين أمير اربل
١٤٨	:	الفصل السادس : مظفر الدين والحروب الصليبية
١٨٢	:	الفصل السابع : مآثر مظفر الدين
٢٣٨	:	الفصل الثامن : وفاة مظفر الدين
٢٤٥	:	تبت المراجع
٢٤٨	:	الفهرست

السلطان مظفرالدين كوكبورو- امير اربل مظفر نامه



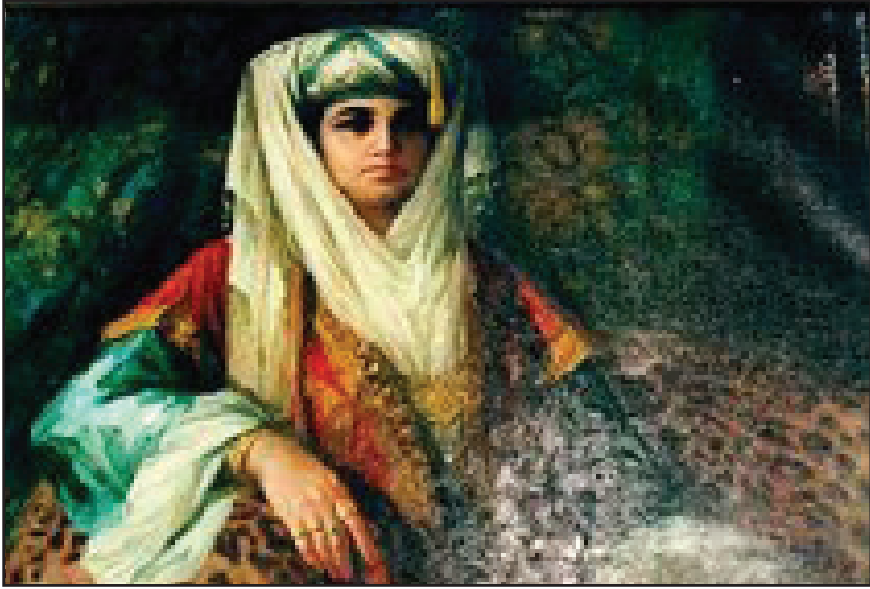
◀ پاشماوهی ئه و خانووهی که سولتان موزه فەر تییدا ژیاوه و کوچی دوایی کردووه له ههولیز له ناوچهی الریض - له خوارهوهی قهلا، که دهکاته گه رهکی عاره بانی ئیستا له ههولیز



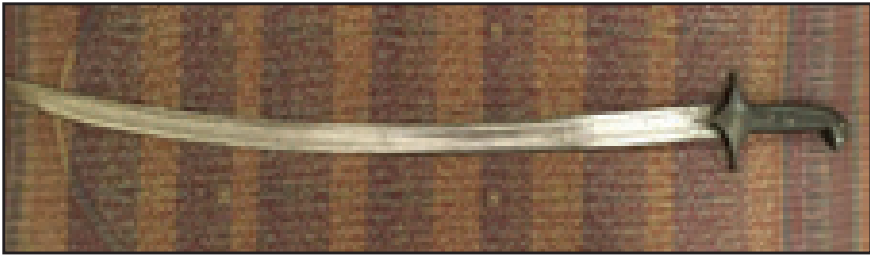
◀ رابعه خاتون مهلیک نجم الدین ثئیوب شادی الایوبی
خوشکی سه لاهه دین ثئیوبی و خیزانی سولتان موزه فہرہ دین ثئیلتورکمانی (۱۱۶۴ -
۱۲۴۴) له دیمہ شق له دایک بووہ، ہہر له ویش کوچی دوی بی کردووہ.



◀ سولتان موزهفه رهدين گؤگبورو
ابو سعيد مظفرالدين التركمانى



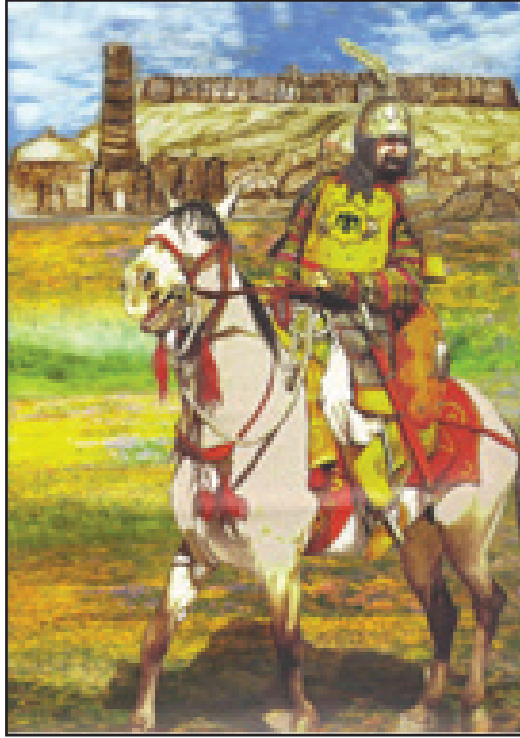
◀ زومرده خانم - ست الشام - خوشکی رایبعہ خاتون



◀ وینہی شیریکی کونی خاچپہرستہکان - له ژیر خانوویہکی گہرہکی سہرای ہولیر
دؤزراوہتہوہ له شہر دہستی بہسہردا گیراوه، ئیستا کہ لای سہنعان ئہحمہد ئاغایہ له
ہولیر



◀ جلوبه رگی ههولیزییه کان له سهدهی حه فدههه م زاینی



◀ سولتان موزہ فہر - امیر اربل -



◀ سولتان موزہ فہر دین زہینہ دین عہلی کوچوک



◀ قهبرو مهزاري سولتان موزه فەر له ههولير پايتهختي ههريمي كوردستان - 2019



◀ ويتهي سهه قهبري سولتان موزه فەر - ههولير -



◀ پاشماوہی ئہ و خانوہی کہ سولتان موزہ فہر تیندا ژیاوہ و کوچی دوایی کردوہ
لہ ہہولیر لہ ناوچہی الربض - لہ خواروہی قہلا، کہ دہکاتہ گہرہکی عارہبانی ئیستا
لہ ہہولیر



◀ پاش شہری حطین خاچہرستہکان چہکہکانیان رادہستی سولتان موزہ فہر دہکەن

{ معلومات حول قصبة أربيل }

يقع قضاء أربيل في مركز نواء أربيل في الجهة الغربية والواقع ٤٠ طولا و ٢٠ عرضا على بعد مسافة ساعة وسكان الاصليين لمدينة أربيل هم ترك واذكياء وبقية سكانه من العرب والكرد. ويبلغ نفوس أربيل من الذكور والاناث (٧٥٩٠) نسمة . وفيها قلعة واحلة . دار حكومة واحلة و مخزن واحد وثلاث حمامات و ١.١٢٠ دار و ٦٢٧ دكان وستة جوامع ثلاثة مساجد . و١١ مئرسه ، ٦ مكاتب للصبيان ومكتب رشيديه . ومركز للشرطة . قصبة أربيل عبارة من قسمين . القسم الأول المتمثل بالقلعة والقسم الآخر المحلات الموجودة في سفح القلعة والسوق الكبير . يوجد في أربيل عدد قليل من الموسويين (اليهود) وهامة سكانه من المسلمين وفي داخل القضاء هناك قرية اسمها (هنكاوة) وأهلها من الكلدان . وعلى بعد ربع ساعة من مركز المدينة هناك منارة عتيقة ارتفاعها ٨٠ م . بناها إحدى ملوك الاتباكيين وهو الملك مظفرالدين وقبره خارج القسبة . أربيل مدينة قديمة جدا وهي منشأ العديد من الأدياء والشعراء الأفاضل . وأشهر الكتب الموجودة في أربيل هو كتاب (وفيات الأعيان) مؤلفه من مشاهير علماء المسلمين وهو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي والذي ولد سنة ٦٠٨ في أربيل . وفي داخل أربيل هناك العديد من الخيم يسكن فيها العديد من عشائر الكرد والعرب .

ترجمة (شيرزاد شيخ محمد)



◀ پاشماوهی سه‌رای (ئاق سه‌رای) که پاشان بوته قه‌ره سه‌رای، ئه‌و خانوهی که سولتان موزه‌فه‌ر تیدا له دایک بووه له قه‌لای موسل.



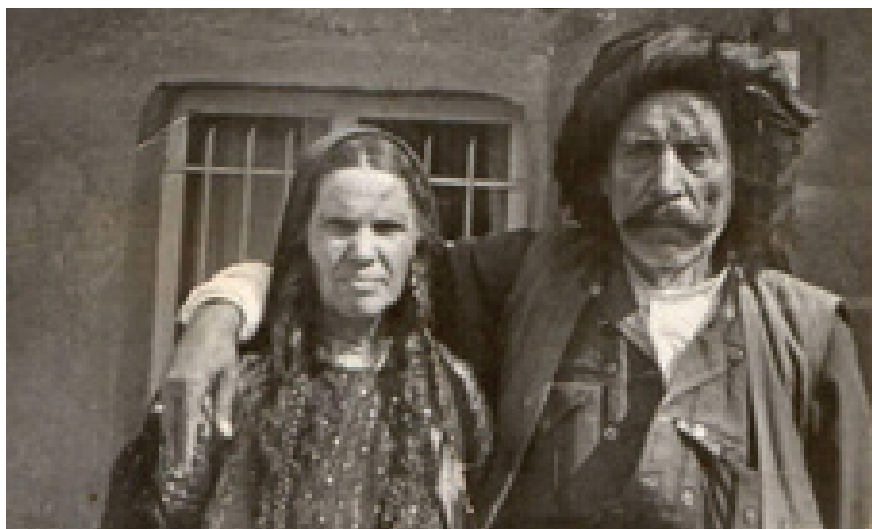
◀ ئاق سه‌رای شوینی له دایکبوونی سولتانی گه‌وره‌ی قه‌لای اربل و ده‌شتی شاره‌زوور سولتان موزه‌فه‌ره‌دین زهینه‌دین عه‌لی کوچوک



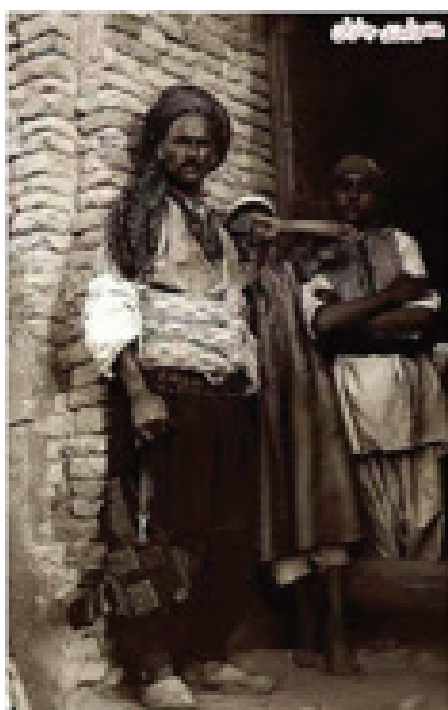
◀ وینہی حەوشی مزگەوتی قەلا یەکەمەین مزگەوت لە مێژووی قەلا و ھەولیر و ئەو شوینە یە کە سولتان موزەفەر نوێژی لیکردووە و بۆ یەکەمەین جار مەلودنامە ی تورکمانی تێدا خویندراوەتەوہ .



◀ وینە ی دەرگای مالی سولتان موزەفەر لە الریض - پاشان دەبیته قشلە ی سووار - گەرەکی عارەبان



◀ جلوبه رگی خه لکی قه لای اربل



◀ جلوبه رگی خه لکی قه لای اربل



◀ نہخشہی کونی ٹیمارہتی اربیل و شام



◀ یہ کہمین وینہی میحرابی مزگہوتی قہلای اربل

Eger Babamın Yurdu
Erbil Bana Nasip Olursa
Gelirlerimi üçe ayıracağım
Bir bölümünü Erbil'i Korumaya
Bir bölümünü Fakirlere
Bir bölümünü Hayır Eserlerine
Harcaacağım

Sultan
Mazaffereddin Gölberä



◀ هیزشی مه غوله كان بۇ سەر قه لای هه ولیر



◀ زمردہ خاتون-ی خوشکی رابعہ خاتون



مناو له بشعة قول نوريج ربيعه خاتون / عماد الارمشي

◀ قهبرى رابيعة خاتون خيزاني سولتان موزهفهر
له ناو قوتابخانه صاحييه له ديمه شق



مدرسة الصالحين الشاه ربيعه خاتون تحت السلطان سراج الدين الاموي سنة ١٢٥٠ هجرية.

◀ ناوى قوتابخانهى رابيعة خاتون قوتابخانهى صاحبة- له ديمه شق



◀ وہ زیرو راویژکارو و میژوونووسی ئیمارہتی اربل ئیبن ئەلمستہوفی - نووسہری یاداشتنامہی سیاسی سولتان موزہفەر (تاریخ اربل) کہ گرینگترین کتیب دادہنریت لەسەر میژووی هەولێر و سەر دەمی سولتان موزہفەر.



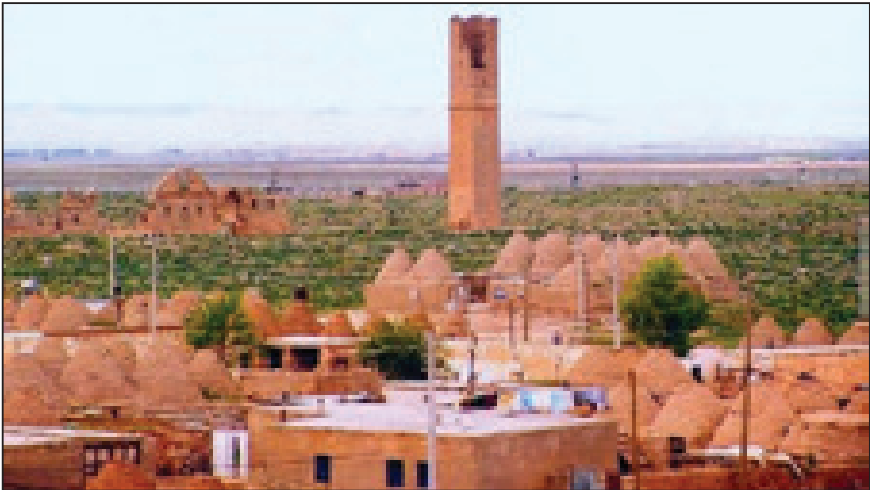
◀ سه ركرده و پاله وانی گه وره ی كورد و ئیسلام
سه لاهه دینی ئه یوبی



◀ قهبری سولتان موزه فه ره دینی گوگبورو له هه ولیز



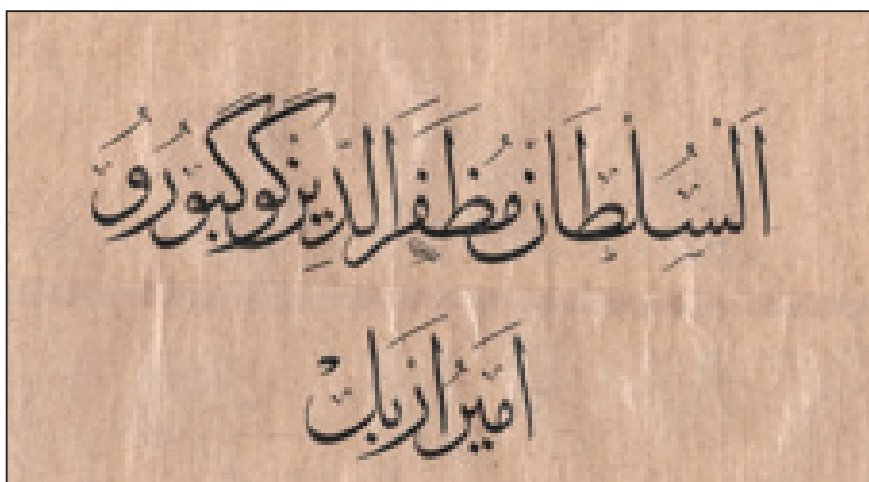
◀ پاشماوہی سہرای سولتان موزہ فہر لہ شاری حاران کاتیک دہبیتہ ئہ میر لہ و شارہ، پاش نازادکردنی لہ لایہن سہ لآحہ دینی ئہ یوہ بیہ وہ



◀ شار و منارہی حاران کہ لہ لایہن سولتان موزہ فہرہ وہ دروستکراوہ پاش داگیرکردنی لہ لایہن سو پای سہ لآحہ دین ئہ یوہ بیہ وہ



◀ پاشماوهی سهرای سولتان موزه‌فهر له شاری حاران کاتیک ده‌بیتته ئەمیر له‌و
شاره، پاش ئازادکردنی له‌لایهن سه‌لاحه‌دینی ئەیوه‌بیه‌وه

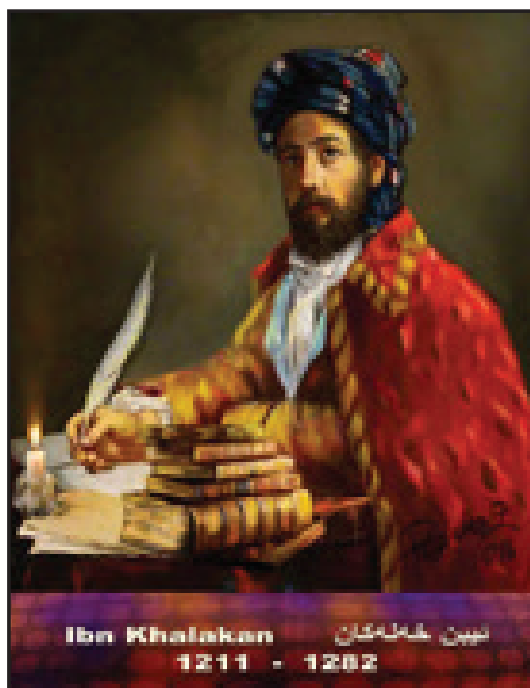




◀ وینہی پروفایلی خہلک و سوپاو چہ کدارانی سہر دہمی سولتان موزہ فہر دین
لہ ٹیمارہ تی اربل - لہ نرشیفی عوسمانیہ کاندہ -



◀ وینہی سہر بازیکی سولتان موزہ فہر



◀ جلوبه رگی دانیشتونانی ههولیر ۱۷۹۰





◀ كه سايه تي ناوداري شاري هولير
شه هاب ئه حمه د موختار سالي ۱۸۹۰





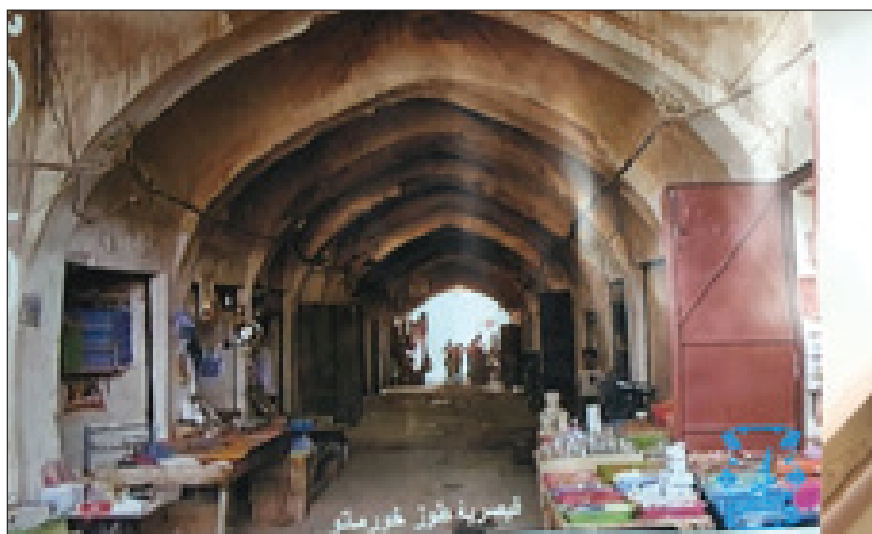
◀ جلوہ رگی دانشتوانی قہ لای ہولیر لہ سہ ردمی سولتان موزہ فہر



السلطان مظفرالدين كوكيبورو- امير اربل مظفر نامه



◀ جلوبه رگی دانیشتونانی قه لای هه ولیر له
سه رده می سولتان موزه فەر





◀ قوتابخانہی رایبعہ خاتون- دیمہشق



◀ دیناری زبیرینی سہ ردمی سولتان موزہ فہر
لہ مؤزہ خانہی ہولیر پاریزراوہ



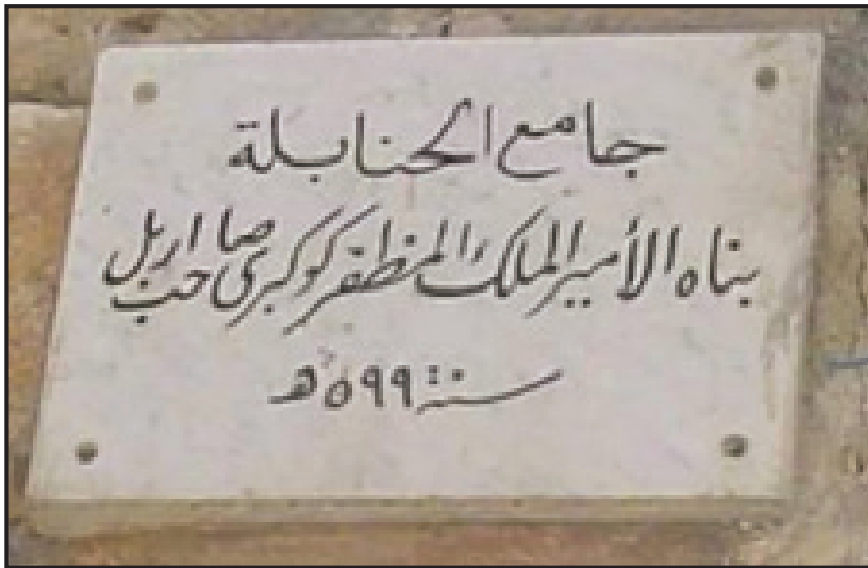
◀ دراو درهه می سه رده می سولتان موزه فەر
درهم ملك المؤمن ملك الامراء
سولتان موزه فەر دین گوگبورو
له رووه که ی تریش- وینه ی سولتان موزه فەر سواری شیریک بووه



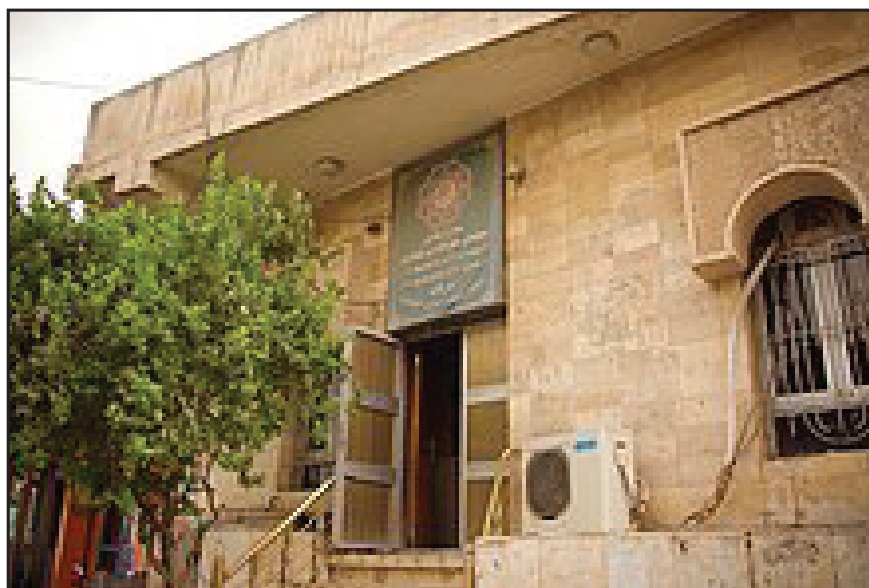
◀ وینه ی دیناری سه رده می سولتان موزه فەر
میرو سولتانی قه لای اربیل



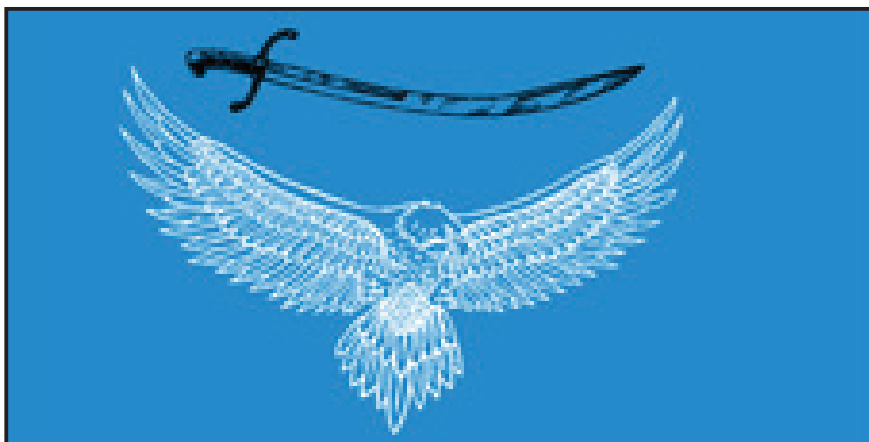
◀ وینہی مہنزلگہ و قہبری سولتان موزہ فہر - سالی ۱۹۶۰
پیش نوژہ نکر دہ و ہ



◀ مزگہ وتی الحنابله - له دیمہ شق ، سالی ۵۹۹ کوچی له لایہن سولتان
موزہ فہر ہوہ دروستکراوہ



◀ وينه‌ی قه‌بری سولتان موزه‌فهر - هه‌ولير پايته‌ختی کوردستان - ۲۰۱۹
شه‌قامی سولتان موزه‌فهردين گۆگبورو



◀ وینہی ٹالای ٹیمارہتی اربل سولتان موزد فہر، ٹالایہ کی شین و
لہناوہ راستدا وینہی بازیگ ہہیہ و شیریکی گہورہ لہسہرہ و ہدا



◀ وینہی سہر شیریکی مہسیحیہ کانی زہمانی
شہری حطین

السلطان مظفرالدين كوكبورو - امير اربل مظفر نامه



◀ وينه‌ی هيرشى هه‌نديک له هۆزه‌کانی ده‌وروبه‌ری ئيماره‌تی اربل بۆ سه‌ر قه‌لای هه‌ولير



السلطان مظفرالدين زين الدين، تاجي محمودات، محمودشېروو الملك الناصر و امير اربل

1144 - 1232 ميلادي



◀ قہبری رابعہ خاتون، کراوہ تہ پولیک بؤ خویندنی مندالان- دیمہ شق ۲۰۱۹



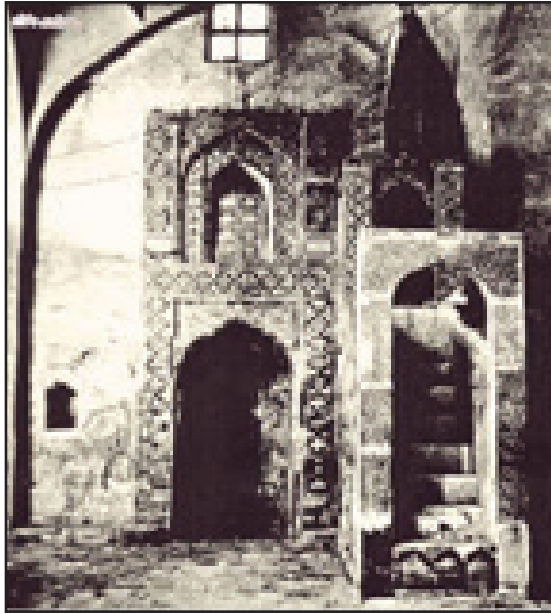
◀ شہری ئہ ریٹلا



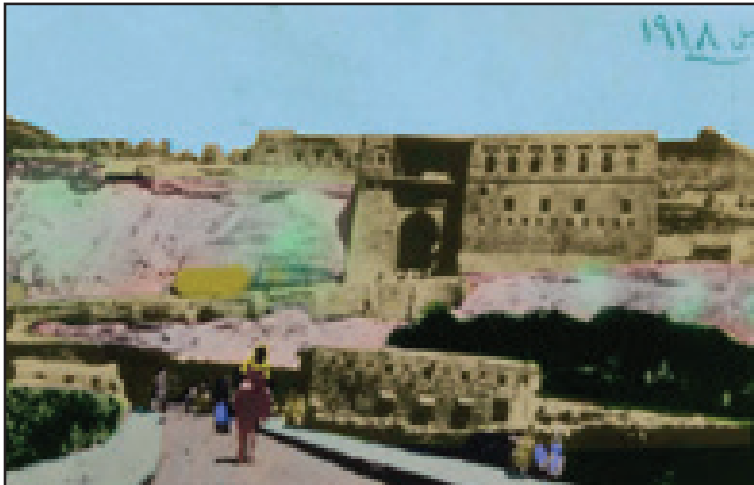
◀ ههولير سالی ۱۴۳۰ زاینی



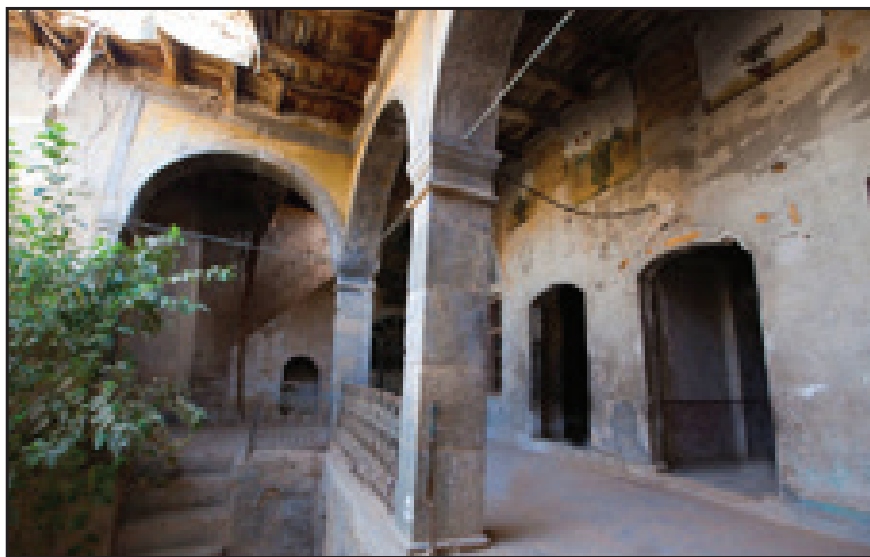
◀ مزگهوت و دار الفقیهی و قوتابخانهی المظفریة له ههولیر بریتی بووه له مزگهوتیک و قوتابخانهیهکی گهوره، نزیک مالی سولتان موزهفهه بووه، که ناوی المسجد الاکبر و المسجد العتیق بووه



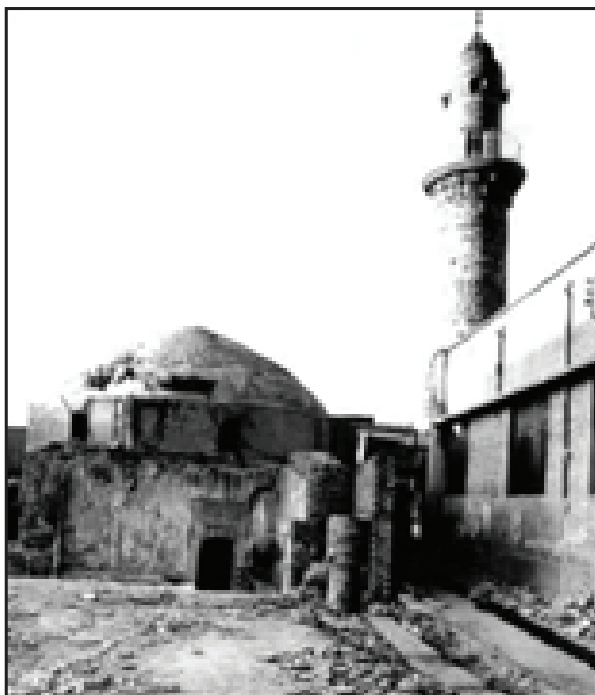
◀ وینہی مینبہری مزگہوتی قہلا - یہ کہ مین جار
لیہ مہ ولودنامہ سی تورکمانی خویندراوہ تہ وہ.




◀ ۱۹۱۸ - بہ کامیرای حسین حسینی موکریانی



◀ سه‌رای قه‌لای هه‌ولیز، شوینی حوکی سولتان موزه‌فه‌ر - اربل -



◀ مزگه‌وت و هه‌مامی قه‌لای اربل - ۱۹۷۵ -



وزارتِ اعلیٰ
پاکستان

نام: منارہی میوزیم (چولی)

میزبان: دروست کردنی دکنگریٹوہ پوسالانی نیوان (۱۱۹۰-۱۲۲۲ ز)

(۵۸۶-۶۳۰ ق) سردھسی لہتابدکببہکان

نمبری نومار: ۱۹۳۵-۱۰-۱۷

اسم: منارہ العنفریہ (چولی)

یعدو تاریخ بنائها الی (۱۱۹۰-۱۲۲۲ م) الفترہ الأتابکیہ

رقم التسییل: ۱۹۳۵-۱۰-۱۷

Name: Mnara choli

History: Atabak period (1190-1232 A.D)

Registered: 1465 at 17-10-1935

نورسین و تعلقس سمر بھر دیکھی سمر چیبای شھر خانی شھر پستانس سروردی

کہ لہ تھر شیلی لبارہ و کاروباری حجاج و زیارہی حاکمہ گھالی شھر پستانس سروردی

پارنزاروہ ، وہ لھر بھرہ تارہ کور ایستاکہ ، لہ رنگا و دھر گالی - پازانی - کہ بریتی بہ

لہ پد کیتی لھر رنگا پانہ پد کہ دھپتہ سمر چیبای شھر خانات

استاذان و خطہ العسکری

الامامین والیہ العسکری

اتحاد

کببہسی - سمر

بہناری خوالی گھورہ و میجر جان

بوز ایحاسی گھورہ جان الامام - ناصر الدین

بہ لھر و قہرمان و دستوری حاکمیک حادیل و پستوپندان تاین و ایستار ، حاکمیک

حادیل سولتان سروردھردھسی کوری زہندھین (صاحب اربل) خوالی تھرل - خوالا لینی

رازبیت ، کہ حہستارہ بہ دروستکردن و تارہ انکر دنی قورنایحاکمہ کی بالا و

حہسبار لکی لار و پوڑی گھپاندنی لار بوز سرچیبای شھر خانات وہ لھر پوڑانہ بہ

شیردھکی خوالی تھانسان دارہ ، لہ بھر اصیور حدرسی پوڑ و تریک دھر گالی (پازان)

و لھسار رنگای حاکمیک چوبی حاکمیک خوالی خوالی گھورہ و وہ لھسار بوز دھر گالی

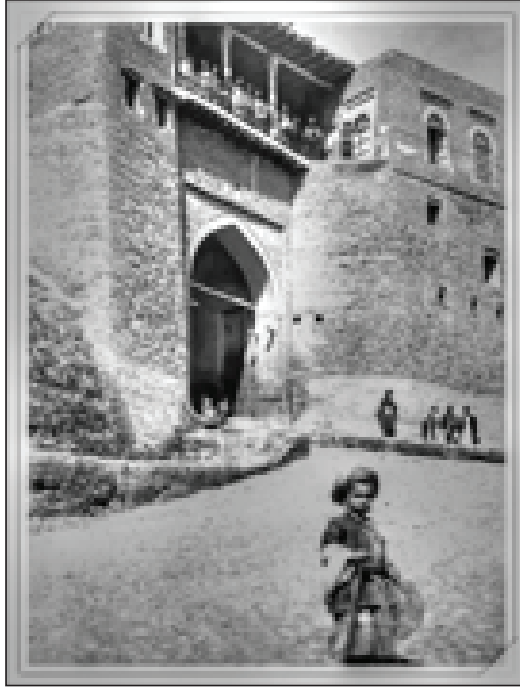
بہرماندن و پاندانشی خوالی گھورہ لہ پوڑی حہسارہ -

سالی 605 حہسری و لھسار دھسی لہ حہدھین و مانرستا ابن احما عیل پندنا

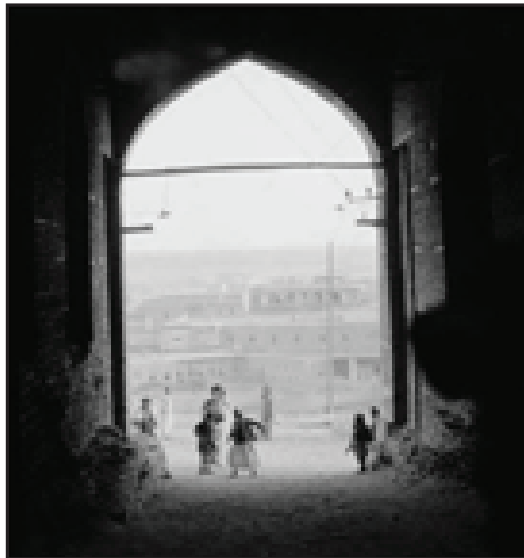
شیردھری



◀ وينه يه كي كوني ده رگاي قه لا - اربل -



◀ وینہی دہرگای قہلا - زہمانی سولتان موزہفہر



السلطان مظفرالدین کوکبورو - امیر اربل مظفر نامہ



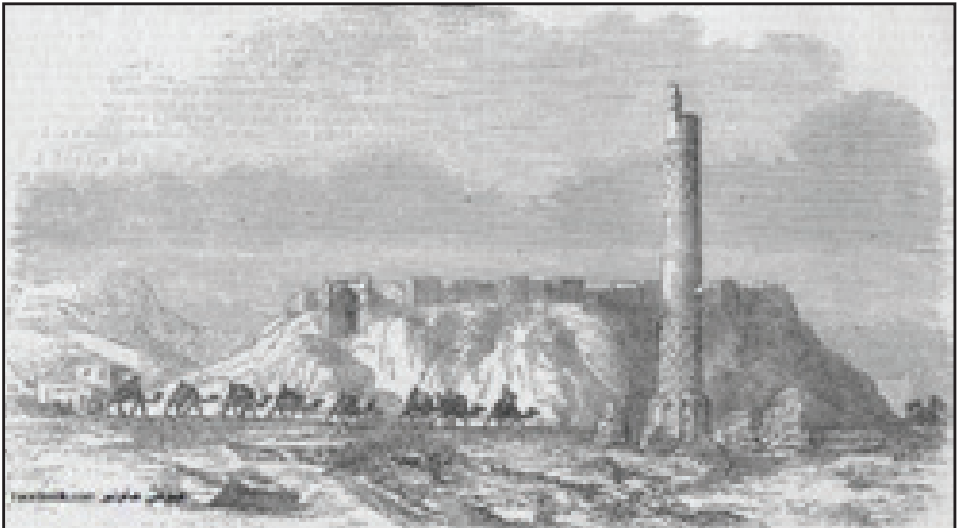
◀ نہخشہی ناوچہکہ - ئرشیفی عوسمانی ۱۶۵۰ میلادی



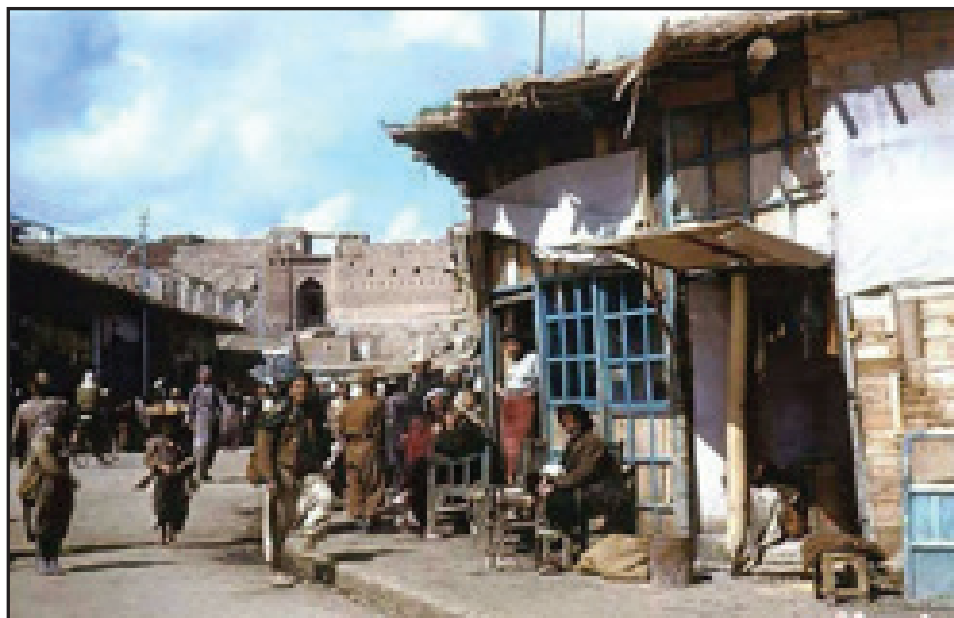
◀ وینہیہکی دهگمہنی دانیشٹوانی قہلای-اربل-



◀ وینہی ئہو ریگایہی لہ دہرگای قہ لآوہ دہچیتہ- الریض القلعة-
خوارہوہی قہ لات- خوارہوہی شار



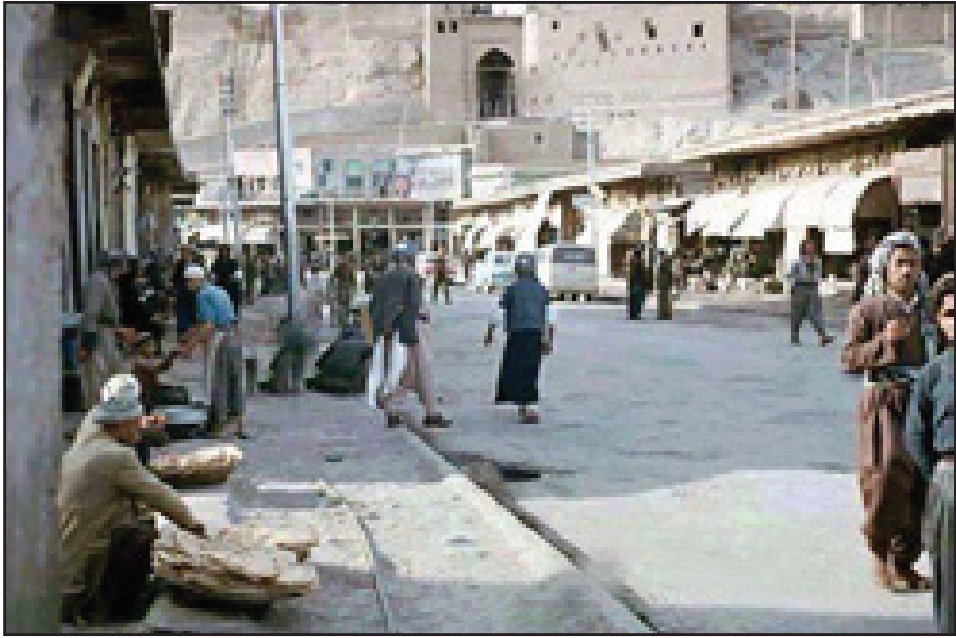
◀ دہستکردی میژوونووسیکی بیانی وینہی شاری ہہولیری کردوہ.



◀ شاری ههولیر سالی ۱۸۹۰ زاینی



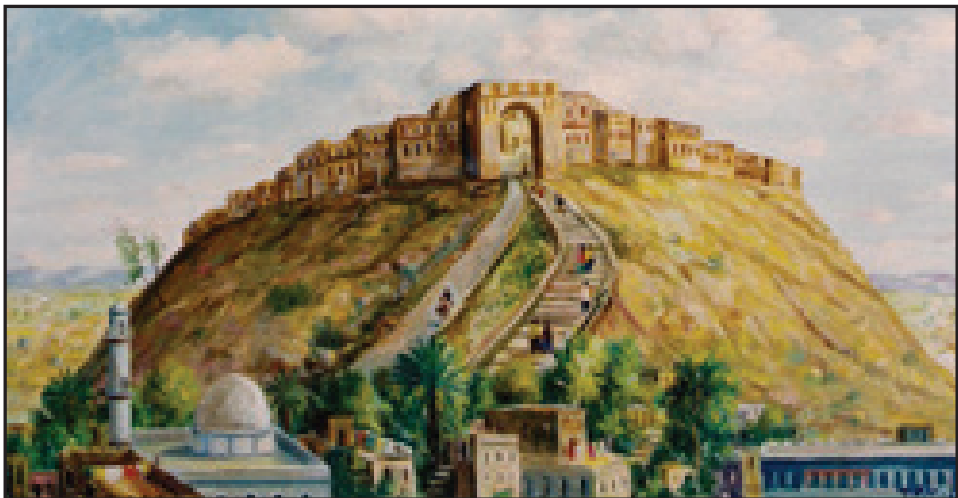
◀ شاری ههولیر سالی ۱۷۹۰ زاینی



◀ نہخشہی شاری ھہولیز و قہلاو دھوروہری



◀ ئەم وێنە یە، میژووی منداڵیمە، لەو بەدەنەو، لەسەر قەلای هەولێر، یەکیکیان مالى حاجی قادر لەبلەبی بە قال بوو، میردی پورم و کوری پوری باوكم بوو. خانووەکە ی تریش مالى عبدالله یاسین بقال کوری یاسین الیاس بقال بوو. سالانی هفتا، لەو پەنجەرە و لەو بەدەنەو هەولێرم دەبینی..



◀ وێنە یەکی کونی قەلای هەولێر



◀ مناره‌ی داقوق ناسراو به طاووق مناره‌سی که له سالی ۱۰۵۵ له سه‌رده‌می سه‌لجوقیه‌کان دروستکراوه به‌رزایه‌که‌ی ۳۰م له‌سه‌رده‌می مه‌لیک طغرل بک. له‌سه‌فه‌ریکی سولتان موزه‌فه‌ر بۆ به‌غدا له ریگادا چاوی به‌م مناره‌یه ده‌که‌ویت، پاشان داوا ده‌کات که محمه‌د مه‌سعود بیتنه هه‌ولیر هاوشیوه‌ی ئەم مناره‌یه دروست بکات.

أوقافه والمشرطون على الوقف :

تقدم معنا أن الملك المظفر كوكبوري أرسل مع حاجبه نجام الدين الإربلي ثلاثة آلاف دينار أتيتكبة لتصميم عمارته، وما فضل عن ذلك بشرى به وقف ووقف عليه .

ثم إنه أرسل ألف دينار لساق الماء إليه من قرية برز، وصنع بدلاً عن ذلك بئراً ووقف عليه وقتاً . ثم أهديت إليه أوقاف بعض المساجد والمدارس المعطلة .

ثم تابع أهل الخير في الوقف عليه ، وفي ترميمه وإصلاحه .

يشير **أبو الأرتقي الأرتقي** ، هذا ما أمر بحمله تقريباً إلى الله تعالى وقالب (وقال) لجزيل ثوابه العبد الضعيف الفقير إلى رحمة الله ومغفرته ، المحترف بذنوبه الراسي إمداد طهوه وتوبته، كوكبوري بن علي بن بكتكين صاحب إربل حضر الله له ما تقدم من قبله وما تأخر بمحمد وآله ، بتولية محاسن بن سليمان بن أبي محمد الفلاسي ، شرع في عمارته سنة تسع وتسعين وخمس مائة ، وله الحمد والمكة ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين وسلم .

على المنبر :

لا إله إلا الله محمد رسول الله ، أمر بعمل هذا المنبر العبد الفقير إلى رحمة الله كوكبوري بن علي بن بكتكين صاحب إربل نقل الله منه وآتاه .

وبتولية العبد الفقير إلى رحمة الله محاسن بن سليمان بن أبي محمد الفلاسي سنة أربع وست مائة .

ما في صدر المنبر :

اللهم وأدم دولة مولانا الإمام ابن الإمام صاحب البردة والقطب والحمام ، الذي ليس للمسلمين أمر سواه ، ولا خليفة ، أبي العباس أحمد إمام الله إمامه . آدم اللهم العبد والضعيف بقاء الملك العادل سيف الدين والدنيا خليل أمير المؤمنين أبي بكر بن أيوب إمام الله إمامه ونشر في الخائفين أعلامه .

على حية مدخل المعطلة :

يشير **أبو الأرتقي الأرتقي** . أمر بعمارة هذه المعطلة المباركة العبد الفقير إلى رحمة الله تعالى مظفر الدين كوكبوري بن علي بن بكتكين صاحب إربل إمام الله إمامه في أيام مولانا العادل سيف الدنيا والدين أبي بكر بن أيوب في سنة خمس وست مائة .

◀ له كتيبتي جامع الحنابل له ديمه شق، به هاو كاري سولتان موزه فهر مزگه وتي نه لحنابل دروست كراوه .
جامع الحنابلة- الموزه فهرى- بصالحية جبل قاسيون، الدكتور محمد موتيع الحافيز- بيروت ٢٠٠٢



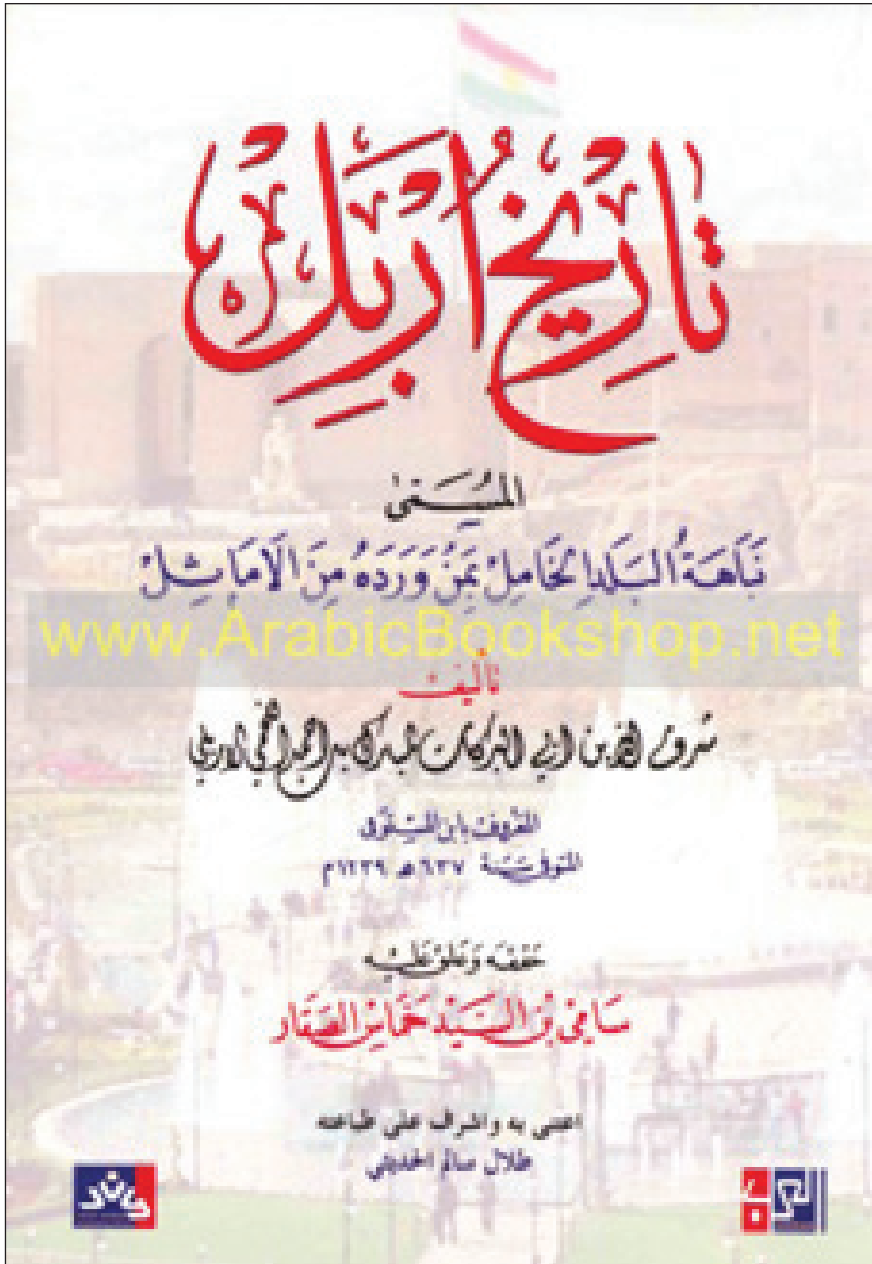
◀ ئەو سەرايەى كە لە شارى حران سەرا و خانووى سولتان موزەفەر بوو، ناوى (ئەتەش قەلەه بوو- حران اتش قلەهسى) بە هەمان شێوه ناویكى كۆنە، لە سەرچاوه عوسمانییهكان باس كراوه . ئەو سەرايه دەبیت ناویكى هەبووبیت، كاتيك سولتان موزەفەر امیری حران بوو، لەبەر ئەوه، ئیمە ناوى ئەو سەرايه بە دروست دەزانین



◀ وینەى سەر مینبەرى مزگەوتى ئەلحەنابل لە دیمەشق



◀ منارہ حاران اتش قلعة سي - حران اتاش قلعہ سی - شانللی ئورفہ - تورکیا- ئہو منارہیہی سولتان موزہفہر درووستی کردووہ



◀ تاریخ اربل یادداشتی سیاسی و کومه لایه تی و فەرهنگی سولتان موزه فەر و ئیماره تی هه ولییره که سه رچاوهیه کی دهوله مهندی زانیاری سه لته نه تی هه ولیر و هه ولیرییه کانه. ژیری مهمله که تی گول و گولزار له سه ر زاری شه و که سایه تیانه ی که هاتونه ته هه ولیر.



◀ دەرگای مالی سولتان موزہ فہرہ دین لہ ہہ ولیر لہ گہرہ کی عارہ بان کہ پیشتر ناوی ناوچہی الریض - بووہ، واتہ خواروہی شار، کہ دواتر پیئی وتراوہ قشلہی سوار، تاوہکو ئیستا حہوشیک و ئەم دەرگایہ ماوہتہوہ.





◀ صلاح الدين و الدنيا الايوبي - يوسف ابن ايوب ابن شاذي ابن مروان
ابن يعقوب الدويني التكريتي - ابو المظفر (تمثال تاريخي قرب قلعة ديمشق).



منارة حول (منارة المظفرية)

يعود تاريخ بناء هذه المنارة إلى ما يقارب (800) سنة إبان الحكم الأتابكي لمدينة أربيل. لا تعلم على وجه التحديد السنة التي أقيمت فيها المنارة إلا أنها بلا شك بنيت في عهد السلطان مظفر الدين الكوكبوري والذي كان أحد القراء الأتابك الذي حكم أربيل بين الأعوام (1190 إلى 1230م) ووفقاً



المصادر التاريخية، فإن اسم الشخص الذي قام ببناء المنارة هو منصور ابن سعيد إلا أن هناك مصادر أخرى تفيد بأن اسمه كان منصور مراد بطول الرحلة الكوكبوري (حيث ورد في إربل إرب سنة 820هـ) ما في كتابه بأن هناك منارة شائعة في أربيل لكن الجامع السابع أي مرديم وتذكر المصادر التاريخية أن صلاة الجمعة كانت تقام في جامع المنارة المظفرية كما أنه كان يحتوي على حجره المتعدين وطلب العلم أربع المسافة بين المنارة وقاعة أربيل (1 كم) ويقع المنارة في الناحية الجنوبية الغربية من البلدة. وفي الرسم من كون أطرافها عبارة عن مساحات خالية، إلا أن بعض المصادر التاريخية تفيد بأنه كانت هناك دور سكنية حول المنارة في العصر الأتابكي وأنها كانت منطقة مأهولة بالسكان في عام 1960. قامت العميرة الأثر والتراث العمراني بإرسال فريق إلى المنارة لغرض التفتيش والبحث. وقد تبين أنه كان هناك جامع كبير تابع للمنارة يعرض نحو 40 متراً، إلا أنه قد دُمّر وتفتت أساسه فقط. وقد بناء هذا الأساس مدموراً بالصدأ حيث بن عليه جدران المنارة ووفقاً لما أفادت به تلك البحوث والتفتيشات، فقد تم بناء المنارة من طابقي يختلف عن ذلك المستخدم في بناء الجامع. وأن الجامع قد تم تدميره قبل بناء المنارة



أما فيما يخص تاريخ بناء المنارة فهو يعود إلى ما يقارب (800) سنة إبان الحكم الأتابكي لمدينة أربيل. لا تعلم على وجه التحديد السنة التي أقيمت فيها المنارة إلا أنها بلا شك بنيت في عهد السلطان مظفر الدين الكوكبوري والذي كان أحد القراء الأتابك الذي حكم أربيل بين الأعوام (1190 إلى 1230م) ووفقاً للمصادر التاريخية، فإن اسم الشخص الذي قام ببناء المنارة هو منصور ابن سعيد إلا أن هناك مصادر أخرى تفيد بأن اسمه كان منصور مراد بطول الرحلة الكوكبوري (حيث ورد في إربل إرب سنة 820هـ) ما في كتابه بأن هناك منارة شائعة في أربيل لكن الجامع السابع أي مرديم وتذكر المصادر التاريخية أن صلاة الجمعة كانت تقام في جامع المنارة المظفرية كما أنه كان يحتوي على حجره المتعدين وطلب العلم أربع المسافة بين المنارة وقاعة أربيل (1 كم) ويقع المنارة في الناحية الجنوبية الغربية من البلدة. وفي الرسم من كون أطرافها عبارة عن مساحات خالية، إلا أن بعض المصادر التاريخية تفيد بأنه كانت هناك دور سكنية حول المنارة في العصر الأتابكي وأنها كانت منطقة مأهولة بالسكان في عام 1960. قامت العميرة الأثر والتراث العمراني بإرسال فريق إلى المنارة لغرض التفتيش والبحث. وقد تبين أنه كان هناك جامع كبير تابع للمنارة يعرض نحو 40 متراً، إلا أنه قد دُمّر وتفتت أساسه فقط. وقد بناء هذا الأساس مدموراً بالصدأ حيث بن عليه جدران المنارة ووفقاً لما أفادت به تلك البحوث والتفتيشات، فقد تم بناء المنارة من طابقي يختلف عن ذلك المستخدم في بناء الجامع. وأن الجامع قد تم تدميره قبل بناء المنارة



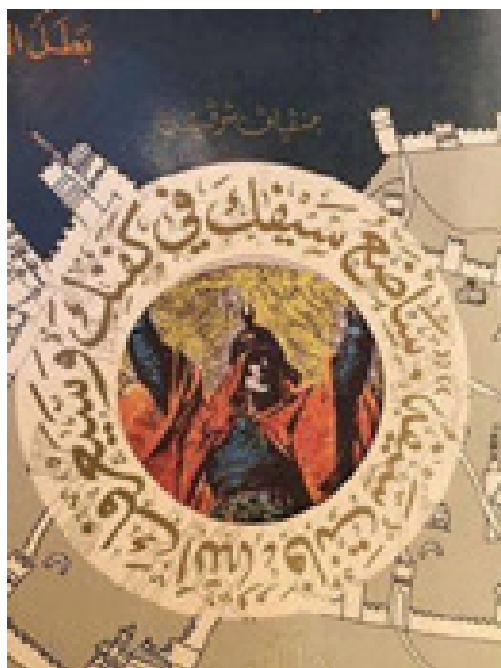
من الواضح أن السبب وراء صعود المنارة وطول عمرها يرجع إلى مثانة وإمكان تصميدها الهندسي والذي يتكون من جزأين أساسيين الجزء الأول القاعدة وهي متحدة الشكل، والجزء الثاني القوس وهو اسطواني الشكل. أما أساس المنارة فهو مبني بالحجارة والبوص. يبلغ عرض جدرانها (175) سم وعرض اسطوانتها (90) سم في الأسفل وتقلص تدريجياً إلى أن تصل إلى (60) سم في القمة. كانت هناك قبة كروية تعالج المنارة قبل انهيارها تشبه تلك التي كانت موجودة على قمة منارة العمارة في الموصل يحتوي القسم السفلي من القاعدة على مدخلين الأول يقع في الجانب الشرقي من القاعدة والثاني من الجانب الجنوبي. ويبلغ كل منها على سلم الصعود بشكل مستقل من حيث شكل القاعدة فهي متحدة وتحتوي أملاك أشرفها صعوداً جزءاً من بعض الرخارف ويتركز المبنى على جوانب المثلثة ماضرة ويتخلله مدخلان كبيران يؤديان إلى مسالك المثلثة ويتخذ النطاق الأول من رخارف على شكل معينات متتابعة، وتعمل القوس الأول بين النطاق الأول والثاني قوامياً لشكل هندسية سداسية الأضلاع أما النطاق الثاني يشمل على أشكال هندسية قوامياً مربعان قائمة على رؤوسها وتتميز بين نطاقين الثاني والثالث هناك شريط حويل كعب عليها اسم (محمّد ص) بشكل متتابع على شكل حطر بين الأول منها بشكل مربع والثاني كعب بشكل مقلوب. وفي نطاق الثالث والرابع هناك رخارف على شكل معينات وعطوطة مستقيمة نظم بشكل هندسي كمشابك الكتابة كلمة (سورة) كإشارة للصلاة على محمد (ص) (ص 10)

أما فيما يخص تاريخ بناء المنارة فهو يعود إلى ما يقارب (800) سنة إبان الحكم الأتابكي لمدينة أربيل. لا تعلم على وجه التحديد السنة التي أقيمت فيها المنارة إلا أنها بلا شك بنيت في عهد السلطان مظفر الدين الكوكبوري والذي كان أحد القراء الأتابك الذي حكم أربيل بين الأعوام (1190 إلى 1230م) ووفقاً للمصادر التاريخية، فإن اسم الشخص الذي قام ببناء المنارة هو منصور ابن سعيد إلا أن هناك مصادر أخرى تفيد بأن اسمه كان منصور مراد بطول الرحلة الكوكبوري (حيث ورد في إربل إرب سنة 820هـ) ما في كتابه بأن هناك منارة شائعة في أربيل لكن الجامع السابع أي مرديم وتذكر المصادر التاريخية أن صلاة الجمعة كانت تقام في جامع المنارة المظفرية كما أنه كان يحتوي على حجره المتعدين وطلب العلم أربع المسافة بين المنارة وقاعة أربيل (1 كم) ويقع المنارة في الناحية الجنوبية الغربية من البلدة. وفي الرسم من كون أطرافها عبارة عن مساحات خالية، إلا أن بعض المصادر التاريخية تفيد بأنه كانت هناك دور سكنية حول المنارة في العصر الأتابكي وأنها كانت منطقة مأهولة بالسكان في عام 1960. قامت العميرة الأثر والتراث العمراني بإرسال فريق إلى المنارة لغرض التفتيش والبحث. وقد تبين أنه كان هناك جامع كبير تابع للمنارة يعرض نحو 40 متراً، إلا أنه قد دُمّر وتفتت أساسه فقط. وقد بناء هذا الأساس مدموراً بالصدأ حيث بن عليه جدران المنارة ووفقاً لما أفادت به تلك البحوث والتفتيشات، فقد تم بناء المنارة من طابقي يختلف عن ذلك المستخدم في بناء الجامع. وأن الجامع قد تم تدميره قبل بناء المنارة

السلطان مظفرالدين كوكبورو- امير اربل مظفر نامه



◀ ئيمزاو سيمبولى مهكتوباتى سولتان موزهفهرهدينى گوگبورو



ISBN-tunnus julkaisulle
"Sultan Muzzafaadin Gokbou"
isbn-keskus@helsinki.fi
Finland

Wed 12/19/2018, 2:14 PM
To: Mr.Khasro Pirbal Iraq Kdisutan Erbil
pirbal@hotmail.com
✉

SUOMEN ISBN-
KESKUS

19.12.2018

Hei

Tässä pyytämme ISBN-tunnus julkaisulle "Sultan
Muzzafaadin Gokboru - ih sultan of Erbil

ISBN 978-952-94-1436-9

Kustantajan tiedot julkaistaan kansainvälisessä 'Global
Register of Publishers' -kustantajätietokannassa. Tietoja
käytetään myös Suomen ISBN-keskuksen toiminnassa.

<http://luovutuslomake.kansalliskirjasto.fi>

Lisätietoja vapaakappaleiden luovuttamisesta saa

Ystävällisin terveisin

Heidi Ronkainen

Suomen ISBN-keskus

Kansalliskirjasto

PL 15

00014 Helsingin yliopisto

isbn-keskus@helsinki.fi

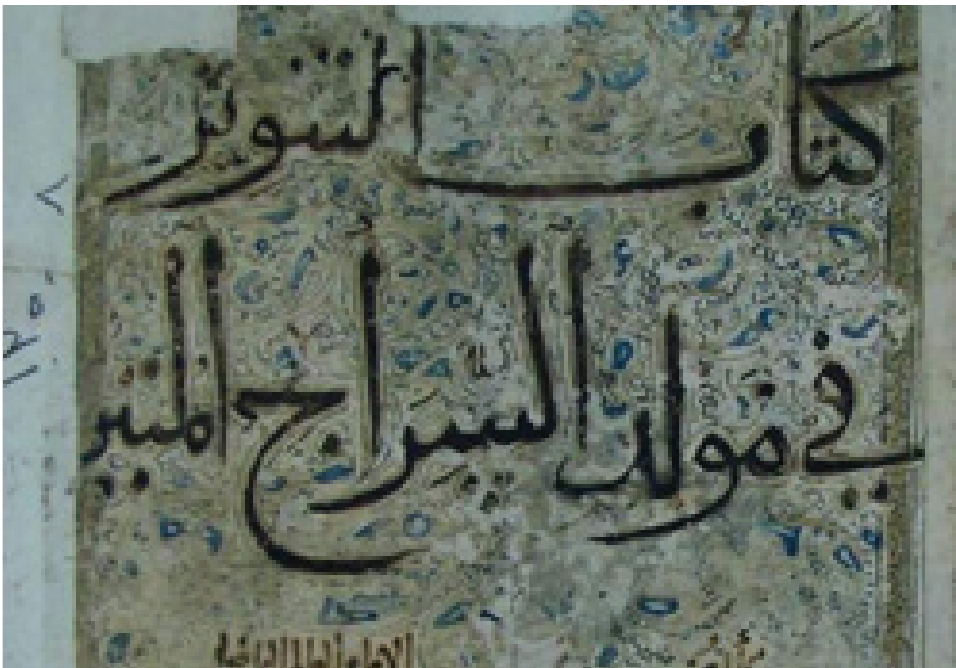
<https://www.kivi.fi/display/ISBNjaISBN>

◀ ژماره سپارڊنی کتیبه نیوده وله تیه کان که بو ئەم کتیبه م تهرخانکردوو

ISBN:978-952-94-1436-9

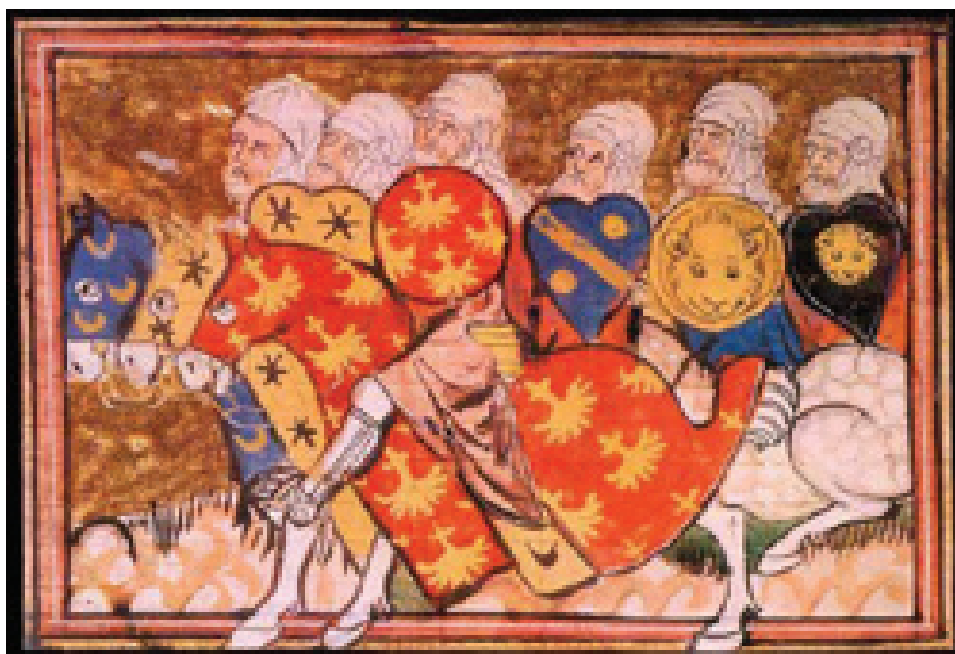
له کتیبخانهی نیشتمانی فیله نندا، هلسنکی - ۲۰۱۸/۱۲/۱۹

السلطان مظفرالدين كوكبورو - امير اربل مظفر نامه





السلطان مظفرالدين كوكبورو - امير اربل مظفر نامه



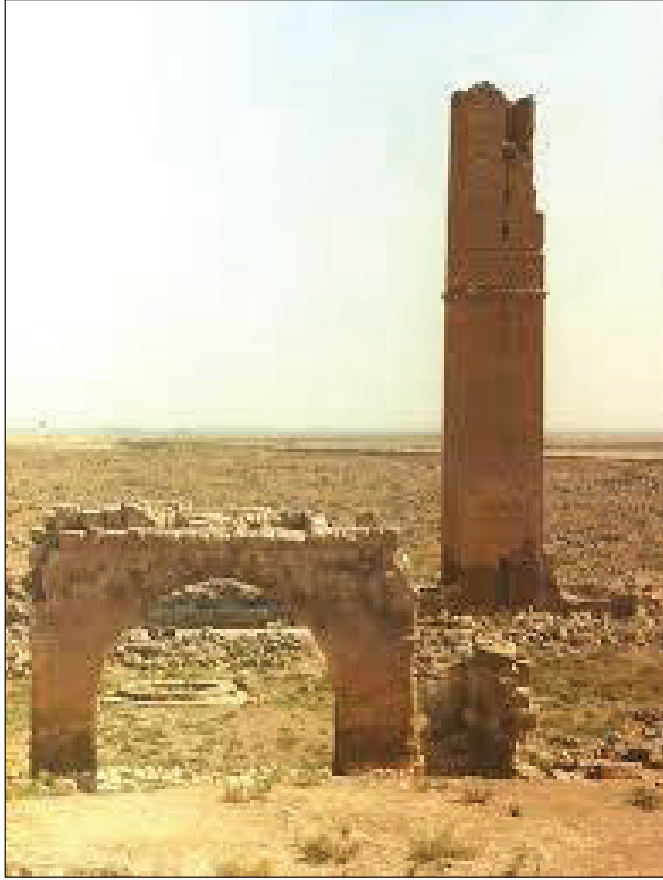


وینہ کانی بھرگ:

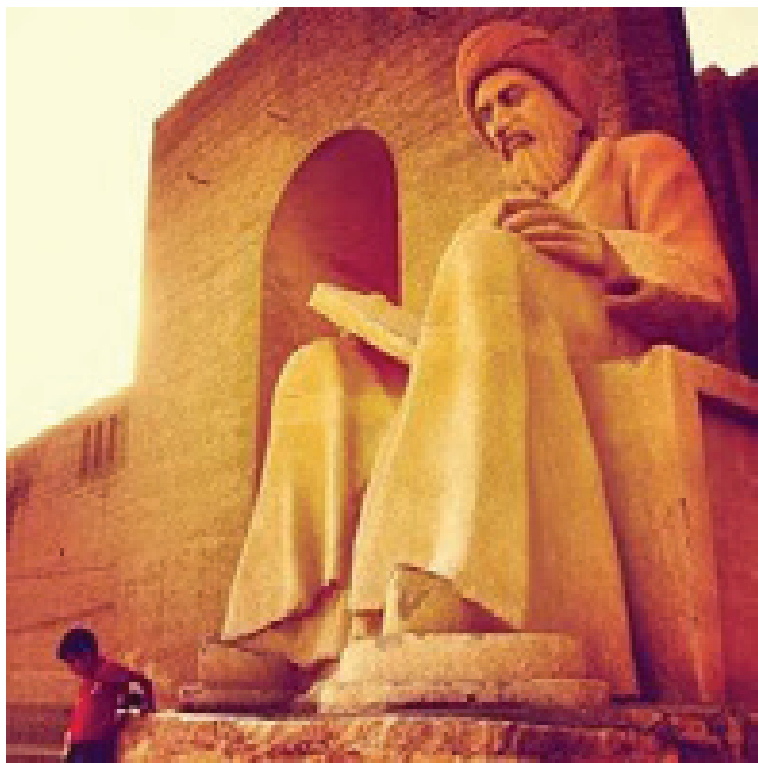
ٹاہلویہ کی ہونہر مند گوردی دانیشتووی ئەمانیا - پاسین
حسین - ۳۲ - ۵۰ سم، شہزا و موری سولتان موزملہر دہینہ،
وہ لہ بھرگی دوواوہ: ٹاہلویہ کی کوانی سولتانہ لہ گہل نالای
ایمارہتی اربل و تراوی سہر دہمی زینتی سہلتہنتی اربل.
نالای شہارہتی سولتان موزملہر رینگیکی شہن لہ ناوہ راستیدا
وینہی بازیکی گہورہ و شہریکی لہ سہرہ.
دہرہمی شہارہتی اربل کہ تیبیدا ہاتوود: دہم ملک المؤمن
ملک الامراء مظفرالدین کوکبورو و رووگہمی تری وینہی
سواریکہ لہ سہر ہشتی شہریک.

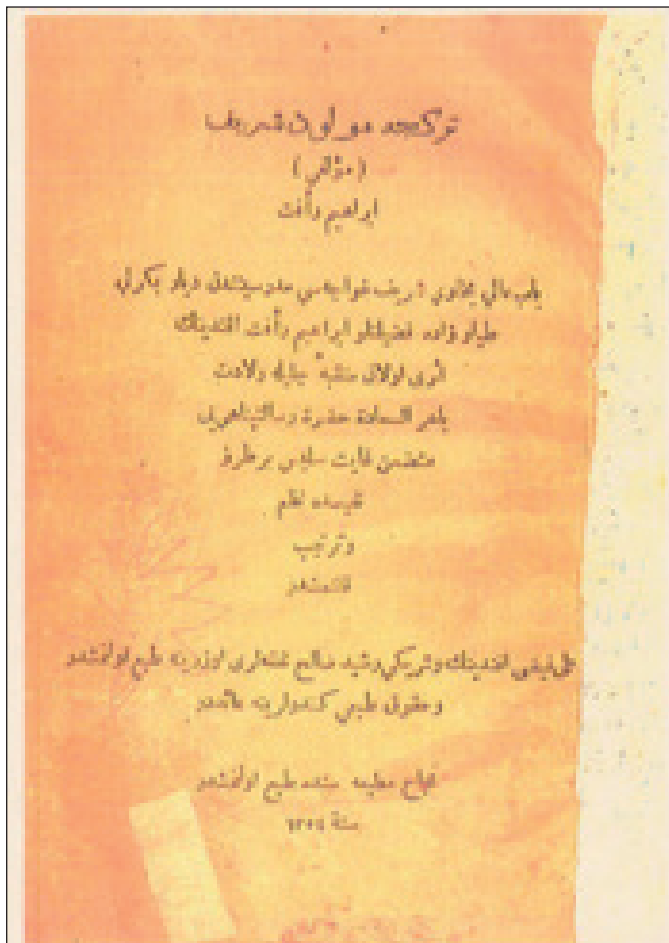


السُّلْطَانُ مَظْفَرُ الدِّينِ كُوكْبُورُ
أَمِيرِ أَرْبِلِ



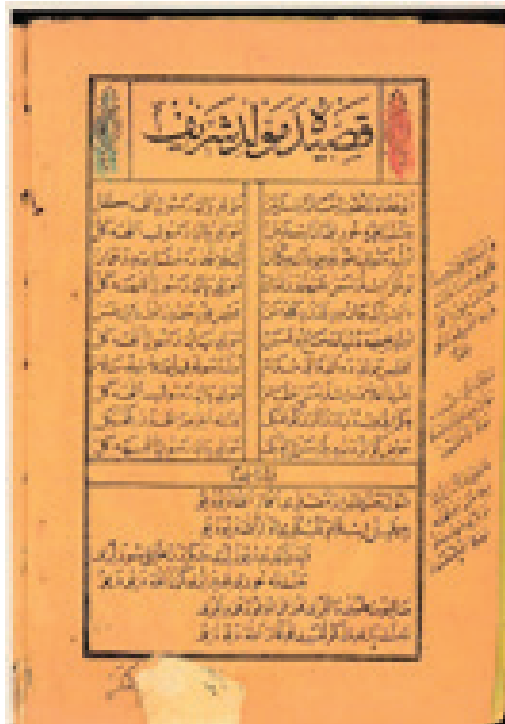
السلطان مظفرالدين كوكيبورو - امير اربل مظفر نامه

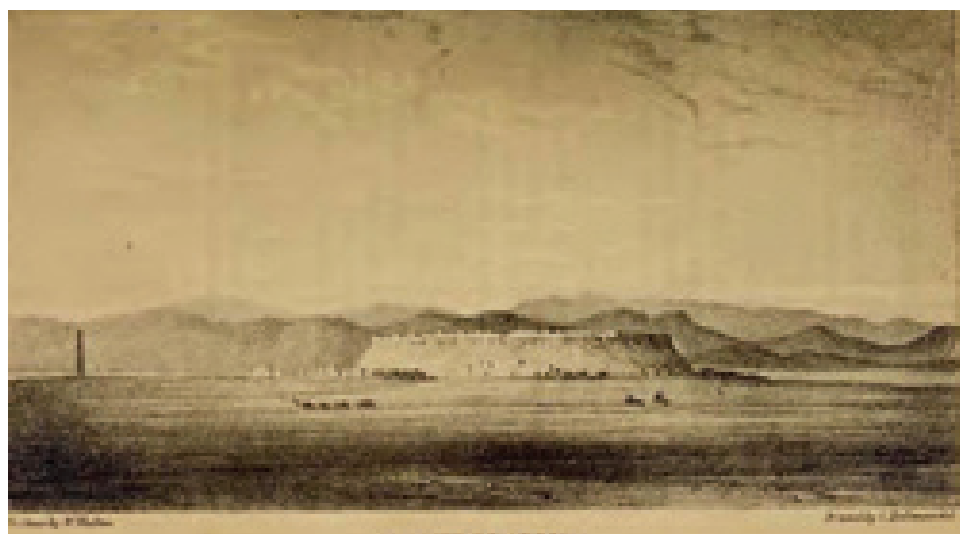




السلطان مظفرالدين كوكبورو - امير اربل مظفر نامه









الكاتب والمؤرخ الاربييللي الكبير الدكتور محسن محمد حسين البقال عضو اكااديمية الكوردية - مؤلف كتاب (اربييل في العصر الاتابكي)

السلطان مظفرالدين كوكبورو - امير اربل مظفر نامه







السلطان مظفرالدين زين الدين علي بن شويخ بن شويخ بن العادل و امير اربيل

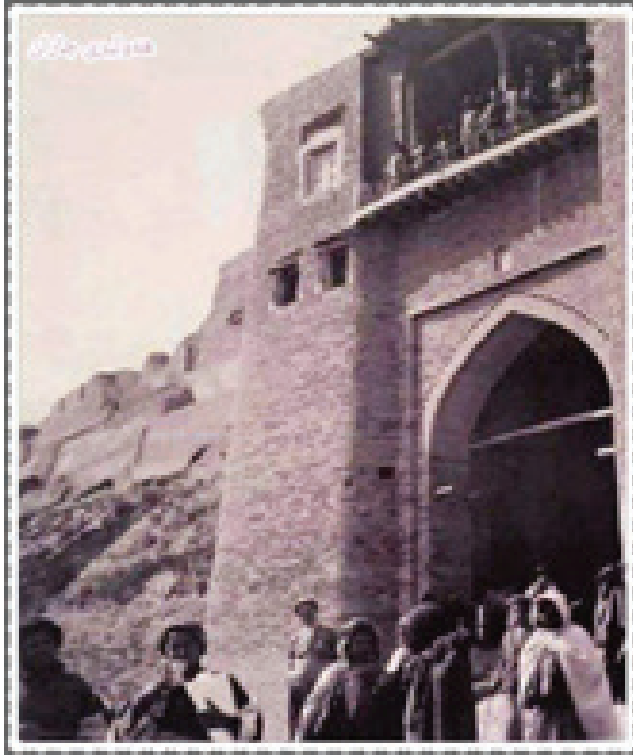
1144 - 1232 ميلادي



مملكة كورنك العربية (اربيل)

السلطان مظفرالدين كوكبورو - امير اربل مظفر نامه





السلطان مظفرالدين كوكبورو- امير اربل مظفر نامه











شعر كتبت من قبل ابو الخطاب ابن الدحية الكلبي الاندلسي
 مامحا اماره اربل و السلطان مظفرالدين الكوكبوري ملك و امير اربل

مَلِكٌ يَلُوحُ عَلَيْهِ مِنْ شَمْسِ الضَّمْسِيِّ
 سَيْفًا، وَمِنْ بَذْرِ النِّعَامِ مَخَابِلُ
 لَا يَلْتَنِي غَيْرُ الثَّنَا خَيْرًا وَلَا
 يَقْضِي لِنَيْهِ الْمَالُ إِلَّا النَّابِلُ
 أَنْظُرْ لِأَرْبِلٍ هَاجٍ، قَدْ لَيْسَتْ بِهِ
 ظِلًا كَمَا وَثَّتِ الرِّيَاضُ خَمَابِلُ
 لَوْ تَسْتَطِيعُ لَصَانِحَتَهُ يَمِينُهَا
 لَمَا آتَاهَا مِثْلُ مَرْزُوقِهَا
 فَاقْفَاضُ فِيهَا الْعَدْلُ يَنْدِي سَلْسَلًا
 تَزْوِي الْمَتَى فِيهِ، وَمِنْ هَوَابِلُ
 بَشَرِي لَهَا خَلْقٌ تَقَلَّدَ مَلَكُهَا
 مَلِكٌ خُلَاةَ مَكَارِمٍ وَمَوَاضِلُ
 وَمَوَاهِبُ وَسَلَاهِبُ وَرَفَائِبُ
 وَمَقَانِبُ وَكِتَابِبُ وَخَفَائِلُ
 يَا وَفِخْ أَرْضِ الرُّومِ، سَوْفَ يَزِيدُهَا
 مِنْ نَجْلِ رَبِّينَ الدِّينِ هَوَالُهَا
 وَتَطَّلُ دَارَ الشَّرِكِ خَيْرًا أَهْيَا
 فِيهِ وَشَاحٌ لِلْكَتَابِ خَابِلُ
 وَيُطِيفُ فِيهَا لِلْإِنْسَانِ وَالْحِصَا
 وَنَمَالِجُ وَأَسَاوِرُ وَخَلَابِلُ
 لِأَزَالُ كَالشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ فِي الضَّمْسِيِّ
 وَبَعْدَهُ فِي الْهَيْجَاءِ ظِلُّ زَائِلُ



<p>مظفر نامہ السلطان مظفرالدين كوكبورو- امير اربل</p>		
<p>مظفر نامہ السلطان مظفرالدين كوكبورو- امير اربل</p>		<p>کتاب التلويز في مولد الصراج العشير ابن دعية القلي الاندلسي</p>
<p>مظفر نامہ السلطان مظفرالدين كوكبورو- امير اربل</p> <p>مظفر نامہ السلطان مظفرالدين كوكبورو- امير اربل</p>		



الإمام أبو الخطاب ابن دحية والإمام ابن خلكان والإمام التميمي والإمام الناصري والملك
المظفر والملك يوسف بن عبد الحق والسلاطين بنو العزني:

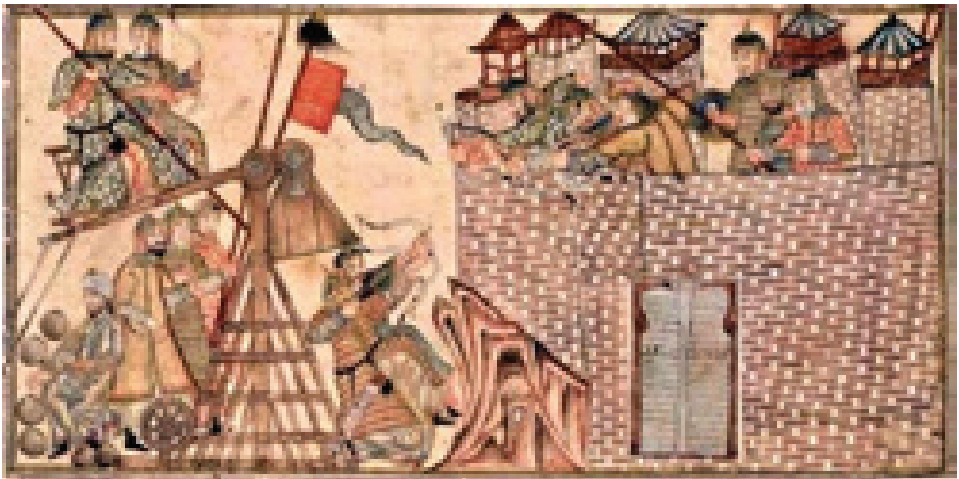
يعمل الإمام ابن دحية كتاباً في المولد للملك المظفر ليقرأ عند الاحتفال بهذه المناسبة. قال
ابن خلكان في وفيات الأعيان (ج ٦ / ص ٢١١): (كان الخافظ أبو الخطاب ابن دحية
المعروف بأبي النسيب، رحمه الله تعالى، عند وصوله إلى مدينة إربل، ورأى اهتمام
سلطانها الملك المعظم مظفر الدين ابن زين الدين، رحمه الله تعالى، بعمل مولد النبي صلى
الله عليه وسلم، حسبما هو مشروح في حرف الكاف من هذا الكتاب عند ذكر اسمه،
صنف له كتاباً سماه "التوير في مدح السراج المنير"، وفي آخر الكتاب قصيدة طويلة مدح
بها مظفر الدين... وقرأ الكتاب والقصيدة عليه، وسمعتنا نحن الكتاب على مظفر الدين في
شعبان سنة ست وعشرين وستمائة والقصيدة فيه.)

وقال أيضاً في وفيات الأعيان (ج ٣ / ص ١١٩): (وقدم مدينة إربل في سنة أربع
وستمائة، وهو متوجه إلى خراسان، لرأى صاحبها الملك المعظم مظفر الدين بن زيد
الدين، رحمه الله تعالى، مولعاً بعمل مولد النبي، صلى الله عليه وسلم، عظيم الاحتفال
به - كما هو المذكور في ترجمته في حرف الكاف من هذا الكتاب - فعمل له كتاباً سماه
"كتاب التوير في مولد السراج المنير" وقرأه عليه بنفسه، وسمعتنا على الملك المعظم في
ست مجاليس في جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين.)

وفي سر أعلام النبلاء (ج ٢٢ / ص ٣٣٦): (وأما احتفاله بالمولد فينصر التعبير عنه،
كان الخلق يقصدونه من العراق والجزيرة وتنصب قباب خشب له ولأمراته وتزين، وبها
جوق المغاني واللعب، وينزل كل يوم العصر فينصف على كل فبة ويتخرج، ويعمل ذلك
أياماً، ويخرج من البقر والأبل والغنم شيئاً كثيراً تتحر وتطبخ الألوان، ويعمل عدة خلع
للصوفية، ويتكلم الوعاظ في الميدان، فيفق أموالاً جزيلة. وقد جمع له ابن دحية "كتاب
المولد" فأعطاه ألف دينار، وكان متواضعاً، خيراً سنياء يحب الفقهاء والمحدثين.)

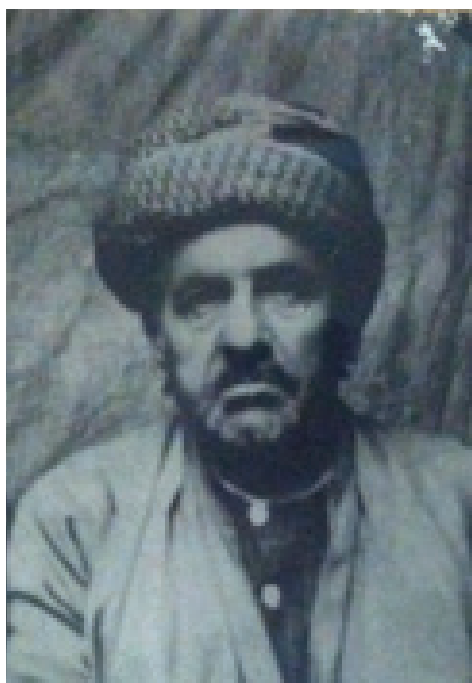


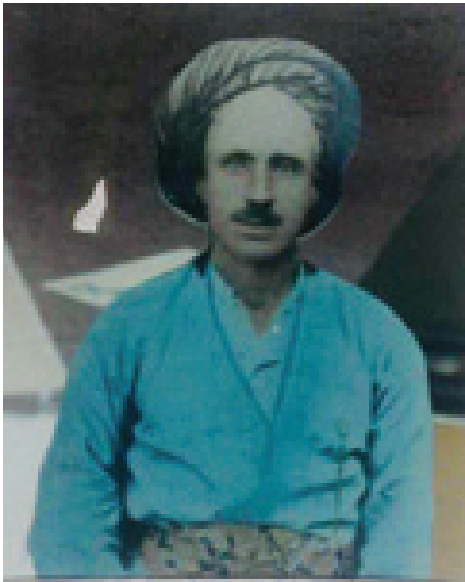
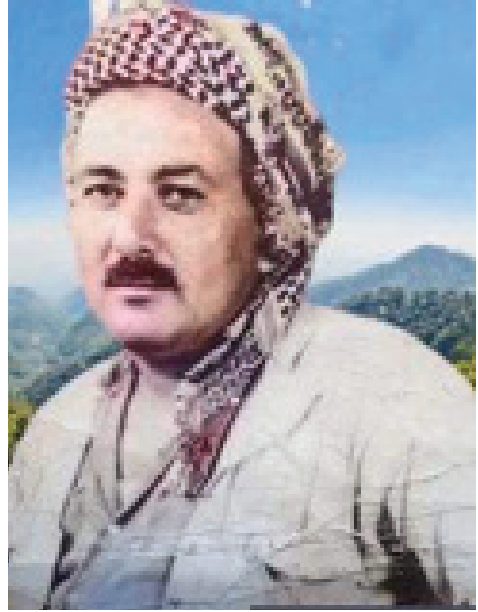
Sultan Muzaffereddin Gökboru
Selçuklu Komutan ve Erbil Atabey Sultanı
1144-1232



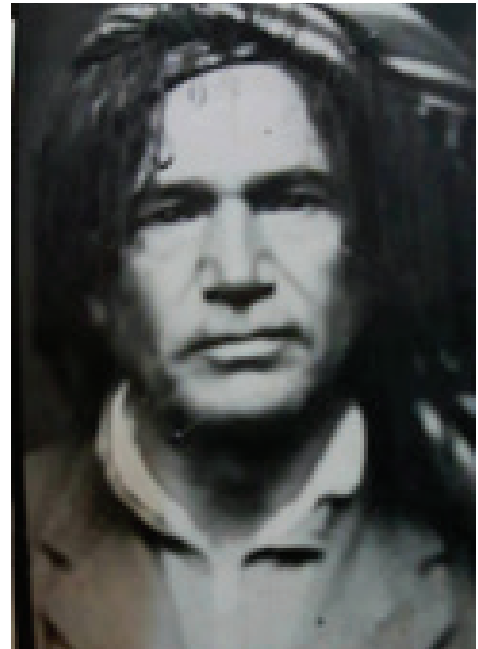


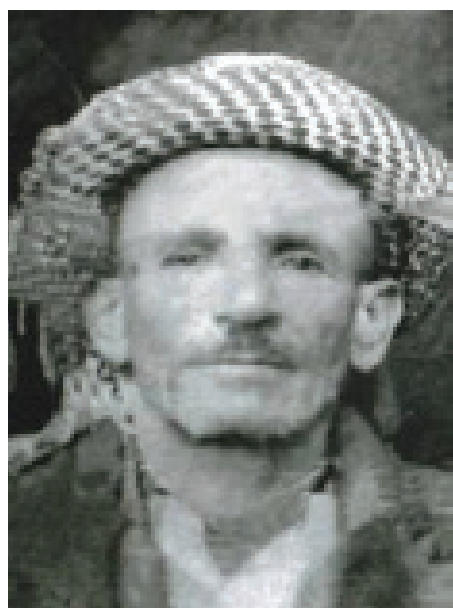
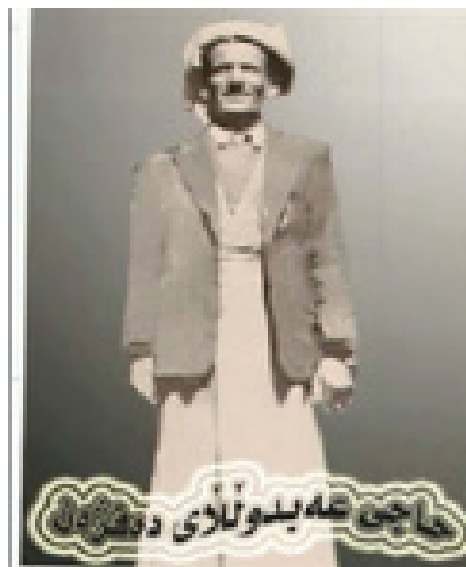
اربيل محلة خانقاه خلف حمام علي آغا الباشا، حيث كان يسكن فيه عائلة الكاتب
في سنة ١٩٦٠





حاجی عبد کریم مصطفیٰ الہی







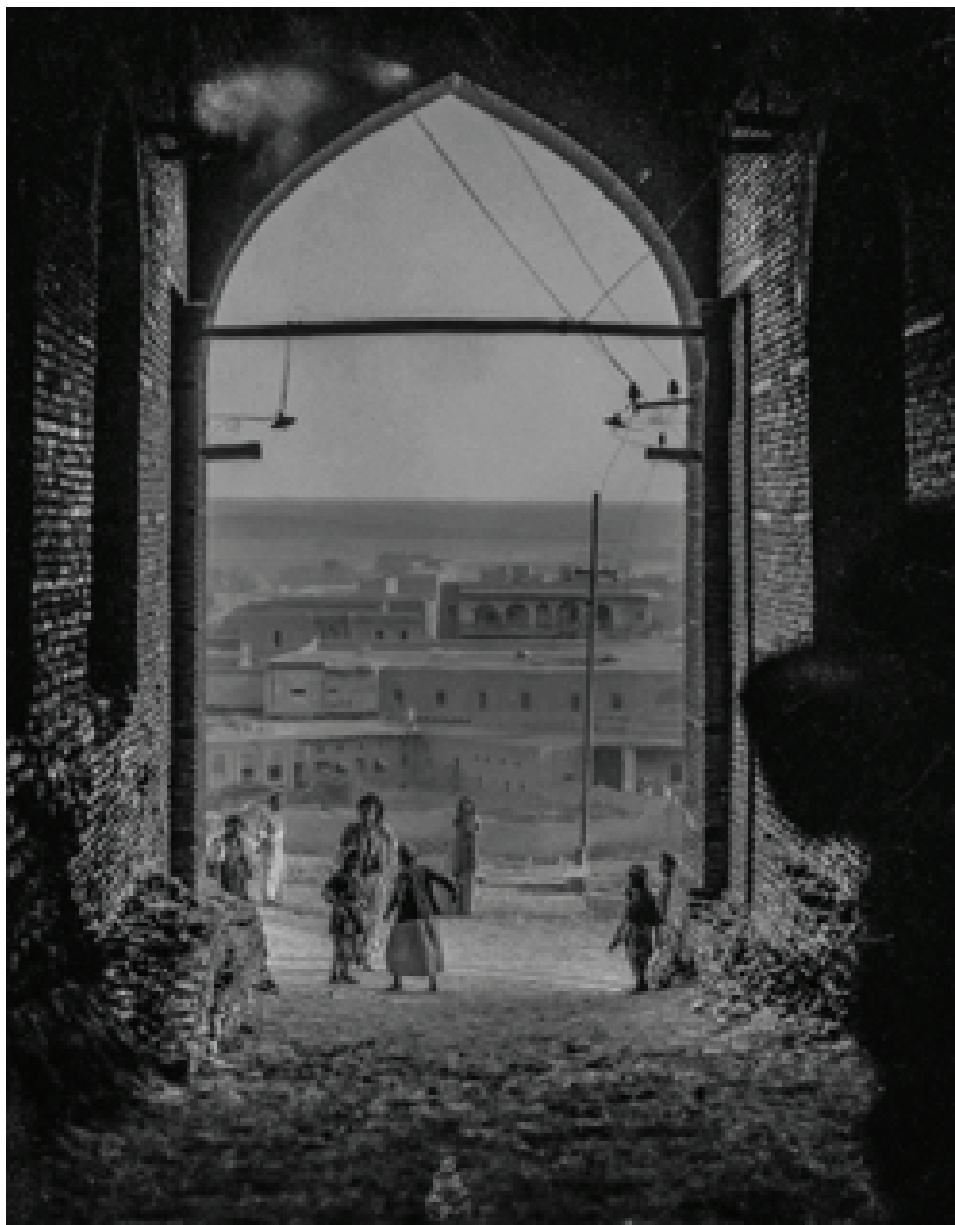
السلطان مظفرالدين كوكبورو- امير اربل مظفر نامه



۳۶ - المستنصر بالله

هو أمير جنود المستنصر بالله بن الظاهر
 برزج بالخلافة يوم وفاة والده ١٤ رجب سنة ٦٢٣ (١١ برزج سنة ١٢٢٦)
 واستمر في الخلافة إلى أن توفى لعشرين خلوت من جمادى الآخرة سنة ٦٤٠
 (٥ ديسمبر سنة ١٢٤٣) فكانت خلافته ١٧ سنة (١١ شهراً)
 كان المستنصر شهياً جواداً يبارى الزنج كرمياً وجواداً ولها الأمانار الجليل بناد،
 منها ومن أعظمها المدرسة المستنصرية على شط دجلة من الجانب الشرقي مما يلي
 دار الخلافة وبني فيها من القناطر والحانات والربط ودور الضيافة وكان يقول
 إن أعاف إلا يبين الله على ما أعبه وأعطيه لأن الله تعالى يقول: ولئن تناهوا
 عن تنفقوا مما يحبون، وأما والله لا فرق عندي بين التراب والذهب
 ولما قول ملك في الخير والإحسان إلى الناس سيرة أبيه وأمر قنودى بغداد بإقامة
 العدل، وأن من كان له صاحب أو مظلة يطالع بها تقضى حاجته وتكف مظلته
 وفي عهده توفى ملك المغول الكبير جنكيز خان سنة ٦٢٤ وحل محله في بلاد
 خراسان وما وراءها ابنه تول خان فوسع مملكته إلى الغرب وأرسل فرقة إلى
 بلاد أذربيجان المملوكية وأجلبت عنها جلال الدين منكبرتي وعالمهم أهل أذربيجان
 خوفاً شديداً ولم يكن أمامهم من يرد غائلتهم بعد جلال الدين الذي لم يجد له نصيراً
 لأنه وتر الملوكة الجاودين له طراً

قال ابن الأثير تعليقاً على هذه الحال (فما ترى من ملوك الإسلام من له رغبة
 في الجهاد ولا في نصرة الدين بل كل منهم خليل على غيره وابعه وعظم رعيته وهذا
 الخوف عندي من العدو) قال الذهبي (واقتراقت لالعين الذين ظنوا أنك خاصة)
 وكان مقتل جلال الدين منتصف شوال سنة ٦٣٨ قتل شريفاً طريقاً لم ينفده
 هذا الملك العظيم الذي ورثه عن أبيه وجلا كنه ثم للمغول ملك جميع البلاد الفارسية
 إلى حدود العراق ولم ينهياً للملوكة أن يتفقوا ضد هذا العدو القوي المراسم بل كانوا
 فيما بينهم متفقين يتبرع بعضهم على بعض وهم عن عدوم لاهون خائفون. صار العراق
 يفتقر النكبة منهم من أن للآخرة خليفة بغداد واستسلم للمعادى عدل بمركزه الدين.



KURDISTAN REGIONAL GOVERNMENT
THE PRIME MINISTER



حکومتی هەرێمی کوردستان
سەرۆک وەزیران

٢٠١٩/٥/٢٤

بەرز غەسەم بۆ بەرز ئه‌مه‌،

سڵاو و بەرز-

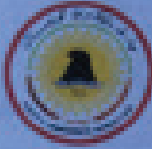
بە خوشحالی هه‌مه‌ دياره‌ به‌ هه‌رێمه‌کان، به‌رزوکی "مظفر نامه"، سولتان
موزه‌ هه‌ره‌دین کۆکبورو" به‌ ده‌ست گه‌هشت، زۆر سوپاس، ده‌ستخۆشی ته‌و
به‌ره‌مه‌کان ئه‌ده‌کم. هه‌وادارم بێته‌ سه‌رچاره‌یه‌کی به‌سوورد بۆ ئه‌نگۆلیه‌وه‌ی
سێزوری. هه‌یوای به‌رزوه‌ی، به‌ره‌می زانی و سه‌رکه‌وتنه‌کان بۆ ده‌خوازم.

هه‌ر شاد بێ.

نێجیروان بارزانی



زمرہ /
رقم /



پارٹی ڈیموکریسی گورنمنٹ
سنگھتی سروسز

برای پروفیز کاکت خسرو پیرمال

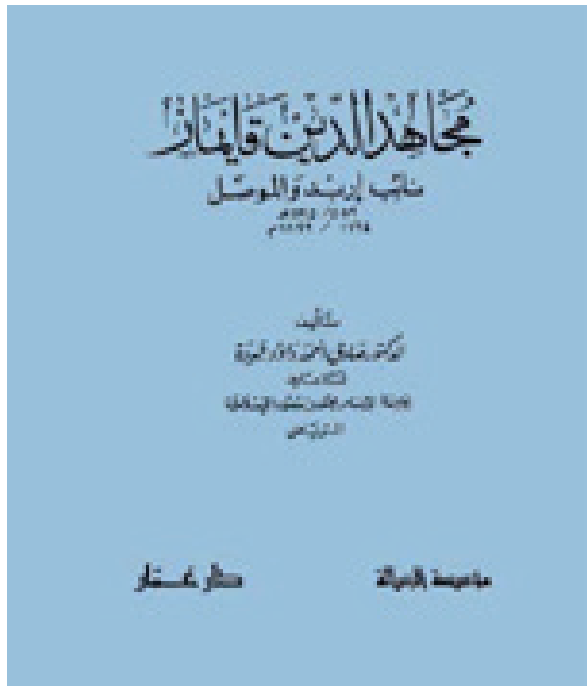
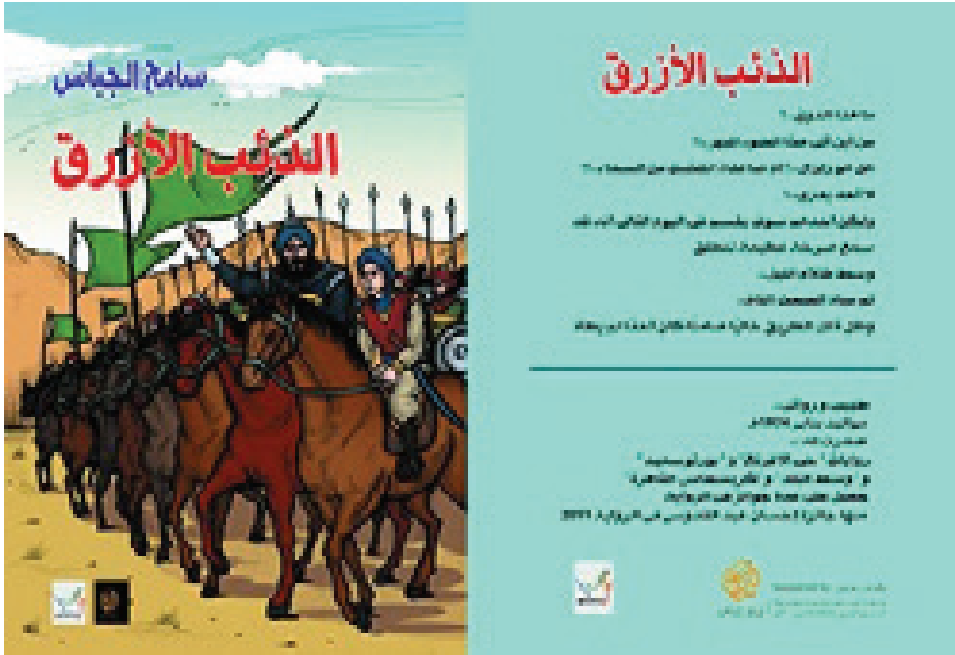
سلاو و ریز

به خوشحالییہ و مرکزہ رازی کتیبی (السلطان مظفرالدین کوکبورو امیر اربل)م
پتنگمیشٹ کہ به دپاری نارہ پورتان۔
کز کردنمروی زانیاری له سر ندم کسماہتیدی همولیز و بلاز کردنمروی ندم
زانباریبیانہ له شان کتیبی و مرکزہ رازہ کہ و نارلینانی به (مظفر نامہ) به عابده کی
دیگہی داره کتیبی کہ که هیوادارم جینی شایستهی خوبی له کتیبخانہی کوردیدا
بگرتنم۔
سویاستان داکم له گدل هیوای سرکرتنی زیاتر.

پرتان

سیداد بلو زانی

۲-۱۹/۵/۱۶





التعايش الديني السلمي في مدينة أربيل في عهد السلطان مظفر الدين كوكبوري

549-630هـ

ID No. 2695

(PP 274 - 291)

<https://doi.org/10.21271/zjhs.23.3.16>

عادل عبدالله حمد

كلية العلوم الاسلامية - جامعة صلاح الدين- أربيل

adil.hamad@su.edu.krd

الاستلام: 2019/00/00

القبول: 2019/05/27

النشر: 2019/06/20

ملخص

حظي السلطان مظفر الدين كوكبوري باهتمام واسع من لدن المؤرخين والباحثين، وذلك بفضل شخصيته المتميزة والذي يتصف بفضائل الأخلاق النابعة من تعاليم الدين الإسلامي السمحة، فقد كرس حياته لإيجاد مجتمع متماسك بين كافة أجناسه وأديانه، مع الحفاظ على الخصوصيات القومية والدينية والمذهبية للكل، وتكون العدالة والمساواة فيصل ذلك المجتمع، والتسامح رابعه.

ساد الأمن والسلام على مدينة أربيل في عهد السلطان مظفر الدين، فكان يعيش فيه الكردي والتركماني والعربي، والمسلم والمسيحي واليهودي والإيزدي... وغيرهم من أصحاب المعتقدات والديانات، وكان لجميع أفراد المجتمع حقوقهم وواجباتهم على أساس المواطنة، وما يبذل المرء في سبيل خدمة مجتمعه ومدينته.

حارب السلطان مظفر الدين خلال توليه الحكم في إمارة أربيل الفساد والمحسوبية، فعلى الرغم من أنه كان جوداً سمحاً بالناس إلا أنه كان شديداً صارماً مع كل من يحاول أن يمد يده على أموال الدولة أو الأموال الخاصة بطرق غير مشروعة، أو يحاول أن يبتز المواطنين عن طريق التهديد لإرغامهم على دفع مبالغ أو تقديم رشاوي، أو يحدث شرخاً بين أبناء المجتمع على أساس العصبية القومية والمذهبية والعرقية، ولأن هذه المواقف تعد نقطة إيجابية لصالح السلطان المعظم.

وهذه ورقة بحثية يحاول الباحث من خلالها إلقاء الضوء على مفهوم التعايش الديني السلمي في مدينة أربيل في عهد السلطان مظفر الدين كوكبوري ودوره في الحفاظ على الاستقرار والسلام الاجتماعي، إذ يعدّ الأمن والسلام من أهم متطلبات الحياة، فيتوقف عليهما تقدم المجتمع وتنميته من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، كما يتوقف عليهما الاستقرار النفسي للفرد والجماعات داخل المجتمع، فمتى ما شعر الانسان بالأمن على حياته ودينه وماله وعرضه، فلا شك أن ذلك سيكون له تأثيره الإيجابي على أمن الدولة، وسلامتها، وتقدمها على جميع الأصعدة.

الكلمات الدالة: التعايش الديني، محافظة أربيل، مظفر الدين كوكبوري، المولد النبوي.

المقدمة:

لحمد لله رب العالمين، إله الأولين والآخرين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم. أمّا بعد: فقد شهدت السنوات الأخيرة تزايداً كبيراً في المعرفة بالثقافات والديانات الأخرى، كما شهد أيضاً تأسيس الحركات الدينية والسياسية، وقد سعى الباحثون إلى دراسة تاريخ وثقافة الشعوب وربطها بالحالة الدينية والسياسية والاجتماعية.

ولما كان التاريخ مرآة الأمم، يعكس ماضيها، ويترجم حاضرها، وتستلهم من خلاله مستقبلها، كان من الأهمية بمكان الاهتمام به، والحفاظ عليه، ونقله إلى الأجيال نقلاً صحيحاً، بحيث يكون نبراساً وهدايا لهم في حاضرمهم ومستقبلهم، فالشعوب التي لا تاريخ لها لا وجود لها، إذ به قوام الأمم، تحيي بوجوده، وتموت بانعدامه.

وقد جاء الإسلام كتشريع رباني خالد ليقدم مفاهيم عظيمة سمحة ترتضيها البشرية كلها بفطرتها السليمة وإنسانيتها الكريمة، فكانت هذه القيم من أهم نقاط تلاقي المجتمعات الإنسانية، فالحرية والمساواة في الحقوق والواجبات، والتعاون والتعارف في



خدمة المجتمع، والعفو والإحسان مع الناس، والسلم والسلام مع الشعوب والطوائف والأديان، وحسن الجوار ... كلها مبادئ حملها الدين الإسلامي إلى الناس جميعاً.

استطاع الإسلام ترسيخ هذه القيم النبيلة والمبادئ السامية في نفوس المسلمين، ودعا الناس كافة إلى التعايش الديني السلمي، وقد كانت الأمة الكرديّة على مستوى المسؤولية للاستجابة لأمر الله تعالى ورسوله الأكرم ﷺ في تحمل قسط كبير من نشر الدعوة الإسلامية، وتعمير ثقافتها الدينية والقومية بين مكونات المجتمع الكرديّ، وعلى الأقسام المجاورة لها.

ومدينة أربيل من المدن الكرديّة الإسلامية امتازت بعراقة تاريخها، فهي بقعة تاريخية أثرية تعد من أقدم مدن العالم التي استمرت عليها الحياة، وكانت ولا تزال لها دورها الريادي على جميع الأصعدة في كل عصر.

وحظيت هذه المدينة العريقة في عهد السلطان مظفر الدين كوكبوري بمكانة متميزة قلّ شأنها في هذه الحقبة من الزمن، فاشتهرت بالعلم، والمعرفة، والتعايش الديني السلمي، وقدمت علماء أجلاء في مختلف العلوم الشرعية والإنسانية، وشهدت نهوضاً عمرانياً وثقافياً، حتى أصبحت ملتقى العلماء والأدباء والشعراء، وذلك لما لاقى من اهتمام السلطان والساسة بتطور بنيتها التحتية، ومعالمها الدينية، ومراكزها الثقافية.

هدف البحث:

يهدف البحث إلى بيان المعالم التاريخية والدينية والثقافية في مدينة أربيل، والخروج بنتيجة أن الذين يُروعون الأمنين لا يمد لهم بالإسلام صلة، وانهم لا ينتمون إلى أهالي أربيل الذين طالما عُرفوا بحبهم للسلم والأمان.

أهمية البحث:

إن هذا الموضوع متعلق بدراسة مظاهر التعايش الديني السلمي في مدينة أربيل في عهد السلطان مظفرالدين كوكبوري، وبيان أصالة هذه المدينة وعراقتها في هذه الحقبة من الزمن، فرأيت من المناسب أن أختاره للدراسة والبحث، لأبين ما وفقني الله تعالى من بيانه وتوضيحه بالبحث والدراسة.

منهج البحث:

اتباع الباحث في هذه الدراسة المنهج التاريخي التحليلي، وقد تم عرض المواضيع وتوثيق المعلومات والأحداث من خلال المصادر والمراجع المعتمدة والشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، ودراسته دراسة تحليلية موضوعية بإيجاز.

مشكلة البحث:

إن موضوع التعايش الديني السلمي في عهد السلطان مظفرالدين كوكبوري بحد ذاته إشكالية، فتكاد المصادر تكون محدودة، إذ أن مكتباتنا تفتقر إلى معلومات غزيرة عن هذه الحقبة من الزمن، فلم يبرز في الكتب والبحوث العلمية دراسة هذا الموضوع من جوانبها المختلفة، وإن ما ورد إلينا فكثير منها تكون تكرار واقتباس لما سبق.

الدراسات السابقة:

لم أجد مصدرراً أو رسالة علمية أو بحث أكاديمي – حسب اطلاعي – تناول هذا العنوان وبهذا الشكل، وتطرق في دراسته لحياة السلطان مظفر الدين كوكبوري والتعايش الديني السلمي في مدينة أربيل، إلا أن هناك دراسات وأبحاث مستفيضة للمؤرخين والباحثين المعاصرين كتب باللغة العربية والكرديّة اقتصرنا على جوانب منها.

أولاً: فمن أهم المصادر التي اهتمت بهذا الموضوع:

- (1) معجم البلدان: أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله الحموي (ت 626 هـ).
 - (2) الكامل في التاريخ: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني (ت 630 هـ).
 - (3) تاريخ أربيل: شرف الدين أبي البركات المبارك بن أحمد الأربلي (ت 637 هـ).
 - (4) جمع التواريخ: رشيد الدين فضل الله الهمذاني (ت 718 هـ).
 - (5) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت 748 هـ).
 - (6) البداية والنهاية: أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت 774 هـ).
 - (7) آثار البلاد وأخبار العباد: زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت 1023 هـ).
- ثانياً: ومن المراجع الحديثة التي اهتمت بدراسة مدينة أربيل:
- (1) أربيل في العهد الأتابكي: محسن محمد حسين.
 - (2) أربيل في مختلف العصور اللواء والمدينة: عباس العزاوي.



(3) آرپیل في أدوارها التاريخية: زهير بلال شاويس.

وإلى غير ذلك من المصادر والأبحاث العلمية التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه على تمهيد ومبحثين، فنتائج، وتوصياته، ومصادره ومراجعته، ويمكن إيجاز خطة البحث وما يحتويه كالآتي:

ذكرت في التمهيد لمحة عن تاريخ مدينة أربيل، وأصل تسميتها، وموقعها الجغرافي، وأهم الحملات العسكرية التي تعرض لها. واحتوى المبحث الأول مطلبين، تكلمت في أوله عن حياة السلطان مظفر الدين الكوكبوري، فذكرت من خلاله اسمه، ونشأته، وألقابه، وزهده وتواضعه، وزواجه وأولاده، وخلقته ونقاء العلماء عليه، ومحاسنه.

وتحدثت في المطلب الثاني عن إمارته، وعقيدته ومذهبه، وشجاعته وجهاده، وأعماله الخيرية، ودوره في البناء والتعمير، والمآخذ عليه، ووفاته.

واحتضن المبحث الثاني مطلبين، تطرقت في أوله إلى الحالة العلمية والاجتماعية والاقتصادية في مدينة أربيل في عهد السلطان مظفر الدين، وخصصت ثانيه لمظاهر التعايش الديني السلمي في ذلك العهد، وختمت الدراسة بخاتمة ذكرت فيها أهم نتائج البحث والتوصيات.

وختاماً أعتذر عمداً بدر مني من خطأ أو تقصير، وأرجو من الله العليم الحكيم أن يلهمنا الصواب، وان يسدد خطانا، وأرجو أيضاً أن يكون عملي هذا موافقاً لخدمة ديننا الحنيف، ويساهم في خدمة تاريخ مدينتي ومعالمها بشكل هادف، ويجعله الله تعالى ذخيرة في حسناتي، إنه سميع مجيب.

تمهيد

لمحة عن تاريخ مدينة أربيل وموقعها الجغرافي

تعد مدينة أربيل من أقدم مدن العالم التي استمر بها الاستيطان البشري، فقد نشأت فيها السكنى منذ بضعة آلاف سنة قبل الميلاد، وكانت المدينة قائمة في العهد السومري في حدود (2500) سنة قبل الميلاد، وشهدت أربيل عصوراً تاريخية متعاقبة، وأصبحت في عصر الآشوري من أهم مدنه وخاصة في العهد الآشوري الحديث، حيث نالت في هذا العهد مكانة دينية مميزة، وتعاقبت عليها سيطرة العديد من الحضارات مثل البابلية (البارثيين الفرثيين) شعب من الشعوب الإيرانية القديمة ينتمون إلى قبيلة فارسي، بدأ ظهور الفرثيين كدولة مستقلة في العهد السلوقي في منتصف القرن الثالث ق.م، وانتهى الحكم البارثي (الفرثي) في العراق من خلال حدوث ثورة في عهد آخر ملك فرثي، وفي عام (226م) توج الساساني اردشير بن بابك نفسه على العرش في طيسفون وأنهى السيادة الفرثية في بلاد بابل (العرب في العصور القديمة: 223/1) والسلوقية (السلوقية: يرجع تاريخهم إلى 64 - 312 ق.م، وهي سلالة هلنستية ترجع تسميتها إلى مؤسس للدولة: سلوقس الأول نيكاتور)، وشكلت الدولة السلوقية إحدى دول ملوك طوائف الإسكندر، التي نشأت بعد موت الإسكندر المقدوني (ينظر: قصة الحضارة: 36/8) والساسانية (الساسانيين: تعد الدولة الساسانية من أعظم الدول في الخليفة وأشدّها قوة، وهي إحدى الدولتين اللتين صجحاها الإسلام في العالم وهما دولة فارس والروم، يرجع تاريخ الساسانيين إلى سنة 226- 651م، وسقطت هذه الإمبراطورية الساسانية بعد أن قام المسلمون بفتح بلاد فارس سنة 651م) (ينظر: ابن خلدون: 1988 : 199/2)، ولكن بعد هذا العهد الأخير قلّ شأنها إلى أن أصبحت من أولى المراكز النصرانية الشرقية (معجم البلدان: 137/1 وأثار البلاد: 290).

وفيما يتعلق بالعهد الإسلامي فقد فتح المسلمون أربيل وما يجاورها في عهد الخليفة عمر بن الخطاب في سنة (32هـ) بقيادة عتبة بن فرقد رضي الله عنه (هو الصحابي الجليل : عتبة بن فرقد بن يربوع بن حبيب بن مالك بن أسعد بن رفاعة السلمي أبو عبد الله، شهد خيبر، وإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وولاه في الفتح ففتح الموصل سنة 18هـ مع عياض بن غنم، وقيل أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوتين، توفي بالكوفة) (ابن حجر، 1415هـ: 2/3)، وقد دخلت المدينة تحت الحكم الإسلامي، وبقت في عهد الأموي والعباسي كجزء من الدولة الإسلامية، وظلت على إسلاميتها إلى اليوم (البلداني، 1988: 325 وماكدول، 2004: 58).

ومن الجدير بالذكر أنه لم يظهر لمدينة اربيل شأن في صدر الاسلام، وبقيت مدينة مغمورة، ولكن في القرن الخامس الهجري علت شأنها بعدما قامت إمارة الكرد الهذبانية فيها، (الهذبانية: قبيلة كردية قديمة سكنت في أوائل انتشار الإسلام مناطق تمتد من اربيل جنوباً إلى شمال تبريز في إيران، وكذلك انتشرت بعض بطونها المسماة (الرواندية) في بلاد اران وأرمينيا الحالية ضمن حدود جمهورية أذربيجان. ولقرابتها مع أسرة القائد صالح الدين الأيوبي التي تنتسب إلى الروادية من دوين، ساهمت الهذبانية في الدولة الأيوبية في بلاد مصر والشام، وظهر بينهم امرء وشخصيات عظيمة في مجال الحرب ضد الصليبيين وإدارة الدولة وعلماء دين وشخصيات اجتماعية مرموقة) (الذهبي، 2006: 264/15 وموقع ويكيبيديا: 2018). وفي سنة (522 هـ) أصبحت مدينة أربيل مركز لإمارة (آل بكتكين)، فازداد شأنها، ولاسيما بعد أن أقام زين



الدين بن علي كجك بن بكين (هو: زين الدين علي بن محمد كجك، أصله من التركمان، رزق أولاداً كثيرة، وكان قصيراً ولذا قيل له (كجك) وهو لفظ أعجمي، ومعناه بالعربي صغير، أي صغير القامة، ملك أربيل وبلاداً كثيرة في تلك النواحي) (ابن خلكان: 113/4).

في أوائل سنة (563هـ) دويلة واتخذت أربيل عاصمة لها، ولكن على الرغم من ذلك فإن أربيل لم تبلغ أوج ازدهارها وبروزها إلا في عهد السلطان مظفر الدين (الحموي، 1957: 51/5 وزكي، 1933: 571/1).

تولى السلطان مظفر الدين كوكبور (كوكبوري) بضم الكافين، بينهما واو ساكنة، ثم باء موحدة مضمومة، ثم واو ساكنة وبعدها راء، وهو اسم تركي معناه بالعربي: الذئب الأزرق) (ابن خلكان: 121/4). حكم إمارة أربيل بين سنة (586هـ/630هـ) ويُعدُّ من أعظم أمرائها، فقد شهدت هذه الإمارة في هذا العهد نهوضاً عمرانياً وثقافياً، وبعد وفاته آلت الإمارة إلى الخليفة العباسي المنتصر بالله (هو: أبو جعفر محمد المنتصر بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد، وهو الخليفة العباسي الحادي عشر، ولد في سامراء في سنة 222هـ، حكم ما بين سنة 247-248هـ، ويُعدُّ عهد الخليفة المنتصر هو بداية عصر ضعف الدولة العباسية، توفي في سنة 248هـ عن 26 سنة، فلم يتمتع بالخلافة إلا ستة أشهر ويومين) (العمري، 2001: 121)، ثم توالت على الإمارة هجمات المغول، والتركمان، والصفويين، وفي سنة (923هـ/1517م) وضعت تحت إدارة حكومة ولاية الموصل في الدولة العثمانية، حتى جاء الاحتلال البريطاني في سنة (1366هـ/1918م)، وبعثه قيام الحكم الأهلي وتأسيس الدولة العراقية في سنة (1340هـ/1921م) (اسماعيل، 1989: 20).

وبالنسبة إلى اسمها فقد ورد اسمها في دائرة المعارف البريطانية بـ (اربلا) وقد اخذ هذا الاسم عن معركة حدثت سنة 331 ق.م بين الاسكندر الأكبر (هو: إسكندر الثالث المقدوني، أحد ملوك مقدونيا الإغريق، ومن أشهر القادة العسكريين والفاتحين عبر التاريخ، وُلد في مدينة بيلابو قارة سنة 356 ق.م، وتعلم على يد الفيلسوف والعالم الشهير أرسطو حتى بلغ ربيعته السادس عشر. وبحلول عامه الثلاثين، كان قد أسس إحدى أكبر وأعظم الإمبراطوريات التي عرفها العالم القديم، توفي الإسكندر في قصر-نوخذ نصر-بابل، في سنة 323 ق.م موقع ويكيبيديا: 2019). وداريوش كودمانوس (هو: داريوش الثالث، كان آخر ملوك الفترة الأخمينية في بلاد فارس، وحكم من عام 336 ق.م حتى عام 330 ق.م. إمتدأتاشا اسم داريوش كاسر الحكم اطيحت بمملكته من قبل الإسكندر الأكبر في معركة شهيرة حدثت عام 330 قبل الميلاد حيث هزم جيشه من قبل الجيش العملاق الاسكندر وفر داريوش من المعركة) (الغزالي، 2001: 13، وموقع ويكيبيديا: 2019).

وأما في دائرة المعارف الإسلامية فإن اسمها القديم كما هو مذكور في النقوش البابلية الآشورية المكتوبة بالخط المسماري هو: (أرباييلو) أي: (أربعة آلهة) وهي كناية عن المعابد الآشورية المهمة في اربيل، وكانت في العهد الآشوري مركزاً رئيسياً لعبادة الإلهة عشتار، وكان الآشوريون يقدسون أربيل، ويحج إليها ملوكهم قبل الإقدام على أي حملة عسكرية. وعرف مدينة أربيل في العصر الإسلامي باسم (اربل) (الغزالي، 2001: 13).

وأما ما يخص قلعتها فأنها قلعة مرتفعة حصينة في سفحها مدينة شاسعة الأطراف، وهي على تل من التراب العظيم واسع الرأس، وفي هذه القلعة أسواق ومنازل للرعية، وجامع، وهو تشبه بقلعة حلب، إلا أنها أكبر وأوسع رقعة (زكي، 1933: 571/1).

يقول ياقوت الحموي (هو: ياقوت الرومي الكاتب الحموي، رحل في طلب النسب إلى بلاد الشام ومصر- والبحرين وخراسان، وسمع الحديث، وصف معجم البلدان ومعجم الأدياء وأسماء الجبال والأنهار والأماكن، توفي بحلب سنة (626) هـ ولم يبلغ الستين) (العسقلاني: 239/6، برقم (843): "وفي ريف هذه القلعة في عصرنا، مدينة كبيرة عريضة طويلة، قام بعمارها وبناء سورها وعمارة أسواقها وقبساتريتها الأمير مظفر الدين كوكبور بن زين الدين كجك علي، فأقام بها وقامت بمقامه، وصار له هبة، وقاوم الملوك، ونايذهم بشهامة وكثرة تجربة حتى هابوه، فاحتفظت بذلك أطرافه، وقصدها الغرباء وقطها كثير منهم، حتى صارت مصرباً كبيراً من الأمصار" (138/1).

وبالنسبة إلى موقعها الجغرافي ومناخها فتبلغ مساحة مدينة أربيل (15074) كمر مربع، وهي بين الزابين (الزاب الأعلى بين الموصل وأربيل ومخرجه من بلاد مشتكر وهو ما بين قطينا والموصل من عين في رأس جبل ينحدر إلى واد وهو شديد الحمرة ويجري في جبال وأودية، بينها وبين مدينة الموصل مرحلتان، ويمتد حتى يفيض في دجلة على فرسخ من الحديثة. وأما الزاب الأسفل فمخرجه من جبال السلق ما بين شهرزور وأذربيجان، ثم يمر إلى ما بين دقوقا وأربيل وبينه وبين الزاب الأعلى مسيرة يومين أو ثلاثة ثم يمتد حتى يفيض في دجلة عند السن، وسميا بالزابين، لأن ملكاً من قداماء ملوك الفرس بنى نهراً في العراق، وكان اسمه زاب فسميتا باسمه) (الحموي: 123/3)، وتحدها من الشمال تركيا ومن الشمال الشرقي إيران، وتقع المدينة ضمن السهوب ذات مناخ انتقالي بين البحر المتوسط والمناخ الصحراوي، وتبعد عن نهر الزاب الكبير حوالي (35) كيلومتراً، وتتميز بالبرودة الشديدة وانخفاض معدل الرطوبة، وكانت مدينة أربيل تعتبر العاصمة الصيفية للعراق في زمن الرئيس العراقي السابق (صدام حسين)، وأصبحت عاصمة إقليم كردستان العراق بعد سنة (2003م)، وذلك لأهميتها التاريخية عبر العصور، ولكونها مركزاً ثقافياً وحضارياً مؤثراً في المنطقة (الحموي: 291/2).

ويوجد في مدينة أربيل أكثر من (110) تلاً وموقعاً أثرياً يرجع تاريخها إلى العصر الحجري، ومنها ما يرجع تاريخها إلى الفتح الإسلامي، ولكن من أهم معالمها الأثرية قلعة أربيل، والمنارة المظفرية، ومن أثارها الإسلامية مسجد يطلق عليه اسم مسجد



(الكف)، وقد أطلق هذا الاسم لوجود حجر فيه وعليه كف إنسان، ويقال أن هذا الكف هو لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب (العزراوي، 2001: 14).

وشهدت مدينة اربيل بعد عام (2003م) تطوراً كبيراً من الناحية العمرانية، حيث جددت حكومة اقليم كردستان الشوارع العامة وساهمت في توسيعها وانشاء الحدائق العامة والمتنزهات الضخمة وتجديد النيات القديمة واعطاء حقوق الاستثمار لشركات عالمية ومراكز تسوق ضخمة ومشاريع ترفيهية، كما وأصبحت قلعة اربيل التاريخية ضمن قائمة التراث العالمي، وظلت هذه المدينة مركزاً للعيش المشترك بين قومياتها المتعددة من الكرد وتركمان وسريان وكلدان وعرب في وقت تعج فيه المنطقة بصراعات طائفية وعرقية (موقع ويكيبيديا: 2018).

وتجدر الإشارة إلى أن اربيل قد تعرضت لحملات عسكرية كثيرة عبر التاريخ، ولكن معظم المحاولات باءت بالفشل، فكانت رمزاً للمقاومة بسبب ارتفاع أسوارها وبسالة أهلها، فقد شن الميديون (الميديون): هم أحد الأقوام التي استوطنت مناطق جبال زاكروس قديماً حيث عاشوا بين نصفهم الاخر الحوريين في الشمال الغربي لما يعرف الآن بكردستان، وكان موطنهم حسب الجغرافية الحالية تشمل كردستان وأذربيجان ومنطقة كارذوخ. ويعتقد أن الميديين هم أحد جذور الشعب الكردي، وبحلول القرن السادس قبل الميلاد تمكنوا من إنشاء امبراطورية ضخمة امتدت من ما يعرف الآن بأذربيجان إلى آسيا الوسطى وأفغانستان، استمر نفوذ الميديين إلى أن تمرد الملك الفارسي كورش على الميديين وحقق انتصاراً كبيراً عليهم سنة 553 ق.م (موقع ويكيبيديا: 2019). هجوماً واسعاً، فأحلقوا كافة المدن الآشورية ومنها نينوى سنة (612 ق.م) ولكن اربيل صمدت أمام هجمات الامبراطور (الهمذاني، 1960: 281/1) كين افسار (هو: الإمبراطور الأول كين أو ما يعرف باسم جيش الطين، كذلك يطلق عليه جيش الأرض المطهية، هو قبر الإمبراطور كين شي هيونغدي الذي يعتقد أنه عاش في عام 209-210 ق.م. في مدينة زيان أو شمال غرب الصين، في عام 246 ق.م. أمر إمبراطور كين ببناء جيش يتم دفنه معه عندما يموت، وأمر بأن لا يكون هناك جنديين مُشابهين في هذا الجيش بأكمله، وهذا ما تم بالفعل براءة مثيرة للدهشة (موقع ويكيبيديا: 2019).

وإضافة إلى ما سبق فإنها احدى المدن القلائل في العالم التي صمدت أمام هجمات المغول ولم يستطيعوا فتحها، لذلك تعرف اربيل بـقاهرة هولاكو (هو: هولاكو خان: هو حاكم مغولي احتل معظم بلاد جنوب غرب آسيا بعد أن قتل آلاف من أهلها، وتوسع جيشه كثيراً بالجزء الجنوبي الغربي للإمبراطورية المغولية، مؤسساً سلالة الخانات بفراس، وتوالت السلالات بعد ذلك إلى أن انتهت إلى إيران الحديثة، وقد اجتاح المغول تحت قيادته بغداد عاصمة الخلافة العباسية، كما تحول المؤرخون من الكتابة العربية للفارسية في عهده، وكانت مدة ملكه نحو عشر سنين، وخلف خمسة عشر ولداً ذكراً، ومات في سنة 1265م) (أبو الفداء: 2/4)، ففي سنة (616هـ/ 1220م) هاجم المغول حدود العراق، وحين وصلت الاخبار الى بغداد تقدمهم من اذربيجان نحو اربيل، بادر الخليفة الناصر لدين الله (هو: الخليفة الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله أبي محمد الحسن، ولد في سنة 553هـ، وبويع في سنة 575هـ بعد أبيه المستضيء بأمر الله وحكم ما يقارب خمسين عاما، حاول إعادة الخلافة إلى دورها المهيمن السابق، وسيطر الخليفة فيها كما لم يكن من قبل، وعمّر أسوار بغداد وأعاد إليها الهيبة والمجد، وبايعه كل سلاطين المسلمين، وأدو له الطاعة، توفي في سنة 622هـ) (موقع ويكيبيديا: 2019). إلى تحصين بغداد، وأرسل بعض مئات من جنوده إلى مظفر الدين بعد أن وعده بعشرة الاف من المقاتلين، فانسحب قوات المغول ظناً منهم أن قوات المسلمين قد خرج لملاقاتهم، قال مظفر الدين: "لما أرسل إلي الخليفة في معنى قصد التتر قلت له: إن العدو قوي، وليس لي من العسكر ما ألقاه به، فإن اجتمع معي عشرة آلاف فارس استنقذت ما أخذ من البلاد فأمرني بالمسير، ووعدي بوصول العسكر، فلما سرت لم يحضر عندي غير عدد لم يبلغوا ثمان مائة طواشي، فأقمت، وما رأيت المخاطرة بنفسي وبالمسلمين" (ابن الأثير، 1996: 349/10).

وتلا تلك فترة من الهدوء دامت نحو عشر سنوات وذلك بسبب عودتهم إلى بلادهم وما تبع ذلك من وفاة جنكيز خان: (جنكيز خان: مؤسس الإمبراطورية المغولية والتي هي أضخم إمبراطورية في التاريخ، توسعت إمبراطوريته بعد أن قتل الملايين من سكان البلاد التي يحتلها، وقد ارتكب مجازر كبيرة بحق المسلمين، توفي سنة 1227 م، ولم يعلن أبناؤه خبر وفاته حتى أقرب المقربين إليه، وتم دفنه في قبر أخفى بطريقة تُصعب الاهتداء إليه) (موقع ويكيبيديا: 2019)، ثم عاودوا هجماتهم على العراق فوصلت غاراتهم الى اربيل والموصل وداقوق (موقع آشور بانبيال للثقافة: 2014).

ويذكر ابن الأثير (هو: الإمام العلامة الحافظ فخر العلماء عز الدين أبو الحسن علي ابن الأثير الشيباني الجزري، ولد سنة (555هـ) المحدث اللغوي صاحب التاريخ ومعرفه الصحابة والأنساب وغير ذلك، وتوفي سنة (603هـ) (ينظر: تذكرة الحفاظ: 1399/4). في هذا الصدد أن في سنة (628هـ/ 1231م): "وصل طائفة من التتر من أذربيجان إلى أعمال اربيل، فقتلوا ما على طريقهم ... إلى أن دخلوا بلد اربيل،



فنهوا القرى، وقتلوا مَن ظَفَرُوا به من أهل تلك الأعمال، وعملوا الأعمال الشنيعة التي لم يُسمَع بمثلها من غيرهم" (ابن الأثير، 1996: 450/10).

استمر الخطر المغولي قائماً، فقد تكررت اغاراتهم على اربيل في سنة (634هـ) (1236م)، وكان عددهم يزيد على ثلاثين الف، فتحصن الناس بالقلعة واعتصموا بها، فحاصروهم المغول لمدة اربعين يوماً، فطالب الناس منهم الصلح مقابل مبلغ من المال، فوافق المغول ولكن سرعان ما غدروا بهم بعد ان حصلوا على الاموال، وحاولوا احتلال القلعة عدة مرات، ولكن أهالي اربيل تصدوا لهم، وتمكنوا من تحقيق النصر عليهم، فاضطرت القوات المغولية الى الانسحاب ورجعوا إلى بلادهم (ابن كثير، 2003: 145/13).

وفي سنة (655 هـ/1257م) بدأ هولاكُو يخطط لاحتلال بغداد، وكلّف القائد (أَرْقِيُو نُويان) (أَرْقِيُو نُويان: لم يتسن لي ترجمته)، بفتح قلعة أربيل، فحاصر أَرْقِيُو القلعة ستة أشهر، ولكنه لم يتمكن من فتحها، فاستعان بصديقهم (بدر الدين لؤلؤ) (هو: بدرالدين لؤلؤ: هو السلطان بدر الدين أبو الفضائل لؤلؤ الأرميني، النوري الاتاكي، مملوك السلطان نور الدين أرسلان شاه، صاحب الموصل. كان من أعز مماليك نور الدين عليه، وكان يصانع التتار وملوك الإسلام، خليفاً للإمارة، قتل أمراء عدة وقطع وشق وهذّب ممالك الجزيرة، وكان يعظم أعياد النصر... وأنه سار إلى خدمة هولاكو، توفي بالموصل سنة 657هـ) (الذهبي، 1992: 484/16) والي الموصل، فأمدّههم بالجنود (موقع آشور بانيبال للثقافة: 2014).

يقول رشيد الدين الهمداني (هو: فضل الله بن أبي الخَيْر بن غالي الهمداني الوَزِير رشيد الدولة أَبُو الفضل، كَانَ أبوه عطاراً يهودياً فأسلم، كَانَ لَهُ رَأْيٌ ودهاء ومروءة ولَهُ مَخَارِبٌ وشفقة وبذل وتودد لأهل الخَيْر، توفي سنة 718هـ) (ابن حجر، 1972: 271/4، برقم: 590): "و ذات ليلة نزل أهل القلعة، وسَمَتُوا غَارَةً ليلية على المغول، وقتلوا كلَّ مَنْ وجدوه، وأشعلوا النارَ في المَجَانيق وأحرقوها، وعادوا إلى القلعة، فلما عجز أَرْقِيُو استدعى بدر الدين لؤلؤ وتشاور معه، فقال هذا الأخير: التدبيرُ هو أن تَدَع هذا العملَ حتى الصَّيف؛ لأنَّ الكُرْد يَفِرُّون من الحرِّ ويلجأون إلى الجبال، أمَّا الآن فالجُوعُ معتدل، وعندهم ذخائرٌ وافرة، والقلعةُ في غاية الإحكام، فلا يتيسَّر فتحها إلا بالحيلة والتدبير" (الهمداني، 1960: 281/1).

واقترح أرقيو خطة بدر الدين، فأخذ بها، وفي الصيف هاجم المغول قلعة أربيل، وتمكنوا من احتلالها وهدم أسوارها وتخرب معالمها، ومن ثم سلّموها إلى بدر الدين لؤلؤ (الهمداني، 1960: 281/1).

1- السلطان مظفر الدين كوكبوري حياته ووفاته

تتناول في هذا المبحث نبذة عن حياة السلطان مظفر الدين كوكبوري وإمارته وشجاعته وجهاده نذكرها في مطلبين وكالاتي :

1-1 / حياته ولقبه وزهده

أولاً: اسمه:

هو مظفر الدين أبو سعيد كوكبوري بن أبي الحسن الأمير زين الدين علي بكتين بن محمد (ابن خلكان: 113/4 والذهبي، 1984: 121/5)، ابن العماد، 1985: 138/5)، ولد في السابع والعشرين من المحرم سنة (549هـ) بقلعة الموصل (حسين، 1976: 187).

ثانياً: نشأته:

نشأ سلطان مظفر الدين في كنف والده في مدينة الموصل، وأتعم بعطفه وبره، ولكن والده أراد أن ينمو في بيئة أربيل، ويتأقلم فيها، فكانما أراد بهذا أن يهيئه ليتولى إمارة أربيل من بعده، فأرسله إلى أربيل ليعيش في كنف مربيه (تابكة) مجاهدين قايماز (هو: أبو منصور قايماز بن عبد الله الزيني الملقب مجاهد الدين، أصله من أهل سجستان، فوض إليه آتابك أمور أربيل في خامس شهر رمضان سنة 559 هـ، فأحسن السيرة وعدل في الرعية، ثم أنتقل إلى الموصل في سنة (571هـ) وسكن قلعتها وتولى أمور تدبيرها، واستمر على ذلك إلى أن توفي في سنة (595هـ) بقلعة الموصل) (ابن خلكان: 82/4، برقم: 540) الذي كان يحكم هذه المدينة نيابة عن زين الدين علي كجك، والذي كان أودع أسرته وماله فيها، وكان مجاهد الدين يقوم بمهمة المؤدب والمربي، وظل يشرف على تربية مظفر الدين وتعليمه، فقد استمد منه علمه، وتربيته، وثقافته، وفنون القتال... (ابن الأثير، 1996: 210/9).

ثالثاً: ألقابه:

اشتهر السلطان مظفر الدين بألقاب كثيرة، ولكن بعض منها كانت بمثابة كلمات ثناء ومدح أطلقها بعض المؤرخين عليه، فقد لقب ب: الأمير الأجل الكبير (الأسيوطي: 472/2 والقلقشندي، 1981: 138/6)،



ولقب أيضاً بـ: "مظفر الدين كوكبوري صاحب أربل سيف أمير المؤمنين"، ووجد هذا اللقب على عين الماء الذي أقامه بعرفات سنة (594هـ) (حسين، 1976: 188).

ولقبه ابن الأثير بـ "الملك المعظم" (الشيباني، 1963: 185)، وهذا اللقب الأخير فاق على بقية ألقابه، حتى أنه ظهر على نقوده التي ضربها في أربيل لقب: "ملك الأمراء مظفر الدنيا والدين كوكبوري علي" (حسين، 1976: 187).

رابعاً: زهده وتواضعه:

نشأ مظفر الدين نشأة دينية، وهذه النشأة أهلتة في حياته العامة أن يكون حاكماً صالحاً، كما أثرت نشأته الدينية أيضاً على حياته الخاصة، فكان بعيداً كل البعد عن مظاهر الإمارة والملك والملبس الفاخر، والمطعم الشهي، والمسكن الفخم، والموالكب الزاخرة بالكبرياء والعظمة، بل أن معيشته كانت اقرب إلى معيشة الزهاد والمتصوفين (القزويني، 1969/1: 290)، ويصفه ابن خلكان، فيقول: "وكان كريم الأخلاق، كثير التواضع، سالم البطانة" (ابن خلكان: 119/4).

ومما يدل على تواضعه أنه لم يكن يلبس الملابس التي تليق بمقامه كأمر، بل إنه كان يلبس الثوب الخشن الذي لم يكن ثمنه يزيد على خمسة دراهم، وقد ظل يلبس هذا النوع من اللباس على الرغم أن جسده لم يكن يتحملة، وحتى أن زوجته ربيعة خاتون اعترضت على ذلك يوماً، وطلبت منه أن يلبس ثوباً ناعماً حتى لا يؤذي بدنه (حسين، 1976: 194)، يقول ابن كثير: قالت (ربيعة خاتون) كان قميصه لا يساوي خمسة دراهم، فعاتبته بذلك، فقال: ألبس ثوباً بخمسة واتصدق بالباقي، خير من أن ألبس ثوباً مئماً وادع الفقير المسكين" (ابن كثير، 2003/17: 206).

خامساً: زواجه وأولاده:

زوَّج صلاح الدين الأيوبي: (هو) الملك والقائد الكردي الناصر أبو المظفر صلاح الدين والدنيا يوسف بن أيوب، المشهور بصلاح الدين الأيوبي، ولد سنة (532 هـ)، أسس الدولة الأيوبية التي وحدت مصر والشام والحجاز وتهامة واليمن في ظل الراية العباسية، بعد أن قضى على الخلافة الفاطمية التي استمرت (262) سنة، قاد صلاح الدين عدّة حملات ومعارك ضد الفرنجة وغيرهم من الصليبيين الأوروبيين في سبيل استعادة الأراضي المقدسة التي كان الصليبيون قد استولوا عليها في أواخر القرن الحادي عشر، وقد تمكن في نهاية المطاف من استعادة معظم أراضي فلسطين ولبنان بما فيها مدينة القدس، بعد أن هزم جيش بيت المقدس هزيمة منكرة في معركة حطين، توفي بدمشق سنة 589 هـ (الذهبي، 1992/41: 262). أخته الصغرى ربيعة من السلطان مظفر الدين، وذلك بعد ما رأى فظنته في القيادة، وشجاعته في الحرب الذي خاضها ضد الصليبيين، وقد عاش السلطان مظفر الدين مع ربيعة خاتون إلى أن وفاه الله تعالى الأجل، وقد رزقهم الله بنتين، ولم ينجا ذكوراً (ابن خلكان: 115/4).

سادساً: خلفه وثناء العلماء عليه:

كان مظفر الدين يتحل بأطيب الخلق وأكرم السجاياء، فقد كان كريم الخلق وكثير التواضع، مجباً لفعل الخير والتصدق على الفقراء، غزير البر والصلوات، وكان من طبعه أنه كان يحترم العلماء والفقهاء والمحدثين ويكرمهم ويكثر الجلوس معهم، ويجزل لهم العطاء، ويقول ابن كثير، أنه كان: "أحد الأجواد، والسادات الكبراء، والملوك الأمجاد" (ابن كثير، 2003: 17/205). ويقول الذهبي (هو) الإمام الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الترمكاني ثم الدمشقي المقرئ، ولد سنة 673 هـ، طلب الحديث وله ثمان عشرة سنة، توفي سنة 748هـ (الذهبي، 1998: 1/231): "وكان من أدين الملوك، وأجودهم وأكثرهم برأً ومعروفاً على صغر مملكته، وكان يضرب المثل بما ينفعه" (1984: 5/122).

ومن المعاصرين يقول محمد كرد علي: "كان من أولئك المحسنين من ملوك المسلمين وأهل الخير، وأنه تفنن في أعمال البر والإحسان، وأقام من المصانع ما يشبه من أكثر وجوهه مصانع الغريين اليوم" (علي، 1950: 1/327).

سابعاً: محاسنه:

إن الدارس لسيرة السلطان مظفر الدين كوكبوري يجد وبكل وضوح الآثار الكثيرة التي تدل على محاسنه، وخير ما نستشهد به في هذا الصدد قول ابن خلكان، فيقول: "ولم يزل رحمه الله تعالى مؤيداً في مواقفه ومصاف مع كثيرها لم ينقل أنه أنكسر- في مصافه قط، ولو استقصيت في تعداد محاسنه لطال الكتاب وفي شهرة معروفه غنية عن الإطالة ولبعذر الواقف على هذه الترجمة ففيها تطويل، ولم يكن سببه إلا ما له علينا من الحقوق التي لا تقدر على القيام بشكر بعضها، ولو علمنا ههما علمنا وشكر المنعم واجب فجزاه الله عنا أحسن الجزاء، ففكر له علينا من الأيادي ولأسلافه على أسلافنا من الأنعام، والإنسان صنيعه الإحسان ومع



الاعتراف بجميله فلم أذكر عنه شيئاً على سبيل المبالغة، بل كل ما ذكرته عن مشاهدة وعيان، وربما حذفت بعضه طلباً للإيجاز" (ابن خلکان: 120/4).

ومن الجدير بالذكر أن كثيراً من الناس قد تأثروا بشخصية مظفر الدين وساروا على خطاه في الصلاح والتقوى، فقد قيل: إن الناس على دين ملوكهم، فإذا كان الملك صالحاً صلحت رعيته خاصتها وعامتها، وإذا كان فاسداً انكبت رعيته على الفساد مقتفين أثره فيفسد المجتمع كله (ابن حجر: 151/7 والقاري، 10/6: 2001).

1.2 إمارته وعقيدته وجهاده ووفاته

أولاً: إمارته:

خلف زين الدين كجك بعد وفاته سنة (563هـ) ابنه مظفر الدين على مملكة أربيل، وكان عمره أربع عشرة سنة، ولكنه لم يتمكن من إدارة شؤون الحكم والإدارة بنفسه لصغر سنّه، فقام "مجاهد الدين قايماز" الذي كان نائباً عن والده زين الدين علي بن بكتكين بتدبير شؤون الدولة وإدارة أمور الحكم، ولم يبق لمظفر الدين من الملك سوى مظاهره، وبعد أن وصل إلى سن البلوغ ليتولى الحكم، نشب خلاف بينه وبين الوصي على الحكم مجاهد الدين قايماز، وكتب هذا الأخير محضراً "أنه ليس أهلاً لذلك" وشاور الديوان في امره، فتمكن من إقناعهم، فاعتقل مظفر الدين وأقام مكانه أخاه زين الدين يوسف (هو: زين الدين يوسف بن أبي الحسن الأمير زين الدين علي بكتكين بن محمد، حكم إمارة أربيل قليلاً قبل أخيه السلطان مظفر الدين، ثم مرض، وتوفي في سنة 586 هـ بالنصرة وهي قرية بالقرب من عكا) (ابن خلکان: 115/4) خلفاً له، وكان أصغر منه سناً، فأنهى بخلع مظفر الدين من إمارة أربيل سنة (569 هـ) (الذهبي، 1984: 121/5 وابن العماد، 1985: 138/5 وشاويس، 1977: 153).

اتجه مظفر الدين نحو الموصل لعله يجد من حاكمها سيف الدين غازي بن مودود (هو: سيف الدين غازي بن عماد الدين زكي، وكان منظوياً على خير وصلاح، يحب العلم وأهله، وبنى بالموصل المدرسة المعروفة بالعتيقة، ولم تطل مدته في المملكة حتى توفي في سنة 544 هـ، وقد قارب في العمر أربعين سنة، ودفن في مدرسته المذكورة (ابن خلکان: 4/4) معاونة تمكّنه من استرداد إمارته، لكن سيف الدين غازي لم يحقق له رغبته، وعرّضه عن أربيل بأن أدخله في حاشيته، وأقطع مدينة "حران" فانتقل إليها، وأقام بها تابعاً لسلطان الموصل، وظل يحكم حران منذ سنة (569 هـ) حتى سنة (578 هـ) (ابن العماد، 1985: 138/5).

انفصل مظفر الدين عن الموصل ودخل في طاعة السلطان صلاح الدين الأيوبي وحكمه، ومن ثمّ انفتح له مجال الجهاد ضد الصليبيين، وأصبح من المقاتلين مع صلاح الدين الذي أعجب به وبشجاعته، وثباته معه في ميادين الجهاد، وتحول الإعجاب إلى توثيق للصلة بين الرجلين، فأقدم صلاح الدين على إعطائه "الرها" إضافة لـ"حران" (ابن العماد، 1985: 138/5)، ثم ولاة إمارة أربيل بعد وفاة أخيه زين الدين يوسف سنة (586 هـ)، وصادر صلاح الدين الأيوبي منشوراً على تولية مظفر الدين لولاية أربيل وما يتبعها من البلاد الإسلامية، ليعلم المجاورين لأربيل أن مظفر الدين هو من أمراته، وعندما توفي القائد صلاح الدين الأيوبي سنة (589 هـ) انتهب مظفر الدين كوكبوري فرصة النزاع الأسري الأيوبي، فاستقل بمدينة أربيل وحولها إلى إمارة مستقلة (الذهبي، 1984: 121/5).

ثانياً: عقيدته ومذهبه:

اهتم السلطان مظفر الدين كوكبوري بالعلماء والفقهاء والمحدثين والصوفية الصادقين، واهتم بالعلوم الدينية كالفقه والحديث (القزويني: 290)، وكان يعتقد باعتقاد أهل السنة والجماعة، يقول ابن خلکان: "كان شديد الميل إلى أهل السنة والجماعة، لا ينق عنده من أرباب العلوم سوى الفقهاء والمحدثين، ومن عداهما لا يعطيه شيئاً إلا تكلفاً، وكذلك الشعراء لا يقول بهم ولا يعطيهم إلا إذا قصدوه، فما كان يضح قصدهم ولا يخب أمل من يطلب بره" (ابن خلکان: 119/4).

وعرف السلطان مظفر الدين ميله إلى التسامح مع من يخالفه في العقيدة والرأي طالما كان ذلك لا يتعارض مع المبادئ الإسلامية السمحة، وأن لا يهدد أمن المجتمع، لذلك نجده على الرغم من كونه من أهل السنة والجماعة - الأشعري - في العقيدة، وشافعي المذهب فإنه لم يكن متعصباً متعنناً بحيث يرفض الرأي المخالف له، ولم يطلب أحداً من رعاياه على ترك عقيدته أو مذهبه من أي ملة كان أو من أي دين، بل كانت سياسته تقوم على احترام جميع الأفكار من أجل خلق مجتمع سليم يسود فيه التعايش الديني السلمي بين كافة فئات المجتمع (ابن خلکان: 119/4).

ثالثاً: شجاعته وجهاده:



شارك مظفر الدين في معظم الحروب التي خاضها القائد التاريخي الكردي صلاح الدين الأيوبي ضد الصليبيين، فقد شارك في فتح "حصن الكرك" سنة (580هـ)، كما تولى قيادة جيوش الموصل والجزيرة في "معركة حطين" سنة (583هـ)، وأبلى في هذه المعارك عن شجاعة وإقدام (ابن العماد، 138/5:1985).

هاجمت الخيالة الصليبية في معركة حطين مما أدى إلى زحزحة الجيش الإسلامي وانسحابه، وأدى ذلك إلى تخلخل بين ارتحال الجيش الإسلامي، فاستغله الصليبيون للتقدم إلى مركز قيادة صلاح الدين، فسارع مظفر الدين إلى موقع القيادة، فشن هجوماً عروماً برتل خيالة المسلمين على الجناح الشمالي للصليبيين مما أدى إلى انسحابهم وعدم وصولهم إلى مياه بحيرة طبرية وقطع خط انسحابهم، وكان هذا البرتل الخيالة من المؤمنين من أهالي إمارة أربيل، وقويت عزائم المسلمين حتى النصر، وقد أعجب القائد صلاح الدين بشجاعته وإخلاصه وثباته في الحرب التي خاضها معه ضد الصليبيين (الذهبي، 121/5:1985 وابن العماد، 138/5:1985). وقد استخدم مظفر الدين في هذه المعركة خدعة عسكرية محكمة، فقد أمر بإحراق الحشائش التي كانت تحيط بأرض المعركة حين وجد الريح في مواجهة الصليبيين، فلما أضرمت النار في الحشائش، حملت الريح الدخان واللهب والحرارة إلى وجوه الصليبيين، فشدت حركتهم عن القتال، وحلت بهم الهزيمة المنكرة (الذهبي، 20/41:2003).

يقول ابن خلكان: "وشهد مظفر الدين مع صلاح الدين مواقف كثيرة وأبان فيها عن نجدة وقوة نفس وعزيمة، وثبت في مواضع لم يثبت فيها غيره... وشهرة ذلك تغني عن الإطالة فيه، ولو لم يكن له إلا وقعة حطين لكفته... فقد اكتسر - العسكر بأسره وتراجعوا لما سمعوا بوقوفهما، حتى كانت النصر للمسلمين وفتح الله سبحانه عليهم" (ابن خلكان، 115/4:1985).

ولفرط جرأته وإقدامه في القتال ولكونه محارباً ممتازاً ومقاتلاً وبطلاً شجاعاً لقب بـ: (كوكبوري) أي (الذئب الأزرق) (ابن خلكان، 121/4:1985).

رابعاً: أعماله الخيرية:

اشتهر مظفر الدين بفعل الخيرات، والإحسان إلى الناس، فكان التصدق والإحسان إلى الفقراء من أحب الأعمال إليه، فكان (رحمه الله) يقول: "لما أخذتُ إربل أبيتُ على نفسي أن أقسم مغلهاً ثلاثة أقسام: قسم أنفقته في أبواب البر، وقسم للجُند وما يخصني، وقسم أخره لعدوِّ يقصدي" (ابن الجوزي، 2013: 22/323).

وذكر ابن خلكان أن سلطان مظفر الدين: "كان له في فعل الخيرات غرائب لم يسمع أن أحداً فعل في ذلك ما فعله، فلم يكن في الدنيا شيء أحب إليه من الصدقة، كان له كل يوم قناطير مقنطرة من الخبز يفرقها على المحتاجين في عدة مواضع من البلد يجتمع في كل موضع خلق كثير يفرق عليهم في أول النهار، وكان إذا نزل من الركوب يكون قد اجتمع عند الدار خلق كثير فيدخلهم إليه ويدفع لكل واحد كسوة على قدر الفصل من الشتاء والصيف أو غير ذلك، ومع الكسوة شيء من الذهب من الدينار والاثنتين والثلاثة وأقل وأكثر" (ابن خلكان، 116/4:1985).

وتجدر الإشارة إلى أن عناية مظفر الدين الخيرية لم تقتصر على أهالي إمارة أربيل فقط، بل أنها امتدت إلى المدن المجاورة، فقد كان أهالي الحرمين الشريفين - مكة المكرمة والمدينة المنورة - محل رعايته وعنايته، فكان يرسل إلى فقرائهما كل سنة غذاء وكساء بما قيمته ثلاثون ألف دينار توزع عليهم، وقام ببناء خزانات الماء فيهما لخزن ماء المطر، حتى يتوفر لسكانهما الماء على مدار السنة، وذلك بعد أن رأى احتياجهما إلى الماء وما يجدونه من مشقة في الحصول عليه، خاصة في مواسم الحج (ابن العماد، 244/7:1985).

ورأى نفسه أنه مسؤول عن فداء أسرى المسلمين، فكان يرسل نوابه إلى الصليبيين لفداء الأسرى الذين كانوا يقعون في أيدي الصليبيين (القزويني: 290/1 وابن خلكان، 117/4:1985)، وقد أحصى الأسرى الذين خلصهم من الأسر مدة حكمه، فبلغوا ستين ألفاً ما بين رجل وامرأة (ابن كثير، 2003: 205/17)، وقد أنفق في سبيل دفع فديتهم مائتي ألف دينار (الذهبي، 2003: 405/45).

ومن أعماله الخيرية كان يرسل في كل عام عدد كبير من المسلمين للحج ومعهم الحماية اللازمة، ويرسل مع رئيس الوفد آلاف الدنانير ينفقها بالحرمين الشريفين على المحتاجين وعلى أبناء السادة الهاشميين (ابن العماد، 244/7:1985).

خامساً: دوره في البناء والتعمير:

بدأ السلطان مظفر الدين الاهتمام بالبناء والتعمير والناحية العمرانية لمدينة أربيل منذ أن تولى الحكم فيها، فقد وصلت إمارة أربيل إلى أوج عظمتها في سنة (600 هـ) بسبب ما قام به من أعمار تلك المدينة، فاهتم بقلعة أربيل الأثرية اهتماماً كبيراً، حيث كان الجزء الأسفل من القلعة مهملًا، فاعتنى بتعميره اعتناءً جميلاً، وأقام في أسفل القلعة المنازل والأسواق والقيساريات، وأصبح هذا الجزء مركزاً لحركة تجارية كبيرة (الجاشلي، 1985: 70).



وانشأ فيها مسجداً كبيراً له منارة رائعة (منارة جولي) يبلغ ارتفاعها (503) قدماً، أما محيطها فانه يبلغ (48) قدماً، ونقش على منذتها اسم مظفر الدين، وهي شاهد إلى يومنا هذا. ولم يكن اهتمامات السلطان مظفر الدين العمرانية قاصرة على أربيل فقط، بل انها امتدت حتى وصلت إلى ضواحيها وبلدان أخرى، فقد بنى الجامع المظفري في دمشق بسفح جبل قاسيون (حسين، 1976: 193).

وقد سجل المؤرخون في كتبهم الجهود الكبيرة الذي بذلها السلطان مظفر الدين في سبيل تعمير هذه المدينة، وما قام بزيادة العمران بها، لذا يعد السلطان مظفر الدين من أشهر المصلحين في التاريخ الحديث لعنايته المستمرة بالبنية التحتية لإمارة أربيل، والعمل في سبيل التقدم واحتفاظ الحضارة (الجاشلي، 1985: 70).

سادساً: المآخذ عليه:

على الرغم من أن مناقب السلطان مظفر الدين المليئة بالمحاسن والمواقف الانسانية النبيلة إلا أنه لم يخلو من الانتقادات، فقد وجه إليه بعض المؤرخين انتقادات لاذعة ومريرة، فنرى أن ياقوت الحموي أحد معاصريه الذي زار أربيل مرتين ينتقده بشدة، ثم يشيد بأعماله، فيقول: "وطاع هذا الأمير مختلفة متضادة، فإنه كثير الظلم، عسوف بالرعية، راغب في أخذ الأموال من غير وجهها، وهو مع ذلك مفضل على الفقراء، كثير الصدقات على الغرباء، يسير الأموال الجمة الوافرة يستفك بها الأسارى من أيدي الكفار" ثم يشبهه بالذي يكسب ماله من طريق الزنى والحرام، ويشيد بقول شاعر:

كَسَايَةِ الْبُخَيْرِ مِنْ كَسْبِ فَرْجِهَا لَكَ الْوَيْلُ لَا تَزْنِي وَلَا تَتَّصِدْقِي (الحموي: 138/1).

ويقول ابن الواصي: (هو: القاضي جمال الدين الحَمَوِيُّ مُحَمَّد بن سَالم بن نصر الله بن سَالم بن وأصل القاضي جمال الدين قاضي حامة الشَّافِعِي الحَمَوِيُّ أحد الأئمة الأعلام ولد بحامة ثاني سنة 604 هـ وعمر دهرًا طويلا ، وبرز في الطُّومر الشَّرِيعَةِ والعَقْلِيَّةِ والأَخْبَارِ وَأَيَّامِ النَّاسِ، واشتهر اسمه وكان من أذكى العالم، ولي القضاء مدةً طويلةً، وتوفي 697 هـ) (الصفدي، 2000: 71/3)؛ "إن مظفر الدين كوكبوري كان ملكاً جليلاً شجاعاً مقداماً، ذا همة عالية وبأس شديد، إلا أنه كان فيه ظلم وعسف في استخراج الأموال، ومع هذا فكان له صدقات دارة ومعروف كثير" (الواصل: 194/3). وقال أبو فداء (هو: أبو الفداء إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، ولد في دمشق سنة 672 هـ)، مؤرخ جغرافي، قرأ التاريخ والادب وأصول الدين، واطلع على كتب كثيرة في الفلسفة والطب، رحل إلى مصر، وتوفي بها سنة 732 هـ) (الزركلي: 1/319)؛ "وكان مظفر الدين ملكاً شجاعاً، وفيه عسف في استخراج الأموال من الرعية" (أبو الفداء: 1/415).

ويرى الدكتور محسن محمد حسين أن ميل السلطان مظفر الدين إلى التعسف واضح، وأن القول بأنه كان يحاسب ولاته على ظلمهم لا يبرر له، فيقول: "إذا كان سوء تصرف بعض موظفي ديوان أربيل واستغلالهم وابتزازهم الأموال وخيانتهم ... كان السبب في سجنهم واستئصالهم، إلا أننا نخال أن هذا السبب لا ينطبق على جميع ضحايا صاحب أربيل، ومهما يكن من أمر فإن ميله إلى العسف واضح، ولا يمكن أن تبرأ ساحتها كلياً" (حسين، 1976: 201).

ويبدو أن إنزال العقوبات على الفاسدين لا يدل على تعسف السلطان مظفر الدين وظلمه، بل يدل على حرصه على مصالح رعيته، فقد كان حازماً وصارماً مع المسؤولين الإداريين، ولم يكن يتهاون معهم أو يسامحهم على جورهم، وكان إذا ثبت لديه أن أحداً منهم قد استغل منصبه في جمع المال على وجه غير مشروع أو أنه قد ظلم مواطناً... فكان ينزل به أشد العقوبات، ويصادر أمواله وممتلكاته، فقيامه بهذه الإجراءات الصارمة كانت كفيلاً لأن يحقق العدالة الاجتماعية، إذ أن العدالة من غير الأخذ على يد الظالم والمعتدي والسالب لحق الغير لا يمكن تحقيقه.

وفي ذلك يقول ابن الجوزي: (هو: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج، علامة عصره في التاريخ والحديث، ولد ببغداد سنة 508 هـ، ونسبته إلى (مشرفة الجوز) من محالها، له نحو ثلاث مئة مصنف، توفي سنة 597 هـ) (الزركلي: 3/316)؛ "يقولون هذا يصادر ديوانه ودوائيه وكتابه ويستأصلهم، ولعله أطلع منهم على خيانات، فرأى أخذ الأموال وأنفاقها في أبواب البر والتقوى أولى" (ابن الجوزي، 2013: 22/325).

سابعاً: وفاته:

توفي السلطان مظفر الدين كوكبوري في يوم الأربعاء في الرابع عشر من رمضان عام (630 هـ) بقلعة أربيل، وكانت له وصية أن يُدفن في حرم الله تعالى بمكة المكرمة، فحمل في التابوت إلى الكوفة، فلما توجه الحجاج إلى مكة المكرمة بجثمانه ليدفن بها، وجدوا أن الماء معدم فيها، وقيل لعدم أمان الطريق بسبب (النتن) في تلك السنين رجح الحجاج، ورجعوا بجثمانه، ودفنوه في الكوفة بالقرب من مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ع (ابن كثير، 2003: 17/206 وابن العماد، 1985: 1/368).



2 / التعايش الديني السلمي والحالة العلمية والاجتماعية والاقتصادية في مدينة أربيل

ساد التعايش الديني السلمي في إمارة أربيل في عهد السلطان مظفر الدين كوكبوري، وازدهر المعالم العلمية والاجتماعية والاقتصادية فيها، وفيما يأتي بيان هذه الحالات في تلك الحقبة من الزمن نذكرها في مطلبين وكالاتي:

1 - 2 / الحالة العلمية والاجتماعية والاقتصادية

أولاً: الحالة العلمية:

نشطت الحركة الفكرية والثقافة العلمية في عهد السلطان مظفر الدين، حيث ضجَّ إمارة أربيل بالعلماء والأدباء، وظهرت الكثير من الطرق إلى إيجاد نهضة علمية وفكرية جعلت المسلمين يأخذون بحظ وافر من العلوم المختلفة في علم التفسير وعلم القراءات وعلوم الحديث والفقه وعلم الكلام والنحو واللغة والبيان والآداب، والعلوم العقلية والتاريخ... وقد اهتم السلطان مظفر الدين بتشيد المدارس، وأدت تلك المدارس رسالتها العلمية والأدبية، وأثَّرت تأثيراً كبيراً في ازدهار العلوم والآداب، وعملت على خلق حركة ثقافية واسعة في أربيل، وكانت المدارس تسمى باسم بانها أو باسم أحد الأساتذة المشاهير الذين يدرسون فيها. وكانت الدراسة في هذه المدارس يدرس فيها الفقه وأصوله والعلوم الشرعية واللغوية وغيرها (ابن كثير، 2003:17/205).

وقد قام الأمير مظفر الدين كوكبوري بإنشاء مدارس عدة في أربيل منها: (مدرسة مظفر الدين لتدريس الفقهين الشافعي والحنفي)، فنالت من الشهرة ما فاقت به مدارس أربيل كلها بسبب اهتمام مظفر الدين بها وشهرة شيوخها ومدريسيها، وقد بدأ التعليم بصورة منتظمة في أربيل، فأصبحت مدينة علم وسياسة، وتخرج منها عدد من العلماء المشاهير نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

- (1) من الفقهاء: أبو القاسم نصر بن عقيل بن نصر الأربلي، ولد في أربيل سنة (534هـ)، وتوفي سنة (619هـ).
- (2) من المفسرين: أبو العباس الخضر بن نصر الأربلي الشافعي، تولى الإفتاء في الشام، توفي سنة (670هـ).
- (3) من القراء: أبو الحسن علي بن عبد العزيز الأربلي، توفي سنة (656هـ).
- (4) من اللغويين: أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الهذباني الأربلي اللغوي، توفي سنة (656هـ) وكان محدثاً ولغوياً أيضاً.
- (5) من النحويين: شمس الدين بن الخباز النحوي أحمد بن معالي الأربلي، توفي سنة (639هـ)، نشأ في أربيل وتعلم بها، ثم انتقل إلى الموصل وأقام بها، وله تصانيف في الأدب.
- (6) من الأدباء: العلامة مجد الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عمر الأربلي الحنفي الأديب، ولد في أربيل سنة (602هـ) ونشأ بها وتلقى دروسه الأولى على يد مشايخها ثم استكمل دروسه على يد علماء بغداد ودمشق.
- (7) من المؤرخين والقضاة: أحمد بن محمد بن إبراهيم المعروف ابن خلكان، توفي بالموصل سنة (681هـ) (ابن خلكان، 150/4:1976) والذهبي، 2003:265/39).

ثانياً: الحالة الاجتماعية:

كان مظفر الدين كوكبوري من أوائل الحكام الذين أرسوا نظام الرعاية الاجتماعية في بلاده، وقد أقدم على إقامة مؤسسات خدمية للفئات الخاصة من المجتمع التي تحتاج إلى رعاية وعناية الدولة، ولم يقتصر اهتمامه على نوع معين من الناحية الاجتماعية، بل تعددت إلى جوانب كثيرة، ويمكن إيجازها كالاتي:

- (1) الليمارستان (المستشفى): بنى السلطان مظفر الدين دار الزمنى للمرضى والجذام والعميان وذوي العاهات خاصة بهم، فانشأ لهم المصحات والملاجئ، وقرر لهم ما يحتاجون إليه من مأكّل وملبس... وكان يقوم بزيارتهم مرتين في الأسبوع، وإضافة إلى هذه الخدمات التي كانت تقدم لليمارستان فقد خصص لها مقبرة خاصة بها (الأربلي، 1980:241/1 وابن خلكان، 116/4:1976).
- (2) أقام دارين للأيتام، واحدة للبنات وأخرى للبنين من الذين فقدوا آباءهم وأمهاتهم، ومن لا عائل لهم، وعين فيهما المشرفات على تربيتهن ورعايتهن، وكان يزور الأطفال اليتامى يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع ويلطفهم ويوفر لهم طلباتهم واحتياجاتهم، وعندما كانوا يبلغون سن الرشد كان يزوج الشباب للفتيات، وخصص للقاء داراً خاصاً بهم، وجعل فيها مرضعات يقمن برعايتهن، ومشرفات ينهضن بتربيتهن (ابن خلكان، 116/4).
- (3) وامتدت عنايته إلى الأرامل والفقيرات، فبنى لهن داراً يأوين إليها، واعدها بكل ما يحتاجن إليه من مأكّل ومشرب وملبس (ابن خلكان، 116/4 وابن العماد، 1985:138/5).



(4)أهتم بدار الضیافة للوافدين، فبنى داراً وخصه لمن یفد إلى أربیل سواء للتجارة أو للمسافرين الذين یعبرون أربیل وهم في طريقهم إلى بلاد الأخرى، وكان یقدم للضيف كل ما یحتاج إليه من طعام وشراب، كما زودت بغرف للنوم، ولم یکتف بذلك، وإنما كان یقدم للضيف الفقیر نفقة تعينه على إتمام سفره (ابن کثیر، 2003/17:205 وابن العماد، 1985: 244/7 والجواشلی، 1985: 70)، وقد أنفق على هذه الدور مائة ألف دینار (الذهبي، 2003: 405/45).

یقول محمد كرد علي: "ولقد تفننت ملوك المسلمين وأهل الخیر من رعایاهم في أعمال البر والإحسان، وأقاموا من المصانع ما یبشه من أكثر وجوهه مصانع الغربيین اليوم، فقد كان كوكبوري صاحب أربیل من أهل القرن السابع من بعض أولئك المحسنین، ومما بنى أربع خانقات للزمنی والعميان، وقدر لهم ما یحتاجون إليه، وبنى داراً للنساء الأرامل، وداراً للضعفاء، وداراً للإيتام، ورتب بها جماعة من المراضع، وأجرى على أهل كل دار ما یحتاجون إليه" (علي، 1950: 327/1).

ثالثاً: الحالة الاقتصادية:

كان مظفر الدين يعتمد على فرض الضرائب على أصحاب الأموال حسب الدخل، ویساعد المشروعات الكثيرة والمنافع للمقيمين والزائرين، وقد صارت لمدينة اربیل هبة ومكانة اقتصادية وسوق كبير للبضائع، ویستقبل تجارة المنطقة كلها، لذلك استعان بكل الكفاءات العلمية (الحموي، 1/138).

وذكر ابن خلکان أن صاحب أربیل عين ابن المستوفي (هو: شرف الدين ابن المستوفي أبو البركات المبارك المعروف بابن المستوفي الإربلي، كان جليل القدر، كثير التواضع، واسع الكرم لم یصل إلى أربیل أحد من الفضلاء إلا وبادر إلى زيارته وحمل إليه ما یلیق بحاله ویقرب إلى قلبه بكل طریق وخصوصاً أرباب الأدب، وكان عارفاً بعدة فنون منها الحديث وعلومه وأسماء رجاله وجميع ما یلتحق به كان إماماً فیه، وكان ماهراً في فنون الأدب من النحو واللغة والعروض والقوافي وعلم البيان وأشعار العرب وأخبارها وأيامها ووقائعها وأمثالها، وكان بارعاً في علم الديوان وحسابه وضبط قوانينه على الأوضاع المعتبرة عندهم، وجمع لا أربیل تاريخاً في أربع مجلدات، توفي بالموصل سنة 637هـ) (ینظر: ابن خلکان، 147/4) بمنصب یشی مستوفي الديوان، أي ما یشی في العصر الحديث بـ: (مدير الحسابات العام) وهذا المنصب كان یلي منصب الوزارة، وقد تمكن ابن المستوفي من إثباته كفاءته في توليه لهذا المنصب، الأمر الذي أدى بمظفر الدين أن یعينه وزيراً لضبط الأمور المالية وذلك سنة 629هـ)، وشكرت سيرته فيها، وبقي في هذا المنصب إلى أن مات مظفر الدين (ابن خلکان، 150/4).

یبو مما سبق أن السلطان مظفر الدين كوكبوري خدم شعبه خلال مدة حكمه خدمات جلیلة، وبذل جهداً كبيراً في تطوير إمارته، ویتمكن من إدارة دولته بأكمل وجه، فقام بإنشاء المدارس والمستشفيات، وعمل على نشر العلم وتشجيع العلماء، ونهض بالزراعة والتجارة، ولهذا عرف بحسن سياسته وعدالة حكمه، وقد أدى هذه السياسة الراشدة منه إلى التعايش الديني السلمي بين مكونات شعبه.

2-2 / مظاهر التعايش الديني السلمي في مدينة أربیل

أولاً: الاحتفال بالمولد النبوي الشريف:

اهتم السلطان مظفر الدين بالتعايش السلمي في أربیل اهتماماً بالغاً، وقد أرسى دعائم السلام والتعايش الأخوي فيها، وكان رحمه الله یأخذ من المناسبات الدينية سبلاً لإرساء التعايش الديني السلمي بين أفراد المجتمع ولتخفيف ضيق المعيشة على الفقراء والمحتاجين، كما كان یأخذها سبلاً للقاء الثقافي بين العلماء.

ومن أهم المناسبات الدينية التي كان یهتم بها سلطان مظفر الدين ویحتفل بها احتفالاً هائلاً في ربيع الاول كل عام الاحتفال بمولد النبوي الشريف ﷺ، ویصرف عليها في كل سنة ثلاثمائة ألف دینار (الذهبي، 2003: 405/45 وابن کثیر، 2003/17:206) یقول أبو الفداء: " وكان مظفر الدين یحتفل بمولد النبي ﷺ وینفق فيه الأموال الجلیلة" (أبو الفداء، 145/1). ونظراً لأهمية هذه المناسبة فكانت الدولة وأجهزتها یستعدون للاحتفال بها، وإذا كانت ليلة المولد یصل مظفر الدين صلاة المغرب في القلعة، ثم ینزل في موكب كبير إلى الخانقاه، حيث یكون أعيان الدولة والرؤساء مجتمعين في حلقات حول الوعاظ، ویستعرض الجيش، ویوزع مظفر الدين هداياه على الحاضرين من الأعيان ورؤساء الدولة وقواد الجيش وعلى ذوی المکانة من الضیوف الوافدين من البلاد الأخرى، وكذلك على الفقهاء والمحدثین والأدباء والشعراء والوعاظ والقراء (ابن خلکان، 117/4). وأماً أهالي أربیل وبكل أطرافها كانوا یعقدون حلقات للاستماع إلى مناقب وسيرة النبي الكريم ﷺ، وحلقات القراء یرتلون أي من الذكر الحکیم ویجودون، كذلك حلقات الوعاظ إلى جانب هذه، وتلك حلقات الذكر للمتصوفین تحت إنشاد المنشدين والحان الزامرين وضاري الدفوف (ابن خلکان، 117/4).



السلطان مظفرالدين كوكبورو- امير اربل مظفر نامه

وتجدر الإشارة إلى أن مظفر الدين هو أول ملك مسلم يقيم الاحتفال بمولد النبي محمد ﷺ ويهتم بها بهذا الشكل الكبير، وقد اشتهر مدينة أربيل بهذا الاحتفال الكريم من عهد السلطان مظفر الدين إلى يومنا الحالي (ابن كثير، 2003: 17/205)، يقول ابن خلكان: "وإما احتفاله بمولد النبي ﷺ فإن الوصف يقصر عن الإحاطة به، وهو أن أهل البلاد كانوا قد سمعوا بحسن اعتقاده فيه، فكان في كل سنة يصل إليه من البلاد القريبة من أربيل مثل بغداد والموصل والجزيرة وسنجار ونصيبين وبلاد العجم وتلك النواحي خلق كثير من الفقهاء والصوفية والوعاظ والقراء والشعراء، ولا يزالون يتواصلون من المحرم إلى أوائل شهر ربيع الأول، ويتقدم مظفر الدين بنصب قباب من الخشب كل قبة أربع أو خمس طبقات، ويعمل مقدار عشرين قبة وأكثر، منها قبة له والباقي للآمراء واعيان دولته لكل واحد قبة، فإذا كان أول صفر زينوا تلك القباب بأنواع الزينة الفاخرة المستجملة وقعد في كل قبة جوق من المغاني وجوق ... وكان قبل المولد يومين أخرج من الإبل والبقر والغنم شيئاً كثيراً... ثم يشرعون في نحرها، وينصبون القدور ويطبخون الألوان المختلفة" (ابن خلكان: 117/4).

ثانياً: التعايش الديني السلمي:

حرص الإسلام على حفظ الضروريات الخمس وفي مقدمتها النفس، لأن حق الحياة مكفول لكل إنسان ناهيك عن معتقده ومذهبه، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ كَيْفَ عَابَكُمُ بِشَيْءٍ مَا كُنْتُمْ أُولَئِكَ مِنْ غِلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذِكْرَكُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (سورة الأنعام: 151).

فدللت الآية الكريمة أن حفظ حق الحياة ليس من حق المسلم فقط، بل يجري على المسلم وغيره، وورد عن رسول الله P أحاديث كثيرة بهذا الصدد، نذكر منها ما روى صفوان بن يحيى بن سفيان بن عيينة، أن رسول الله P قال: **«إلا من ظلم معاهداً، أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفسي فأنا حبيبه يوم القيامة»** (أخرجه أبو داود في سننه: كتاب: الخراج والإمارة والفيء: باب: في تشييم أهل الذمة: 170/3، برقم (3052)، قال شعيب الأرنؤوط: الحديث إسناده صحيح، وأخرجه البيهقي في سننه الكبرى: كتاب: الخراج، باب: النهي التشديد في جباية الخراج: 205/9، برقم (18511).

يقول القرافي (هو: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي العلاء القرافي المصري، أحد اعلام المشهورين والأئمة المذكرين، انتهت إليه رئاسة الفقه على مذهب المالكية، وجد في طلب العلوم فبلغ الغاية القصوى، توفي سنة 684 هـ) (البحري: 1/62) في بيان مفهوم الحديث الشريف: "من اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة في عرض أحدهم أو نزع من أنواع الأديب أو أمان على ذلك فقد ضيع دمه الله تعالى ودمه رسول الله ﷺ ودمه دين الإسلام تعين علينا أن نبههم بكل أمر ... وذلك كالرقق بضعيفهم وسد خلة فقيرهم وإطعام جائعهم وإكساء عاريهم ولين القول لهم على سبيل اللطف لهم والرحمة لا على سبيل الخوف والذلة والاحتمال أديبتهم في الجوار مع القدرة على إزالته لطفاً منا بهم لا خوفاً وتعظيماً والدعاء لهم بالهداية وأن يجعلوا من أهل السعادة ونصيحتهم في جميع أمورهم في دينهم ودنياهم وحفظ عيبتهم إذا تعرض أحد لأديبتهم وصون أموالهم وعيالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم ومصالحتهم وأن يعانوا على دفع الظلم عنهم وإيضالهم لجميع حقوقهم وكل خير يحسن من الأعلى مع الأسفل أن يفعلوه ومن العدو أن يفعلوه مع عدوه فإن ذلك من مكارم الأخلاق" (القرافي: 27/3).

وعليه فأن تحقيق التعايش الديني والسلام الاجتماعي في المجتمعات الإنسانية ليس مطلباً فحسب، بل هي ضرورة اجتماعية ملحة، بحيث لا يمكن قيام مجتمع سليم مزدهر دون تحقيق تعايش ديني صحيح وحقيقي دائم، ولا يحقق ذلك إلا من خلال إشاعة ثقافة التسامح الديني، ونبذ التعصب لمعتقد أو عرق أو طائفة معينة (مجموعة مقالات، 2006: 205).

يقول الماوردي: (هو: علي بن محمد بن حبيب، أبو الحسن الماوردي البصري، من جوه الفقهاء الشافعية وكبارهم، صاحب التصانيف في الفقه والتفسير، ولد سنة 364 هـ، وتوفي سنة (450هـ) (السبكي، 1413هـ، 267/5، برقم (511): "أن ما به تصلح الدنيا حتى تصير أحوالها منتظمة، وأمورها ملتزمة، ستة أشياء هي قواعدها، وإن تفرقت، وهي: دين متبع، وسلطان قاهر، وعدل شامل، وأمن عام، وخصب دائم، وأمل فسيح ... والأدب أدبان: أدب شريعة، وأدب سياسة، فأدب الشريعة ما أدى الفرض، وأدب السياسة ما عمر الأرض، وكلاهما يرجع إلى العدل الذي به سلامة السلطان، وعمارة البلدان، لأن من ترك الفرض فقد ظلم نفسه، ومن خرب الأرض فقد ظلم غيره" (1986: 132).

وقد أكد علماء المسلمين وجوب المساواة والعدالة بين أبناء المجتمع على اختلاف طوائفهم ومعتقداتهم، فيجب على الحاكم التسوية في الحكم بين المسلم وغير المسلم، وبين القوي والضعيف، والعدل في القضاء بين المشروف والشريف، ولا يتبع هواه في تقصير المحق أو ممالئة مبطل (الماوردي، 1985: 79).



وهذا ما نبه إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَحَاكِمٌ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (سورة ص: 26).

وفيما يخص بمظاهر التعايش الديني السلمي في أربيل فإن التاريخ لم يدون عن وجود اضطهاد للأقليات الدينية في أربيل في عهد السلطان مظفر الدين كوكبوري، لأننا لو نظرنا إلى العلاقات بين المسلمين وغيرهم في أربيل في وقتنا الحالي فأنا لا نجد أية إشكالية وحساسية بينهم مطلقاً، وإن فضل عدم وجودها إنما هو امتداد لذلك الزمان.

فقد دعا صاحب أربيل شعبه إلى تعاون بعضهم بعضاً على الخير، إذ أن التعاون بين الأفراد ضروري لقيام مجتمع صالح، بالتعاون والتعارف طريق إلى الخير والعيش الرغيد بالأمن والسلام (حميد: 3/ 1004)، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (سورة الحجرات: 13).

يقول الاستاذ بدیع الزمان النورسي (هو: سعيد النورسي المعروف بـ "بدیع الزمان النورسي، وهو عالم مسلم كردي من عشيرة أسباريت، ولد سنة 1877م في قرية نورس ببلاد الأكراد في فترة الخلافة العثمانية من أبوين صالحين كرديين كانا مضرب الثقل في التقوى والورع والصلاح، وبعد النورسي من أبرز علماء الإصلاح الديني والاجتماعي في عصره، وقد ترك بعده ذخيرة علمية كبيرة (رسائل النور)، وتوفي سنة 1960م، وتم دفن رفاته في مدينة أورفة، ولكن السلطات العسكرية الحاكمة لتكريما لردعه في قبره إذ قاموا بعد أربعة أشهر من وفاته بهدم القبر ونقل رفاته بالطائرة إلى جهة مجهولة وبعد أن أعلنوا منع التجول في مدينة أورفة، فأصبح قبره مجهولاً حتى الآن لا يعرفه الناس) موقع ويكيبيديا: 2019. " الاستبداد هو التحكم أي المعاملة الكيفية - الاعتباطية - أي الجبر باستناد القوة أي الرأي الواحد ... المفتوحة أبوابه لتدخل المفساد، وما هو إلا أساس الظلم، وماح الإنسانية. وهو الذي دحرج الإنسان المكرم إلى اسفل سافلين في السفالة. وهو الذي أوقع العالم الإسلامي في المذلة. وهو الذي أيقظ الأعراس والخصومات. وهو الذي سمر الإسلاميه. وهو الذي سرى سمه في أعصاب العالم الإسلامي. وهو الذي أوقع الاختلافات المدهشة. هذا وان الاستبداد المتعسف لا صلة له بالشريعة الغراء، وإن الشريعة قد أتت لهداية العالم أجمع كي تزيل التحكم الظالم والاستبداد" (النورسي، 2014: 99/9).

وأما ما يتعلق بالعقيدة فقد ترك السلطان مظفر الدين الناس ما يختارون من دين أو مذهب الذي يحقق ويكفل لهم سعادتهم، وهذا المبدأ قد أصل في القرآن الكريم في آيات كثيرة، منها قول الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (سورة الممتحنة: 8)، فدللت الآية الكريمة على حرية العقيدة لكل من يعيش بين المسلمين، وإن القواعد الثابتة في الشريعة الإسلامية أن يترك الناس على معتقداتهم، ولا يجوز للمسلمين التعرض لغيرهم في عقيدتهم وعبادتهم (ابن كثير، 1999: 517/13)، يقول الدكتور هاشم جميل: "المسلمين قد التزموا بها، فلم يحدثوا التاريخ أن المسلمين منذ عصر النبوة إلى يومنا قد أكرهوا أحداً على دخول الإسلام أو أودى أحد لا شيء إلا لأنه غير مسلم، وذلك تمسكاً بالمبدأ العظيم" (عبدالله، 1989: 221/2) قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (سورة البقرة: 256).

وبما أن الإسلام دين الفطرة نظر إلى الاختلاف بين الأديان والمذاهب بروح إيجابية، وإن الدعوات إلى الاعتراف بالآخر والتعايش السلمي بين الناس تعد من صميم روح الإسلام وتعاليمه ومبادئه الأساسية، ومن هذا المنطلق وضع السلطان مظفر الدين معالم دولته على أساس المحبة والمودة، والعدالة والمساواة، والتسامح والتعايش الديني السلمي بين مكونات إمارة أربيل (المسلمين واليهود والمسيحيين)، وحرص على منع كل ما يؤدي إلى اضطراب الأمن، وهذا هو المنهج القويم والأساس السليم الصحيح لبناء مجتمع سليم تسود فيه التعايش الديني السلمي بين جميع الناس (أبن أبي أصيبعة: 580).

ولكن الأمر الذي يدعو للأسف أن بعض الفصائل الإسلامية في العصر الحديث رفضت التعددية في الفكر والفهم والحياة، وتدعي أنها وحدها الجماعة المسلمة وإن ما عداها على الباطل، وقدمت نفسها في بعض القنوات الرسمية وغيرها على أنها الممثل الشرعي الوحيد للمسلمين، فأسأت إلى الإسلام كثيراً، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (سورة الحجرات: 10)، ولاشك أن طبيعة الأخوة تنطوي على عدة أمور تؤلف بمجموعها رابطة الأخوة، ومن جملتها: التعاون والتضحية والصفح والعفو والتماس العذر والصدق والوفاء والإعانة... كلها من مظاهر الحياة الطبيعية السلمية التي دعت إليها الشريعة الغراء، وأراد الإسلام من المسلمين أن يعيشوا تحت ظل هذه العلاقات، وإلغاء مظاهر العنف والخشونة في التعامل فيما بين المؤمنين وغيرهم (موقع با زهراء: 2109).

وإن الاختلاف في العقائد والشرائع والألوان والألسنة أمر إلهي يتصل بالحياة الدنيا ولا ينفك عنها، يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (118) ﴿إِلَّا مَنْ زَحَرَ رَبُّكَ﴾ (سورة هود: ١١٨)، وقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَا وَوَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فَمَا آتَاكُمْ فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا



فَيَبْتَئِكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} سورة المائدة: 48)، فالله تعالى لم يترك عباده سدى يصارع ويقتل بعضهم بعضاً بسبب الاختلاف في الدين أو المذهب، وقد أدرك السلطان مظفر الدين هذه الحقيقة، لذا كان يتعامل مع الجميع على أساس قوله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} (سورة النحل: 125). ويبدو مما سبق أن سلطان مظفر الدين بنى دعائم حكومته على قاعدة كرامة الإنسان التي هي الأساس التي تقوم عليها العلاقة السلمية بين مكونات المجتمع المتحضر، وعلى أساس هذه القاعدة نظر إلى المخالفين له في العقيدة والدين، كما نظر في الوقت نفسه إلى أبناء ديانته، لأن الإسلام هو دين التعايش السلمي بين الشعوب والأديان، وهو الذي يحرص على حقوق المسلم وغير المسلم، وإن مبدأ العدالة والحرية والتسامح كانت نزعة أصيلة في نفس سلطان مظفر الدين وسجية من سجايه التي طالما أشاد بها المؤرخون، فكان مبدؤه في التعامل مع الغير هو الصدق في القول والعدالة في العمل، وهذه السياسية كانت كفيلاً بانتعاش الحياة بكافة نواحيها الاقتصادية والفكرية والعلمية خلال فترة حكمه، وقد حال ذلك دون طغيان إحدى الفئات أو مكونات المجتمع، فساد جو من الوئام والتعاون بين الأديان والمذاهب الإسلامية المختلفة.

الخاتمة

وبعد وصولي إلى نهاية البحث يمكن أن أخص النتائج التي توصلت إليها وكالاتي:

- (1) رسخ دعائم التعايش الديني السلمي في مدينة أربيل إبان حكم السلطان مظفر الدين كوكبوري بين مكونات المسلمين والمسيحيين واليهود، وذلك من خلال تطبيق مبدأ العدالة، وفهم الدين فهماً صحيحاً، بعيداً عن سمات التعنت والتشدد؛ أو التعصب لمذهب أو طائفة معينة.
- (2) التربية والمناهج التدريسية التي من شأنها تعليم الجيل الجديد وكيفية التعايش بأمان بين الأديان التي اتخذت معتنقوها من مدن الكردستانية موطناً لهم تعد مسألة جوهرية لا غنى عنها، لأنها ستربي أجيالاً متعاقبة على تقبل الآخر الذي ينتمي لدين أو مذهب مختلف دون البحث والتمحيص عن خلفيته العقائدية.
- (3) أراد سلطان مظفر الدين من خلال مدة حكمه التأكيد على أن فهم الدين وتطبيقه بشكل صحيح سليم هي غرض الشارع الحكيم من التشريع، وأن المسلمين بجميع فئاتهم مكلفون بتطبيق هذا الدين كما أمر به الله تعالى ورسوله الأكرم ﷺ.
- (4) مبدأ العدالة والحرية والتسامح كانت نزعة أصيلة في نفس سلطان مظفر الدين وسجية من سجايه، فكان مبدؤه في التعامل مع الغير هو الصدق في القول والعدالة في العمل، وهذه السياسية كانت كفيلاً بانتعاش الحياة بكافة نواحيها الاقتصادية والفكرية والعلمية خلال فترة حكمه، وقد حال ذلك دون طغيان إحدى الفئات أو مكونات المجتمع، فساد جو من الوئام والتعاون بين الأديان والمذاهب الإسلامية المختلفة.
- (5) حظيت مدينة أربيل في عهد السلطان مظفر الدين كوكبوري بمكانة مميزة بين المدن الإسلامية، فاشتهرت بالعلم، والمعرفة والثقافة، وقدمت علماء أجلاء في مختلف العلوم الشرعية والإنسانية، حتى أصبحت ملتقى العلماء والأدباء والشعراء.
- (6) عاصر السلطان مظفر الدين زمناً مليئاً بالحوادث الجسام على المستوى العالمي الإسلامي، فقد عاصر الحروب الصليبية، وشارك فيها كقائد عسكري شجاع تحت راية الملك صلاح الدين الأيوبي.
- (7) الوضع الاقتصادي كان مستقرًا ومتعشاً في زمن السلطان مظفر الدين، وذلك بسبب سياسته الحكيمة وعدلته بين رعيته، ومحاربه للفساد والمحسوبية في الحكم.
- (8) السلطان مظفر الدين كوكبوري خدم شعبه خلال مدة حكمه خدمات جليلة، وبذل جهداً كبيراً في تطوير إمارة أربيل، وتمكن من إدارتها بأفضل وجه، فقام بإنشاء المدارس والمستشفيات، وعمل على نشر العلم وتشجيع العلماء، ونهض بالزراعة والتجارة.
- (9) إن أنزال العقوبات على الفاسدين لا يدل على تعسف السلطان مظفر الدين وبطشه، بل يدل على حرصه على مصالح رعيته، فقد كان حازماً وصارماً مع المسؤولين الفاسدين، ولم يكن يتهاون معهم أو يسامحهم على جورهم، وكان إذا ثبت لديه أن أحداً منهم قد استغل منصبه في جمع المال على وجه غير مشروع أو أنه قد ظلم مواطناً... فكان ينزل به أشد العقوبات، ويصادر أمواله وممتلكاته.

التوصيات



وفي نهاية البحث أقترح بعض التوصيات أرجو قبولها ومراعاتها:

- (1) تشجيع الأئمة والخطباء على إبراز روح التسامح الديني والتعايش السلمي التي كانت سائدة في مدينة أربيل في عهد السلطان مظفر الدين ونقلها للناس، وترسيخها في النفوس لتكون تلك المبادئ القيمة أداة منيعة لمواجهة الفكر الإرهابي المتطرف التي تسود كثير من الدول الإسلامية.
- (2) ضرورة العودة إلى التراث الإسلامي الكردي واستمداد العبر والعظات منها، وتوضيف ذلك التراث لمعالجة القضايا والمشكلات المعاصرة، فأن كثيراً من المسائل الشائكة المستعصية التي عجز أصحاب الشأن والسلطة من إيجاد حلول مناسبة لها فقد عالجها أجدادنا منذ زمن بعيد.
- (3) تسمية الأماكن العامة والمؤسسات الحكومية والأهلية في مدينة أربيل وضواحيها باسم السلطان مظفر الدين، وإقامة نصب تذكاري له وفاء لخدماته التي قدمها لأبناء مجتمعه.
- (4) تنظيم مؤتمرات وندوات علمية دورية تبرز فيها السمات الإنسانية لشخصية السلطان مظفر الدين الكوكبوري في عدالته وسياسته مع أبناء رعيته.

المصادر والمراجع

- (1) ابن أبي أصيبعة، أعيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: الدكتور نزار رضا، بيروت، دار مكتبة الحياة.
- (2) ابن الأثير، أ. (1415هـ، 1996م) الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، الطبعة الثانية، بيروت، دار الكتب العلمية.
- (3) ابن الجوزي، ي. (1434 هـ، 2013 م) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: محمد بركات، الطبعة الأولى، سوريا، دار الرسالة العالمية.
- (4) ابن حجر، أ. (1415هـ) الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية.
- (5) ابن العماد، ع. (1406هـ) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، الطبعة الثانية، دمشق، دار بن كثير.
- (6) ابن خلكان، و. وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس .
- (7) ابن خلدون، ع. (1408 هـ، 1988 م) تاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، الناشر، الطبعة الثانية، بيروت، دار الفكر.
- (8) ابن كثير، أ. (1420هـ، 1999 م) تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الطبعة الثانية دار طيبة للنشر والتوزيع.
- (9) ابن كثير، أ. (1424هـ، 2003م): البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.
- (10) أبو الفداء، إ. المختصر في أخبار البشر، الطبعة الأولى، المطبعة الحسينية المصرية.
- (11) الأزرلي، ش. (1980) تاريخ أربيل، تحقيق: سامي بن السير الصفار، سلسلة كتب التراث (99)، العراق، دار الرشيد للنشر.
- (12) الأسويطي، ش. (1985م) جواهر العقود، بيروت، دار الكتب العلمية.
- (13) الجاوشي، هـ (1985م) تراث أربيل التاريخي: مطبعة جامعة الموصل.
- (14) حسين، م. (1976م) أربيل في العهد الأتابكي، بغداد، مطبعة أسعد.
- (15) الحموي، أ. معجم البلدان، بيروت، دار الفكر.
- (16) حميد، ص. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، الطبعة الرابعة، جدة، دار الوسيلة للنشر والتوزيع.
- (17) ديورانت، و. (1408 هـ - 1988م) قصة الحضارة، تقديم: الدكتور محي الدين صابر، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محفوظ، دار الجبل، بيروت، المنظمة العربية للترجمة والثقافة والعلوم .
- (18) الذهبي، م. (2003م) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي.
- (19) الذهبي، م. (1413هـ، 1992م) سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة التاسعة، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- (20) الذهبي، م. (1984م) العبر في خبر من غير، تحقيق: صلاح الدين المنجد، الطبعة الثانية، الكويت، مطبعة حكومة الكويت.
- (21) الذهبي، م. (1419هـ- 1998م) تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان.
- (22) الزركلي، خ. (1980م) الأعلام، الطبعة الخامسة، بيروت، دار العلم للملايين.
- (23) زكي، إ. (1933م) دائرة المعارف الإسلامية، العدد (1).
- (24) السبكي، ع. (1413هـ) طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي، الطبعة الثانية، هجر للطباعة والنشر والتوزيع.
- (25) السجستاني، أ. (1430 هـ، 2009م) سنن أبو داود، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الطبعة الأولى، دار الرسالة العالمية.
- (26) شاونس، ز. (1977م). أربيل في أدوارها التاريخية، النجف، مطبعة النجف الأشرف.
- (27) الشيباني، أ. (1382هـ، 1963م) التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تحقيق: عبدالقادر أحمد طليحات، القاهرة، دار الكتب، القاهرة.
- (28) إسماعيل، ز. (1989م) الشيخ جولي، أربيل.
- (28) الصفدي، ص. (1420هـ، 2000م) الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، بيروت، دار إحياء التراث.
- (30) عبدالله: أ. (2014) الغزو المغولي للعراق، آشور بانينال للثقافة. [على الخط] يمكن الحصول عليه، http://ashur.hiabllog.com (يوم الزيارة: 2018/11/5).
- (31) عبدالله، هـ. (1409هـ، 1989م) مسائل من الفقه المقارن، الطبعة الأولى، بغداد، جامعة بغداد.



- (32) عبدالوهاب، ل. العرب في العصور القديمة، الطبعة الثانية، دار المعرفة الجامعية.
- (33) العزاوي، ع. 1422هـ، 2001م) أربل في مختلف العصور اللواء والمدنية، تطبيق: محمد علي الفرداي، بغداد، مطبعة الخنساء.
- (34) العسقلاني، أ. فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، بيروت، دار المعرفة.
- (35) العسقلاني، أ. (1392هـ/ 1972م) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد، الطبعة الثانية، صيدر اباد، الهند، مجلس دائرة المعارف العثمانية.
- (36) علي، م. (1950م) الإسلام والحضارة العربية، الطبعة الثانية، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف.
- (37) العمراني، م. (1421 هـ - 2001 م) الإنشاء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم السامرائي، الطبعة الأولى، دار الآفاق العربية، القاهرة.
- (38) القاري، ع. (1422 هـ، 2001م) مرآة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، تحقيق: جمال عبتاني، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية.
- (39) القرافي، أ. الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية.
- (40) القزويني، ز. (1389 هـ، 1969 م) آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر.
- (41) القلقشندي، أ. (1981م) صبح الأعشى في كتابة الإنشاء، تحقيق: عبد القادر زكار، دمشق، دار وزارة الثقافة.
- (42) الماوري، أ. (1405هـ- 1985م) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: دار الكتب العلمية.
- (43) الماوري، أ. (1986م) أدب الدنيا والدين، دار مكتبة الحياة.
- (44) مكدول، د. (2004م) تاريخ الأكراد الحديث، ترجمة: راج آل محمد، الطبعة الأولى، بيروت، دار الفارابي للنشر والتوزيع.
- (45) مجموعة مقالات (2006م) السلام والعدل والعوامل التي تهددها في عالم اليوم، لبنان، المكتبة البولسية.
- (46) موقع آشور بانينال للثقافة [على الخط] ويمكن الحصول عليه: http://ashur.hiablog.com/post/260971، تاريخ الزيارة: 2109/5/13.
- (47) موقع ويكيبيديا (2018) ويكيبيديا [على الخط] ويمكن الحصول عليه: https://ar.wikipedia.org/wiki، تاريخ الزيارة: (2018/8/31).
- (48) موقع يا زهراء (2014م) سيرة ذاتية، إعداد وترجمة: إحسان قاسم الصالح، القاهرة، دار سوزلر للنشر.
- (49) النورسي، س. (2014م) سيرة ذاتية، إعداد وترجمة: إحسان قاسم الصالح، القاهرة، دار سوزلر للنشر.
- (50) الهمذاني، ر. (1960م) جمع التواريخ، تحقيق: يحيى الخشاب، الجمهورية العربية المتحدة، مطبعة عيسى البابي الحلبي.
- (51) الواصل، ج. مفرج الكروب في إخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيبان، القاهرة، دار القلم.
- (52) اليعمرى، أ. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: محمد الأحمدى أبو النور، القاهرة، دار التراث للطبع والنشر.

پێکهوه ژبانی تاینی ناشتی له شاری ههولێر له سه‌رده‌مه‌ی سولتان موزه‌فهردين كوكبوري 549 - 630 هـ

عادل عبدالله حمد

کۆلیژی زانسته ئیسلامیه‌کان/ به‌شی شریعه / زانکۆی سه‌لاحه‌دین-هه‌ولێر

پوخته

تاینی ئیسلامی پیرۆز به‌ چاوی نه‌رینی سه‌یری جیاوازی له‌ بیرو پروا‌کان ده‌کا، ومروؤفشی سه‌ر پشک کردوه بۆ ئهو تاینه‌ی هه‌ئیده‌بێژیت، ونه‌مر خه‌سه‌له‌ته‌ جوا‌نه‌ به‌به‌ها به‌رزه‌کانی ئیسلام داده‌ترتیت. بۆیه له‌سه‌رده‌می سولتان موزه‌فهردين دا بنه‌ماکانی پێکه‌وه ژبانی ناشتی تاینی له‌تیوان کۆمه‌لگای هه‌ولێردا (موسلمانه‌کان وجووله‌که‌کان و دیانه‌کان) زۆر به‌هێز بوو، چونکه‌ په‌کسانی له‌ناو خه‌لکدا په‌یره‌و ده‌کرا، وه‌هه‌روه‌ها خه‌لکه‌که‌ ته‌واو له‌ دینه‌که‌یان تێگه‌شتیوون، و دوور بون له‌ هه‌موو په‌فتاریکی توندو تیژی.

وسولتان موزه‌فهردين له‌سه‌رده‌می حوکمرانی خۆیدا (549 _ 630 هـ) جه‌ختی له‌سه‌ر ئه‌وه‌ی ده‌کردوه که تێگه‌شتن له‌ تاین و پیا‌ده‌کردنی به‌شێوه‌یه‌کی نه‌ندروست مه‌به‌ستی خ‌وای گه‌وره‌ و پێغه‌مبه‌ره‌ (دخ)، وموسلمانان ده‌ی تاینه‌که‌یان وه‌ک خ‌ۆی په‌یره‌و بکه‌ن، ونه‌مر سیاسه‌ته‌ که‌کیمانه‌ی سولتان موزه‌فهردين بووه‌ مایه‌ خ‌ۆش گوزهرانی بۆ خه‌لکی ئیمه‌ره‌تی هه‌ولێر له‌گه‌شت بو‌اره‌کاندا، به‌تایه‌ه‌تی له‌بوارای ئابوری و زانستی دا.

له‌به‌ر ئه‌و ه‌ۆکارانه‌ی پێشوو با‌سمان لێ‌کرد شاری هه‌ولێر له‌م سه‌رده‌مه‌دا پێشکه‌وتنیکی زۆری به‌خ‌ۆیه‌وه‌ پێنی له‌ بوارای شاره‌ستانی و پ‌الئه‌خانه‌ و رێگا‌ویان و قوتابخانه‌ و نه‌خ‌ۆشخانه‌ ... و با‌وانگی زۆری به‌ده‌ست ه‌ینا له‌بوارای زانستی ومه‌عریفی وه‌زریدا، وچه‌ندین زانای گه‌وره‌ی ل‌ر هه‌لکه‌وت له‌ گه‌شت زانسته‌کاندا تا‌کو بوه‌ مینه‌ری زانایه‌کان و ئه‌دیه‌به‌کان.

وسالانه‌ له‌ب‌ادی بۆنه‌ی مه‌لودی پێغه‌مبه‌ر(دخ) سولتان موزه‌فهردين پاره‌یه‌کی زۆری دا‌بین ده‌کرد بۆ خ‌یرو خ‌یرات وه‌دا‌به‌ش کردنی به‌سه‌ر هه‌زاران، و با‌نگێشه‌ی زانایان ده‌کرد له‌شارو شارۆجکه‌کانی بۆ ئاهه‌نگ گه‌ران، ونه‌مر بۆنه‌یه‌ به‌په‌رۆزترین و گه‌رنه‌گه‌رن ئاهه‌نگه‌ تاینه‌به‌کان داده‌نریت که‌ له‌شاری هه‌ولێر ساز ده‌کرا له‌سه‌رده‌می سولتان موزه‌فهردين دا و تا‌کو نه‌مه‌رۆشدا.

شاینی با‌سه‌ سولتان موزه‌فهردين له‌ ژبانی حوکمرانی خ‌ویدا خه‌زمه‌تیکه‌ یه‌ک جار زۆری هه‌ولێر په‌که‌انی کردوه، وروو به‌پووی چه‌ندین گه‌روگه‌رفتی سیاسی وسه‌ربازی بو‌یته‌وه، وه‌زقه‌رنیایان ه‌یشه‌که‌انی خ‌اج په‌رسته‌کان بوو، وه‌له‌م جه‌نگانه‌دا وه‌ک سه‌رکرده‌یه‌کی ئازا و که‌م و نه‌نده‌ به‌شدارای کرد له‌ژێر ئالی مه‌لیک س‌لاحه‌دین ئه‌یوبی(رخ)، وتوانیان شاری قدسی پیرۆز زکار بکه‌ن له‌ده‌ست خ‌اج په‌رسته‌کان.

و شه‌ناساره‌کان: پێکه‌وه ژبانی تاینی، شاری هه‌ولێر، سولتان موزه‌فهردين كوكبوري، مه‌لودی پێغه‌مبه‌ر(دخ).



Living together in peaceful religious In the city of Erbil Throughout the duration of Sultan Muzaffar –Din Kokburi 549 – 630 H

Adil Abdullah Hamad

Collage of Islamic Sciences / Salahaddin University-Erbil

Abstract

Sultan Muzaffar –Din Kokubry received great interest of researchers & historians,

Thanks to his resolved personality, which had been characterized by the virtues of morality stemming of teachings for indulgent Islamic religion. He devoted his time to the produce of union & cohesive society of all races and religions, while preserving the national, religious & confessional characteristics of all. And bringing Justice & equality will be in their hands, and tolerance will be their supporter.

In the reign of Sultan Muzaffar –Din the city of Erbil was controlled by peace & safety, in which Kurdish, Turkmen, Arab, Muslim, Christian, Jewish, Izidi & other believers and religions lived in Erbil, all kinds of society had their rights and duties on the basis of citizenship, and what has done to serve their society and city.

During his reign in the state of Erbil Sultan Muzaffar –Din fought dishonesty & nepotism, although he was a good people, but he was very rigorous with all those who tried to reach his hand over nation or private stores in way illegally or trying to blackmail citizens by menace to armed service others to payoff, or to create for opening among the members of society based on national, sectarian bigot and ethnic nerves, & there is no doubt that these points are a positive point in profit of the Sultan.

This is a research paper through which the researcher tries to make clear the concept of peaceful religious living together peacefully in the city of Erbil under the reign of Sultan Muzaffar –Din Kokubry and his duty in keeping constancy & social peace, as security & peace are the most important necessity of the life, upon which the development of society, economic & political, as depends on the psychological stability of the individual & groups within the society, whenever a person feels safe for his or her life, religion, wealth and presentation, there is no doubt that this will have a positive impact on the security, wholeness & development of the state at all degrees.

Keywords: Religious Coexistence .Erbil Governorate .Sultan Muzaffar –Din Kokubry .The birth of the Prophet.



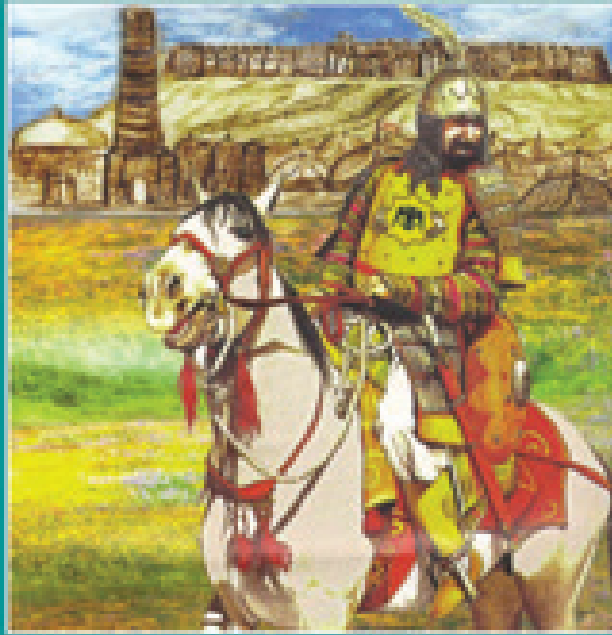
حقوق الطبع عامة

اعتقاداً منا بان تاريخ السلطان مظفرالدين زين الدين على كجوك- ملك اماره اربل و رجل الله , ليس حكرا على شخصا ولا على مؤسسة معينة فقط, انما ملك الناس و الانسانية جميعا. لذا من الممكن لاية شخصية و دار نشر للطباعة الطبع و ترجمة الكتاب الى اللغات العالم جميعاً.

مركز السلطان مظفرالدين الكوكبورو للفكر و التاريخ

مافي له چاپکردنه وه و کۆپیکردنی مظفرنامه- والایه- له بهر ئه وهی ئیمه پیمان وایه که میژووی قه لای اربل و ئیماره تی اربل و سولتان موزه فهره دین گۆگبورو، مولکی کوردستان و هه موو مروقایه تیه، له بهر ئه وه بو هه موو که سیک و لایه نییک و ده زگایه کی فهره نگی- تورکمانی و کوردی و بیانی، ده توانن ئه م کتیبه وهر بگێرنه سه زمانی تری جیهان و ما فی چاپکردنه وه بیان پی به خشراوه.

سه نته ری سولتان موزه فهره دین گۆگبورو بو فیکرو میژوو

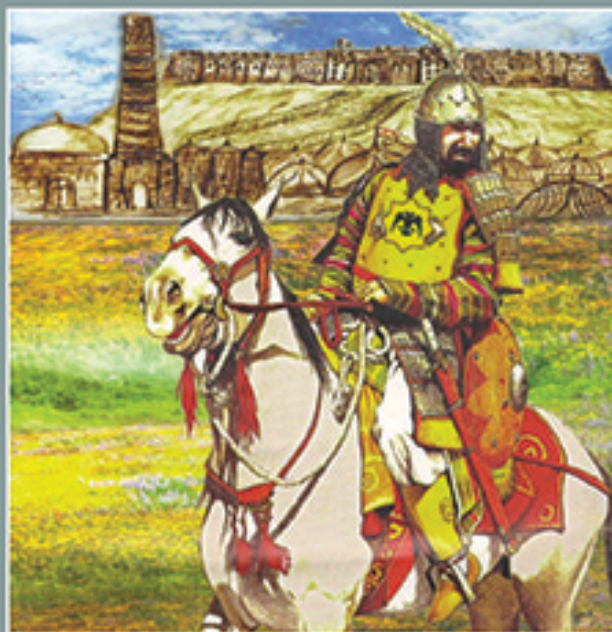


**Sultan Muzafferettin Gökbörü
Erbil'in Sultan - Muzzafername
Abdulkadir A. Tuleymat
Khasro Pirbal
Iraqi Kurdistan - Erbil -2019**



ISBN:978-952-94-1436-9





Sultan Muzafferettin Gökbörü
Erbilin Sultani - Muzzafernama
Khasro Pirbal
Iraqi Kurdistan - Erbil -2020



ISBN:978-952-94-1436-9